الجزءان الثاني والثالث المجلد الثالث والثلاثون

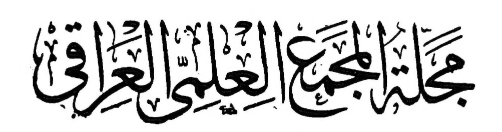




رجب ١٤٠٢ هـ
نيسان ١٩٨٢ م

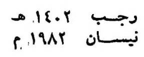


الجزءان الثاني والثالث
المجلد الثالث والثلاثون








رجب ١٤٠٢ هـ
نيسان ١٩٨٢ م



التاريخ عند عرب ما قبل الإسلام

الدكتور جواد علي

(عضو المجمع)

يقول « البيروني » في حديث له عن التأريخ عند عربِ ما قبلَ الإسلام : « وكبني إسماعيل من العرب، فإنهم كانوا يؤرخون ببناء إبراهيم واسماعيل الكعبة، حتى تفرّقوا ، وخرجوا من تهامة . فكان الخارجون يؤرخون بخروجهم ، والباقون بآخر الخارجين منهم ، حتى طال الأمد فأرخوا بعام رئاسة عمرو بن ربيعة المعروف بعمرو بن يحيى [1] ، وهو الذي يقال : إنه بدّل دين ابراهيم ، وحمل من مدينة « البَلْقاء » صنم « هُبَل » ، وعمِل إسافاً ونائلة ، وذلك فيما يقال في زمن سابور ذي الأكتاف ، والجمع بين رأي الفريقين في التواريخ لا يشهد لذلك .

ثم ارّخوا بعام موت كعب بن لُؤَيّ الى عام الغدر ، وهو الذي نهب فيه بنو يربوع ما أنفذه بعض ملوك حمير الى « الكعبة » من الكسوة ، ووثب بعض الناس على بعض في الموسم .

---

(1) الصواب : «عمرو بن لحي» ، لا «عمرو بن يحيى» وهو من خطأ النساخ على ما اظن ، حولوا كلمة «لحى» الى «يحيى» اذ لايعقل وقوع البيروني في هذا الخطأ ، «وهو عمرو بن ربيعة ، وهو لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي ، وهو أبو خزاعة .

وكانت أم عمرو بن لحي ، فهيرة بنت عامر عمرو بن الحارث بن عمرو الجرهمي ، ويقال : قمعة بنت مضاض الجرهي » ، الأصنام ، لابن الكلبي (ص ٦ ومابعدها) ، ابن هشام (١/٨٢) ، أخبار مكة ، للأزرقي (١/٤٦) ، الاشتقاق (٢٧٦) ، المفصل في تأريخ العرب قبل الاسلام (٦/٧٧) .

ثم أرّخوا بعام الغدر الى عام الفيل ، الذي ردّ الله فيه الحبشة القادمين لتخريب الكعبة في نحورهم ، وأهلكهم عن آخرهم .

ثم أرخوا به إلى تأريخ الهجرة .

وبعض العرب كانوا يؤرخون بالوقائع المشهورة والأيّام المذكورة بينهم ، كالتي لقريش مثل يوم الفُجار في الشهر الحرام ، وحلف الفُضول ، وهو على أن ينصروا المظلوم ، إذْ كانت قريش تتظالم في الحرم ؛ وعام موت هشام بن المغيرة المخزومي إجلالاً له ، وبناء « الكعبة » على حكم النبي عليه الصلاة والسلام وكالتي بين الأَوْس والخَزْرَج ، مثل أيام الفضاء والربيع ، والرحابة ، والسرارة وداحس والغبراء ، ويوم بغاث [٢] و « بعاث » وحاطب ومضرس ومعبس ، وكالتي بين بكر وتغلب ابنَيْ وائل، كيوم عنيزة ، ويوم الحنو ، ويوم تَحْلاق اللِمَم ، ويوم القصيبات ، ويوم الفصيل ، وأمثال ذلك فيما بين أحياء العرب وقبائلهم ، وهي منسوبة الى مواضعها واسبابها .

ولو كانت محفوظة على السَنَن الذي يجري عليه أمر التواريخ لفعلنا بها ما نريد أن نفعله بغيرها من أمور التواريخ ، لكن قيل : إنّ بين عام موت كعب بن لُؤَيّ وعام الغدر عشرين وخمس مئة سنة ، وبين عام الغدر وعام الفيل عشر سنين ومئة سنة .

---

(٢) « ويوم بعاث ، بضم الباء : يوم معروف ، كانت فيه حرب بين الاوس والخزرج في الجاهلية ، ذكره الواقدي ومحمد بن اسحاق في كتابيهما، قال الازهري : وذكر ابن المظفر هذا في كتاب العين ، فجعله يوم بغاث وصحفه ، وماكان الخليل ، رحمه الله ، ليخفى عليه يوم بعاث ، لانه من مشاهير أيام العرب ، وانما صحفه الليث وعزاه الى الخليل نفسه ، وهو لسانه » ، « الليث : يوم بغاث : يوم وقعة كانت بين الأوس والخزرج، قال الأزهري : انما هو بعاث ، بالعين ، وقد مر تفسيره وهو من مشاهير أيام العرب ، ومن قال «بغاث» فقد صحف » ، لسان العرب (١١٧/٢)، (بعث) ، (١١٩/٢) ، (بغث) .

وولد رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بعد قدومهم بخمسين يوماً ، وبينه وبين عام الفُجار عشرون سنة ، وحضر النبيّ عليه الصلاة والسلام ، فقال : لقد شهدت يوم الفجار فكنت أنبّل على عمومتي ، وبين عام الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة والمبعث خمس سنين .

وكذلك كانت حِمْيَر وبنو قحطان تؤرخ بتبابعتها ، كما كانت تؤرخ الفرس بأكاسرتها ، والروم بقياصرتها ، ولكن لم يكن ملك حمير على نظام وفي تواريخهم اضطراب ، غير أنّا مع ذلك حَصَّلناها في جداول مع مُدد الملوك اللخميين الذين قطنوا « الحيرة » ، ونزلوا بها فاستوطنوها »[3] .

ولو سرنا مسرى « البيروني » في قوله إن عام موت كعب بن لُؤَيّ كان قبل عام الغدر بعشرين وخمس مئة سنة ، وان عام الغدر كان قبل عام الفيل بعشر سنين ومئة سنة ، تكون وفاة كعب على هذا الرأي في نحو الثلاثين والست مئة سنة قبل ميلاد الرسول ، وقبل عام الفيل ، أي أنّ وفاته تكون قد وقعت قبل الميلاد بتسع وخمسين سنة . وأن عام الغدر قد بدأ بسنة « ٤٦١ » ، وانتهى بعام الفيل ، فهو على حد قوله : عشر سنين ومئة سنة .

وقال الحسين بن محمد بن الحسن الدياربكري : إن العرب أرخوا بموت كعب بن لُؤَيّ إعظاماً له ، الى أن كان عام الفيل فأرّخوا به ، وكان بين موته والفيل فيما ذكروا : خمس مئة سنة وعشرون سنة ، كذا في الاكتفاء وفي شواهد النبوة بين موت كعب ومبعث نبيّنا ، صلى الله عليه وسلم خمس مئة وستون سنة[4] » . ويلاحظ أن الديار بكري قد جعل هذا العدد فيما بين موت كعب ابن لُؤَيّ وما بين الفيل ، وأن البيروني جعل الرقم عشرين وخمس مئة سنة ، عدد السنين التي كانت بين عام موت كعب وعام الغدر ، الذي لم يدرجه الدياربكري في هذا الموضع .

(٣) البيروني ، الآثار الباقية (ص ٣٤ وما بعدها) .
(٤) تاريخ الخميس (١٥٣/٢) .

وروى المسعودي في كلامه على قدوم أصحاب الفيل الى مكة : أن قدومهم كان « يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ثمان مئة واثنتين وثلاثين للاسكندر ، وست عشرة سنة ومئتين من تأريخ العرب الذي أوّله حجة الغدر »[٥] . وذكر في حديثه عن مولد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أن مولده « كان بعد قدوم أصحاب الفيل مكة بخمسين يوماً ، وكان قدومهم مكة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم ،سنة ثمان مئة واثنتين وثمانين من عهد ذي القرنين ، وكان قدوم أبرهة مكة لسبع عشرة (ليلة) خلت من المحرم ، واست عشرة ومائتين من تأريخ العرب الذي أوّله حجة الغدر ، واسنة أربعين من ملك كسرى أنوشروان[٦] » ، وروى « ابن خلدون » ان مولد رسول الله كان « عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول لأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان ، وقيل لثماني وأربعين ،وثمانمائة واثنين وثمانين لذي القرنين ؟ »[٧] .

وقد ناقض « المسعودي » نفسه في ذكره الرقم على وَفْق التأريخ السّلُوقي ، المسمى عند أهل الأخبار تأريخَ الإسكندر ، وتأريخَ ذي القرنين ، ومبدؤه قبل الميلاد بثلاث مئة وإحدى عشرة سنة ، فذكره « ثمان مئة واثنتين وثلاثين سنة للاسكندر » في كلامه على قدوم أصحاب الفيل الى مكة ، وجعله : « سنة ثمان مئة واثنتين وثمانين من عهد ذي القرنين » في أثناء حديثه عن مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم . والظاهر أن مَرَدّ هذا التناقض الى سهو صار اليه قلمه أو أقلام النسّاخ ، كما وقع مثله « ابن خلدون » حين قال : « وقيل : لثمان وأربعين وثمان مئة واثنتين وثمانين لذي القرنين » ، كما ذكرت ذلك قبلُ ، والصحيح أن العدد « اثنتان وثمانون ومئة ، ولو استخلصنا منه العدد « ٣١١ »[٨] يكون

---

(٥) مروج الذهب (٥٤/٢) ، (طبعة دار الاندلس) .
(٦) مروج الذهب (٢٧٤/٢) .
(٧) ابن خلدون : العبر (٧١٠/٢) .
(٨) «٣١٢» في بعض روايات أهل الأخبار .

الحاصل « ٥٧١ » ، بحسب التقويم الميلادي ، وهو الرقم الشائع على أنه سنة المولد ودخول الأحباش مكة .

وقد ذكر «الأجْدابي» أن ملك ذي‌القرنين ، ويريد به «الإسكندر المقدوني» ، كان في سنة خمسة آلاف ومئة وثمان وتسعين من سنيّ آدم » ، « وكان أول اكتوبر في تلك السنة يوم الاثنين » ، « فأول شهور السنة عند الروم في حساب ذي القرنين أكتوبر ، وهو تشرين الأول ، وكذلك هو عند السريانيين . فكلما دخل اكتوبر . فقد مضت سنة من سنيهم ، ودخلت أخرى » . وذكر أن للروم « أيضاً تأريخاً آخرَ ، ميلاد المسيح ، عليه السلام ، وأول السنة فيه ينارية ، وذلك أن مولد المسيح ، عليه السلام ، كان في خمسة وعشرين من دجنبر ، وهو كانون الأول في سنة ثلاث مئة واثنتي عشرة من ذي القرنين . وكان أول شهرٍ دخل بعد مولد المسيح ينارية ، فجعل أول السنة في التأريخ المنسوب إليه » [٩] . وكان الناس يؤرخون بالتقويم الاسكندري الى أن وضع التقويم الميلادي .

وإذا جارينا رواية المسعودي في قوله بـ « تأريخ العرب » ، يكون مبدأ هذا التقويم سنة « ٣٥٥ » للميلاد . واقول المسعودي هذا في « تأريخ العرب » أهمية كبيرة عند المؤرخ ، لانه يشير الى وجود تقويم لا لأهل مكة خاصة ، وإنما للعرب عامة ، ووجود تقويم عربي يدل على تقدم كبير في التأريخ .

والشائع أن ميلاد الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ودخول الأحباش مكة ، كانا في السنة الأربعين من حكم « كسرى أنوشروان » ، وقد كان مبدأ حكمه في أقرب الروايات الى الصحة في « ١٣ سبتمبر » من سنة « ٥٣١ » للميلاد . فلو أضفنا الأربعين سنة الى هذا الرقم ، يكون الحاصل : « ٥٧١ » ، ويمثل عام المولد وعام دخول الحبش مكة [١٠] .

(٩) الأزمنة والأنواء ، لابي اسحاق ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن الاجدابي (ص ٥٢ وما بعدها) .

(١٠) The Nöldeke, yeschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden, S., 428, Anhang A.

وقد أرّخ العرب الشماليون ، ومنهم أهل « تَدْمُرَ » ، وكذلك الآراميون ، بالتقويم السّلُوقي ، الذي التزمه الروم ، متأثرين في ذلك بالثقافة الرومية ، فنجد كتابة « زبد » مؤرخة بسنة « ٨٢٣ » ، وهي من سني التقويم السّلُوقي ، وتقابل سنة « ٥١٢ » للميلاد ، وهو تقويم عمل به النصارى إلى أن استبدل به التقويم الميلاديُّ ، وهو التقويم الذي يطلق عليه : « التقويم الإسكندري » نسبة الى الإسكندر ، ويرتفع بـ « ٣١١ » سنة عن التقويم الميلادي .

غير أنهم أرخوا كذلك بالحوادث المحلية الجسام التي كانت تقع عندهم ، فقد أرخ شاهد قبر « امرئ القيس » مثلا « بيوم ٧ بكسلول من سنة ٢٢٣ » ، وهي من سني تقـويم مدينة « بُصْرَى » ((Bastra)) ، ويبـدأ هذا التقـويم بسنة « ١٠٥ » للميلاد ، سنة استيلاء الرومان على المدينة ، وبناءً على ذلك تكون سنة وفاة هذا الملك : « ملك العرب كلهم » ، سنة « ٣٢٨ » للميلاد [١١] .

وأرخ النص العربي لكتابة « حرّانَ » « بسنة ٤٦٣ بعد مفسد خيبر بعم » ، [١٢] ويرى الأستاذ « ليمتن » أن عبارة « بعد مفسد خيبر بعم » تشير إلى غزوة قام بها أحد أمراء غسّانَ لخَيْبَر [١٣] وقد وضع هذا التأريخ على وفق تقويم «بُصْرَى» فإذا أضفنا الى السنة المذكورة السنة « ١٠٥ » بعد الميلاد سنة مبدأ تقويم « بُصْرَى» يكون الناتج « ٥٦٨ » ، بالنسبة الى التقويم الميلادي .

---

(١١) Francois Nau, Les Arabes chrestiens, P., 32, Dussaud, Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris, 1907, P. 35, RES, 483, Die Araber, II, S., 321,

رينه ديسو ، العرب في سورية قبل الاسلام (ص ٣٦ وما بعدها) ، Lidmbarski, Ephemeris, II, S., 34, Peiser, Die Arabische Inschrift von En-Newara in, Orientalist, Literatur Zeittung, VI, 15, Col : 277 — 281.

(١٢) «بعم» ، اي بعام ، بسنة .

(١٣) Rivista degli Orientali, 1931, P., 195.

وارخ رجل اسمه « أنعم بن قهش » تأريخ غنائمه التي غنمها بـ « سنت حرب نبط » ، وقـــد ذهب « انو لتمن » ((Enno Littman)) الى أن « حـــرب نبط » ، « حرب النبط » هذه هي الحرب التي نشبت بين الرومان والنبط سنة « ١٠٦ » بعد الميلاد ، حيث قضى الرومان على استقلال النبط [١٤] وأرخ نصّ دوّنه رجل اسمه «خل بن معن بن اعدج بن معن بن ملك بن رمن ذال فهر»[١٥]، بسنة ثمان عشرة « بسنت ثمن عشرت » ، ولم يذكر اسم التقويم المؤرخ به ، ولكنه مؤرخ في الواقع على وَفْق تقويم « بصرى » الذي مبدؤه سنة « ١٠٥ » بعد الميلاد . وعلى ذلك يكون تأريخ هذا النص حوالى السنة « ١٢٣ — ١٢٤ » للميــلاد . [١٦]

وحلّ رجل في موضع ، وسجّل فيه وقت نزوله فيه بسنة « ٤٢ » ولما كان تقويم اهل هذه المنطقة هو تقويم«بُصْرى » تكون هذه السنة معادلة لسنة « ١٤٧- ١٤٨ » الميلادية ، [١٦] وسجل رجل آخر اسمه : « أنعم بن أنيف » ، نصه بـ « سنت مرق نبط جوذ » ، أي بسنة مروق النبط من هذا الوادي » ، ويشير بذلك ، على ما يظهر ، الى سنة هـرَب النبط من الروم سنة « ١٠٦ » للميلاد ، فيكون تأريخ هذا النص في هذه السنة [١٧] .

وأرخ نص صفوي بسنة أربع وأربعين من « سنت حرب نبط » ، ويراد بـ «سنة حرب نبط» ، سنة محاربة الرومان النبط وقضائهم على استقلالهم ، وهي الحرب التي تغلب فيها الرومان على العرب واستولوا فيها على « بُصْرَى » ، وصيروها

---

(١٤) E. Littmann, Thamud und Safa, Leipey 1940, S., 122.
وسيكون رمزه : Littmann .

(١٥) «خل» «خليل بن معن بن أعدج بن معن بن مالك بن رومان من آل فهر».
Littmann, S., 123.

(١٦) Littmann, S., 124.

(١٧) Littmann

عاصمة للمقاطعة العربية ، وقد كانت سنة « ١٠٥ » ، للميلاد ، أو « ١٠٦ » بالنسبة الى حربهم النَبطَ ، فيكون تأريخ هذا النص على هذا سنة « ١٤٩ » ، أو « ١٥٠ » للميلاد .

وجاء في نص ثمودي : « ذن رقش بنت عبد منات » [١٨] أي « هذه رقاش بنت عبد مناة » ، وعثر الى جانب الحجر على كتابة نبطية في شاهد قبر كذلك ، مفادها : أن هذا قبر رقاش بناه كعب بن حارثة بن رقاش بنت عبد مناة ، أمه ماتت في « الحجر » « حجرو » ، سنة « ١٦٢ » ، فيكون تاريخ هذا القبر سنة « ٢٦٧ » للميلاد [١٩] .

وما ذكرته من أمثلة يمثل نصوصاً مؤرخة بتأريخ معلوم . ، يمكن الوقوف منه على زمانه وتحويله الى ما يقابله في التقاويم الأخرى ، إلاّ أن هناك آلافاً من الأحجار المكتوبة المؤرخة في نظر أصحابها ، غير أننا لا نستطيع أن نعدها نصوصاً مؤرخة ، لأن ما جاء فيها من تسجيل مثل « سنت رعى هضان » ، أي : « سنة رعى الضأن» ، لم يقترن بتأريخ مؤرخ بتقويم . نعم ، إنّ صاحب النص قد حضر الى هذا المكان الذي كتب فيه نصه ، ورعى فيه الضأن ، ولكننا لا ندري متى كان وجوده ورعيه الضأن في هذا المكان . فلو قيده بزمان معلوم ، كان في امكاننا الوقوف عليه ، ولكنه خلو منه ، فهو من قبيل نصوص الذكريات وليس بنص مؤرخ بتأريخ معلوم .

وسجل رجل ذكريات بنائه « هرجم » ، أي « رجام » ، قبر أو ضريح ، على مدفن أخته المتوفاة ، ودون ذلك بكتابة صفوية على هذا النحو : « سنت نجى منمرت » ، أي « سنة نجاته من النمارة » ، والنمارة موضع معروف ، وبه عثر على شاهد قبر « امرئ القيس » ، « ملك العرب كلهم » المتوفّى سنة « ٣٢٨»

---

(١٨) Littmann, S., 54.

(١٩) Littmann, S., 28.

للميلاد . وهو يذكر فيه أنه فرّ من « النمارة » الى قبيلة « عوذ » « ال عوذ » ، « آل عوذ » . وكانت في النمارة حامية رومانية ، يظهر أنها احتجزته وسجنته ، ولكنه تمكن من الفرار من سجنه ، فنجا ، ووصل الى « آل عوذ » . ولما كان هذا الحادث خاصاً لا يرتبط بتأريخ معروف ، فلا سبيل لنا الى تحديده بتأريخ معين [٢٠] .

وفي نص صفوي آخر : أن رجلاً اسمه « غسم بن شمت »«غاسم بن شامت » نزل في منزل « حلل هدر سنت قنس هملك آل عوذ » [٢١] سنة عاقب « الملك » قبيلة « عوذ » بفرض غرامة عليها ، ولم يذكر النص اسم « الملك » ، وذهب « لتمن » الى أن المراد به « القيصر » أو أحد وكلائه ، و « قنس » ، بمعنى غرامة [٢٢] . و « ال » بمعنى «آل » ، وهي بمعنى قبيلة في الصفوية وفي الثمودية.

ويحدثنا « مالك بن غيرايل » أنه ترقّب وانتظر حتى نجى « من هسلطن» ، ولم يذكر في نصه هذا من هو هذا « السلطان » . وقد ذهب « لتمن » الى أن المراد بلفظة « هسلطن » ، « الرومان » ، أي « سلطان » الروم ، وانه هرب منهم في « سنت نجى من هسلطن » ، حين حانت له الفرصة [٢٣] وهي ســـنة معروفة عنده ، ولكنها مجهولة عند غيره ، لأنها حادثة خاصة غير مرتبطة بتأريخ معروف ، وحكمها حكم النص الذي دوّنه « أحلم بن كاهل » « سنت رعى هضان » ، « سنة رعى الضأن » ، فهي سنة معروفة عنده لكنها مجهولة عند غيره [٢٤] .

وأرّخ « مالك بن ابرقان » نصه الذي دوّنه يذكر فيه خروجه للرعي بـ « سنت سر هملك يعرض » ، أي « بسنة مسير الملك الى العرض » . ويرى « لتمن » أن

---

(٢٠) Littmann, S., 125.

(٢١) المصدر نفسه (ص ١٢٦) .

(٢٢) كذلك .

(٢٣) Littmann, S., 125.

(٢٤) Littmann, S., 127.

الملك المقصود هو امرؤ القيس المتوفّى سنة « ٣٢٨ » للميلاد ، وكان قد خرج الى هذه المنطقة ، فنزل بها ، فسجل هذا الرجل تأريخ نصه بخروجه اليها ، ويرى أن موضع « العيساوي » القريب من « النمارة » هو العرض [٢٥] .

وكَتَبَةُ هذه النصوص وأمثالها على الأحجار المُلْقاة في البوادي هم من الرعاة، وتوريخهم هو كتوريخ بدو هذا اليوم ، يكون بالحوادث التي تقع لهم ، وبالأحوال التي يرونها . أما التوريخ بالتقاويم الرسمية مثل التقويم السلوقي ، فإنه بعيد عن عادة الأعراب في التاريخ ، ويكون التوريخ به في حدود المستقرين سكان القرى . وأرياف الحضر والحضر في الغالب .

وأرخ أهل « تدمر » ، وهم من العرب في الأصل ، وكذلك أهل الحَضر والنبط بتواريخ ملوكهم ، مثل «الملك رب ال » ملك النبط [٢٦] ، كالذي نجـــده في هذا النص : دا اركتا دى عبد عذرا برجشم لشيع القوم الها بشنت عشرين وشت اربال ملكا نبطو » ، ومعناه : « هذه أريكة عبد عذرو بن جشم للاله شيع القــوم . صنعها بسنة ست وعشرين من ملك الملك رب ايل ملك النبط » [٢٧] كما أرخوا بالتقويم السلوقي، واستعملوا الشهور المستعملة عندنا حتى اليوم، مثل: شباط [٢٨] و « الول » ، « أيلــول » وغيرهما ، ففي نص أرخ بـ « الول » من سنة « ٤٤٣ » ، وهي بالتقويم السلوقي ، المقابلة لسنة « ١٣٢ » للميلاد ، نجد أن « عبيدو بن غانمو بن سعد لات النبطي من عشيرة « رحو » الذي كان فارساً في حصن « عنا » ، عانه ، قدم « علوتا » مذبحين للاله « شيع القوم » الإله الطيب « طبا » المشكور الذي لا يشرب خمراً ، لخيره ولخير إخوته ، وذلك في التاريخ الذي ذكرته [٢٩] .

(٢٥) Littmann, S., 126.
(٢٦) Ephe., I, S., 320.
(٢٧) Ephe., I, S., 332 f.
(٢٨) Ephe., I, S., 345, f.
(٢٩) Ephe., L, S., 345, F.

وبين النصوص التي عثر عليها في «تدمر» نصوص مؤرخة بالشهور التي نستعملها اليوم ، مثل : أيلول و « تشري»[٣٠] « تشرين» ، و «كنون » ، «كانــون»[٣١] ، و « اير » [٣٢] «أيـّار» أي«مايس» ، و « أدر » «آذار » [٣٣] و « نيسن » [٣٤] ، أي نيسان ، و « اب » أي « آب » [٣٥] وبقية الشهور ، ومؤرخــة على وَفْق التقويم السلوقي الذي كان تقويم هذه المنطقة عامهً .

أما العرب والنبط في الحجر وبُصْرَى وبقية المواضع ، فالظاهر أنهم كانوا يؤرخون بتقويم « بُصْرَى » في الغالب ، الذي يبدأ بسنة « ١٠٥ » للميلاد . أما ما قبل ذلك فكانوا يؤرخون بالتقويم السلوقي ، ففي نصٍّ نبطي : أن امرأة توفيت في « تموز» ودفنت سنة «١٦٢ »،وهذا الرقم هو بحسب تقويم «بُصْرَى»، وتقابله سنة « ٢٦٧ » للميــلاد [٣٦] .

أما علم أهل الأخبار بالتاريخ عنـــد أهل اليمن ، فقد لخّصه « البيروني » فقال : « كانت حمير وبنو قحطان تؤرخ بتبابعتها ، كما كانت تؤرخ الفرس بأكاسرتها ، والروم بقياصرتها. ولكن لم يكن ملك حمير على نظام ، وفي تواريخهم اضطراب . غير أنا مع ذلك حصلناها في جداول مع مدد الملوك اللخميين الذين قطنوا « الحيرة » . ونزلوا بهــا فاستوطنوها»[٣٧] ولم يزد على ذلك شيئاً ، ولم يذكر المصدر الذي أخذ منه هذه الجداول، وفي قول«البيروني » وغيره من أهل

---

(٣٠) Ephe., II, S., 271, 3.

(٣١) Ephe., II, S., 270.

(٣٢) Ephe., II, S., 272, 1.

(٣٣) Ephe., II, S., 278.

(٣٤) Ephe., II, S., 281.

(٣٥) المصدر نفسه (ص ٣٠٩) .

(٣٦) Ephe., III, S., 84. f.

(٣٧) الآثار الباقية (١/٣٣ وما بعدها) .

الأخبار في التوريخ عند أهل اليمن ، صحة ، وفيه نقص . فقد كان أهل اليمن يؤرخون منذ القرن الثاني قبل الميلاد بتأريخ على وفق تقويم ثابت ، إلاّ أن علمه لم يصل الى أهل الأخبار ، فلم يذكروه، وهو تقويم بقوا يؤرخون به الى قبيل ظهور الإسلام .

وقد ذهب بعض المستعربين الى أن العرب الجنوبيين إنما كانوا يؤرخون بالتقويم السلوقي « الإسكندري » ، وصاروا اذا وجدوا تأريخاً مدوّناً بالمسند وبالتقويم العربي الجنوبي استخرجوا منه الرقم ، « ٣١٢ » ، وهو فرق ما بين مبدأ التقويم السلوقي ومبدأ التقويم الميلادي، لتحويل ذلك التأريخ الى تأريخ ميلادي ، فحوّلوا التأريخ الوارد في نص « حصن الغراب » الذي هو « ذاتسعت وستى وست ماتم » ، أي « ٦٦٩ » الى الرقم « ٣٥٧ » للميلاد ، باستخراج العدد « ٣١٢ » منه ، وهو فرقُ ما بين التأريخ السلوقي والميلادي كما ذكرت [٣٨] وهو رأي مخالف لما هو معروف عند علماء العربيات الجنوبية في الزمن الحاضر من أن التواريخ المدوّنة بالمسند هي تواريخ اتخذت على وَفْق تقويم عربي جنوبي بدؤه سنة « ١١٥ » أو « ١١٠ » أو « ١٠٩ » قبل الميلاد . وعلى هذا يكون تأريخ « حصن الغراب » « حصن غراب » سنة « ٥٥٤ » أو « ٥٦٠ » للميلاد ، لا « ٣٥٧ » .

وطريقة توصل المستعربين الى حلّ مبدأ التقويم الحميري،أنهم أخذوا النصوص المؤرخة بالتقويم الحميري ، وقاسوا الحوادث الواردة فيها والمعروفة عندنا والمذكورة في موارد التأريخ العديدة ومنها التأريخ الميلادي ، فوجدوا أن التقويم الحميري يزيد على التقويم الميلادي بـ « ١١٥ » سنة ، أو بـ « ١٠٩ » ، فاتخذوا من ثمّ الرقمين المذكورين مبدأً للتقويم الحميري

ويجب عَدُّ النص الموسوم بـ « RES 4197 bis » من أقدم النصوص المؤرخة بهذا التقويم ، وهو يتحدث عن إصلاح لمجرى ماء من قعر المجرى الى

(٣٨) J. H. Mardtmann und D. H. Müller, Saböische Denhmöler, Wien 1883., S., 86.

أعلى حافتيه ، ويشكر صاحب النص الذي محا الزمنُ اسمَه من الكتابة : الآلهة « عثتر شرقان » ، و « عم » والإلهة « الشمس » ، وإلهة السقي ، وذلك « بخرفن ثني وسبعهن ومات خريفتم » ، أي « بسنة اثنتين وسبعين ومئة من السنين [39] أي من سني التقويم ، ولما كانت هذه السنة سنة سبئية ، محسوبة على التقويم المتخذ عندهم منذ سنة « ١١٥ » أو « ١٠٩ » قبل الميلاد – وجب استخراج هذين الرقمين من رقم السنة السبئية ، فيكون الحاصل – وهو « ٥٧ » ، أو « ٦٣ » – هو رقم السنة بالنسبة الى التقويم الميلادي ، ويكون هذا النص من النصوص المدوّنة في النصف الثاني من القرن الأول للميلاد ، ومن أقدم النصوص المدوّنة فيسمونه بحسب هذا التقويم الذي ينسبه المستعربون الذين حلّوا عقده الى حمير ، فيسمونه بالتقويم الحميري .

وجاء اسم الملك « ياسر يهنعم » وابنه « شمر يهرعش » في النص الموسوم بـ ((RES 4196)) ، وهو نص سجله «فرعن يزل بن ذرنح وهصبح ويعجف » قيل قبيلتي : « قشم » و « مضحيم » لطيّه بئرين في مغارس أعنابهم في عهد هذين الملكين ، وذلك « بورخن مذران ذلستعشر وثلث ماتم ذخريفتم بن خريف نبط . . » [40] أي : « بشهر مذران من سنة ست عشرة وثلاث مئة من سني نبط » ، فأرخ هذا النص بـ « نبط » ، واو استخرجنا من هذا التأريخ السنة « ١١٥ » أو « ١٠٩ » قبل الميلاد ، يكون الباقي السنة بالتقويم الميلادي، وهي سنة « ٢٠١ » أو « ٢٠٧ » للميلاد، وهو تأريخه بالتقويم الميلادي.

ولكن تأريخ نقش هجر قانية ، ونقش جبل القرنين ، ونقش المعسال ، اقدم في الزمن من تأريخ النقش المتقدم ، إذ أن تأريخ الكتابتين : كتابة هجر قانية وكتابة جبل القرنين أقدم من الكتابة المتقدمة عهداً ، اذ كتبتا في سنة « ١٤٤ »

(٣٩) RES 4197 bis, SE 128.

(٤٠) RES 4196, SE 105, Hermann V. Wissmann, Zur yeschichte und Lavdeskunde von Alt-Südarabien, Wien, 1964, S., 51.

من التقويم الحميري ، المطابقة لسنة « ٢٩ » للميلاد ؛ وأما نقش المعسال فتأريخه سنة « ١٤٦ » من التقويم الحميري التي تقابل سنة « ٣١ » للميلاد [٤١] ، وعلى هذا تكون هذه الكتابات من أقدم ما وصل الينا من النصوص المؤرخة ، وتكون أيضاً وثيقة لا ريب فيما يجب أن يستند عليها في تثبيت حكم من ذكر في الكتابات المؤرخة عموماً من الملوك ، وبموجبها يجب تصحيح الارتباك السائد بين المستعربين المتخصصين في العربيات الجنوبية في ترتيب أيام الملوك وزمان حكمهم.

ولدينا نص آخر وسمه العلماء بـ ((CIH 46)) ، وقد دوّن فيه اسم « ياسر يهنعم » وابنه « شمر يهرعش » ، « ملكى سبأ وذريدن » ، أي : « ملكا سبأ وذي ريدان » ، وجاء تأريخه على هذا النحو : « بورخن ذمحجتن ذبخرفين ذلخمست وثمنيي وثلثما تم بن خريف مبحض بن ابحض» [٤٢] ، أي « بشهر ذي المحجة « ذي الحجة » من سنة ٣٨٥ من سني مبحض بن أبحض » ، وتقابل هذه السنة السنة « ٢٧٠ » أو « ٢٧٦ » للميلاد .

وثمة نص يعود تأريخه الى السنة « ٤٠٩ » للتقويم الحميري ، أي الى سنة « ٢٩٤ » للميلاد ، وقد كتب في شهر « ذمعن » من هذه السنة : « ورخهو ذمعن ذبخرفن لتسعت واربع ماتم » ، بملك الملك « شمر يهرعش ملك سبا وذريدن وحضرموت ويمنت » ، ولم يرد في هذا النص اسم والد الملك « شمر يهرعش » ، وهو « ياسر يهنعم » المذكر في نصوص أخرى [٤٣] .

وثمّة نص يعود تاريخه الى السنة « ٢٧٤ » أو « ٢٨٠ » للميلاد ، وقد دوّن في عهد « يسرم يهنعم » و « شمر يهرعش » ، « املك سبا وذريدن »

(٤١) الاكليل ، العدد (٣) ، (اكتوبر ١٩٧٩ م) ، (ص ٣٠ وما بعدها) .

(٤٢) CIH 46 = Ylaser 799, Sammlung Eduard Ylaser, VII, S., 51, by : Brigite Schaffer, Wien, 1972, Jamme, Sabaean Inscriptions., P., 353.

(٤٣) دراسات يمنية (عدد ٣) ، (اكتوبر ١٩٧٩ م) ، (ص ٤٩) .

« ملكا سبأ وذي ريدان » ، وذلك « بخرفن ذاتسعت وثميني وثلث ما تم بن خريف مبحض بن ابحض»[٤٤]، أي « بسنة تسع وثمانين وثلاث مئــة من سني مبحض بن ابحض » . وأما الملك « يسرم يهنعم » ، فهو « يسرم يهنعم » الثالث بحسب ترتيب بعض المستعربين لقائمة ملوك اليمن . وأما ابنه « شمر يهرعش » ، فهو « شمر يهرعش » الثالث بحسب هذا الترتيب .

ويلاحظ أن هذا النص قد استعمل جملة « املك سبا » ، أي « ملوك سبأ » بعد اسم الملكين ، والصيغة اللغوية تقضي باستعمال « ملكي » ، أي « ملكا سبأ » ، لأنهما ملِكان اثنان ، لا جملة ملوك[٤٥] .

ويعــد النص المرقم بـ ((MM 150 = CIH 443)) من النصوص التي تعود الى هذا العهد ، وقد أرخ بسنة تعادل السنة « ٢٨١ » أو « ٢٨٧ » للميلاد[٤٦].

ومن النصوص التي تعود الى ما بعد أيام الملك « شمر يهرعش » النص الموسوم بـ « RES 3383. » [٤٧] ، وهــو نص دوّنه « ملك كــرب يهــامن » وابناه « ابكرب اسعد » « أبو كرب أسعد » و « ورا امر ايمن» [٤٨] « ذرا امر ايمن » [٤٩] ، وقد نعتوا فيه : بـ « ملك سبا وذريدن وحضرموت ويمنت » ، وتقدموا فيه الى الإله « ذسموى » أي « رب السماء » بالحمد والشكر ، وذلك لقيامهم باعمال بناء معبد هذا الإله وترميمه ، بشهر سقط اسمه من النص من

(٤٤) Yl 1594 = A 492.

(٤٥) Samm., VII, S., 47, 4.

(٤٦) Le Muséon, 1969, 3 — 4, P., 484.

٤٧ ((RES 3383))

(٤٨) « ورا امر ايمن » في قراءة ((RES 3383)), Ylaser, 389, Ylaser, Alt. Nachr., 591, Skimme, I, S., 13, Dammbruch, S., 41.

(٤٩) Le Muséon, 1950, 3 - 4, P., 270, 1964, 3 - 4, P., 492.

السنة « ٤٩٣ » ، من التقويم المذكور ، أي السنة « ٣٧٨ » ، أو السنة « ٣٨٤» للميلاد .

وترك الملك : « شرحب ال ملك سبا وذريدن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت » ، ابن الملك « ابكرب اسعد ملك سبا وذريدن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وتهمت » نصاً مهماً يتعلق بترميم واصلاح « عذبو عرمن بن قرب رحبم عدى وصحو قدم عبر ن » أي « ترميم العرم من قرب رحاب الى وصاح قدّام عبران » . وقد ذكر فيه ما قام به من اعمال من إحكام بناء السدّ ومن سدّ الثُغَر التي حدثت به ، ومن تطهير لقعر حوض السدّ واصلاح للأودية المتصلة به ، وأرخ ذلك « بورخ ذثبتن ذلخمست وثلثي وخمسماتم[٥٠] .

ويقابل هذا التاريخ سنة « ٤٢٠ » للميلاد ، وذلك اذا سايرنا رأي من يجعل مبدأ التقويم السبئي سنة « ١١٥ » قبل الميلاد . أما إذا أخذنا برأي من يجعل ابتداء هذا التقويم سنة « ١٠٩ » قبل الميلاد ، فتكون السنة « ٥٣٥ » في مقابل السنة « ٤٢٦ » للميلاد .

ويذكر « شرحب ايل » بعد ذلك أنه قد قام بردم الثُغَر وما تهدم من السدّ بمساعدة حمير وحضرموت ، إذْ شارك عشرونُ الف رجل منهم في البناء والاصلاح ، مكثوا على ذلك حتى نجز كل شيْ ، وقوى السدّ ، وقد اصلحت أبوابه وكل ما يتصل به ، فرجعوا الى ديارهم ، وكان الانتهاء من العمل بتأريخ « ذو ددن ذو لخمست وستن وخمسماتم[٥١] ، المقابلة لسنة « ٤٥٠ » للميـــلاد ، هذا إذا جعلنا مبدأ هذا التقويم سنة « ١١٥ » قبل الميلاد ، و « ٤٥٦ » اذا جعلناه سنة « ١٠٩ » قبل الميلاد .

---

(٥٠) احمد حسين شرف الدين ، تاريخ اليمن الثقافي (٣/٩٦) .
(٥١) شرف (٣/٩٦) .

ويعـــود تأريخ النص الموسوم بـ « Ja 1028 » الى سنة ثلاث وثلاثين وست مئة » من هذا التقويم جاء فيه : « ورفهو ذمذران ذثلثت وثلثي وسث ماتم» ، أي : « تأريخه شهر ذي مذران من ثلاث وثلاثين وست مئة » (٥٢) ، وهو نص كتب في عهد الملك « يوسف أسار يثأر » . وقد نعته النص بـ « ملك كل اشعبن» ، أي « ملك كل القبائل » ، ولم ينعته باللقب الرسمي المقرر ، وجاء في مقدمته : « ليبارك الذي له ملك السماء والأرض الملك يوسف أسار يثأر ملك كل القبائل . وليبارك الأقيال لحيعت برخم وسميفع أشوع وشرح ال اشوع وشرحب ال أسعد أبناء شرحب ال يكمل من يزان وجدنم ، الذين ناصروا الملك يوسف أسار يثأر في استيلائه على قلسن ، وفي قتله الأحباش بظفار ، وحارب وتغلب على مقاتلي الأشعرن ، « الأشعريين » و « ركبان » ، و « فرسان » و « مخوان » ، وتغلب على محاربي نجران ، وحصن رملة مدبن « مدبان » ، وجمعوا رعية الملك وهاجموا بهم اعداء الملك ، فغنموا ، وأسروا . وذكر النص أن شرحئيل يقبل الذي هو من يزان « يزن » ، لما حارب نجران ، كان معه همْدان أعرابها وحضرها ، وقوات من « ازان » وأعراب كندة « كدت » ، و « مردم » « مراد » ، « مذحجم » « مذحج » .

ثم تحدث عن مهاجمة الحبش من البحر للملك ، وصده ذلك الهجوم ، وعودتهم الى منازلهم بحماية الرحمن لهم ، فدوّنوا ذلك في هذا النص بتأريخ « شهر ذ مذران سنة ٦٣٣ . وتقابل هذه السنة السنة « ٥١٨ » ، إذا عددنا مبدأ هذا التقويم سنة « ١١٥ » ، قبل الميلاد ، والسنة « ٥٢٤ » إذا عددنا المبدأ سنة « ١٠٩ » قبل الميلاد .

وقد ختم النص بجملة تثير الانتباه ، هي : « ورحمنن علين بن كل مخدعم ذي خمصهو وتف وسطى وقدم على سم رحمنن وتف تمم ذحضيت رب هد

(٥٢) A. Jamme, W. E., Sabaean And Hasaean inscriptions from South Arabia, Rom, 1966, P., 40, 10 - 11.

بمحمد [٥٣] ومعناها : « والرحمن المتعالى ينتقم من كل مخادع يريد إزالة الوقف « وتف » ، الذي سطر وقدّم باسم الرحمن . وتف تميم من آل حضيت « ذحضيت » « رب هد » ، سيد هود . « يهود » . بمحمد ، أي بجاه محمد . وقـد ترجم جامـة » كلمـة « بمحمد » بـ ((By The Praised one)) أي المحمود .

ومن النصوص المؤرخة المتأخرة،النص الذي دوّنه «أبرهة» عند إصلاحما تهدم من سدّمأرب وتجديده، ويرمز العلماء اليه بـ«556 + 553 + 555 +) ,Gl 618 « ويعود تأريخه الى « بورخ ذمعن . . . ثمنيت وخمسى وسث ماتم » [٥٤] ، أي الى « شهر ذمعن . . . من سني ثمان وخمسين وست مئة » من التأريخ الحميري ، المقابلة لسنة « ٥٤٣ » للميـلاد [٥٥] . والنص : « O.M.31 المـؤرخ بسنة « بخرف ذلتسعت وسثى ما تم » ،أي سنة « ٦٦٩ » من التقويم الحميري [٥٦] المقابلة لسنة « ٥٥٤ » ، أو « ٥٦٠ » للميلاد .

ويعـود تأريخ الكتابة الموسـومة بـ ((Sab. Denkm. 31 = CIH 325)) الى السنة « ٦٦٩ »« بخرفن ذلتسعت وسثى وسث ما تم »،من التقويم الحميري [٥٧]

---

(٥٣) Ja 1028 11 - 12.

(٥٤) السطران الاخيران : « ١٣٥ ، ١٣٦ » من النص .

(٥٥) Glaser, Zwei Inschriften über den Dammbruch von Marib, S., 68,

مجلة المجمع العلمي العراقي ، كتابة أبرهة ، المجلد الرابع ، الجزء الاول، ١٩٥٦ م ، ص ١٨٦ .

(٥٦) J. H. Mordtmann und D. H. Müller, Sabaische Denkwäber, S., 86, 87.

(٥٧) Nikolaus Rhodekanakis Studien Zur Lexikographie und Grammatik des Altsüdaralischen, II, S., 42.

الموافقة لسنة « ٥٥٤ » أو « ٥٦٠ » للميلاد ، وهو على ذلك متأخر عن نص أبرهة ، وقريب من أيام مولد الرسول .

ويلاحظ أن أقدم هذه النصوص المؤرخة ، قد أرخت على وَفْق طريقتنا في التأريخ ، بذكر السنة التي أرخ بها وموقعها من هذا التقويم ، أو بذكر الشهر أولاً ثم اسم السنة التي يقع فيها هذا الشهر مع عدد السنين بالنسبة الى التقويم . وقد ظل هذا النوع من التأريخ سارياً الى آخر نص مؤرخ وصل الينا ، فهو يمثل الطريقة العامة التي سار عليها أهل العربية الجنوبية في التأريخ منذ اتفقوا على وضع تقويم ثابت لهم ، أوّله سنة « ١١٥» أو « ١٠٩ » قبل الميلاد ، غير أن بعض النصوص أرخت كما رأينا بهذا التأريخ ، ولكنها ربطت التأريخ باسم رجل، مثل « نبط » ، أو « مبحض بن أبحض » ، وأمثالهما من النَسَأة وهو في رأيي مجرد إشارة الى اسم النّاسئ عند القوم الذين دوّنوا النص . أما التأريخ أي رقم سنيه ، فهو على وَفْق التقويم الرسمي العام .

وليس في رواية أهل الأخبار أي نبأ يشير الى وقوفهم على أمر هذا التقويم، حتى « وهب بن منبه » ، والمعروف بأخباره عن اليمن ، ومن جاء بعده من أصحاب العلم بالسجلات والمزابر والكتب القديمة وأخبار تبع ، ومن بينهم الهَمْداني » لا نجد في أخبارهم ما يشير الى وقوفهم على خبر هذا التقويم الذي أرخ به الى سنين قريبة من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يرد في هذه النصوص المؤرخة اسم هذا التقويم ، ولكن العلماء عثروا على نصوص مؤرخة ورد فيها بعد التأريخ اسم التقويم وهو « خريف مبحض بن ابحض » ، أي « سنى مبحض بن ابحض » ، فقد ورد في النص الموسوم بـ ((Glaser 1594)) وهو نص دوّن في عهد الملكين « ياسر يهنعم » و«شمر يهرعش » : ملكي سبأ وذي ريدان : أن هذا النص قد

دوّن « بخرفن ذلتسعت وثمنيي وثلث ماتم بن خريف مبحض بن ابحض »[٥٨] أي « بالسنة التاسعة والثمانين والثلاث مئة من سنن مبحض بن ابحض » . وقد تمكن العلماء من تقدير زمن حكم الملكين الأب والابن ، بالاستناد الى نصوص أخرى ، واستنبطوا من ذلك أن هذا التأريخ أي تاريخ هذا النص يقابل التأريخ الذي توصلوا اليه من النصوص الأخرى ، واستخرجوا منه الرقم « ١١٥ » ، والرقم « ١٠٩ » ، وهو رقم مبدأ التقويم السبئي الذي وضع قبل الميلاد بالسنتين المذكورتين بحسب اختلاف وجهة نظر العلماء [٥٩] ، فكانت النتيجة أن هذا الرقم الباقي يعادل الرقم المستخرج من التقويم السبئي الغُفْل من الاسم ، وتبين من ذلك أن تقويم « مبحض بن ابحض » هو نفس التقويم السبئي ، ومبدؤه هو مبدأ تقويم سبأ نفسه ، وأن تاريخ هذا النص اذن يقابل السنة « ٢٧٤ » أو « ٢٨٠ » للميلاد .

أما الملك « يسرم يهنعم » ، فهو « يسرم يهنعم » الثاني . وأما ابنه « شهر يهرعش » ، فيجب أن يكون « شمر يهرعش » الثالث في تصنيف بعض علماء العربيات الجنوبية لملوك اليمن [٦٠] .

وأرخ العرب الجنوبيون بأيام حكم ملوكهم ، كالذي نراه في النص : ((RES 2869)) [٦١]حيث جاء فيه: « بيوم اليفع يشر ملك معنم »، أي: «بيوم اليفع يشر ملك معين » ، وخطل ما في هذا التاريخ وضعفه أن الكاتب له اعتمد على معرفة القوم لحكم هذا الملك يوم دوّنه ، ولم يشعر أن هذه المعرفة ستموت ، وأن الذين يأتون بعده مثلنا ، سوف يحرمون من الوقوف على حقيقة أيام حكم الملك

---

(٥٨) Glaser 1594 = A 492, Samm., VII, S., 45.

(٥٩) Albright, in Journ. Amer. or. Soc., 73, 1953, 37, b,
H. V. Wissmann, Zur Geschichte und Landeskunde von Altsüdarabischen, Wien, 1964, S., 50.

(٦٠) Samm., VII, S., 47.

(٦١) . RES 2869

« اليفع يشر » ، فلم يفدنا هذا التوريخ لهذا السبب شيئاً في استنباط أيّامه منه ، وهذا هو فساد توريخ القدماء بهذا الأسلوب من التأريخ .

وأرخوا بعلية القوم ، وبسادة القبائل ، كما جاء في نص مَعِينيّ « بورخـه ذطنفت ذكبره ايتم ذعـرقن »[٦٢] : « بـورخ ذطنفت ذكبر ايتم ذعرقن»[٦٣] أي : « بشهر ذى طنفت من كبارة ايتم ذو عرقن » ، أو بعبارة أخرى : بتأريخ ذى طنفة من حكم الكبير ايتم ذو عرقان » ، وما جاء في النص : ((MM 221)) « بورخ دثا ذخرف الوهبِ بن تبع كرب بن يهسحم » ، ومعناه : « بشهر دثا من سنة الوهب بن تبع كرب بن يهسحم » ، أو : « بتأريخ دثا من سنى حكم أو سيادة الوهب بن تبع كرب بن يهسحم » .

وأرخ النص : ((Jam 658)) بسني « تُبَّـع كَرْب بن وددال بـن حزفرم الثالث » ، أو « بالسنة الثالثة من سني تُبَّع كَرْب بن وددل ال بن حزفرم » . وقد كتب هذا النص في عهد « شمر يهرعش بن ياسر يهنعم » ، مبأ وذي ريدان[٦٤] .

ونجـد فـي النص ((CIS 314 + 954)) أن « الشـرح يحضب » وأخاه « يازل بين » « ملكي سبأ وذي ريدان » قد انتصرا على « شمر ذي ريدان » في السنة السادسة من سني « تُبَّع كرب بن ودايل » من « آل حزفرم »[٦٥] .

(٦٢) RES 3608.

(٦٣) Beeston, P., 26.

(٦٤) Ja 653, 5 - 6, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilgis, PP., 158.

« خرف ذخرف تبعكرب بن وددالٰ بن حزفرم ثلثن » .
Hermann V. Wissmann, Zur Geschichte und Landeskunde von Alt - Südarabien, S., 51.

(٦٥) H. Wissmann, Zur Geschichte und Landeskunde Von Alt - Südarabien, Wien, 1964, S., 52.

ولدينا كتابات أرخت برجل اسمه « ودداл بن ابكرب بن كبر خلل اربعن »، فقد جاء في النص المؤرخ به: « ذخرف ودداл بن ابكرب بن كبر خلل اربعن»[٦٦] ومعناها : « من سنة وددايل بن ابكرب من آل كبير خليل الرابع » ، أو « من سني وددايل بن أبو كرب من آل الكبير خليل الرابع ، ولدينا كتابة أخرى أرخت بسني « كبر خلــل السادس » ، فقــد جاء في النص : ((Jam 613)) « بورخ ذمليت ذخرف ودداл بن ابكرب بن كبر خلل سدثن » [٦٧] ، ومعنى الجملة : « بشهر ذملية من سنى وددايل بن أبيكرب من آل كبير خليل السادس ، أو « بشهر ذو ملية من سنة وددايل بن ابيكرب من ال كبير خليل السادس » ، أو «بالسنة السادسة من شهر ذي ملية من سني وددايل بن ابي كرب من آل خليل».

وقــد أرخــت الكتــابة « .Jam 615 » بتــأريخ « ودداл » وبتــأريخ « نشاكرب بن معد كرب » ، فقد جاء فيها : أن « أسعد يزيد » وأخاه وولديه وهم سادة « اقينم » « أقيان » ، أقيال « أقول » قبيلة « بكل » « بكيل » ، المكونين لربع مدينة « شبيم » أي « شبام » ، وهم « مقتت » الملك « نشأ كرب يا من يهرحب » ملك سبأ وذي ريدان ابن الشرح يحضب ويازل بين ملكي سبأ وذي ريدان ، قدّموا الى « المقه ثهوان » « بعل أوّام » تمثالاً ذهب ، عن «عشره» المستحق عن حاصل « سقى » وناتج « دعت » ، وكل من مزارع ومراعي الأودية ، والأرضين المسقية ، وكل مدينة تابعة لبيتهم : « بيت ذكبر اقينم » ، « بيت كبير أقيان » ، وذلك « لخرف ودداл بن ابكرب بن كبر خلل سدثن ولخرف نشا كرب بن معد كرب بن ذحذمت ثلثن » [٦٨] ، أي : « بسني وددايل بن أبكرب من آل كبير خليل السادس ، ولسنى نشأكرب بن معد كرب من آل ذي حذمة

---

(٦٦) Jam 618, 10

(٦٧) Jam 613, 9 - 11. ، ارياني (١٣٨) .

(٦٨) ((Jam 615))

الثالث » [٦٩] ، ولكنني لا أستبعد أن يكون المراد من الرقم: السادس ، عدد سني حكم وددايل ، فيكون المراد من العبارة: « بسنة ودداايل بن ابكرب السادسة» ، أو « لسنة ودداايل بن ابكرب السادسة » ، و « لسنة نشأكرب بن معد كرب من آل حذمت الثالثة » ، أو « وللسنة الثالثة من سنى نشأكرب بن معد كرب من آل حذمة » ، فيكون الرقم رقم سني الحكم . وقد يكون المراد به الشخص ، كأن يكون المراد به : « ودداايل بن أبكرب » السادس ، من أسرة كبير خليل ، و«نشأ كرب بن معد كرب » الثالث ، من أسرة حذمة ، ليتناسب الترقيم مع الشخص ، لأنه يتناسب مع المعنى أكثر مما لو جعلناه : « نشأكرب بن معد كرب من آل حذمة الثالث » ، أو « من حذمة الثالثة » .

ومعنى هذا أن هذين التقويمين يمثلان تأريخاً واحداً ، وان زمان « وددال بن ابكرب بن كبر خلل » « ودداايل بن أبي كرب بن كبر خليل » ، وهو السادس من أسرة « خلل » « خليل » ، يطابق زمان « نشأكرب بن معد يكرب بن حذمة » ، وهو الثالث في عائلة « حذمة » ، وإذا صح هذا الرأي ، فإنه يساعد في دراسة هذين التقويمين اللذين يمثلان تقويمي « آل خليل » و « آل حذمة » .

وأرخت كتابة بـ « ذخرف وددال بن ابكرب بن حذمت » ، وقد كتبت هذه الكتابة تحذيراً لمن يزيلها عن موضعها ، أو يزيل تأريخها ، أو يعبث بالمكان ، وهددت من يخالف ذلك بغرامة مقدارها : « خمس رضيم » ، أي خمس قطع رضية من النقود ، أو خمسين قطعة « سبطم » سبطة عن كل شخص [٧٠] .

وأرخت كتابة أخرى بـ « ورخ ذابهى ذخرف وددال بن ابكرب بن حذمت ثكمتن [٧١] » ، أي «بشهر ذي أبهى من سني ودداايل بن ابكرب من حذمت ثكمة».

(٦٩) Jamme, Sabaeon Inscriptions, P., 112.

(٧٠) CIH 380, 6, IV, II, P., 36, Studi., I, S., 67.

(٧١) N. Rhodokanakis, Studi., II, S., 141, Mordtmann, Min. Epigr., S., 76. f., CIH 380.

وقد كان هؤلاء «مُقْتَوِين» للملك « نشاكرب يا من يهرحب ملك سبأ وذريدن بن الشرح يحضب ، ويازل بين ملكي سبا وذريدن » ، وهو الملك الذي مرّ ذكره قبل قليل في النص ((Jam 615)) ، وهو ابن الملك « الشرح يحضب » . ففي هذا النص أسماء ثلاثة لقبوا بـ « ملك سبأ وذي ريدان » في زمن واحده نشأ كرب ، وأبوه الشرح يحضب ، ويازل بين . والغريب ان هذا النص أي نص أرياني (٢٦) ، وكذلك النص الذي قبله ، وقد أرخا بحكم رجال ، ولم يؤرخا بالتقويم الذي تحدثت عنه ، أي التقويم الذي مبدؤه سنة « ١١٥ » أو « ١٠٩ » قبل الميلاد ، مع أن أصحاب الكتابين من موظفي الملك المقدمين !

وأرخ « سعد أوم أسعد » وأخوه « أحمد أزاد » وهما من « بني سادن » و« محيلم » ، « محيل » ، « محايل» أقيال « بكيل » ، « ربعن ذريت » المكنون لربع ذي ريدة ، أو « المرابعون لذي ريدة » ، وفاء نذرهم الذي قدموه الى الإله « المقه ثهوان » « بعل اوام » ، وهو صنم من ذهب ، عن عشره الذي عشّروه من استحقاقه من نعمه التي أنعم بها عليهم في موسمي « الدثا » ، « الربيع » ، و « الصراب » ، وذلك « بخرف معد كرب بن تبع كرب بن حزفرم سبعن » ، أي « بسنة معد يكرب بن تبع كرب من حزفر السابع»[٧٢] ولا أستبعد احتمال تفسير الجملة على هذا النحو : « بسنة معد كرب بن تبع كرب السابعة ، من آل حزفر » ، أو « بسنة معد كرب بن تبع كرب من حزفر السابعة » ، أي بالسنة السابعة من حكم معد كرب بن تبع كرب الذي هو من آل حزفر ، أي من حزفر .

وأرخ في نص كتب في تحديد موقع « بورخ ذ دونم ذرشوت وددال بن هلك أمر بن حزفرم »[٧٣] ، أي : « بشهر ذي دوآن في عهد كهانة ودداين بن

(٧٢) مطهر على الارياني ، في تأريخ اليمن ، (ص ١٤٠) .

(٧٣) Prideaux = ZDMG. 29, 600, 11, N. Rhodokanokis, Studien Zur Lexikographie und Grammatik des Altsüdarabischen, II, S., 75.

هلك أمر » ؛ فهو من « آل حـــزفر » وأرخ نص « ((Gl 131 = CIH 99)) بـ « خرف وددال بن حيوم بن حزفرم » ، أي « بسنة ووددايل بن حيوم من آل حزفر » ، وهو نص دوّنه رهط من « بني مرثد » ، يناجون فيه إلههم « المقه بعل اوم » أن يستمر بمننه عليهم ، بمباركة أشجارهم وزرعهم وبالاكثار من حاصل أثمارهم ، وبمنحهم الصحة والعافية والخير العميم [٧٤] .

وأرخ النص الموســـوم بـ ((Glaser 1591)) بـ « ذخرف بانم بن . . » [٧٥]، أي « بسنة بان » . وقد سقط من الكتابة اسم والد « بانم » ، ولا يعرف شيءٌ في الزمن الحاضر عن سني « بانم » ، فلا نستطيع تحديد زمن لهذا التأريخ ، ولا نعرف كذلك شيئاً من أمر سني «ابن كبشم » « ذخرف بن كبشم »، ابن كبش « المــؤرخ به في النص الموســــوم ((Glaser 1592)) ، الـــذي كتب عند بناء بيت ، فذكر فيه أنه كمل بـ « ذخرف بن كبشم » ، أي « بسنة ابن كبشم » ، أو « بسني ابن كبش » ، وقد يكون المراد « بسني آل كبش » ، أي أن كلمة « كبش » هي اسم قبيلة [٧٦] .

وأرخ في نص بشهر ذي دذان « ورخ ذددن » من « سني أبي كرب بن ودكرب بن فضحم »،« ورخ ذددن ذخرف اب كرب بن ودكرب بن فضحم» « سني أبكرب بن وددكرب من فضحم » ، وليس لنا علم بفضحم « فضح « فضاح » ولا بأبي كرب بن ودكرب، ولهذا صرنا في جهل من أمر هذا التأريخ، وجاء اسم « فضحم » « فضاح » في نص آخر دونه السبئيون « شعبن سبا » ، لتقديمهم نذراً الى الإله « المقه » ، لأنه أجاب دعاءهم بأن يرسل الغيث إليهم ، فنزل « ببرق دثا ذخرف معد كرب بن سمهكرب بن فضحم» ، أي بالبرق الذي

(٧٤) Gl. 131 = CIH 99.
(٧٥) Glaser 1591 = A 489, 4.
(٧٦) Glaser 1592 = A 490, 4, Samm., VII, S., 44.

هو عندهم سيماء المطر من موسم الربيع من سني معد يكرب بن سمهكرب من فضحم [٧٧] .

وأرخ الملك « يكرب ملك وتر ملك سبا بن يدع ال بين ملك سبا » في أمره الذي أبلغه قبائل سبا ، بشان الخراج والجباية « بيوم ثمنيم ذفرع ثنى ذخرف نشاكرب بن كرب خلل » ، أي « باليوم الثامن من ذي فرع الثاني ، سنة نشاكرب بن كرب من خليل » . وأعلن هذا الأمر وأسمع للناس « سمعم ذت علم » بعد أن شهد عليه جماعة من الشهود ذكروا في نهاية القانون دلالةً على صحته [٧٨] .

وأرخ الملك « شعرا وتر » ملك سبأ ، وهو ابن « علهن نهفن » « عاهان نهفان » ملك سبأ ، نذره الذي قدمه للآله « المقه » « بورخ ذالالت ذخرف وددال بن حيوم بن كبر خلل خمسن » ، أي « بشهر ذالالت من سنى ودديل بن حيوم من كبراء خليل الخامس » ، أو « بشهر ذي الآلهة من سنة ودديل بن حيوم بن كبير خليل الخامس [٧٩] ، كما ورد فيه اسم « ورخن علن » ، أي « الشهر علان » ، والشهر « ذ ابهى » من السنة نفسها [٨٠] .

وأغرب من ذلك أنك تقرأ في نص دوّنه « نشاكرب يامن يهرحب ملك سبا وذريدن بن الشرح يحضب ويازل بين ملكي سبا وذريدن » ، أي الملك المذكور يقدم نذراً ، هو تمثال من ذهب ، الى معبد « المقه ثهوان » « بعل مسكتويثو بران » لأنه أجاب دعاءهم ، واستجاب لسؤالهم الذي سألوه ، وذلك « بورخ ذهبس ذخرف سمكرب بن اكرب بن حذمت ثلثن [٨١] » ، أي « بشهـــر

---

(٧٧) تأريخ اليمن الثقافي (٣/٦٩ وما بعدها) .
(٧٨) تأريخ اليمن الثقافي (٣/٥٨) .
(٧٩) الأرياني ، تأريخ اليمن الثقافي (٣/٦٤) .
(٨٠) المصدر نفسه .
(٨١) Academie des Inscriptions et Belles - lettres, Corpus des Inscriptions et Antiquites Sud - Arabs, Tome, I, Section,I, 1977,
وسأرمز الى النص برقمه المذكور في هذا الكتاب : 10175

ذهبس من سنة سمكرب بن اكرب من آل حذمة الثالث » ، أو « بشهر ذهوبس من سنى سمكرب بن اكرب الثالث » ، فالملك هو صاحب الكتابة ، وقد أرخ بالتقويم المحلي ، مع أن المفروض أن يؤرخ بالتقويم الرسمي العام .

وأرخ النص الذي دونه « يرم ايمن » و « برج يهرحب » ابتا « اوسلت رفشن » من هَمْدان ، قيلا قبيلة « سمعى » اقول شعبن سمعى » ، المكوّنة لثلث « حشدم» حاشد ، بـ «خرف ثوبن بن سعدم بن يهشحم» (٨٢) أي بستة ثوبان بن سعد بن يهشحم» وقد دون هذا النص عند انتهاء الحرب العامة التي عمت الأرضَ ، وبين كل الملوك والجيوش « وكون بكل ارضن بين كل املكن واخمسن » ، وعقد الصلح وعودة الأمن الى الربوع المتحاربة .

وفي نص وســمه العلماء بـ ((A 452)) ذكر لمدينة « صنعو » ذحجرن صنعو » ، وسبأ وقبيلة « فيشن » « فيشان » ، وذلك في عهد الملك : « هلك امر بن كرب ال وتريهنعم ملك سبا وذريدن » ، « هلك أمر بن كرب ايل وتر يهنعم ، ملك سبأ وذي ريدان » . وقد أرخ بشهر تلف اسمه في النص ، من سنى « أبكرب بن سمه كرب بن حزفرم » ، « بورخ . . . بخرف ابكرب بن سمه كرب بن حزفرم » ،ولا نعرف شيئاً من أمر هذا التأريخ الذي أرخ به النص، إلاّ أن ورود اسم الملك « كرب ايل وتر يهنعم ملك سبأ وذي ريدان » فيه ، قد يعطينا رأياً عن تأريخه بالنسبة الى التقويم الميلادي ، فقد حكم هذا الملك بين السنة « ٦٠ » والسنة « ٧٠ » من الميلاد . أما ابنه « هلك أمر » ، فلم يلقبه النص باللقب الملكي الذي يأتي عادة بعد اسم الملك . فهو لهذا يدل على أن « كرب ايل وتر يهنعم » كان هو الملك وحده في الحكم . وإذا فرضنا استناداً الى نصوص أخرى أنه حمل لقباً ملكياً فيما بعد ، أي صار ملكاً . فإن عهده يجب أن يكون في نحو السنة « ٨٠ » للميلاد (٨٣) .

(٨٢) Gl 1359 = A 333 a, b, c., Samm., IV, S., 51, 14.

(٨٣) Samm., I, S., 53., f.

وأرخ النص ((Gl 1369)) بـ « ورخ شـورم ذخـرف لحيعث بن ينعم »[٨٤] ، أي « بشهر شورم من سنى لحيعثت بن ينعم » ، ولا نعرف من أمر شهر « شورم » شيئاً ، فهو يرد هنا لأول مرة ، ولعل له صلة بـ « شيار » من شهور الجاهلية[٨٥] .

وأرخ القانون الذي أصدره الملك : « شهر هلل بن ذراكرب ملك قتبن » ، « ملك قتبان » ، في تنظيم الزراعة والاتجار بالأرض وفي أمر الجباية ، بتأريـخ : « ورخس ذعم خرف ابعلى بن شحن قدمن » ، أي : « بشهر ذعم من العام الأول من سنى ابعلى بن شحز »[٨٦] ، وهو رجل لا نعرف من أمره شيئاً يذكر .

وورد في كتابة « ابنة » أن « شكحم سلحن بن رضون » « شكم » أو شكيم ، ابن سلحان أو « سلحين » ، ابن « رضوان » ، قد أنجز ما أمره به سيده « يرعش بن ابيع مكرب حضرمت» « يرعش بن أبيع مكرب حضرموت » ، من بناء سور لحصن « قلت » وأبراج لحماية حضرموت من الحميريين ، وأنه قد قام بكل ما كلف بعمله في السنة الثانية من سنى « يشرح ال ذعذذم »، بسنتين وثلاثة شهور ، و بـ « ١٢٠ » عاملاً عملوا تحت يديه[٨٧] .

ويعرف هؤلاء الأشخاص ، الذين أرخ بأيامهم ، بـ ((Eponymates)) ، عند العلماء ، وقد حصلوا على أسماء عدد منهم من جمعهم النصوص المدوّنة بهم ، مثل : « نبط »[٨٨] ، و « مبحض بن ابحض »[٨٩] ، و « تبع كرب بن ودد ال

---

(٨٤) Gl. 1369, 6. (٨٥) Samm., IV, S., 41

(٨٦) N. Rhodokanakis, Katab., II, S., 5, Gl. 1396 = SE 83.

(٨٧) نص ابنة ، N. Rhodokanakis, II, S., 48, Hommel, Chrestomathie, S., 119. f.

(٨٨) H. V. Wissmann, Zur Geschichte und Landeskunde von Alt - Südarabien, wien, 1964, S., 50. f.

وسيكون رمزه : Zur

(٨٩) Albright, in Journ. Ameri. or. Soc., 73, 1953, 37 B, Anm. 4.

بن حزفرم »[٩٠]، و « لحيعثت بن ينعم »[٩١]،و « ثوبن بن سعدم بن يهشحم[٩٢] وبـ « ابكرب بن سمه كرب بن حزفرم » [٩٣] ، وبـ « بانم » الذي سقط اسم أبيه من الكتابة[٩٤] ، وبـ « ايتم ذعرقن » [٩٥] و « الوهب بن تبع كرب بن يهسحم»[٩٦]، و بـ « معد كرب بن تبع كرب بن حزفرم » [٩٧] ، و بـ « الكرب بن معدال بن يهسحم » [٩٨] ، و بـ « تبع كرب بن ودد ال بن حزفرم الثالث » [٩٩] و بـ « وددال بن ابكرب بن كبر خلل » [١٠٠] ، و بـ « وددال بن ابكرب بن حذمت » [١٠١] ، و « عم علي بن رشـمم » من « فقعن » « فقعـان » [١٠٢] ، و « موهبم ذ ذرحن » [١٠٣] ، و « غث ال » من « بيحن » « بيحـان » [١٠٤]

---

(٩٠) Ja 653, 8, Zur., S., 51.,

(٩١) Samm., IV, S., 41, Gl 1369, 6.

(٩٢) Samm., IV, S., 51, 14.

ويلاحظ أن بعض المراجع كتبت « يهسحم » بدلا من يهشحم ، مثل MM 44 والمختص لكويدى (ص ٢٢) ، وبعضها « يهشحم » .

(٩٣) A. 452, Samm., VII, S., 53, 6.

(٩٤) Gl 1591, 4, Samm., VII, S., 43.

(٩٥) RES 3608.

(٩٦) Beeoton, P., 26

(٩٧) شرف (٧٥/٥) .

(٩٨) MM 44

(٩٩) Ja 653, 5 - 6, Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, pp., 150.

(١٠٠) Jam 618, 10.

(١٠١) CIH 380, 6, IV, II, P., 36, Studi., I, S., 67.

(١٠٢) السطر الثاني والعشرون من النص : Gl 2566

(١٠٣) Gl 1610

(١٠٤) RES 3693

و « وددال بن هلك امر بن حزفرم »[١٠٥]، و « وددال بن ابكرب بن حيوم بن حزفرم »[١٠٦] ، و « ابعلى بن شحز قدمن »[١٠٧] .

ويظهر من مراجعة هذه الأسماء أن عدداً منها ينتسب الى أسرة واحدة ، أو طبقة واحدة ، مثل : « حزفرم » و « حذمت » و « كبر خلل » « كبير خليل » و « يهشحم » « يهسحم » ، و « مبحض بن ابحض » ، وهي أسر معروفة مشهورة لها في النصوص ذكر ومكانة .

ونجد بعض هـــذه الأسماء قد رقم له برقم ، ففي النص ((Ja 653, 6)) نجد : خرف ذخرف تبع كرب بن وددال بن حزفرم ثلثن » ، بمعنى « بسنة من سني تبع كرب بن وددال بن حزفرم الثالث » ، ومعنى هذا أن « تبع كرب » هذا قد سبقه اثنان عرفا بالاسم نفسه ، فهو الثالث بالنسبة إليهما في درجة التسلسل. ونجد أحدهم ، وهو « وددال بن اب كرب » من « ال خليل » وقد نعت بـ « سدثن » ، أي بالسادس [١٠٨] ، مما يدل على أنه قد سبق بخمسة أشخاص عرفوا بالاسم نفسه ، فهو سادسهم بالتسلسل ، وهكذا .

وهذا الترقيم وإن كان خالياً من التأريخ ، يفيدنا في دراسة تواريخ هؤلاء المؤرخ بهم ، ودراسة من ذكر معهم في النصوص ، ونستنبط بذلك تواريخهم من ورود أسماء المعروفين منهم في نصوص مؤرخة .

غير أن بعض علماء العربية الجنوبية لا يقرون هذا الرأي ، فيَرَونَ أن هذه الأرقام لا تشير الى ترقيم الأشخاص لتمييز المتأخر منهم عن المتقدم عليهم ،

---

(١٠٥) N. Rhodokanakis, Stud., II, S., 75, Prideaux 3 = ZDMG., 600, 11.

(١٠٦) Gl. 131, CIH 99.

(١٠٧) N. Rhodokanakis, Katabanische Texte zur Bodenuirtschaft, II, S., 5.

(١٠٨) Ja 615, 14.

وإنما تشير إلى سني حكم المذكورين ، وتوليهم عملهم ، فـ « تبع كرب بن وددال بن حزفرم » الثالث ، هو نفس « تبع كرب بن وددال بن حزفرم سدثن » السادس ، ولفظة « ثلثن » ، أي « الثالث » إنما تعني السنة الثالثة من تولي « تبع كرب » عمله وفي جملته النسيُ ، وأن لفظة « سدثن » ، لا تعنى السادس ، وإنما تعني السنة السادسة من توليه العمل ، وهكذا قل عن بقية الأرقام (١٠٩) .

واستعملت بعض الكتابات لفظة « بخرف » « بن خزف ، أي بسنة وبسني في التوريخ ، كما في هذه العبارة : « بخرف معد كرب بن تبع كرب بن حزفرم»(١١٠) ومعناها : « بسنة معد كرب بن تبع كرب من آل حزفر » ، أو « بسني معد كرب بن تبع كرب من حزفر » ، وكما في هذه العبارة : « بخرف الكرب بن معدال بن يهسحم (١١١) » ، ومعناها : « بسنى الكرب بن معد ايل من ال يهسحم » ، أو « بسنة الكرب بن معد ايل من يهسحم » ، وكما في جملة : « بخرف ثوبن بن سعدم بن يهسحم » (١١٢) ومعناها : « بسني ثوبان بن سعد من آل يهسحم » . و « بن خريف بن مبحض بن ابحض » (١١٣) و « خريفتم بن خريف نبط » ، و « خرفتم بن خرف نبط » ، و « ذبخرفن ذل بن خرف مبحض بن ابحض »(١١٤) وهكذا ومعنى هذا بسنة تقويم الفلان المذكور ، او بسنيه .

وتدل هذه التعابير دلالة لا ريب فيها على وجود عدد من التقاويم ، كان العرب الجنوبيون يؤرخون بها ، وأن هذه التقاويم قد نسبت الى أشخاص بأعيانهم ،

---

(١٠٩) H. V. Wissmann, Zur Geschichte und Laudeskunde, S., 51 f.

(١١٠) شرف (٧٥/٣) .

(١١١) MM 44.

(١١٢) كويدي ، المختصر (ص ٢٢) .

(١١٣) CIH 46, Gl 799, Samm., VII, S., 51, damme, Sabaean Inscriptions, P., 353.

(١١٤) CIH 46, RES 3866, Beeston, P., 36.

توارث بعضهم القيام بها أباً عن جد ، وفي أسرة معينة ، ويشبه هذا ما يذكره أهل الأخبار عن « النّسَأة » الذين كانوا ينسؤون الشهور الى الاسلام ، حيث نزل تحريم « النسيء » في الآية : « إنما النّسيءُ زيادة في الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ، ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرّم الله ، فيحلوا ما حرم الله »[١١٥] ، فهؤلاء نَسَأة العرب الجنوبيين ، كانوا يقومون بالتوقيت ، وبتثبيت الشهور ، وتعيين أيام الأعياد وأوقات العبادة ، فلعملهم طابع ديني كذلك ، ولهذا وصف بعضهم بـ « رشو » أي كاهن ، وأشير الى كهانتهم بلفظة « رشوتهو » ، أي « كهانته » في بعض النصوص .

وقد جادت النصوص المؤرخة بأسماء عدد من الشهور ، ويقال للشهر « ورخ » في العربية الجنوبية ، واللفظة بمعنى « قمر » كما أن لفظة الشهر تعني القمر ، وتعني العدد المعروف من الأيام في عربيتنا ، وذكر أن الشهر : الهلال ، والعرب تقول رأيت الشهر ، أي رأيت هلاله[١١٦] ، ووردت لفظة « شهر » في العربية الجنوبية بمعنى الهلال ، أي أول يوم ظهوره ، وقد أرخ به ، إذ هو خير علامة هادية للأعراب تفيد بداية الشهر ، ولذلك قالوا : « بيوم شهرم ويوم ثنيم ذنم »[١١٧] أي : « بيوم الهلال ، ويوم المطر الثاني ، أو بعبارة أخرى : « يوم الإهلال ، وزمان سقوط المطر الثاني » .

ويظهر من دراسة أسماء الشهور أن منها ما كان مستعملاً عند معين ، ومنها ما كان مستعملاً عند سبأ ، أو عند قتبان ، أو عند حضرموت ، وأن منها شهوراً وردت في نصوص قديمة ، ثم انقطع ذكرها إذ ترد أسماؤها في الكتابات المتأخرة ، وأن منها ما نراه في الكتابات المتأخرة ، ولا نجد له وجوداً في الكتابات القديمة ،

---

(١١٥) التوبة ، الآية ٣٧ .
(١١٦) اللسان (٤/٤٣٢) ، (شهر) .
(١١٧) Jam 651, 19.

مما يحمل على الظن بأن هذه الشهور هي شهور حديثة ، قد تكون أخذت أماكن الشهور القديمة نتيجة للتطورات الحضارية التي طرأت على العربية الجنوبية ، في النواحي الدينية أو الاقتصادية ، أو الاجتماعية وما شابه ذلك ، وهي تطورات كانت بالطبع مستمرة على وفق سنّة التطور التي هي من نواميس التأريخ البشري ، إذْ تأتي الأجيال الجديدة في كل نواحي الارض وبين كل الأمم بخلق جديد لا يرضى عنه المتقدمون في السن ، ولكنهم يغلبون على أمرهم ، ثم يأتي الجيل الجديد ليأخذ محل الجيل القديم ، وهكذا تكون البشرية في تقدم مستمر مع تقدم الزمن واستمرار الحياة ، تقدم نحو تسخير الطبيعة لخدمة الإنسان ، فلا خوف على الإنسان ما دام حيّاً يدب على هذه الأرض ، وربما على الأجرام الأخرى في المستقبل .

وقد تجمعت من دراسات العلماء لكتابات المسند مجموعة من أسماء الشهور ، القديمة ، أعني الشهور التي وردت مدوّنة في كتابات المسند القديمة التي ثبت بالدليل العلمي أنها من كتابات ما قبل الميلاد ، من مثل نوع الخط ، وطريقة حفره على الحجر ، ومن مثل طريقة التدوين ، فالكتابات المدوّنة بطريقة حلزونية وهي الكتابات التي يبدأ فيها السطر الأول من اليمين الى اليسار ، فإذا انتهى بدأ السطر الثاني من اليسار نحو اليمين ، وهكذا حتى انتهاء الكتابة هي كتابة قديمة ، كتبت في رأي العلماء الدارسين لموضوع الخط العربي الجنوبي قبل الميلاد ، ومن مثل الحكم على قدم الكتابة بدراستها بطرق مختبرية مضمونة النتائج بحيث ، تكون نسبة الخطأ فيها معدومة أو قليلة ، فكتابات مثل هذه تعد كتابات قديمة ، وتعد الشهور المذكورة فيها شهوراً قديمة كذلك ، وقد حصلنا منها على أسماء عدد من الشهور .

أما كتابات ما بعد الميلاد ، ولا سيما الكتابات القريبة من الإسلام فهي متأخرة عن الكتابات المذكورة ، ولها خصائص جديدة ، وقد حصل العلماء بدراستهم

إيّاها على أسماء لم يعثر عليها في الكتابات المتقدمة ، أغلب الظن أنها ظهرت في هذا الزمن . ولذلك فلتدوينها ولدراستها أهمية كبيرة عند دراسة التقاويم عند العرب الجنوبيين ، ونظراً لظهورها في ظروف اختلفت عن الظروف السابقة . فإنها قد تفيدنا في تقديم معارف جديدة عن التطورات الفكرية والمادية التي حدثت في جزيرة العرب فيما بين الميلاد وظهور الإسلام .

ولمّا دخل الاسلام اليمن ، كان اليمنيون قد تأثروا قبله بالعربية الشمالية ، بدليل ما نراه من دخول ألفاظ وتراكيب ، عربية شمالية على لغة المسند ، وظهور أثر ذلك في الكتابات،وزاد هذا الأثر بدخولهم في الإسلام واتخاذهم العربية الشمالية عربية لهم ، حلت محل عربياتهم القديمة ، وبمرور الزمن قلّ عدد من كان يفقه العربيات اليمنية ، حتى تضاءل كثيراً ، وإن بقيت بقايا منها حتى اليوم في المجتمعات الشعبية وفي المجتمعات المنعزلة بحكم موقعها الجغرافي ، وهو أثر تضاءل ويتضاءل في هذا الزمن بسبب تقدم الثقافة ، ونشر تعليم القراءة والكتابة .

وقد بقيت بعض أسماء الشهور العربية الجنوبية عالقة بالأذهان حتى في الإسلام، فجاءت منظومة في قصيدة لـ « البحر النعامي » من أهل صنعاء ، ومن أسرة حميرية تعرف بـ « آل ذي نعمة » (١١٨) ، « آل ذي نعامة » (١١٩) ، ومن رجال المئة السادسة الهجرية ، وقد تضمنت هذه القصيدة الشهور الحميرية مبتدأة بشهر « ذو الصراب » ، وهو في مقابل « ذصربن » المذكور في المساند ، وزمانه شهر « اكتوبر » ((October)) ، وهو « تشرين الأول » في تقويمنا المألوف . يليه :

---

(١١٨) A. F. L. Beeston, New Light on the Himjaritic Calender, P., I.

(١١٩) الاكليل العدد ٣ ، ٤ ، من السنة الاولى ، ١٩٨١م ، ص ١١ ، من مقال للقاضي محمد بن علي الاكوع الحوالي ، بعنوان : قصيدة البحر النعامي في الاشهر الحميرية وما يوافقها من اغذية ، ص ٩ وما بعدها.

« ذو المهلــة » ، ويقابل « ذمهلتن » في المسنـــد ، ويقابله ((November))
الذي هو « تشرين الثاني » عندنا . ثم « ذو الآل » ، وهو « ذالن » في الكتابات ،
ويقابله « دسمبر » ((December)) الـــذي هو « كانون الأول » عندنا . ثم
« ذو الدثاء » ، وهو شهر « ذدثا » في المسند ، ويقابله شهر ((January)) ،
أي « كانون الثاني » . ثم « ذو الحلة » ، ويقابله « ذحلتن » في المسنـــد ،
وهو « ((February)) ، أي شباط . ثم «ذو معون » ، وهو « ذمعن » في
الكتابات ، ويقابل شهر ((March)) الذي هو « آذار » ، ثم « ذو الشـــابة »
وهو ((April)) أي « نيسان » . ثم « ذو المبكر » ، وهـــو « ذمبكرن » وهو
((May)) ، أي « مايس » ويسمى « أيّار » . ثم « ذو القياظ » ، وهو شهر
« ذقيظن » في المسند ، ويقابل ((June)) الذي هو حزَيران . ثم « ذو مذران »
الذي هو « ذمذرن » « ذمذران » في المسند ، وهو ((July)) أي « تموز » .
ثم « ذو الخراف » ، وهو « ذخرفن » ، ويقابل شهر ((August)) ، أي
« آب » ، ثم يليــه « ذو علان » ، وهو « ذعلن » في المسند ، ويقابل
((September)) ، أي أيلول [١٢٠].

وقد أحسن البحر النعامي وأجاد بتثبيته أسماء الشهور على وَفْق تسلسلها
الطبيعي وعلى وفق الشهور « الرومية » أي الشهور المستعملة عند الأوربيين ، ثبتها
بقصيدة نظمها ذكر فيها مع كل شهر ما يقابله من شهور الروم ، وما ينبت فيه
من نبات أو يؤكل فيه من أكل ، وما يتعلق به من أمور تخص الزرع والفلاح ،
مثل فلاحة الأرض وأشهر التسميد والغرس والحصاد وأيام موسمي المطر الربيعي
والخريفي في اليمن .

---

(١٢٠) A. F. L. Beeston, New light on the Himjaritic Calender, P., I, in Arabian Studies, I, edited by R. B. Serjant and R. L. Bidwell, 1974.

وقد تحدث المستعرب « بيستن » ((A. F. L. Beeston)) ، في بحثه عن التقويم الحميري ، عن هذه القصيدة ، ونقل منها اسماء الشهور وما يقابلها بالشهور الغربية ، ثم أفضل الأستاذ القاضي محمد بن علي الأكوع الحواليّ ، فأتحفنا بنصّ كامل لها ، نشره في مجلــة « الإكليل » اليمنية [١٢١] ، فأحسن بعمله هذا إلى العلم وأجاد .

وقد رأيت إيراد الأبيات المتعلقة بهذه الشهور من هذه القصيدة ، قال :

أقامتْ كرومُك في شهرِ آبِ ... من الماءِ تفهّقُ مثلَ الْجوَابي

فيا حبّذا طِيبُها في الخريفِ ... إذا قهقهتْ في أعالي الهضابِ

يعــاقيب تحسب أوجــالَهــا ... مع الصّبح فيــه تيُوس نيابِ

ويا حبّذا هُنّ في ذي معون ... إذا الصّيف ساعدها بانسكابِ

بنضج الدواجنِ بعدَ السُّيُولِ ... فأبصرت فيها كوَشْيِ الزّرابي

وفي غيرها من كروم الســواد ... إلى حدّ جرقةَ تحتَ الذُّبــابِ

من اللوز والوردِ والأقْحُوانِ ... ومن كلّ زوجٍ من النّبت رابي

فلا طيبَ أطيبُ من ريح وردٍ ... إذا بات يعلوه طَلُّ الضّبابِ

وأصبــح يأرَجُ بين الكــروم ... أريجَ القَرَنْفُــلِ بين السّخابِ

فــلا شــيْ أبهج منــه إذا ... تداعــت له الطّير بينَ الشعابِ

تداعت بوارع صُفْرَ البطونِ ... وغدت أياطفَ حمرَ الرّقابِ

وصاحت جوالب جون فنادت ... بطول التّرَنّم بعدَ اكتئابِ

ومنها أياردُ تحكي الصّنُوجُ ... بأصواتها الباهتــاتِ العُجــابِ

وخصّ العذارج بين الغُصونِ ... تَراطَنُ فيها كزنْجٍ غِضــابِ

إذا ما تَرَنّمْنَ من فوقهنّ ... نفخن الحراصلَ مثلَ الكبابِ

وخــوفهن بلحــظ العيــونِ ... وطولِ المَناقر والإنتصــابِ

---

(١٢١) الجزءان ٣ ، ٤ ، السنة الأولى ، ١٩٨١م ، (ص ٩ وما بعدها) .

إذا مــا أتيت تزور البــلادَ طربت لاخــواتهن الطّرابِ
تراهن ينظُرْنَ أصوافَ حُمْرٍ حسانٍ لِيَسْلُبْنَهــا باغتصابِ
حَسَدْنَ الأباطف حسنَ الغناء فصارت بهنّ أشدّ الضِّرابِ
فلمّا تخوفن منهن طِرْنَ الى كلِّ غصنٍ من الطّلْح نابي
يُغَرّدْنَ فيــه لألاقهــن وأفراخهــن فهجيــن ما بي
وذكّرْنني ما مضى من شبابي وأنّى ادكارِيَ بعدَ الخضابِ ؟
فدع ذا ، وقل في شهور بداها لحمير والروم أهــل الكتــابِ
إذا استقبل النّاس وجه الربيــع وقابلتَ (تشرين) في ذي الصّرابِ
ففــي ذي الصّرابِ فكن طالباً للَمْس نسائك ، لا للقِحابِ
لِما تســتحلّ ، ولا تطلُبَنّ حراماً فتُجزَى بسوءِ العِقابِ
وأكثر من القَيءِ بعــدَ الجماعِ وكُلْ من كراثٍ كأكلِ الغُرابِ
بخَلّ الدّنــان ، ودع ما حلا وما كان من صالح في ثيــابِ
وفيه زُكامٌ ، ومــا للــزكام كماء الحَميم ، ولا للقِحابِ
و (تشرين) ذو ــالمهلةــ الحميري كصاحبه لا تكن ذا ارتيابِ
سَمِيّانِ ، جدهمــا واحدٌ سوى ليلة نقصت في الحسابِ
وابــس العمائم فيــه شفــاءٌ لدائهما ، فــالتثمْ بالنِّقــابِ
و (كانون) ذو الأوّل يتلوهم ببرد يقُــدُّ خَوافي العُقــابِ
فــلا تبرزنّ لبرد الشّتــاء فكَلْبُ الشتاء أضرُّ الكِــلابِ
إذا الليلُ أودى بطُول النّهار رأيتَ النّهارَ ســريع الذّهابِ
وكانونُ من بعده (ذو الدباوى) فدارهما بالكســا والجِبابِ
وبالدُّهن والفهمــــا بالجِماع وقوِّ الجِماعَ بنهش الكَبابِ
وأكثرْ من الثوم في السكباج وضَعْ فيهما من فروع السّــذابِ
ومن كل ما يصلح الحرّ فيه فكله هنيئــاً بضِرْسٍ ونــابِ

فتلك شهور تثير القتيرَ ... تهيّج سُمّاً كسُمّ الحُبابِ
إذا هاج بالمرء شلّتْ يداه ... وأزبد مما به كالمصابِ
وذو الحلة الفحل منها (شباط) ... وفيه إذا جاء تبدا المخابي
ويمتازُ ذو الزرع فيه الطّعام ... اذا المَحْلُ أودى بما في العِياب
وفيه لَعَمْرُكَ تسقى الكروم ... وترفع من بعدِ طول الخرابِ
هناك تضرّ ذئاب البلاد ... فيلهو الكلاب بسُؤْرِ الذّئابِ
وتنحل فيه المواشي كما ... تحلّ القلائص طول الهبابِ
ورفع الاحثنة أعناقها ... إذا لبدت في صدور العقابِ
وتهجيرها بعد إدْلاجها ... الى كعبة جعلت للمَتابِ
لكلٍّ امرىءٍ محيت لم يزل ... اليها له قدم في الركابِ
شباط كذلك تذرى بها ... الى أن تؤوب وقبل الإيابِ
ودر في شباط ، وكُلْ ما حلا ... مع الإطّلابِ ، وكن ذا ارتغابِ
تحل السّمان ويبري العظام ... ويطوي البطونَ كطيّ الكتابِ
فلا يمتنع فيه من مأكلٍ ... سوى الملح أو حامض من شرابِ
ولا تترك الطّيّب تشتمُّهُ ... ولا الدّأب ، واترُكْ لزومَ الوِثابِ
لَلدْغِ المشاريط في ذي معونَ ... وقطع العروق لحدّ الشبابِ
إذا وازن الليل وزنَ النهارِ ... فميزان ساعاته لا تُحابِ
وشرب العقاقير فاصبرْ لها ... فإن (لآ ذارَ) تخبّى الخوابى
و (نَيْسان) ذو النابة المرتجى ... فنعم المُرجّى لما في الرّوابي
اذا أنزل الله ربُّ العبادِ ... على العرق في التُّربِ ماءَ الرّباب
وأصبحت ترمق فوق الكرومِ ... عواليَ سرعَ مثلَ القِبابِ(؟)
وأكْرِمْ بنيسان من زائر ... اذا ما تكنّفتَنا بانصبابِ
وإن اعقبته ليالي العجوز ... تدلت عناقيدُهُ كالمزابي

فمنها تعادي جرين الزَّبيب ويجمعهـا كالجبـال الجوابي
و (أيّارُ) ذو المبكر العجل فيه رديء واشباهـه كالضبـابِ
فدع كلَّ مخ وأكل الرؤو س ، فإنّهما مثل سُمٍ وصابِ
وفيه هواجرُ فيها سَمُومٌ ووَهْجٌ من القيظ حار السّرابِ
وأقصِرْ إذا ما أتى ذو القياظ وهَمّتْ هواجِرُهُ بالتهـابِ
عن الشمس فيه وشرب الحليب ونهش اللحوم وأكل الثّرابِ
(حزيران) فيه يثور المِرار كما ثارَ قِدرٌ بسَمْنٍ مُذابِ
فأطْفِ المِرار بماء قِداح على الرّيق فيه ، وكن ذا اجتنابِ
للمس النساء وشرب الدّواء الى منتهى الشمس عند الإيابِ
اذا ما انتهى فيه طول النهـار فنمت الليالي كنوم الـذّئابِ
وأعدد (لتمّوز) ذي مذران من الطعم أبردَهُ والشـرابِ
وألق الجبابَ ولا تلبسـنَّ لتمـوز إلا أرقَّ الثّيـابِ
ودَعْ فوقَ رأسِك من حرّه تعيساً ، ودع عنك دُهْنَ الملابِ
ومثل الغواني ، فدعهـا تـدم ، ففي تركها أُسُّ علمٍ عُجـابِ
كُلِ القَرْعَ المالح العُقَّ فيـه ورطب الثمار كذي الانتهاب
ولا تأكُلِ السّمن فيـه ، ولا سميناً ، وكن منهما ذا اهتيابِ
ودافع نساءَك في وقتـه إذا جئن في زينة الاعتـرابِ
وجالِسْ حكيماً تَزِدْ حكمةً ويلهيك عن كلِّ خَوْدٍ كعابِ
فإنك إنْ لم تصنهن فيـه وماطَلْتَهُنّ بطُـول التّغابي
تجنيت سُقْماً طويل العِلاجِ وأثبتَّ علماً بتركِ التّصابي
فعلمُ الطبيبِ اللبيبِ الاديبِ كعلم الحكيم الذي لا يحابي
وتموز ذو اللب فيـه حزينٌ وذو الجهل من نفسه في عذابِ
وفي ذي الخراف فلا تعدما فعلت بتموزَ في كـل بـابِ

فــآب كتمــوزَ في حــرّه | فكُنْ فيهما صابراً ذا احتجابِ
وغادِ العناقيدَ في بــردهــا | مع الصبح فيــه غُدُوَّ الغُرابِ
ففيه لَعَمْرِي تطيبُ الكــرومُ | وتخلو السّمائمُ صَوْبَ السّحابِ
كُل الثومَ واللحمَ والسمن فيــه | وباللبن الخَضّ غيــر المرابِ
فداو السواد من المــرتيــــن | اذا (آبُ) آبَ فكُلْهُ بآبِ
ففــيه تهيــج بأصحــابهــا | وتعلــق يبوســتها بالرُّضابِ
فلا خيــر فيــه لذي مِرّة | تَوَقّدُ في الجوف مثلَ الشّهابِ
من الحر صفراء فاعرفهمــا | يلــي ثمــن من محبّ مجابِ
ويأتيك أيلــول من بعــده | وأيّام عــلان من بعــد آبِ
إذا اعتــدل الليل مثل النهار | رأى فيه فضلا كفضل الخِضّابِ
جديدان يقتسمان الشــهور | مطاعان فيــه لربّ مُجــابِ
وفيــه عــلاج من المرتين | وما يتقى من دمٍ أو لُعابِ
دع البقلَ فيــه وخُذْ بالذي | مضى قبله من قواف صِعابِ
صعاب القوافي وإنشادُها | تليق بأفــواه أهلِ الصــوابِ
نَعَتُّ الشهــورَ لأني سبقت | اليهن سبقَ جيادِ العــرابِ
سبقتهم إذ كبــا جريُهم | ومثلي اذا ما جرى غيرُ كابِ
فأحمــد ربّي إلــه السمــاءِ | على ما حباني به للصواب (١٢٢)

وقد لاحظت أن الاستاذ الفاضل الأكوع لم يرجع الى المساند ، أو الى بحوث المتخصصين مثل « ركمنس » و « بيستن » في ضبط أسماءالشهور في هذه القصيدة المهمة التي أفضلت علينا في تعيين مواضعها من مواضع الشهور التي يستعملها معظم أهل العالم العربي ، فابتعدت بذلك عن الأصل ، فجعل « ذ دثا » مثلا ،

(١٢٢) الاكليل ، الجزء المذكور من (ص ١١) الى (ص ١٧) .

وهو « ذو الدثاء» في تحقيق « بيستن » ، « ذا الدباو »[١٢٣] ، أي بحرف الباء بدلاً من « الثاء » ، وهو ما ذهب اليه بيستن ، وهو الصحيح ، والظاهر أن ناسخ القصيدة قد استعجل في النسخ فاستعمل حرف الباء في مكان الثاء ، وهذا أمر كثير الوقوع .

وحبذا او أعاد الأستاذ الأكوع النظر في القصيدة ، وضبط شهورها ضبطاً صحيحاً ، استناداً الى المساند ، والى ألسنة المزارعين في هذا اليوم ، وشرح كلمها اليمنيّ القديم ، ليفهم قارئها ما ورد فيها من كنز عن تراث اليمن العزيز فيما قبل الإسلام ، وفي عهد « البحر النعامي » .

ومبدأ السنة الحميرية على ما جاء في هذه القصيدة هو « ذو الصراب » أي شهر تشرين الأول ، ونهايتها « ذو علان » ، وبهذا التشخيص الدقيق أفادنا « البحر النعامي » فائدة كبيرة في الوقوف على السّنَة الحميرية التي بقي المزارعون حتى اليوم يسيرون على منوالها ، ويستعملون أسماء شهورها وإن كانت قد حرفت بعض التحريف عن الأصل [١٢٤] .

ولا ينحصر فضل هذه القصيدة على تشخيص الشهور الحميرية ، وتثبيت مواضعها لأول مرة ، على وَفْق الشهور المألوفة المعروفة في بلاد العرب اليوم ، بل لها فضل آخر فيما قدمت الينا من صورة للتقاليد والرسوم الشعبية التي كان الناس يراعونها في أيامهم وشهورهم ، مثل اقدامهم على أكل أنواع خاصة بها من الأطعمة ، وابتعادهم عن أكل انواع أخرى لعدم ملاءمتها مزاج الشهور ، ومثل الزواج في شهور والابتعاد من الزواج في شهور أخرى ، وكذلك في مسألة أوقات إتيان النساء ، في أوقات تفضل على غيرها ، والتقيّؤ بعد الجماع في شهر « ذي الصراب » :

---

(١٢٣) وكانون مـن بعده ذو الدباوي   فدارهما بالكسـا والجبـاب
الاكليل (ص ١٢) .

(١٢٤) الاكليل : الجزءان ٣ ، ٤ من السنة الاولى ، (١٩٨١ م) .

ففي ذي الصراب فكن طالباً · للمســس نسائك لا للقحابِ
لمـــا تســتحل ولا تطلبن · حراما فتجزى بسوء العقابِ
وأكثر من القيء بعد الجماع · وكل من كراث كأكل الغراب
بخلّ الدنان ودع ما حــلا · وماكان من صالح في ثيابِ[١٢٥]

كما شخص لنا شهور العمل عند المزارعين ، فذكر وقت الحصاد ، لمختلف الزرع ، وذكر موسم البذر وغرس الأشجار ، ومواسم تسميد التربة ومواد التسميد وذكر أنواع المزروعات التي تزرع في اليمن ، ومنها الذرة ، وطرق إرواء الأرض ، وأساليب الحراثة ، وغير ذلك مما له علاقة بالوضع الاقتصادي في اليمن .

وفي القصيدة ألفاظ يمنية قديمة ، ومصطلحات كانت تستعمل قبل الإسلام، تقدم للباحث في نصوص المسند مادة طيبة في فهم هذه النصوص .

وقد ورد اسم « ذ مهلتن » ، وهو من شهور سبأ المتأخرة في النص : ((Jam 545)) ويظــن أن « ذمحجتــن » المذكور في ((Corpus)) ، إنما هو هذا الشهر ، وقد التبس الأمر على الناشر فتصور حرف « اللام » حرف « ج » وبين الحرفين تقارب في أبجدية المسند ، فكتب « ذمحجين » بدلاً من « ذمهلتن » [١٢٦] .

وقد قرأ البعض اسم الشهر « ذالن » ، على هذه الصورة : « ذا اللالتن » وصيروه « شهر الآلهة » ، وإنما هو « ذالن » [١٢٧] أي اسم [١٢٨] شهر . وجاء في النص : ((Jam 642, 6)) اسم شهر « ذالالت » ، « ذ الالت »[١٢٩] ،

(١٢٥) الاكليل ، الجزء المذكور (ص ١٢) .

(١٢٦) Beeston, P. 2.

(١٢٧) REP 4157 « ورخن ذالن » ، «شهر ذوالن» .

(١٢٨) Beeston, P., 2.

(١٢٩) Saba. Inscriptions, P., 141.

قد تكون له صلة بالآلهة ، وورد اسم هذا الشهر : « بورخ ذاالالت » في النص رقم « ١١ » من نصوص « الأرياني »[١٣٠] .

وقرأ اسم الشهر : « ذحلتن » ، على هذه الصورة : « ذحجتن » ، وذلك بسبب الشبّه بين حرف «اللام» وهو حرف «الجيم» في المسند[١٣١]. ولكن وروده في القصيدة الزراعية باسم « ذو الحلة » ، يؤيد أن الشهر هو « ذ حلتن » ، لا « ذحجتن » .

وقد جاء في شرح القصيدة وبعد ذكر شهر « ذي الدباو » ما يأتي : « ذو الحلة ، وهو شباط ويسمى ذو الدثى .

وذو الحلة بكسر الحاء ، وهو ما يسميّه الرعايا السبع ، وفي أمثالهم : حيث ما حلت السبع حليت ، لأنه مظنة هطول الامطار وفيه تغرس الأشجار المثمرة التي منها الكروم والفواكه كلّها ويزرع فيه الدثى »[١٣٢] .

وفي قوله : « ويسمى ذوالدثى » . وَهْمٌ ، لأن « ذو الدثى » هو شهر « ذ دثا» أو « ذو الدثا » ، والظاهر أنه زلة قلم وسبق لسان .

ولم يكن الشهر « ذ مبكرن » معروفاً في المسند القديم ، وقد جاء اسمه مدوّنا في النص الذي نشره : ((G. Garbini))[١٣٣] .

وأما الشهر « ذ قيظن » ، فهو « ورخ ذ قيظن » في الكتابات المتقدمة ، فيظهر أنه بقي معروفاً الى آخر التدوين بالمسند .

والشهر « ذمذران » « ذ مذرن » ، من الشهور الواردة في الكتابات المتأخرة ، وقد أرخ به في نص من أيام الملك : « مرثد الن ينف ، ملك سبأ وذي ريدان

---

(١٣٠) مطهر على الأرياني ، في تاريخ اليمن ، (ص ٦٤) ، (فقرة أولى).

(١٣١) Beeston, P., 2

(١٣٢) مجلة الاكليل ، العدد نفسه (ص ١٣ وما بعدها) .

(١٣٣) MM 81 ' C 44, 8

وحضرموت ويمنت وأعرابها في الأطواد والتهائم » ، وختم النص بجملة : « ورخهو ذ مذرن » ، أي : « تأريخه ذو مذران » [١٣٤] فكلمة « ورخهو » هنا بمعنى « تأريخه » ، ومن هذا الأصل وردت كلمة « تأريخ » بمعنى التوقيت بالمعنى من المصطلح في هذا اليوم ، كما ارخ به النص الموسوم بـ ((Ja 1028)) ، المدوّن في عهد الملك « يوسف اسار يثار » ، ويعود تأريخه الى شهر مذران من سنة « ٦٣٣ » للتقويم الحميري ، المصادفة لسنة « ٥٢٨ » للميلاد .

ويعد الشهر : « ذخرف » من الشهور الواردة في النصوص المتأخرة كذلك [١٣٥] .

وجاء اسم الشهر : « ذثبتن » ، « ورخ ذثبتن » في النص المدوّن في عهد الملك « شرحب ال » « ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم في الأطواد والتهائم » وهو ابن الملك « أبو كرب أسعد » « ابكرب أسعد » ، الحامل لهذا اللقب كذلك ، وهو نص يذكر أن العمل انتهى بشهر ذوددن ذو لخمست وشي وخمسماتم » ، أي « وتأريخه ذوددان من سنة « ٥٦٥ » ، وتعادل هذه السنة السنة : « ٤٥٠ » للميلاد ، وقد كتب هذا النص عند ترميم الملك لسد مأرب [١٣٦] .

وقد جاء في نص « ابرهة » الشهير بعض أسماء الشهور التي أرخ بها في النص ، وهي : « بورخ في ذقيضن ذ لسبعت وخمسى وست ما تم » ، أي : « بتأريخ ذو القيظ من سنة سبع وخمسين وستمائة » ، وذلك وفقاً للتقويم الحميري ، كما ورد فيه اسم شهر « ذمذرن » ، « بورخ ذمذرن ذلسبعت » ، أي « بتأريخ ذي مذران لسبعة » ، ويريد بهذا الرقم السنة المذكورة من التأريخ الحميري ، أي سنة « ٦٥٧ » .. كما ورد فيه الشهر : «صربن» ، « ذو صربان» ، « ذو الصراب »

---

(١٣٤) تأريخ اليمن الثقافي (٣/ ٩٢) .

(١٣٥) Beeston, P., 3.

(١٣٦) تأريخ اليمن الثقافي (٣ / ٩٥ وما بعدها) .

واسم الشهر : « ذ ددن » ، والشهر : « ذمعن » الذي كتب به النص ، حيث ختم بجملة : « بورخ ذمعن ثمنيت وخمسى وست ماتم » ، أي : « بتأريخ ذي معان من سنة ٦٥٨ » ، أو « بشهر ذي معان من سنة ٦٥٨ » ، وهذه السنة محسوبة على حساب التقويم العربي الجنوبي .

وللمزارعين في العربيـــة الجنوبية تقـــويم فلكي ((Sidereal Calender)) يسيرون عليه ، على وفق النجوم ، يقسم السنة ثمانية وعشرين شهراً ، مدة كل شهر ثلاثة عشر يوماً ، وهو مازال مستعملا بينهم ، وقد ذهب « رودو كناكس» ((Rhadokanakis)) الى احتمـــال كونه من بقايا تقـــويم عـــربي جنوبي كـــان العرب الجنوبيون يسيرون عليه قبل الإســـلام . ورأى أن « ذ فـــرع » و « ذجبى » « ذ اجبو » ، لا يمثلان شهرين من شهور السنة ، وإنما يمثلان وقتاً من أوقات العمل والزرع ، بالمصطلح المستعمل الآن في العربية الجنوبية ، أي جزءين من « ٢٨ » جزءً من أجزاء السنة [١٣٧] . وذهب « بيستن » الى احتمال تقسيم العرب الجنوبيين الشهرَ ثلاثة أقسام كل قسم منها عشرة أيام [١٣٨] .

ويرى « رودو كناكس » أن سنة العمل عند القبائل تبدأ باليوم الأول من « ذ فرعم »، « ذ فرع » ، « ذو الفرع »، وتمتد الى اليوم السادس من « ذفقحو » ويرى أن السنة عند الفلاحين ، « ٣٦٠ » يوماً ، أما الأيام الباقية ـــ وهي ما بين (٥) و (٦) ـــ فتضاف الى أحد الاشهر ، فتكون السنة بهذا العمل سنة شمسية كاملة . ويحتفل الفلاحون عند انتهاء تقويمهم الزراعي بانتهاء السنة ، فيعيّدون حينئذ عيداً يسمونه « مصب » ، « مصوب » .

---

(١٣٧) Beeston, P., 4, R. B. Serjeant, Star Calenders and on Almanae from South West Arabia, in Anthropos, 49, 1959, S., 433.

(١٣٨) Beeston, P., 5.

ويعد شهر « فرعم » الشهر الأول من السنة الزراعية ، إذْ تزهر الأشجار ، وتظهر الأوراق ، فهو شهر الربيع ، وتختلف هذه السنة عن سني التقويم الرسمي الذي تسير عليه الحكومة في جباية استحقاقها من حاصل الزرع (١٣٩) .

وقد وردت في كتابات المسند أسماء شهور ، جاءت في أكثر من لهجة من لهجات العربية الجنوبية ، وأسماء شهور جاءت في لهجة واحدة ، مثل لهجة سبأ أو معين ، أو قتبان ، وهكذا فهي من شهور أصحاب هذه اللهجات التي ترد فيها . ومن الشهور التي وردت في أكثر من لهجة واحدة شهر : « ذ دثا » ، إذْ ورد في نصوص معينية وسبئية ، والشهر : « ذ سحر » ، وقد جاء اسمه في نصوص سبئية وفي نصوص قتبانية ، والشهر « ذ ابهى » وقد ذكر في نصوص معينية ، وفي نصوص سبئية ، وأخرى قتبانية (١٤٠) .

ومن الشهور التي ترد في الكتابات السبئية بصورة خاصة ، « ذ دنم » ، « ذ دونم » « ورخ ذ دنم » ، : « ذ نيلم » ، « ذ نسور » ، و « ذ فلسم» ، « ورخ ذ فلسم » ، و « ذ قيضن » ، « ذ قيظن » ، ـِ « ذ صربن » . « ورخ صربن » ، و « ذ الالت » ، و « ملت » (١٤١) ، و «ذعثتر » ، و «ذ موصبم » ، و « ذ مخضدم » (١٤٢) .

وتعد الشهور : « ورخ ذ داون » ، و : « ورخو ذحجتن » و : « ورخ ذخرف » ، و « ورخو ذ مذرن » « ورخو ذ مذران » ، « ورخن ذ مهلتن » ، و « رخن ذمحجتن » ، و « ورخ ذ معن » ، و « ورخ ذثبتن » من الشهور السبئية المتأخرة (١٤٣) .

(١٣٩) Rhodokanakis, Kataba. Texte., II, S., 19.

(١٤٠) Rhodokanakis, Kataba. Texte., II, S., 141, Sab. Denkm., 21, CIH 380.

(١٤١) Beeston, P., 12.

(١٤٢) CIH 841.

(١٤٣) Beeston, P,, 13.

ومن الشهور المذكورة بصوره خاصة في الكتابات المعينية : « ذ اثرت » ، « ذو العشيرة » ، « دحضر » ، و « ذ ابرهن » ، و « ذ طنفت » ، و « ذ نور » ، و « ذ سمع » و « ذشمس » و « ذابهى » ، و « ذ دثا » [١٤٤].

أما الشهور المذكورة في الكتابات القتبانية بصورة خاصة ، فهي : « ذ برم » ، « ورخس ذبرم » ، و « ذبشحم » « ورخس ذ بشحم » ، « ذ مسلعت » ، « ورخس ذمسلعت » ، و« عم » ، « ورخس عم » ، و « ذ تمنع » ، « ورخس ذتمنع » ، و « ذ فرعم » ، « ورخس ذ فرعم » ، « ذ فقهو » ، « ورخس ذفقهو » [١٤٥].

ومن الشهور الواردة في النصوص الحضرمية : « ذ صيد » ، « ورخس ذ صيد » [١٤٦] ، ولعله شهر القنص والصيد ، وقد كانت للحضارمة وما زالت تقاليد وأعراف خاصة بالصيد ، ويجعلون منه نصيباً لآلهتهم ، وورد في نص وسم بـ ((Glaser 1361)) أن على أصحاب النص أن يذبحوا بقرهم « بقرهمو » في شهر « صيد » « بورخ صيدم » [١٤٧] ، وأن يحسموا ما عليهم ، مما يدل على أنه شهر الزلفى الى الآلهة .

ويلاحظ ورود لفظتي « قدمن » و « اخرن » بعد اسم بعض الشهور ، كما في : « ورخ ذ نسور قدمن » ، و « ورخ ذنسور اخرن » ، و « ورخس ذبرم قدمن » ، و « ورخس ذبرم اخرن » [١٤٨] ، ومعناها : « شهر ذو نسور الأول » و « شهر

(١٤٤) Beeston, P., 10.

(١٤٥) Rhadokanakis, Katab. Texte., I, S., 96., II, S., 5, Glaser 1396, 1310, Die Inschrift an der Mauer von Kohlan - Tamva, 1924, S., 15, SE 80, Beeston, P., 11., f.

(١٤٦) Beeston, P., 15.

(١٤٧) Glaser 1361, 4, Sola, S., 36.

(١٤٨) Glaser 1609, Beeston, PP., 11, 13, REP 3688, 3879, Rhodokanakis, Die Inschrift on der Maur von Kohlan - Timva, 1924, S., 52. ff.

ذو نسور الثاني » ، أو « شهر ذو نسور الآخر » ، و « شهر ذو برم الأول » ، و « شهر ذو برم الثاني » ، و « شهر ذو برم الآخر » . وذلك كما نقول في عربيتنا « شهر ربيع الأول » ، و « شهر ربيع الآخر » ، و « جمادى الأولى » ، و « جمادى الآخرة » ، في التقويم الهجري ، و « كانون الأول » و « كانون الثاني » في التقويم الميلادي ، ومعنى هذا أن العرب الجنوبيين ، كلّهم أو بعضهم ، كانوا قد استعملوا اسماً واحداً لشهرين ، وللتفريق بينهما أطلقوا لفظة « قدمن » ، أي الأول والمتقدم ، بعد اسم الشهر ، لتمييزه عن سميه الشهر التالي له ، الذي قيل له « اخرن » ، أي الآخر .

والعرب الجنوبيون مثل العرب الشماليين وغيرهم ، استعملوا التقويم القمري والتقويم الشمسي معاً ، بدليل ما نجده في الكتابات من أسماء شهور لها صلة بحالة الجو ، مثل شهر « ذ قيضن » ، « ذ قيظن » ، ومعناه : « شهر القيظ » ، والقيظ : الحر ، وصميم الحر ، ومثل : « ذ دثا » ، ومعناه : « شهر الربيع » ، وشهر « ذ صربن » ، أي « ذو الصراب » ، وهو شهر الحصاد ، وما زال أهل اليمن يطلقون على موسم حصاد الذرة « الصراب » ، وهو من شهور الخريف ، ويقابل ((October)) ، أي « تشرين الأول » في حسابنا ، و « ذ مذرن » ، « ذمذران » ، ومعناه : شهر البذر ، أي بذر البذور في الأرض ، فلاسمه إذنْ صلة بالمواسم الثابتة .

ويظهر أن سنة العرب الجنوبيين ، كانت تتكون من « ٣٦٠ » يوماً ، مقسمة الى اثنيْ عشر شهراً ، ولأجل جعل هذه السنة سنة ثابتة كاملة ، متفقة مع الدورة السنوية الحقيقية للأرض ، عالجوا ذلك بالكَبْس ، إما بكبس بقية الأيام على السنة نفسها ، ويتم ذلك في كل سنة ، وإما باضافة شهر إضافي الى التقويم القمري في نهاية كل ثلاث سنين (١٤٩) .

---

(١٤٩) Beeston, P., 18.

وهناك شهر اسمه « بين خرفنهن » ، أي « بين الشهرين » ، ربما يشير الى الكبس ، وإضافة شهر بين الشهرين ، لتكون السنة سنة شمسية كاملة ، وذلك بعد المدة اللازمة لإصلاح التقويم ، ليكون مطابقاً لدورة الأرض حول الشمس [١٥٠] ، وقد كان العبرانيون يضيفون شهراً الى تقويمهم بسبب أن الشهور الإثنيْ عشر القمرية لم تكن إلاّ « ٣٥٤ » يوماً وست ساعات ، فنقصت بذلك السنة اليهودية أحد عشر يوماً عن الرومانية ، ولسبب ذلك أدخل اليهود شهراً ثالث عَشَرَ كُلَّ ثلاث سنوات ، سمّوه « فيادارا » ، أي « آذار الثاني » ، وهكذا صيّروا السنة القمرية تعادل السَنة الشمسية تقريباً [١٥١] .

وبين الأسماء التي ذكرها المستعربون على أنها شهور ، ما يجب عدّه اسم موسم من مواسم السنة لا اسم شهر ، بأن يعدّ اسم موسم زرع ، أو موسم حصاد أو موسم حرّ أو برد ، فما يذكره المستعربون عن « ذ صربن » مثلاً من أنه اسم شهر من شهور السنة يجب اصلاحه ، بأن نعده اسم زمن الصراب ، أي الحصاد فهو ليس بشهر من الشهور وإنما هو في رأيي موسم الحصاد ، ودليلي على ذلك أن أهل اليمن في هذا اليوم ما زالوا يطلقون لفظة « الصراب » على موسم الحصاد : «حصاد الذرة في شهر علان ، وهو في نهاية الخريف وأوائل الشتاء . والصراب لا يزال هولغة اليمن عامة ، يقولون الصراب ولا يقولون الحصاد » [١٥٢] وهذا ما سمعتُهُ في اليمن سنة ١٩٧٩ م ، وقد وجدتهم يستعملون في حياتهم اليومية الفاظاً نقرؤها في كتابات المسند .

ولا نجد في المسند أسماء الشهور المستعملة عند الشعوب السامية الشماليـة وفي ضمنهم العرب الشماليون فأسماء الشهور التي يذكرها علماء الأخبار ، لا نجد لها مكاناً في كتابات المسند ، وكذلك لا نجد لأسماء الشهور العربية الجنوبية

---

(١٥٠) Beeston, P., 18 .

(١٥١) قاموس الكتاب المقدس (١ / ٦٣٩ وما بعدها) .

(١٥٢) مطهر علي الارياني ، في تاريخ اليمن ، (ص ١٣٦) .

ذكراً في روايات أهل الأخبار . فأنت إذا قلبت كتب اللغة وكتب الأدب والأيام والتواريخ وغيرها . لا تجد فيها علماً عنها ، ولا كلاماً فيها . والحق أن هذا الذي نراه من جهل أهل الأخبار بأمور العرب الجنوبيين في هذه الناحية وفي كل النواحي الأخرى من نواحي الحياة عند العرب الجنوبيين ، يشير إلى عدم اكتراث أهل الأخبار في الكشف عن ماضي أولئك العرب ، والى حصر اهتمامهم بأمور العرب الشماليين وبمن نزل بينهم من قبائل ترجع أصلها الى اليمن .

وتشير أسماء بعض الشهور الى وجود صلة لها بالدين ، مثل الشهر : « ذ عثتر » ، و « ذ الالت » ، و « ذحجتن » ، و « ذمحجتن » ، و « ذ شمسى » ، و « ورخ ذهس و عثتر »[153] ، و « ذ سمع » ، و « ذ حضر » و « ذابر » ، و «ذنور » فشهر « ذعثتر » ، منسوب الى الآله « عثتر » ، وقد أرخ به في نص سبئي ، وسم ب ((Jam 567)) ، عنــد تقديم رجل ثلاثة تماثيل الى الإله « المقه ثهــوان » « بعل اوام » ، في شهور « عثتر » « بورخ ذ عثتر » ، من سني « سمه كرب بن ابكرب بن حذمت »[154] .

وجاء ذكر شهر « هوبس وعثتر » « لورخ ذ هبس وعثتر » في النص الموسوم بـ ((Jam 611)) ، من «سنى نشا كرب بن معد كرب بن حذمت ثلثن»[155] و « هبس » « هوبس » هو اسم إله ، وعثتر اسم إله كذلك .

ويحتمل أن تكون الألفاظ « ذ سمع » ، و « حضر » و « ابر » و « ذنور » صفات للالهة أو كناية عن طقوس لها، لا أسماء أعلام لآلهة معينة ، فـ « ذسمع » بمعنى « ذو السمع » ، أي « السميع » و « المستجيب » ، لدعاء المستغيثين به ، و « حضر » بمعنى « ذبح ذبيحة » ، تقدم للآلهة ، وربما يكون في شهر خصص

---

(١٥٣) Saba. Inscriptions, P., 108 Jam 611, 7 - 8.

(١٥٤) Jam 567, 6 - 7.

(١٥٥) Sabaean Inscriptions, P., 108.

بالأضاحي ، يدعى « حضر » ، أي شهر ذي الأضحى . وقد يكون المراد من شهر « ابر » « شهر حرق البخور » ، أو شهر تقديم النذور ، أو بمعنى : « شهر البر » والمبرات ، يتقرب الناس فيه إلى آلهتهم بالمبرات ، وقد يكون المراد من «ذنور» شهر ذي النور ، أو شهر النار ، والأقرب الى المنطق أن يكون المراد به شهر النور .

ولا أعرف أسماء الأيام عند العرب الجنوبيين ، إذ لم يعثر عليها حتى يومنا هذا في النصوص ، ولا أظن أنهم لم يكونوا يسمون أسماء أيام الأسبوع باسماء ، فقوّم لهم تقويم ثابت يرجع تأريخه إلى ما قبل الميلاد ، وقد بقي خالداً يؤرخ به الى قبيل الإسلام ، ولهم شهور مسماة لا بد أن يكونوا قد سمّوا أيّام الاسبوع عندهم بأسماء لتميز بذلك بعضها عن بعض .

ولكنهم كانوا يسمّون الأيام بمواضعها من الشهر ، فيقولون اليوم الأول ، واليوم الثاني ، واليوم السابع ، واليوم الثامن وهكذا الى نهاية الشهر ، وذلك كما ثبت ورود ذلك في النصوص ، كما في هذا النص : « بيوم ثنيم ذفرع ذنيلم ذخرف نشاكرب بن كبر خلل »[١٥٦] ، ومعناه : « بثاني يوم من أول ذنيل من سنة نشأكرب بن كبر خليل » ، أو « في اليوم الثاني من مفتتح شهر ذي نيل ، من سنى نشأكرب بن كبر خليل » ، وكما في هذا النص : « بيوم ثمنيم ذ فرع ثنى ذخرف نشاكرب بن كبر خلل »[١٥٧] ، ومعناه : « في اليوم الثامن من الاسبوع الثاني من سنة نشأكرب من كبراء خليل » ، وقد فسرت جملة « ذ فرع باسبوع ، باعتبار أنه فرع ، أي جزء من الشهر ، وفسرها أحمد حسين شرف الدينبشهر ، فقال : « وكان هـــذا في اليوم الثامن من الشهر الثاني من سنة نشأكرب بن كبر خليل » .

(١٥٦) A. G. Lundin, Die Eponymenliste von Saba, (Aus dem Stamme Halil), Sammlung Eduard Glaser, V, Wien, 1965, S., 69, CIH 601, 18.

(١٥٧) تاريخ اليمن الثقافي (٥٨/٣) ، لأحمد حسين شرف الدين .

ونجد في كتب أهل الأخبار واللغة أسماء أيّام ذكر أن العرب كانت تسمى بها أيّام الأسبوع في جاهليتها ، وهي : « شيّار » ويراد به السبت ، وأول ، ويراد به الأحد ، وأهون ، «أوهن » ، ويراد به يوم الاثنين ، وجُبار ويراد به الثلاثاء ، ودبار ويراد به الأربعاء ، ومؤنس ويراد به الخميس ، وعَرُوبة « العروبة » ويراد به الجمعة (١٥٨) .

ولم يشر أولئك العلماء الى القبائل التي كانت تتكلم بهذه الأسماء ، وقد ذكر بعض علماء اللغة أن الجمعة كانت تسمى « عَرُوبة » ، وهو اسم قديم لها ، وكأنه ليس بعربي. يقال : «يوم عَرُوبة، ويوم العَرُوبة ، والأفصح أن لا يدخلها الألف واللام » ، وذكروا أن « كعب بن لُؤَيّ » جدّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أول من جمّع يوم العَرُوبة ، وكانت قريش تجتمع اليه في هذا اليوم فيخطبهم ، فسمي « يومُ العَرُوبة » : « يومَ الجمعة » بذلك (١٥٩) .

يتبين مما تقدم أن العرب من حيث استعمالهم التقاويم الثابتة كانوا يستعمون التقويم السلوقي ، وهو التقويم الذي وضعه السلوقيون خلفاء الإسكندر ، وطبقوه في بلادهم ، فانتشر في العربية الشمالية وأرخوا به ، ثم إن اهل « بُصْرى » والنبط ، اتخذوا من استيلاء الرومان على « بُصْرَى » وقضائهم على استقلال النبط مبدأ التاريخ ، فأرخوا بسنة « ١٠٥ » فما بعدها ، وعرف هذا التاريخ بتقويم « بُصْرَى » . أما الشهور ، فكانت الشهور الشائعة يومئذ في بلاد العراق والشام . وما تزال مستعملة حتى اليوم .

أما العربية الجنوبية ، فقد كانت قد كوّنت لنفسها وحدة ثقافية خاصة بها ، فكان لها شهورها وكان لها تقويمها ، وعلينا اليوم واجب البحث عن كتابات جديدة يكشف عنها في الحجاز وفي نجد والخليج ، لنرى التقويم الذي اتبعه قدماء أهل هذه البلاد ، ودرجة صلته بالتقاويم المذكورة .

(١٥٨) المخصص (٤٢/٩) ، «أسماء الأيام في الجاهلية» ، نهاية الأرب ، للنميري ، (١٤٢/١) ، مروج الذهب (١١٠/٢) ، الآثار الباقية (٦٤/١) ، الأيام والليالي ، للفراء (ص ٦) .

(١٥٩) اللسان (٥٩٣/١) ، (عرب) ، تاج العروس (٣٧٣/١) ، (عرب) .

الجوانب الفنية في اخراج المخطوط العربي

الدكتور جابر الشكري

(عضو المجمع)

كلية العلوم – جامعة بغداد

تمهيد :

أُعدّ هذا البحث « للندوة التدريبيّة لدراسة شؤون المخطوطات العربيّة » التي عني بها « معهد المخطوطات العربيّة » التابع « للمنظّمة العربيّة للتربيّة والثقافة والعلوم » في بغداد في جُمادَى الأولى سنة ١٤٠٠ هـ الموافق للخامس من نيسان سنة ١٩٨٠ م . وكان لي شرف المشاركة في هذه الندوة ، ببحث الجوانب العمليّة في اخراج المخطوط العربيّ وما يتعلّق بذلك من النواحي الصناعيّة والكيمياويّة والفنيّة (*) .

المخطوط :

المخطوط مشتق من خَطَّطَ ، ويقال خطّ القلمُ أي كتب ، وخَطّ الشيء يَخُطُّه خطاً : كتبه بقلم أو بغيره . وخَطّ يَخُطُّ خطّاً : كتب أي صوّر اللّفظَ بحروف هجائيّة .

وأوّل كتاب « مخطوط » في الإسلام هو القرآن الكريم .

إن الحديث عن المخطوط يتناول جوانب شتّى ، صناعيّة وتقنيّة ، يمكننا حصرها في أمورٍ هي :

(*) شكر وتقدير :

اري من واجبي تقديم وافر التقدير والاحترام الى العلامة الجليل الاستاذ محمد بهجة الأثري ؛ لتفضله بقراءة مسودات البحث ؛ وابداء ملاحظاته القيمة التي أخذت بها بكل سرور واعتزاز .
واتقدم بالشكر الجزيل والثناء للباحث الكبير الأستاذ كوركيس عواد ؛ لما ابداه لي من عون في كتابة مايتعلق بتاريخ الورق .

١- مادة الكتابة :

لأجل أن يُعَد المخطوط لا بُدَّ من تحضير مواد معيّنة تتكوّن من :

أ - الشيء الذي يكتب عليه ، كالورق مثلاً .

ب - الشيء الذي يكتب به ، وهو القلم .

ج - الشيء الذي يُظهر الكتابة ، وهو الحبر .

٢- اخراج المخطوط :

ومن أجل صنع المخطوط واخراجه في شكل جذاب ، لابد من توافر موادّ أخرى تساعد الصانع في صنعته وفنّه . ويمكن حصر هذه المواد بأشياء : -

أ- الغلاف ، وهنا يظهر فنّ التجليد ، والمادة الأوليّة لذلك هو الجلد - الرَّقّ - لذا يجب إعداده وصنعه ليكون صالحاً لتجليد الكتاب .

ب- وَجَدَ الناسُ أنّه يحسن زخرفة الغلاف بأحبار ملوّنة جميلة ، فاحتاجوا الى مثل هذه الأحبار والأصباغ . وقد تعدّى ذلك الى زخرفة الكتابة في المخطوط نفسه .

ج- هناك مواد مساعدة ، وهي الخيوط التي تُخاط بها أقسام الكتاب من أجل لمّه وجمعه .

د - الصموغ - جمع صمغ - وهي مادة ضروريّة لاعداد الكتاب ، وكذلك الإبرة المستعملة لخياطة الورق .

مواد التدوين قبل معرفة الورق :

تدلّ آثار الأمم الموغلة في القدم على أن الناس كانوا يكتبون معارفهم على قوالب أو ألواح يصنعونها من الطين ، ثمّ تجفّف هذه القوالب أو الألواح في الشمس أو تشوى بالنار . وقد عثر في مكتبة آشور بانيبال في نينوى على عشرات الألوف من ألواح الطين ، دوّنت فيها أنواع المعرفة ، باللّغات السومريّة والأكديّة والآشوريّة وغيرها . وألواح الطين المكتشفة في آثار وادي الرافدين

لا عدد لها ولا حصر ، وقد كتبت تلك الأقوام على الحجر أيضاً ، ونشاهد ذلك في مسلّة حمورابي المشهورة . إن الحجر أقوى من الطين على البقاء ، لكنّه ثقيل الوزن ، ومن الصعب نقله من مكان الى آخر .

أمّا سكان مصر القدماء ، فقد كتبوا على القرطاس ، وهو ورق البردي ، وكان يصنع من لِحاء « البردي » إذ يُصَفُّ اللِحاء صفاً طولياً ، ثم توضع طبقة أخرى فوق الطبقة الأولى ، ويصمّغ اللِحاء بصموغ نباتيّة ، فتتكوّن ألواح مرنة ، وتُقَطّع على شكل قطع طويلة وبعرض مناسب بحسب الحاجة ، وتلفّ لفاً ، ولذا اصطلح عليها « لفائف البردي Papyros Rolls » أو القرطاس المصري ، أو البرديّات المصريّة . وقد تكون كلمة « Paper » أو « Papier » مأخوذة من الـ « Papyrus » ومعناها نبات البردي .

اشتهرت مصر بهذه الصنعة ، وقد درس العلماء هذه القراطيس دراسة مستفيضة . وممّا يذكر أن مكتبة الأسكندريّة المشهورة كانت تضمّ اكثر من نصف مليون برديّة ، منسقة تنسيقاً ممتازاً ، وقد دوّنت عليها علوم اليونان وعلوم العصر الهلنستي [١] .

ذكر السيوطي (المتوفّى سنة ٩١١هـ – ١٥٠٥ م) أن مصر اختصّت بالقراطيس، وهي الطوامير، وهي أحسن الأشياء التي كتب فيها ، وهي من حشيش أرض مصر ، ويكون طول الطامور ثلاثين ذراعاً وعرضه أكثر من شبر [٢] : وأشار ابن حوقل (القرن الرابع الهجري) الى وجود البردي في جزيرة صقلية فقال « وفي خلال أراضيها بقاع قد غلب عليها « البربير » وهو البردي ، المعمول منه الطوامير » [٣] . وقال البيروني : « إن القرطاس معمول بمصر من لبّ البرديّ ، يبرى لحمه ، وعليه صدرت كتب الخلفاء الى قريب من زماننا » [٤] .

(١) جورج سارتون ؛ تاريخ العلم ، ج ٢٦٩/٤/دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٠ م .
(٢) السيوطي ؛ حسن المحاضرة ، ١٧٣/٢ ، القاهرة . ١٣٢٧ هـ
(٣) ابن حوقل ؛ صورة الأرض ، ١٢٢/١ ، ليدن ١٩٣٨ م .
(٤) البيروني ؛ تاريخ الهند ، ٨١ .

وجاءت كلمة « قرطاس وقراطيس » في القرآن الكريم – سورة الأنعام ، الآية ٧ و ٩١ – . قال الله تعالى « وَلَوْ نَزَّلْنا عليك كتاباً في قرطاس فَلَمَسُوهُ بأيْدِيهِم لَقالَ الّذين كفروا إنْ هذا إلاّ سِحْرٌ مُبين » وقال : « وما قَدَّروا الله حَقَّ قدرِه ، اذ قالوا ما أنزل الله على بَشَرٍ من شيءٍ قلْ مَنْ أنْزَلَ الكتابَ الّذي جاءَ به موسى نوراً وهدى للنّاس تَجْعَلُونَه قَراطيسَ تُبْدُونها وتُخْفُونَ كثيراً وعُلِّمْتُم ما لم تَعْلَموا أنْتُم ولا آباؤكم ، قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُم في خَوْضِهِم يَلْعَبُون » . وكلمة قرطاس في اليونانيّة (Chartes) معناها ما يكتب فيه .

اتّخذ المسلمون في العصور الأولى أوراق البردي للكتابة ، وظلّ يستعمل بعد الفتح الإسلامي ، ويذكر أنه كان في بغداد سوقٌ تُسَمّى « درب القراطيس » ويقع في الجانب الغربيّ . وقد ذكرها الجاحظ والطبري والخطيب البغدادي ، ولم يذكروا أكانوا يبيعون فيها القراطيس فقط ، أم كانوا يصنعونها أيضاً . وأرجّحُ أنهم كانوا يبيعونها ، إذ كانت تستورد من مصر . ولكن الخطيب البغدادي نوّه بهذه الصنعة . وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه ، فقال : انّ صناعة القراطيس انتقلت الى سامراء في أيام المعتصم ، فقد جلب اليها عدداً من أرباب المهن والصنّاع وحمل اليها قوماً من أرض مصر يعملون القراطيس ، فعملوها فلم تأت في تلك الجودة (٥) .

ومن القراطيس المشهورة في تاريخ مصر القديمة أو لفائف البردي Papyrus Rolls برديّة ابريس «Ibers» الطبيّة ، وفيهما معلومات طبيّة رائعة ، وبرديّة ستوكهولم ، وبرديّة ليدن ، وفيهما معارف كيمياويّة ممتازة جداً عن الأصباغ وطرق الصباغة ، والمعادن والأحجار النفيسة (٦) .

---

(٥) تاريخ اليعقوبي ، ٢/٥٧٧ ، ليدن ١٨٨٣ م .

(٦) رمزي مفتاح ؛ إحياء التذكرة ، ص ٢٥ ، القاهرة ١٩٥٣ م .

ومن النصوص الطريفـــة ، ما جاء في الفهرست [٧] : « يقال أول من كتب على الطين « آدم » ثم كتبت بعده الأمم في النحاس والحجارة للخلود ، وكان هذا قبل الطوفان ،وكتبـــوا في الخشب وورق الشجر ، وكتبوا في التّوز . ثم دبغت الجلود فكتب الناس فيها ، وكتب أهل مصر في القرطاس المصريّ، الذي كان يعمل من قصب البردي . وقيل أول من عمله (يوسف عليه السلام) وكانت الروم تكتب في الحرير الأبيض والرّق وغيره . وفي الطومار المصري ، وفي الفلجان ، وهي جلود الحمير الوحشيّة . وكانت الفرس تكتب في جلود الجواميس والبقر والغنم. وكانت العرب تكتب في أكتاف الأبل واللخاف وهي الحجارة ، والرقاق البيض ، وفي العسبِ ، عسب النخل . وكان الصينيون يكتبون في الورق الصيني الذي كان يعمل من الحشيش . وكان أهل الهند يكتبون في النحاس والحجارة والحرير الأبيض . أما الورق الخراساني فيعمل من الكتان ، ويقال إنه صنع في أيام بني أميّة ، وقيل في الدولة العباسيّة . وقيل إن صنّاعاً من الصين عملوه بخراسان على مثال الورق الصيني ، وهو أنواع : الطلحي ، والنوحي ، والفرعوني ، والجعفري ، والطاهري ، وقد بقي الناس في بغداد مدّة طويلة لا يكتبون الا ّ في الطروس ، لأن الدواوين نهبت في أيام الخليفة الأمين بن هارون الرشيد ،وكانت في جلود ، فكانت تُمحى ويكتب فيها . وقال أيضاً : وكانت الكتب في جلود دباغ النورة ، وهي شديدة الجفاف ، ثم كانت الدباغة الكوفيّة تدبغ بالتمر وفيها لين .

الجلود والرقوق :

إتّخذ الأقدمون جلود الحيوانات للكتابة عليها ، فقد دبغت الجلود الرقيقـــة وصقلت ،وكان منها الرقوق النفيسة . واستعملت هذه الرقوق قبل الاسلام ، إلا ّ أنها كانت غالية الثمن . قال البيروني في كتابه – تاريخ الهند – : « وليس للهند عادة الكتابة على الجلود كاليونانيين » .

(٧) النديم ؛ الفهرست ، ص ٢٢ ، طهران .

لسان العرب : الرَّقُّ : الصحيفة البيضاء ، الرَّقُّ ، بالفتح ، ما يكتب فيه ، وهو جِلْدٌ رقيق ، ومنه قوله تعالى « والطُّورِ وكتابٍ مَسْطورٍ في رَقٍّ منشور- سورة الطور ، ٥٢ » .

قال سقراط الحكيم (٤٧٠ - ٣٩٨ ق.م.) : لا تستودع الحكمة الصحف والقراطيس ، تنزيهاً لها عن ذلك ، فان الحكمة طاهرة مقدّسة ، غير فاسدة ولا دنسة ، فلا ينبغي لنا أن نستودعها إلاّ النفس الحيّة ، وننزهها من الجلود الميّتة » « لم يكتب سقراط كتاباً ولم يدوّن شيئاً » . وقد تعلم ذلك من معلمه « طيماتاوس » فانه قال له في صباه : لم لا تَدَعُنِي أدوّن ما أسمع منك من الحكمة ؟ فقال طيماتاوس : ما أوثقك بجلود البهائم الميّتة ، ازهدك من الخواطر الحيّة ، هب أن إنساناً لقيك في طريق ، فسألك عن شيءٍ من العلم ، هل يحسن أن تحيله على الرجوع الى منزلك ، وبالنظر في كتبك ؟ فان كان لا يحسن فالزم الحفظ . فلزمها سقراط من هذه الوصيّة [٨] .

كان الناس في صدر الإسلام يكتبون على الأدَم ، ويذكر أن كتاب النبي محمّد (صلى الله عليه وسلّم) الى كسرى كان مكتوباً على الأدَم . وقد كتبت المصاحف في جلود الظِّباء . وفي خزائن الكتب في الشرق والغرب أسفار كثيرة مكتوبة على الرقوق ، وباللّغة اللاّتينيّة والآراميّة والعربيّة وغيرها [٩] .

الورق - الكاغد :

الكاغَد ، بفتح الغين ، لفظ فارسيّ معرب ، ويقال الكاغذ أيضاً (بالذال المعجمة) ، وهو القِرطاس ، وبائعه هو الكاغَديّ .

الوَرَقُ ، من الشجر هذا الأخضر الذي يخرج من الأغصان ، وأحيانا على الأصل ، يتنفّس منه ، ومن الكتاب الكاغد ، قال الأخطل :

(٨) ج . سارتون ، تاريخ العلم ٦٧/٢ . ، وابن أبي أصيبعة ؛ طبقات الأطباء ، ص ٧٠ ، بيروت ١٩٦٥ م .

(٩) كوركيس عواد ؛ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، ص ٤٠٩ ، سنة ١٩٤٨ م .

فكأنّما هِيَ من تقادُمِ عهـدِها
وَرَقٌ نُشِرْنَ من الكتاب بَوالِ

وقال بعضهم : الورق لم يوجد في الكلام القديم ، بل الورق اسم لجلود رقاق يكتب فيها ، وهي مستعارة من ورق الشجر ، والواحدة ورقة ، وجمعها أوراق وفي لسان العرب : « الورق : أُدُمٌ رقاقٌ ، واحدتها ورقة ، ومنها وَرَقُ المُصْحَف ، ووَرَق المُصْحَف وأوراقُه ، صُحُفُه، الواحد كالواحد ، وهو منه . والورّاقُ معروف ، وحرفته الوِراقةُ ، ورجلٌ ورّاق : وهو الّذي يُوَرِّق ويكتب .

ذكر الورق كثيراً في الكتب القديمة ، والمتفق عليه أن الصينيين هم اول من عرف صناعته ، وكان التجار يجلبونه من بلاد المشرق الأقصى . ولمّا فتحت الجيوش العربيّة الإسلاميّة سمرقند سنة ٧١٢ م ، أسسّوا معامل لصناعته بمساعدة الصنّاع الصينيين . ووصف الورق السمرقندي في أغلب الكتب وصفاً شائقاً ، فقال القزويني[١٠] — المتوفى سنة ٦٨٢هـ = ١٢٨٣ م — : «وبسمرقند من الأشياء الطريفة تنقل الى سائر البلاد ، ومنها الكاغد السمرقندي الذي لا يوجد مثله إلاّ بالصين . وذكر ابن خُرَّدْذابِه في كتاب المسالك والممالك : أنه وقع من الصين الى سمرقند سبيٌ ، وكان فيهم مَنْ يَعرِف صنعة الكاغد ، فاتّخذها ، ثم كثرت حتى صارت متجراً لأهل سمرقند ، فمنها تُحمل الى سائر البلاد » .

كان الصينيون يصنعون الورق من الحشيش ، أو من شرانق الحرير . ويذكر أحمد أمين [١١] : أنه في سنة ١٣٤هـ غزا خالد بن ابراهيم أهل « كَشّ » في أرض الصين ، وأخذ منهم من الأواني الصينيّة المنقوشة المذهّبة ما لم يُرَ مثلها ، رمن السروج ، ومتاع الصين كله من الديباج والطُّرَف شيئاً كثيراً ، فحمل

(١٠) آثار البلاد ؛ ص ٣٦٠ ، كوتنكن ، ١٨٤٨ م .
(١١) ضحى الاسلام ؛ ج٢/٢٢ ، الطبعة العاشرة ، بيروت .

الى أبي مسلم الخراساني وهو بسمرقند ، وقد أخذ أسارى من الصين ، ووضعوا في سمرقند ، فبدأوا يصنعون الورق الصيني فيها .

وجاء في صُبح الأعشى – أجمع الصحابة (رضي الله عنهم) على كتابة القرآن في الرَّق لطول بقائه ، أو لأنه الموجود عندهم حينئذٍ ، وبقي الناس على ذلك الى أن ولي الرشيد الخلافة ، وكثر الورق ، وفشا عمله بين الناس ، فأمر الاّ يكتب الناس الا في الكاغد (١٢) .

انتشرت معامل الورق في خراسان وبلاد فارس ، وانتقلت بعد ذلك الى بغداد ، فقد أسس الفضل بن يحيى البرمكي سنة ٧٩٤ م أول صناعة للورق في بغداد ، ثم انتشرت بسرعة فائقة في باقي البلاد الاسلاميّة ، سورية ومصر وشمال افريقية والأندلس .

لقد طوّر العرب صناعة الورق ، فاستعملوا الكتّان والقطن في صناعته ، لانه أرخص سعراً من الحرير ، ولوجوده في بلادهم . وأخيراً صنعوا الورق من النُّفايات والخِرق البالية، ويُعدّ هذا أهم اختراع عربيّ ، إذْ خدم الانسانيّة والحضارة العالميّة خدمة لا مثيل لها . ويذكر ذلك جميع المؤرخين ، ويذكر فضل العرب على لسان كل باحث ومؤرخ مهما كانت نزعته وجنسيّته .

جاء في « الموسوعة البريطانيّة » لما سقطت دولة العرب في اسبانية ، انتقلت صناعة الورق من أيديهم الى النصارى ، فلم يُجيدوا صنعه . وقد دخلت صناعة الورق الى إيطالية عن طريق جزيرة صقلية ، فأُسِّس أول معمل في ايطالية سنة ١٢٧٦ م ، ثم أسس معمل آخر في مدينة « بادوا » سنة ١٣٤٠ م . ومن المحتمل جداً أن أول معمل للورق أنشِئَ في انكلترة كان في سنة ١٥٨٩ م .

استعمل الأوربيون الكاغد الدمشقي الذي كان يطلق عليه اسم Charte Damascena قبل صناعته في أوربة . وجاء في كتاب « حضارة العرب»(١٣) :-

(١٢) صبح الأعشى ؛ ج٢/٤٨٧ . الطبعة الأميرية .

(١٣) غوستاف لوبون ؛ حضارة العرب ، ص ٤٨٢ ، مصر ١٩٦٩ م .

وتثبت المخطوطة التي عثر عليها « الغزيري » في مكتبة الأسكوريال ، المكتوبة سنة ١٠٠٩م أنها من ورق مصنوع من القطن ، وقد تكون هذه أقدم المخطوطات في مكتبات أوربة . فالعرب اول من أحلّ الورق محلّ الرّق . وعلى أيديهم تم استبدال مادة اخرى بالحرير ، فقد صنعوا الورق من القطن ثم من الأسمال (النفايات).

ويعتقد أن من أقدم المخطوطات المعروفة في أوربة ما يأتي :

١- عقد للملك روجر النورمندي في سنة ١١٠٢م ، وأمرٌ كتبته زوجته باليونانيّة والعربيّة معاً في سنة ١١٠٩م [١٤] .

٢- مخطوطة محفوظة بين مخطوطات برشلونة ، وكُتب عليها معاهدة السلم بين ملك أرغونة الأذفونش الثاني وملك قشتالة الأذفونش الرابع في سنة ١١٨٧م. وهذا الورق مصنوع في مصنع « شاطبة » في الأندلس ، الذي امتدحه العالم الجغرافي الشريف الأدريسيّ في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي [١٥]

٣- الكتاب الذي بعث به « جوانفيل » الى الملك « سان لويس » قبيل وفاته سنة ١٢٧٠ م ، أي بعد حملته الصليبيّة الأولى [١٦] .

ويذكر ان المعلّقات السبع قبل الإسلام كتبت على قماش كان يُسمّى « القباطيّ » [١٧] وكانت اكثر مكاتبات الأمويين على البردي المصريّ أو القماش « القباطيّ » [١٨] ومن اقدم المخطوطات على الكاغد (الورق) نسخة من كتاب « غريب الحديث » في مكتبة ليدن ، ويُظَنّ أنها كتبت في أوائل القرن الثالث عشر الهجري [١٩] ، وكتاب « ديوان الأدب » في مكتبة المتحف البريطاني ، وقد كتب في اوائل القرن الرابع الهجري [٢٠] .

---

(١٤) جلال مظهر ؛ حضارة الإسلام ؛ ص ٣٨٥ ، دار مصر للطباعة ١٩٧٤ م .

(١٥) حضارة العرب ، ص ٤٨٣ .

(١٦) كذا .

(١٧) جرجي زيدان ؛ تاريخ التمدن الإسلامي ؛ ج١/٢٥٠ ، مكتبة الحياة ، بيروت .

(١٨) المرجع السابق . (١٩) المرجع السابق .

(٢٠) حضارة الإسلام ، ص ٣٨٤ .

أنواع الورق :

كان الورق العربي أنواعاً عدّة ، نذكر منها :

١- الورق السُلَيْمانيّ - نسبة الى سليمان بن راشد عامل الخراج على خراسان في عهد هارون الرشيد .

٢- الورق الطَلْحِيّ - نسبة الى طلحة بن طاهر ، ثاني أمراء الدولة الطاهريّة في خراسان (٨٢٢ - ٨٢٨ م) .

٣- الورق الجعفري - نسبة الى جعفر البرمكي (ت ٨٠٢ م) .

٤- الورق الفرعوني - نسبة الى فرعون ملك مصر .

٥- الورق النُوحي نسبة الى نوح الساماني ، أحد أمراء الدولة السامانيّة (نحو ٩٥٠ م) .

٦- الورق الطاهري - وينسب الى طاهر بن الحسين أحد أمراء الدولة الطاهريّة في خراسان (٨٤٤ - ٨٦٢ م) .

وذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان محلّة في بغداد تعرف بـ « دار القَزّ » كان الكاغد يعمل بها و « دار القَزّ » كانت في الجانب الغربيّ من بغداد .

وامتدح القلقشندي (ت ٨٢١هـ - ١٤١٨ م ورق بغداد ، وقال : هو ورق ثخين مع ليونة ورِقّة حاشية وتناسب أجزاء ، وقطعه وافر جداً ، ولا يكتب فيه في الغالب الاّ المصاحف الشريفة ، وربما استعمله كتّاب الإنشاء في مكاتبات القانات ونحوها [٢١] .

إن انتشار الورق ، وجودته ، ورخص ثمنه ، كلّ هذا أدى بلا ريب الى سرعة انتشار الكتاب ، ونتج من ذلك ظهور صناعة الوراقة ، أي نسخ الكتب

(٢١) صبح الأعشى ، ٤٨٧/٢ .

وتصحيحها وتجليدها ، ثمّ زخرفتها وغير ذلك ممّا يتعلق باخراج المخطوط . وقد انتشرت دكاكين الورّاقين ، وكانت عاملاً مهماً في انتشار الثقافة بين الناس، حيث كانت مُلتقى العلماء ، وأصبحت بمثابة معاهد ومدارس علميّة يؤمُّها القراء ويطالعون فيها الكتب ويدرسونها

قال ياقوت الحموي : حدّثنا « أبو هفّان» فقال : لم أرَ قطُّ ، ولا سمعت مَنْ أحبَّ الكتب والعلوم أكثرَ مِنْ « الجاحظ » فأنه لم يقع بيده كتاب قطّ إلا استوفى قراءته كائناً ما كان ، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ، ويبيت فيها للنظر والدراسة [22] . وذكر اليعقوبي [23] انه كان في عصره (٢٧٨ هـ) أكثر من مئة ورّاق في بغداد . وقد أصبح من بين هؤلاء الناس ، على مدى العصور ، ثقات في العلم. فظهر منهم مثلاً — ابن النديم — صاحب الفهرست وياقوت الحموي، صاحب معجم البلدان ومعجم الأدباء . وتقع سوق الوراقين أمام الباب الرئيس للمدرسة المستنصريّة التي شيّدها الخليفة العباسيّ المستنصر بالله. وافتتحت في سنة ٦٣١ هـ — ١٢٣٤ م .

الناحية الفنية في صناعة الورق :

ممّا يؤسف عليه أنه لا تتوافر لدينا نصوص تشير الى النواحي الفنيّة في كيفيّة صنع الورق ، ولا الى المواد المساعدة التي تستعمل في صناعة العجينة الورقيّة . لقد عدّ الصانع في ذلك الزمان هذه الصناعة من الصناعات التي يجب أن لا يُفشى سرّها ، وهي — كما هو مألوف لدينا الآن — سرّ من أسرار الصنعة أوالحرفة. وقد أدى هذا الاعتقاد في الأخير الى وجود حقوق الأمتياز وبراءات الأختراع Patent

وأعتقدُ أنهم كانوا يعاملون المواد « السيلولوزيّة » أي القطن أو الكتان أو النُّفايات ، بمواد قلويّة ، فتحصل لديهم العجينة ، ثم تصب هذه العجينة على

---

(٢٢) معجم الأدباء ، ٥٦/٦ ، ط. مصر ١٩٣٠م .

(٢٣) نقله مؤلف حضارة الإسلام — ص ٣٨٣ . وضحى الإسلام — ٢٤/٢ .

صفائح مُسطّحة ومُخرّمة (كالمنخل) ، فيسيل منها الماء ، وتبقى المترسبات فوق الصفيحة ، ثم تجفّف هذه البقايا بالشمس أو بهواء ساخن ، فتتكوّن اللوحة الورقيّة ، ثمّ تصقل ، وتقصّ بالحجم المرغوب فيه ، أو بالحجم الذي يخصّصه صاحب المعمل نفسه . لذا تذكر حجوم الورق نسبة الى كل معمل، أو الى كل نوع من أنواع الورق التي مرّ ذكرها .

وهنـاك مسألـة قصـر « Bleaching » العجينـة الورقيّة بغيـة الحصول على ورق أبيض. إني أعتقد أنهم لم يعملوا هذه العمليّة الكيمياويّة ، ولم أستطع العثور على أثرٍ لها في كتب التراث . فلقد كانوا يستعملون الورق الأسمر أو المائل الى الصفرة أو الحمرة ، أي الورق الملوّن . وقد بقيت الكلمة مستعملة الى الآن « الكتب الصفر » ومن الناحية الكيمياويّة ، إذا كانت المواد الأوليّة جيّدة ونظيفة — انقل القطن الأبيض الجيّد . مثلاً — أو الخرق البيض النظيفة ، فانّ العجينة ستكون أكثر بياضاً ممّا لو استعملت في صناعتها مواد غير نقيّة ولا نظيفة . والعجينة البيضاء تعطي — نوعاً ما — ورقاً ناصعاً ، ولا سيّما اذا كانت المواد المذيبة ، أي المحاليل القلويّة نقيّة أيضاً ، وكذلك كميّاتها . وبحسب اعتقادي أنهم عرفوا جيداً استعمال المواد الاوليّة (القلويّة) وكميّاتها وخواصها ، لأنّهم أجادوا فعلاً عمل القلويّات وطرق استعمالها ، ومثال ذلك صناعة الصابون ، وإتقان صباغة الأنسجة والألياف التي يجريها الكيمياوي في محلول قلويّ (أي قاعدي Base)

القلم :

جاء في لسان العرب : قَلَمٌ ، القَلَمُ الذي يُكتب به ، والجمع أقلام وقِلام ، وجمع أقلام : أقاليم . قال الشاعر :

صَحِيفةٌ كُتِبَتْ سِرّاً الى رَجُلٍ
لم يَدْرِ ما خُطَّ فيها بالأقاليمِ

والمقْلمة والمَقْلَمةُ وعاء الأقلام . وقيل للسّهْم « القلم » لأنه يُقْلَمُ أي يُبْرى . وكلُّ ما قطَعْتَ منه شيئاً بعد شيْ فقد قَلَمْته . ومن ذلك القلم الذي يُكتب به . وإنما سمي قَلَماً لأنّه قُلِمَ مرةً بعد مرّة . ومن هذا قيل قَلَمْتُ أظفاري ، وقلَمْتُ الشيءَ ، أي بَرَيْتُهُ .

والقلم هو اليراعة يكتب بها ، ولا يُسمّى قلماً إلاّ بعد البري . ويُسمّى قبله قصبة ويراعة . ويطلق القلم في اصطلاح الكتّاب على الخطّ ، ويقال صاحب قلم أي كاتب .

إن القلم أداة الكتابة ، ويتّخذ من « الغاب» وهو القصب ، والقصب أنواع وكل الأنواع من جنس واحد Arunda وفي الانكليزيّة Reed ، والفرنسيّة Roseau والألمانيّة Rohr . ومـن أنواعه ، قصب شائع ، وقصب الهند وهو الخيزران Bamboo ، وقصب الجزائر ، وعود القنا ، ويطلق عليـه في مصر « البوص الفارسي » ومن أنواع القصب « الغاب الصغير » وهو نوع دقيق كانت تُتّخَذُ منه أقلام الكتابة . وما كان منه غليظاً يُطلق عليه « الغاب الكبير » ومن أنواعه الجيّدة ما ينمو في وسط بطائح العـراق (الأهوار) . وللعرب آداب وتقاليد مدوّنة في بَرْيِه . وكل خط يستلزم بَرياً وقطعاً خاصّين .

استعمل البابليون القدماء آلات معدنيّة أوعظميّة للكتابة –أو بالأحرى الحفر أو النقش – على الألواح الطينية والحجر –لأنها أقوى من القصب وأكثر تأثيراً فيها .وكان اليونانيون والرومان يكتبون بلوح فيه سن مدبّب مغطى بطبقة من الشمع . واستعمل ريش الطيور في الكتابة في العصور الوسطى .ثم صنع قلم الرصاص ، وقلم الحبر ذو الخزان سنة ١٨٨٠ م ، وأخيراً جاء القلم ذو الحبر الجاف سنة ١٩٤٤ م .

ووردت أقوال كثيرة في فضل القلم ومنزلته ، فقيل فيه [٢٤] :

---

(٢٤) الفهرست ص ١٢ .

« الأقلام مطايا الفطن » ؛ « القلم سفير العقل ورسوله ولسانه الأطوَل وترجمانه الأفضل » ، « عقول الرجال تحت أسنان أقلامها » . وقال أرسطو : « القلم العلّة الفاعلة ، والمداد العلة الهيولانيّة ، والخط العلة الصوريّة ، والبلاغة العلة المتمّمة » ، « ببكاء الأقلام تبتسم الكتب » .

وقيل في بري الأقلام [٢٥] : الأمم تختلف في بري أقلامها : — بري السرياني محرف الى اليسار ، وربّما كان الى اليمين ، وربّما قلبوا القلم على ظهره . وبري الروميّ محرف الى اليمين ، شديد التحريف لأنه يكتب به من اليسار الى اليمين . وبري الفارسيّ أن يكون سن قلمه مُشَعّثاً . وأهل الصين يكتبون بالشعر يجعلونه في رؤوس الأنابيب كما يفعل المصوّرون بالرسم بالفرشاة . والعرب تكتب بسائر الأقلام والبرايات ، والمعمول على التحريف الأيمن . والكتّاب يقطون القلم غير محرف .

كان صاحب القلم — أي الكاتب — معزّزاً محترماً ، وله مكانة عالية عند الملوك والأمراء . وكان الكاتب كثيراً ما يفرض شروطاً على الملك أو الأمير حين يولّى أمر الكتابة . قال أحدهم : « كتاب الملوك عيونهم المبصرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الناطقة » [٢٦].

منزلة القلم ومقامه :

مدح الشعراء القلم مدحاً لا مثيل له ، ووصفوه وصفاً في غاية الروعة والجمال الشعري ، وهذه بعض النصوص :

قال أبو الفتح البستي :

إذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم
وعَدُّوه ممّا يُكسِبُ المجدَ والكَرَمْ

(٢٥) الفهرست ص ٢٥ .

(٢٦) صبح الأعشى ، ٤٣/١ — ٤٥ .

كفى قلمَ الكتّاب عِزاً ورفعةً

مَدى الدهرِ أنّ الله أقْسَمَ بالقَلَمْ[٢٧]

وقال أبو تمّام :

ولضربةٌ من كاتبٍ ببَنانه

أمضى وأقْطَعُ من دقيقِ حُسامِ

قومٌ اذا عزّموا عداوة حاسدِ

سَفَكوا الدّما بأسنّةِ الأقلام[٢٨]

ووصف عبدالله بن المعتز القلم وصفاً ممتازاً ، فقال :

« الكتاب والج الأبواب ، جريء على الحجاب ، مُفهِمٌ لا يَفْهَم ، وناطق لا يتكلّم ، به يشخص المشتاق، إذا أقْعَدَه الفراق. والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الارادة ، ولا يَمَلُّ الاستزادة ، يسكت واقفاً ، وينطق سائراً ، على أرض بياضها مظلم ، وسوادها مضيء، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يُفتّح نوّار بستان » [٢٩] .

ومن أشهر ما قيل في القلم أبياتٌ وردت في قصيدة لأبي تمام ، يمدح فيها محمد بن عبدالملك الزيات (وزير المعتصم) [٣٠] .

لَكَ القلمُ الأعلى الذي بشَباته

تُصاب من الأمرِ الكُلى والمفاصلُ

لُعابُ الأفاعي القاتلات لُعابُه

وأرْيُ الجَنَى اشتارتْهُ أيدٍ عَواسِلُ

(٢٧) الدكتور مصطفى الشكعة ؛ معالم الحضارة الإسلامية ، ص ٢٤٣ — بيروت ١٩٧٣ .
(٢٨) كـذا .
(٢٩) المصدر السابق .
(٣٠) العقد الفريد ؛ ج٤ ، ص ١٩٢/ القاهرة ١٩٦٢. وعيون الأخبار ، ج ١ ، ص ٤٨ . والحيوان ، ج١ ، ص ٥٠ / بيروت ١٩٦٨ .

له ريقةٌ طَلٌّ ، ولكنَّ وَقْعَها
بآثاره في الشّرق والغرب وابـــلُ
فصيحٌ إذا استَنْطَقْتَه وَهْوَ راكبٌ
وأعجمُ إن خاطَبْتَه وَهْوَ راجلُ

تفنّن الصناع والفنانون في صناعة أدوات الكتابة المساعدة ، كالدواة والسكين التي تبرى بها الأقلام ، وكذلك اللوح الذي يوضع عليه الورق للكتابة ، فصنع هذا من أحسن أنواع الخشب كالأبنوس والصندل . وقد زُخرفت هذه الأدوات بزخارف جميلة ، وزُيّنت بالأصداف الملّونة ، ورَصّعت بالأحجار النفيسة . ووصفها الشعراء والأدباء ، فقال كُشاجم في وصف الدواة :

صِينت بمرفَعها الدواةُ فاصبحت
من شرٍّ أحوال التَبَدُّلِ سالِمَهْ
فكأنها ملكٌ عـــلى كرسيّه
أو غادة وسط الاريكة نائمـــة
مُزِجت دموعُ العائذين بدمعها
فأنوفُهم أبداً لديها راغِمَهْ
زِنْجيّةٌ عجماءُ الا ّ أنّها
بجليل تدبير الممالك عالمهْ (٣١)

ونختم حديثنا عن القلم بالآيات الكريمة من الكتاب العزيز :
(ن والقَلَم وما يَسْطُرُون) ــ سورة القلم (١) .

---

(٣١) معالم الحضارة الإسلامية ، ص ٢٧٢ – عن ديوان كشاجم (المخطوط) ، نسخة الأستاذ مصطفى السقا ، الورقة ٢٠٥ . و كشاجم ؛ هو أبو الفتح محمود بن الحسين ، يعرف بـ (كشاجم) وبـ (السندي): طباخ سيف الدولة الحمداني . هندي ،تعاطى التنجيم والشعر والكتابة فسمي (كشاجم) لذلك . توفي في حدود سنة ٥٠٠ هـ ، وله كتاب « أدب النديم » .

التفسير : القلم هو الذي يكتب به ، أقسم الله به لمنافع الخلق ، إذ هو أحد لساني الانسان يؤدي عنه ما في جَنَانه، ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه ، وبه تحفظ أحكام الدين ، وبه تستقيم أمور العالمين . وقد قيل إن البيان بيانان : بيان اللسان ، وبيان البنان . وبيان اللسان تدرسه الأعوام ، وبيان الأقلام باقٍ على مر الأيام . وقيل : إن قوام أمور الدين والدنيا بشيئين: القلم والسيف ، والسيف تحت القلم ، قال الشاعر :

إن يَخْدِمِ القَلَمَ السيفُ الذي خَضَعَتْ
له الرِقابُ ودانت حِذْرَهُ الأُمَمُ
فالموتُ ، والموتُ شيءٌ لا يُغالِبُه
ما زال يتبعُ ما يجري به القَلَمُ
كذا قضى اللهُ للأقلامِ مُذْ بُرِيَتْ
إنّ السيوف لها مُذ أُرهِفَتْ خَدَمُ [٣٢]

(الذي عَلّمَ بالقلم) ــ سورة العلق ، (٤) .

التفسير : أي علم الكاتب أن يكتب بالقلم ، أو علم الانسان البيان بالقام ، أو علم الكتابة بالقلم ، لِما في ذلك من كثرة الانتفاع فيما يتعلّق بالدين والدنيا . وقيل ، أراد سبحانه آدم ، لأنه أول من كتب .

موعظة : قال رجلٌ لبنيه [٣٣] :

« يا بنيَّ تَزَيّوا بزي الكُتّابِ ، فانّ فيهم آداب الملوك ، وتواضعَ السّوقة »

الحبر :

جاء في لسان العرب : « حبر : الحِبْرُ الذي يُكتب به ، وموضِعُه المِحْبَرَة (بالكسر) ، والحِبْر المداد .

(٣٢) مجمع البيان / تفسير الطبرسي ، ٩/٣٣٢/ دار المعارف الإسلامية .
(٣٣) العقد الفريد ، ١٧٩/٤ .

والحِبْرُ والحَبْرُ : العالِم ذِمّياً كان أو مُسلِماً ، بعد أن يكون من أهل الكتاب ، وجمعها أحبار وحُبُور . ويقال : حَبَّر الدواة ، أي وضع فيها الحِبْر » وللعرب في الحبر أقوالٌ كثيرة ، نروي شيئاً منها !

عَطِّروا دفاتر الآداب بسواد الحبر [٣٤] .

عَطِّروا دفاتر آدابكم بجيِّد الحبر ، فإن الأدب غواني ، والحبر غوالي .

ونظر جعفر بن محمّد الى فتى على ثيابه أثر المداد وهو يستره ، فقال له [٣٥].

لا تَجزَعَنَّ من المواد فإنّــه
عِطْر الرجال وحِلْيــةُ الكُتّابِ

ويُقصد بالحبر اللّون ، يقال : فلانٌ ناصع الحِبر ، يراد به اللّون الخالص الصافي من كلّ شيْء.

قال ابن أحمر ، يذكر امرأة :

تَتيـنهُ بفاحِـم جَعْـدِ
وأبيضَ ناصع الحِبْرِ [٣٦]

وجاء في صبح الأعشى [٣٧] : وإنّما اختير فيه السواد دون غيره ، لمضادته لون الصحيفة (أي الورقة) ، وليس شيء من الألوان يضاد صاحبه كمضادة السواد للبياض (*) . قال الشاعر :

فالوَجْهُ مثلُ الصبح مُبْيَضٌ
والفَرْع مثلُ الليلِ مُسْوَدُّ
ضِدّانِ لمّا استجمعا حَسُنا
والضِّدُّ يُظهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ

---

(٣٤) صبح الأعشى ، ٤٧٢/٢ .   (٣٥) العقد الفريد ، ٢٠٠/٤ .
(٣٦) صبح الأعشى ، ٤٧١/٢ .   (٣٧) ، ٤٧٣/٢ .
(*) ويقال في المداد ؛ أسود قاتم ، وهو أول درجة السواد ، ويقال حالك أو حانك أيضاً .

المِدادُ [٣٨] :

ويُسمى بذلك لأنّه يَمُدُّ القلم ، أي يُعينه ، وكلّ شيءٍ مددت به شيئاً فهو مِداد . وسُميّ الزيت مداداً لأنّ السِّراج يُمَدُّ به .

وقال تعالى : (قُل لَوْ كانَ البَحْرُ مِداداً لِكلماتِ ربي (**) .

ويُقال : أمَدّه في الخير ، أو مَدّه في الشرِ . كقوله تعالى :

(وأمْدَدْناهُمْ بفاكهةٍ ولَحْمٍ) . و (نَمُدُّ له من العَذاب مَدّاً) .

صناعة الحبر :

يقال إن الصينيين هم أوّل من صنعوا الحبر قبل ١٢٠٠ ق.م. وهو حبرٌ جيّد ، أسود اللّون ، لا يتغيّر ولا يفسد .

وصنع العربُ الحبر أيضاً بطرق ممتازة جداً . فذكر القَلْقَشَنْدي (المتوفى ١٤١٨ م) [٣٩] وصفات لصناعة الحبر في غاية الدقّة . ولا شكّ في أنّه اعتمد على معلومات سابقة . وسوف نحاول تَعَرُّفَ أصلِ هذه المعلومات — وخاصة جوانبها الفنيّة — التي اعتمد عليها الصنّاع العرب في مثل هذه الصناعات الكيمياويّة المهمّة . إذ لا بُدَّ لنا من كشف النواحي العمليّة ، ليس للحبر فحسب ، بل لمواد كثيرة أخرى ، كصناعة الورق ، وصناعة الزجاج ، ودباغة الجلود وغيرها.

وتتم صِناعة الحبر على النحو الآتي : —

المواد الأوليّة ، وتتكوّن من : —

أ — العفص : وما شابهه من المواد النباتيّة ، كقشور الرمّان ، والبلوط ، والسماق . وتحتوي هذه المواد على مركبات كيمياويّة تعرف باسم « تانينات Tannins » والجوهر الفعّال في هذه المواد هو حامض يعرف باسم « حامض التانين Tannic Acid » وسيأتي الكلام على كيمياء هذه الحوامض

---

(٣٨) صبح الأعشى ، ٤٧١/٢ .

(**) من المداد ، لا من الإمداد .

(٣٩) صبح الأعشى ، ٤٧٢/٢ وما بعدها .

ب – الزاج : ويقصد به الزاج القبرسيّ (أو القبرصيّ) ، أو الزاج الأخضر ، أو التوتيا الخضراء ، وهذا الزاج هو « كبريتات الحديدوز Fe SO4 » .

ج. – الصمغ : معروف – وسيأتي الكلام عليه .

د – النيلج : أو السُّخام، وكان يُحضّر من حرق النّفط ، أو حرق الزيوت النباتيّة ، كزيت الكتّان مثلاً ، أو من ثمار بعض النباتات البقوليّة ، كالحمّص مثلاً . (ويُحضّر النيالج الآن من هذه المواد وبالطرق نفسها) .

هـ – مواد مطيّبة ومعطّرة ، ومواد مساعدة كالعسل ، ومواد ضد التعفّن والتلف كالصبر .

و – الماء العذب : ويقصد به الماء النقي الخالي من الأملاح . (ويُفضل الماء المُقطّر) .

طريقة العمل في صنعة (المداد) :

١ – وأجود المداد ما اتُّخذ من سُخام النّفط (أ) ، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال (ب) ، فيجاد نخله وتصفيته ، ثمّ يلقى في طَنْجير (ج) ، ويُصبّ عليه من الماء ثلاثة أمثاله ، ومن العسل رطل واحد ، ومن الملح خمسة عشر درهماً (د) (يراد به الزاج الأخضر ، أي كبريتات الحديدوز Fe So 4)، ومن الصَّمْغ المسحوق خمسة عشر درهماً ، ومن العفْص عشرة دراهم (مسحوق العفص)

ويوضع على نارٍ ليّنة (هادئة) حتى يثخن (أي يتركّز) جِرْمُهُ ، ويصير في هيئة الطين . (ويفضل تحريك المزيج باستمرار) . وبعد ذلك يحفظ في إناء محكم ، ليستعمل عند الحاجة اليه .

٢ – يؤخذ من العَفْص الشاميّ قدر رطلٍ يُدَقّ جريشاً – أي مسحوقاً – ويُنْقَع في ستة أرطال ماءً مع قليل من الآس (وهو المرسين) (هـ) أسبوعاً . ثم

أ – يمكن استعمال أي سخام آخر . ب – الرطل يساوي ٤٥٠ غرام .
ج – الطنجير وهو الوعاء أي دورق . د – الدرهم خمسة غرامات .
(هـ) الآس ، ويطلق عليه في العراق «الياس» نبات معروف ، طيب الرائحة واسمه اللاتيني **Myrtus** .

يُغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين (أي يتركّز) ثم يُصَفّى من مئزرٍ (و) ، ويترك ثلاثة أيام . ثم يُصفى ثانياً ، ثم يضاف الى كل رطلٍ من هذا الماء أوقيّة (ز) من الصَّمْغ العربيّ ، ومن الزاج القبرسيّ كذلك ، ثم يضاف اليه من الدخان (أي السخام) ما يكفيه من الحلاكة (ليسوّد لونه) . ولا بُدَّ له مع ذلك من الصَّبر (معروف) ليمتنع بالصَّبر من وقوع الذباب عليه (لأنّ الصَّبر مُرُّ الطّعم) ، ويحفظ بالعسل على طول الزمن (لكي لا يجفّ) . وهذا النوع من الحبر يناسب الكتابة به على الورق أي الكاغد . ويُسمّى « حبر الدُّخان»

٣- الحبر الذي يناسب الكتابة به علـى الرَّق . ويُسمّى الحبر الرأس ، ولا دُخان فيه ، ولا يصلح للكاغد ، ويُحَضَّر بالطريقة الآتية :

يؤخذ من العفص الشامي رِطْل واحد ، فيُجَرْش ، ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أرطال (الماء المقطّر) ، ويجعل في طنجير ، ويوضع على النار ، وتوقد تحته نارٌ ليّنة حتى يَنْضَج ، وعلامة نُضْجِهِ أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بصّاصة . ثم يلقى عليه من الصَّمغ العربيّ ثلاث أواقٍ ، ومن الزاج $FeSO_4$ أوقيّة ، ثم يُصفّى ويودع في إناء جيّد (لحفظه) ليستعمل عند الحاجة اليه .

وهناك أحبار كان أغلبها نباتياً ، عُرِفت في أوربة منذ زمن بعيد . ومن خصائص هذه الأحبار أنّها غير مرئيّة إذا كتب فيها على الورق ، وتظهر الكتابة بعد معاملتها بموادّ اخرى ، أو تعرّ ضها لحرارة بسيطة ، ومثل هذا الحبر «مـــاء البصل » . فاذا كتب فيه لا تظهر الكتابة ، وعند تعرّض الورقة لنارٍ طفيفة تَسْوَدّ الكتابة وتظهر بوضوح تام . وقد استعملت هذه الأحبار في المكاتبات السريّة . ولست أدري : هل عرفت مثل هذه الأحبار عند العرب ، أم لا (*) .

(و) يقوم مقام ورقة الترشيح . (ز) أوقية تساوي ٣٠ غرام تقريباً .

(*) حدثنا ، مشكوراً ، العلامة الجليل محمد بهجة الأثري فقال (لقد عرف العرب ذلك ، قبل الأوربيين بزمن مديد ، ومنهم تعلم الأوربيون ولا ريب) .

كيمياء الحبر :

يُحضّر الحبر بطرق كثيرة ، وأقدم طريقة هي مزج محلول كبريتات الحديدوز Fe So4 (الزاج الأخضر) مع محلول الدباغة (التانين)، ثم يضاف الى المزيج مادة غرويّة أو صمغيّة ، لتعطي السائل لزوجة وكثافة مناسبتين . وقد يُضاف اليه بعض الأصباغ الزُرق ، مثل « زرقة برلين Berliner Blau » مذابة في حامض الأكساليك « Oxalic Aciq Hooc.cooH » .

تتفاعل كبريتات الحديد (كبريتات الحديدوز) مع حامض التانيك في مادة الدباغة ، مكوّنةً معه مادة تعرف باسم «تانات الحديدوز » فاذا لامسّ الحبر الهواء، أي عند الكتابة به ، تتأكسد هذه المادة الأخيرة بسرعة فائقة ، فتكوّن مادة معقّدة Complex تعرف باسم « تانات الحديد الثنائي التكافؤ والحديد الثلاثي التكافؤ Ferri - Ferro - Tannate » .

وهذه المادة المعقدة تترسب على الورق بشكل حُبيبات غرويّة ناعمة جداً سوداء اللّون .

أمّا الأحبار الملوّنة فتحضّر من أصباغ كيمياويّة مذابة في مادة الأنيلين C6 H5 - NH2 ، أو في الفينول C6 H5 - OH ، أو في غيرهما من المواد الكيمياويّة . أمّا الأحبار الملوّنة التي استعملت في زخرفة الكتب ، إبّان عصر النهضة العربيّة ، حتى في الكتابة نفسها ، فكانت تُحضَّرُ من مواد معدنيّة ، أو أصباغ نباتيّة ، وسنتحدّث عنها في فصل زخرفة المخطوط وتزويقه .

التجليد :

بعد أن تتم كتابة المخطوط ، تجمع أوراقه الواحدة تِلْوَ الأخرى ، ويربط بعضها ببعض ، ثم توضع فوق أول ورقة منه وعلى آخر ورقة قطع سميكة من أيّ شيْ كان، وتثبّت مع أوراقه الأخرى بحيث يكون الكتاب الذي نراه، وهذه هي عمليّة التجليد .

حدثنا الأستاذ طه باقر ، ومما قاله : إنه عثر مؤخراً في أطلال « نمرود » على ألواح مكتوبة رقيقة جداً ، تشبه ورق الكتاب ، وهي مثقبة من أسفلها ، ومربوطة بعضها ببعض بخيوط رفيعة حديدية ، وهذا يدلنا على احتمال صنع الكتاب الذي يُصَفّح منذ عهود موغلة في القدم . ولا نعرف بالضبط متى برزت للعيان « عملية » تجليد المخطوط العربيّ ، ووضعه في الشكل الذي هو بين أيدينا الآن .

يظهر أن العرب لم يستعملوا الورق الثخين « أعني المُقَوَّى » لتجليد الكتاب ، إذ لم يرد له أي نصّ كان في كتب التراث ، وربما لم يعرفوه أيضاً . اننا نستغرب من ذلك ، لأنهم عرفوا صناعة الورق جيداً ، وان « المُقَوّى » نوع من ورق رديء ، وصناعته سهلة للغاية وتشبه صناعة الورق نفسه .

كان المجلدون يجلدون الكتاب بغلاف من الخشب ، أو من أوراق يوضع بعضها فوق بعض ، وتلصق بالصَّمْغ ، فتصبح لوحاً ثخيناً يَكُونُ منه الغلاف ، وهذه الأغلفة تستعمل عادة في تجليد الكتب الرخيصة . أما التجليد الجيّد ، فقد استعملوا له الجلود .

الجِلْدُ : (من جَلَدَ) وهو المَسْكُ من كلّ حيوان ، الجمع جُلُودٌ وأجلادٌ . ويقال جَلّدَ الجزور ، نزع عنها جلدها ، كما تُسْلَخُ الشاة ، وخَصّ بعضهم البعير . ويقال جَلّدَ الكتابَ وغيره ، وضع عليه الجلد وشَدّه .

ويذكر آدم متز [٤٠] في كتابه : (وكان الزنوج بالجملة هم الذين يمدون غرب آسيا كله بالجلود ، ويظهر أن أهل مصر واليمن تعلموا من الزنوج ما نبغوا فيه من حسن صناعة الأديم (الجلد المدبوغ) . وقد كان المقدسي باليمن ، وكان قد تعلم تجليد الكتب على طريقة أهل الشام ، وكان أهل اليمن يعجبهم التجليد الحسن ، ويبذلون فيه الأجرة الوافرة ، فكانوا يعطون الكتبَ للمقدسي ليجلدها ، وهو يفتخر بأنه ربما كان يُعطى على تجليد المصحف دينارين) .

(٤٠) آدم متز ؛ الحضارة الإسلامية ، ٢/٣٣٣ – بيروت ١٩٦٧ .

وقال أيضاً : ذكر الجاحظ في رسالة فخر السودان على البيضان قولهم : (وثلاثة أشياء جاءتكم من قبلنا ، منها الغالية،وهي أطيب الطيب وأفخره وأكرمه ، ومنها النعش (أي السرير) وهو أستر للنساء، وأصْوَن للحرم . ومنها المُصْحَف، وهو أوقى لما فيه ، وأحصن له وأبهى) .

وذكر ابن النديم في الفهرست أسماء كثيرة للمجلدين ، منهم : ابن أبي الحريش ، وكان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون . وشفة المقراض العجيفي ، وأبو عيسى بن شيران ، ودميانة الأعسر ، وغيرهم (٤١) .

تُسمى « عمليّة » صناعة الجلد « الدباغة » وهي معروفة منذ أقدم العصور التاريخيّة ، لأن الأقوام في تلك العهود كانت تتّخذ أكسيتها من جلود الحيوانات وفرائها . والدباغة « عملية » كيمياويّة ، بيولوجيّة ، تتم بمعاملة جلد الحيوان بمواد كيمياويّة معيّنة . وهذه المواد تكسب الجلد خاصيّة معيّنة ، يصبح بها صالحاً للاستعمال . وتتلخّص في :

أ– إزالة الشعر من الجلد بالسكين ، وتنظيفه من اللحم الزائد ، أو بمعاملة الجلد بموادٍ قاعديّة ، مثل النورة CaO الجير الحي ، ومحلوله في الماء $Ca(OH)_2$ الجير المطفىْ .

ب – ثم يعامل الجلد بمواد نباتيّة دابغة ، وهذه المواد كثيرة جداً ، منها : العفص، والبلوط ، وقشور الرمان ، والسمّاق . . . وغيرها . وقد ذكرنا هذه المواد عند دراسة الأحبار وصناعتها .

ج– صقل الجلد المدبوغ ، وصبغه ، وتجفيفه .

لا يسعنا الخوض في الناحية الكيمياويّة لهذه الصناعة ، ونكتفي بالإشارة الى أن الدباغة تختلف بأختلاف الجلد ، فلكل نوع طريقة خاصة في دباغته ، ولا سيما المواد الدابغة التي تستعمل في إعداده ، فالجلد الثخين مثلاً يدبغ بمواد غير التي تستعمل في دباغة الجلد الرقيق .

(٤١) الفهرست ، ص ١٢ .

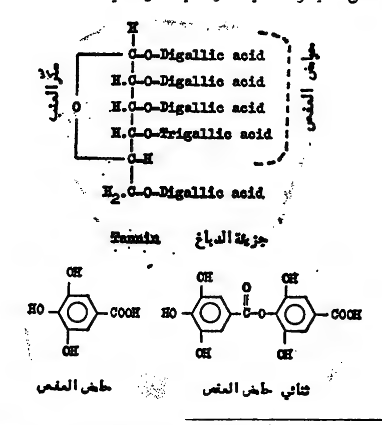
وتهمّنا في حديثنا هذا كيفيّة إعداد الجلود الصالحة لتجليد الكتاب ، وإذا أريد غلاف جيّد ، فالجلد الجيّد يجب أن يكون رقيقاً ناعم الملمس لماعاً . وأفضل مادة دابغة لهذه الجلود تتّخذ من ثمار شجرة السُمّاق (وهو السماق الذي يستعمل مطيباً في بعض الأطعمة الشعبيّة كالكباب، أو السمك المقلي) [٤٢].

وتكمن المواد الدابغة في أجزاء بعض النباتات ، ولكل مادة منها تركيب معيّن، إلا أن الأساس فيها واحد . والصيغة التركيبيّة للدباغ (Tannin)هي : [٤٣]

أ ــ جزء واحد من سكر العنب Glucose

ب ــ وترتبط به خمسة أجزاء من حامض العفص (Gallic Acid)

وهذا الحامض قد يكون أحادياً ، أو ثنائياً ، أو ثلاثياً .



(٤٢) كاتب البحث ، مجلة الكيمياوي ، ج٢/٨٩ ، بغداد ١٩٧٧ م .

(٤٣) B. Neumann : Lehrbuch der Chemisch. Technologie, S. 980. Berlin 1939.

إن الدباغ Tannin الذي في السمّاق يدبــغ الجلود الرقيقة كجلــود الغزلان والحيوانات الصغيرة، ويكسبها رونقاً جميلاً براقاً ، ونعومة ممتازة . ومثل هذه الجلود تستعمل الآن في صناعة المحافظ الجيّدة.وحقائب النساء والقفّازات (الكفوف) الجميلة .

كانت صناعة الجلود ودباغتها من الصناعات المشهورة في عهد النهضة العربيّة الاسلاميّة ، ولا تزال بعض المدن العربيّة في شمال افريقيّة مشهورة بصناعاتها الجلديّة الرائعة . وخلاصة القول إن العرب صنعوا الجلود الممتازة واستعملوها في أغراض شتّى . ومنها الأغلفة النفيسة لتجليد المخطوطات .

الصمغ والخيط والابرة :

ولأجل إكمال المخطوط ، لا بد للمجلد من استعمال هذه الأشياء :

الصمْغ : والصّمْغُ شيءٌ يَنْضَحَهُ الشجر ويسيل منه ، (ج صُمُوغ) . والصمــوغ من الناحيــة الكيمياويّة عبــارة عن كَبْثَرات (Polymers) لمواد كيمياويّة مُعيّنة . وقد درس الكثير منها دراسة مستفيضة ، وعرفت تراكيبها الكيمياويّة ، كما أمكن تحضير بعضها في المختبرات، ثم في الصناعة ، ومثال ذلك « المطاط » فهو كَبْثَرٌ يتكون داخل أجزاء شجرة المطاط ، وينتج من المادة المعروفة باسم « ايزوبرين Tsoprenc ،

$$CH_2 = \underset{\underset{CH_3}{|}}{C} - CH = CH_2$$

ومن الكيثرات المعروفة « الصمغ العربي Arabic Gum و « المَصْطكيّ Mastic » ، والراتينجات Resins واللّدان ، واللّك . . . الخ

أما الصموغ الصناعيّة ، فلا أعتقد أن العرب صنعوها صنعاً ، ولكنهم كانوا على علم تام بالنباتات والحشائش التي تفرز الصموغ ، .فصنعوا منها المواد اللاّصقة التي استعملوها في تجليد المخطوطات ، أو في أغراض أخرى .

الخيط : ولأجل خياطة الأوراق بعضها ببعض ، استعملوا خيوطاً قطنيّة رفيعة ، مفتولة جيداً ، وكذلك خيوطــاً حريريّة . وكانت هذه الخيوط تشمّع بشمع

خاص ، وأجوده شمع العسل . والشمع يكسب الخيط متانة وقوّة إضافة الى تسهيل انسيابه في الخياطة . وقد استعملت الخيوط المصبوغة للخياطة أو لربط لحافات الكتاب وأوراقه ، وزخرفتها زخرفة بديعة جذابة .

الأبرة : معروفة وهي مِسَلّة الحديد ، أو غيره ، أداة محددة الرأس ، مثقوبة الذنب ، يخاط بها ، وصانعها أبّار ، والجمع إبَرٌ وإبارٌ . قال الشاعر (القُطاميّ) :

وقولُ المرء يَنْفُذُ بعد حينٍ
أماكِنَ لا تُجاوِزُها الإِبــار

كان المجلد يستعمل إبراً مختلفة الحجوم، تبعاً لنوع الورق، وحجم المخطوط. وقد استعمل الابر الصغيرة والخيط الرفيع لخياطة حافات الكتاب وأوراقه وأطرافه .

زخرفة المخطوط :

كان أغلب الناس في عصر النهضة العربيّة يهوون القراءة ، وراحوا يجمعون المخطوطات ، فكثر من جراء ذلك عدد المكتبات الخاصة ، إضافة الى العامة منها . وكانوا يتبارون بمكتباتهم ، وما تحويه من كتب نفيسة في مادتها العلميّة أو الأدبية ، إضافة الى صناعتها الفنيّة وزخرفتها بأنواع الزخارف الجميلة من حيث الألوان والصور . وأخذ الموسرون من الناس يزخرفون مخطوطاتهم بأنفس المعادن كالذهب والفضّة ، أو يرصّعونها بالجواهر أيضاً . ويذكر أن من أنفس المصاحف المزخرفة كانت عند سلاطين المماليك في القاهرة (٤٤) .

وفي كثير من المخطوطات العربيّة صور ، ولا سيما المخطوطات الخاصة بالنبات والحيوان . وتُحرز المتاحف العالميّة نسخاً قديمة من مقامات الحريري، زيّنها العرب بالصور الجميلة. ويذكر أن إحدى المخطوطات في مكتبة الإسكوريال تشتمل على أربعين صورة لملوك العرب والفرس والملكات والقادة وأعاظم الرجال . . . وهذه المخطوطة ترجع الى المئة الثانية عشرة الميلاديّة (٤٥) .

(٤٤) فيليب حتي / تاريخ العرب (المطول) ج ٨١٧/٢ ، بيروت ١٩٦٥ .
(٤٥) حضارة العرب ، ص ٥٠٨ .
حدثنا ، مشكوراً ، العلامة محمد بهجة الأثري ، فقال (من هذه المصاحف المرصعة بالجواهر رأيت في خزانة كتب السلطان عبدالحميد الثاني العثماني في إستانبول ، ما يثير الدهشة حقاً) .

إستعمل المجلدون أنواعاً كثيرة من الأصباغ ، النباتيّة أو المعدنيّة . ويذكر أن جابر بن حيّان ، كيمياوي العرب (المولود سنة ١٠٠ هـ — ٧٢٠ م) حضّر حبراً مضيئاً من المرقشيثا الذهبيّة (كبريتيد النحاس وغيره من المعادن MeS) .

واستعمله المجلدون والخطاطون والفنانون ، بدلاً من الذهب الغالي الثمن ، في كتابة المخطوطات الثمينة وزخرفتها [٤٦] .

وذكر ابن النديم في الفهرست أسماء بعض المذهّبين للمصاحف الشريفة ، والمخطوطات النفيسة ، نذكر منهم : ابراهيم الصغير ، وأبا موسى بن عمار ، واليقطيني [٤٧] .

* * *

(٤٦) كاتب البحث : الكيمياء عند العرب / دار الحرية للطباعة / بغداد ١٩٧٩ .

(٤٧) الفهرست ، ص ١٢ .

النّبات في المعجمات العربيّة

الشيخ محمد حسن آل ياسين

(عضو المجمع)

(القسم الثالث)

(حرف الراء)

النّبات :		
الإبْرَةُ	:	شجرٌ كالتّين .
أسارُونُ	:	من العقاقير ، وهو حشيشة ذات بزُور ، كثيرة عُقَد الأُصول ، معوجّة ، تشبه النّيلَ ، طيبة الرائحة لذّاعة اللسان ، لها زهر بين الورق عند أصولها ، وأجودُها الذّكيُّ الرائحة الرّقيق العُود . ويقال انها نافعة من عِرْق النّسا ووَجَع الوَرِكَيْن ومن سدد الكبِد .
التّأمُورُ	:	من اسماء الزّعفران ، وورد في بعض المعجمات في تركيب ت م ر .
الباحِرَةُ	:	شجرة شاكَةٌ ، من اشجار الجبال .
بَخُورُ مَرْيَمَ	:	نباتٌ ، يقال هوجَلّاءٌ مُفَتِّحٌ مُدِرٌّ مُحَلِّل.
البَخْرَاءُ	:	نبات مثل الكُشْنى ، وحَبُّه كَحَبّة سَواء (سوداء) ، سُمِّي البَخْراء لأنه اذا أُكِلَ أبْخَرَ الفَمَ ، وهو مرعىً ، وتُعْلَفه المَواشي فيسمِّنها ، ومنابته القِيعانُ .
البُرُّ	:	الحِنْطة ، أو الحَبُّ من الحنطة ، وهو الفُومُ ، واجناسُه كثيرة .

مِسْكُ البَرِّ : ريحانة لباتها نبات القَفْعاء ، ولها زهرة مثل زهرة المَرْو .
وقيل : هو نبات مثل العُسْلُج سواء ، وهو طيب الريح.

البُوْصِيْرُ : نبتٌ يُتَداوى به ، أجْوَدُه الذَّهبيُّ الزَّهرِ .

عُيُوْنُ البَقَرِ : ضَرْبٌ من العِنَب ، أسودُ ليس بالحالك ، كبير مُدَحرج ، غير صادق الحلاوة ، يزبّب .

البَيْقَرَانُ : قيل هو نبتٌ .

البَهَارُ : نبتٌ طيب الريح ، وقيل : هو العَرَارُ الذي يقال له عَيْنُ البَقَر ، وهو بَهَارُ البَرِّ ، وهو نبتٌ جَعْد له فُقّاحة صفراء ، ينبت ايام الربيع ، ويقال لفُقّاحته : العَرارَة .

التَّفِرَةُ : نبتٌ ، وقيل : هي من القَرْنُوَة والمَكْر .

التُّمارِيُّ : شجرةٌ لها مُصَع كمُصَع العَوْسَج الا أنها أطْيَبُ منها ، وهي تُشْبِه النَّبْعَ .

الإثْرَارُ : حَبٌّ حامض يُسَمّى بالرُّوميّة : الأنْبَرْبارِيْسَ والبرباريْسَ ، وبالفارسية : الزَّرِشْكَ .

الثُّعْرُوْرُ : نباتٌ سُهْليٌّ كالطِلْيَوْن يخرجُ أبيضَ .

الثَّغْرَةُ : من خِيار العُشْب وذُكور النبت ، وهي خَضْراء — وقيل : غَبْراء — ، تضْخُم حتّى تصير كأنّها زِنْبيلٌ مُكْفأٌ ممّا يَرْكبها من الورق والغِصَنة ، وورقها على طُول الأظافير وعَرْضها ، وفيها مُلْحَة قليلة مع خُضرتها ، وزهرتها بيضاء ، وتنبت غِصَنَتُها في اصلٍ واحد ، وتكون في جَلَد الأرض ولا تنبت في الرمل ، ولها زغب

خشِن أو شوك ليس بالقويّ ، والابل تأكلها أكْلاً شديداً .

الثّامِرُ : قيل : هو اللُّوْبِياءُ .

الثّمْرَاءُ : شجرةٌ بعينها .

الانْجِبَارُ : نباتٌ نفّاع يُتّخَذ منه شَرابٌ يُتَداوى به .

الجِدْرُ : نبــتٌ .

الجَدْرُ : نبتٌ رمليٌّ غير السابق ، وهو كالحَلَمَة غير أنه صغير ، يتَرَبّل ، ينبت مع المَكْر .

المُجَدَّرُ : ضَرْبٌ من التمْر ، من رُطَب البصرة :

الجِرْجِرُ : نبتٌ منــه بُسْتانيٌّ وبــرّيٌّ ويُسَمّى بريّه الأيهقان ، والبُستاني هو الأجود . ويقال لــه الجِرْجِيْر ايضاً والكَشْأة . وقيل في منافعه إنه يدِر اللّبَن ويهضِم الغِذاء ، وماؤه يزيل آثار القُروح .

الجَرْجَرُ : هو الفُوْل في كلام اهل العراق ، ويقال له الجِرْجِر ايضاً .

الجَرْجارُ : نبت أو عُشبة ، طيبة الريح ، لها زهرة صفراء حسناء ، وهو من احرار النبت .

الجَزَرُ : أرومَةٌ تُؤْكَل، يُقال للبرّيِّ منه : الجِنْزَابُ ، وأجْوَدُه الأحْمَر الحُلو الشّتْويُّ ، ويُقال فيه الجِزَرُ ايضاً . وقيل : انّه مُدِرٌّ للبَوْل ، ويُسَهّل ويلطّف ، لكنّه عَسِر الهَضْم ، ووَضْعُ وَرَقِه مدقوقاً على القُروح المُتأكِّلَة نافعٌ.

الجُعْرُورُ : تَمْرٌ رَدِيءٌ ، وهو ضَرْبٌ من الدَّقَلِ يحمل رُطَباً صغاراً لا خَيْرَ فيه .

الجُعْرَةُ : شَعيرٌ غليظ القَصَب عَرِيض ، وحَبُّه طويل عظيم أبيض ، ضخم السَّنابل ، كأنَّ سَنابلَه جِراءُ الخَشْخاش ، ولسُنْبله حُروفٌ عِدَّة ، وهو رَقيق خفيف المَؤونة في الدِّياس ، والآفَة اليه سَريعة ، يُهْلِكه أدنى شؤبوب من مطر ، وهو كثير الرَّيْع طيِّب الخُبز .

حَبَا جُعَيْران : شجرة قَصيرة ، مِثْل الانسان القائم ، تشْبِه السَّرْحَ من بعيدٍ ، وورقُها يشْبِه ورق السَّرْح وهو ورقٌ قصار .

الجُنَاسِرِيَّةُ : ضَرْبٌ من النَّخْل ، وهو أشَدُّ نخلةٍ بالبصرة تأخُّراً ، وقيل : هو بالشين المعجمة .

الجُهَنْدَرُ : ضَرْبٌ من التَّمر ، من رُطَب البصرة ، يقال له : بُسْرُ الجُهَنْدَرِ .

الحَثْرَةُ : ضَرْبٌ من الجِبَأة كأنَّه ترابٌ مجموع .

الحُرُّ : رُطَبُ الأزَاذ .

الحُرُّ : نباتٌ من نَجيل السِّبَاخ .

الحُرَّةُ : البابُونَجُ .

الحَزْرَةُ : شجرة حامِضَة .

الحَسَارُ : عُشْبَةٌ خضراء من احرار النَّبت ، تُشْبِه الجَزَرَ ، وقيل : هي شَبيهة بالحُرْف في نباته وطعمه ، منابتها القِيعان والجَلَدُ والرِّياض ،

وتنبت حِبالاً على الأرض كما يُحبَل القتّ، وتَسَطّح على الأرض أو تستقل عنها شيئاً قليلاً ، ولها سُنبل وهو من دِق المُرَيْق ، وَقَفُتُه خيرٌ من رَطْبه ، وتأكلها الماشيةُ أكْلاً شديداً .

الحِفْرى : نبتٌ أو شجرٌ ، لا يزال أخضر ، ذو ورق وشوك صغار ، يكون في الأرض الغليظة ، وقد ينبت في الرَّمْل ، وله زهرة بيضاء تكون مثلَ جُثّة الحَمامَة ، وهو من نبات الرَّبيع .

الحُمْرَةُ : نبتٌ ، وقيل : شجرٌ ، تحبُّه الحُمُرُ .

الأحْمَرُ : ضَرْبٌ من الشّعير ، وسُنبله حَرْفان ، وخبُزه طيِّب .

الأحْمَرُ : ضَرْبٌ من التّمر ، سُمِّيَ بذلك للَوْنه .

الحُمَرُ : التّمْر الهندي ، وهو بالسّرَاة كثير ، وكذلك ببلاد عُمَان ، شجرُه عظام مثل شجر الجَوْز ، وورقُه مثل ورق الخلافِ الذي يُقال له البَلْخِي ، وثَمَرُه قُرون مثل ثَمَر القَرَظ ، ويطبخ به الناسُ . ويقال له الحَوْمَرُ ايضاً .

أذُنُ الحِمَارِ : نبتٌ عريض الورق ، عرض ورقته مثل الشِّبْر ، وله أصْلٌ يُؤْكَل أعظمُ من الجَزَرَة مثلُ السّاعد وفيه حلاوة ، وهو على نبتة الجِنزاب الاّ أن أصْلَها أعظمُ منها ، كأنّه شُبِّه بأُذُن الحِمار .

الحَوَرُ : نبتٌ .

الخابورُ : نبتٌ أو شَجَرٌ ، له زهرٌ زاهي المنظر أصفر جيِّد الرائحة تُزَيِّنُ به الحَدائقُ .

الخُرُّ : حبّةٌ مدوَّرة صُفَيْراء فيها عُلَيْقَمةٌ يسيرة .

الخَيْزُرَانُ : نباتٌ ليِّن القُضْبان أملس العيدان ، ليس من نبات ارض العرب ، انما ينبت ببلاد الرُّوم . وقيل : هو شجر .

الخُضْرِيّة : نخلة طيبة التَّمْر تحمل ضَرْباً من التمر أخضر كأنه زُجاجة ، يُسْتَطْرَف للَوْنه .

البَقْلَةُ الخَضْراءُ : ضَرْبٌ من الجَنْبَة ، وهي بقلة خضراء خشناء، وَرَقُها مثل ورق الدُّخْنِ ، وكذلك ثمرتُها، ترتفع ذراعاً ، وتُجمَع وتُجْعَلُ حبالاً كحبال القتّ ، وهي تَملأُ فَم البعير ، وتُسَمّى الخضِرَةَ ايضاً .

الخُضَارى : نَبْتٌ .

الخِطْرُ : نباتٌ يُجْعَل وَرَقُه في الخِضاب الأسْوَد يختضَبُ به ، وهو شَبِيه بالكَتَم ، وكثيراً ما ينبت معه . وقيل : انَّ الخِطْرَ هو نباتُ الحَبَق .

الخِطْرَةُ : عُشْبَة لها قَضْبة يَجْهَدها المالُ ويَغْزُرُ عليها ، وليست بأكثر مما يَنْتَهِس الدّابّةُ بفَمه ، تنبت في السَّهْل والرَّمل ، تشبه المَكْرَ، وتنبت مع طُلوع سُهَيْل ، وهي غَبْراءُ حُلوة طيبة ، يَراها مَنْ لا يعرفها فيظن انها بقلة ،

وانما تنبت في أصلٍ قد كان لها قبل ذلك ، وليس لها ورق ، وانما هي قُضْبان دقاق خُضْر ، وقد تُحْتَبَل بها الظِّباء .

الخِطْرَةُ : هي الرُّخامي ، وهي من الجَنْبَة ، وتَبقى . ولعلّها السّالفة الذكر .

الخافُورُ : نباتٌ له حَبٌّ كالزُّؤان في الصُّورة تجمَعُه النّمْلُ في بيوتها .
وقيل : هو المَرْوُ العَريض الوَرَقِ ، وهو من رياحين البَرِّ .

الخُلَّرُ : نباتٌ أعجمي قيل : هو الماشُ ، وقيل : هو الفُوْل ، وقيل : هو الجُلْبان .

الخَمْرُ : العِنَب .

الخِيارُ : قيل: هو القِثّاءُ أونوعٌ منه ،وقيل : هو شبهُ القثّاء.

خِيارُ شَنْبَرَ : شجرٌ معروف ، وهو ضَرْبٌ من الخَرُّوْب ، شجرُه مثل كبار شجرالخَوْخ ، وله زهرعجيب.

الخِيْرِيُّ : نبت طيب الريح يُرَبَّبُ به الدهْن ، وهو ضَرْبانِ أصفر وأحمر ، والأصفر أطيبها ريحاً، ويقال : ان خِيريَّ البَرِّ هو الخزامى .

خَيْرَ بَوّا : حبٌّ صغار كالقاقُلّة ، طيب الريح .

الدَّجْرُ : اللوْبِيَاءُ ، وهو ضَرْبانِ أبيض وأحمر .

الدَّرْدارُ : ضربٌ من الشجر معروف ، يؤْكَلُ وَرَقُه غَضّاً كالبُقول ، وتخرج منه أقْماع مختلفة كالرُّمّانات فيها رُطوبة .

الدَّوْسَرُ : نبت ينبت في اضعاف الزرع وهو في خِلقته ، غير أنه يُجاوِز الزرعَ في الطُّول ، وله سنبلٌ ، وحَبّ دقيق أسمر يُسمّى الزِّنَّ يختلط بالبُرِّ ، وهو من سَقَط الطّعام .

الدَّوْصَرُ : هو الدَّوْسَرُ السالف الذكر .

الإذْخِرُ : من ذُكور البَقْل ، وهو حَشيشٌ طيِّب الرِّيح ، له حَراوةٌ ، يُسْقَف به البُيوتُ فوق الخَشَب ، وله أصْلٌ مُنْدَفِن وقُضبان دقاق ، وهو مثل أسَل الكُولان الاّ أنّه أعرض وأصغر كُعوباً ، وله ثمرة كأنها مَكاسِحُ القَصَب الاّ أنها أرَقُّ وأصْغر ، ويُشْبِه في نباته الغَرَزَ الاّ أنَّ الإذْخِرَ أدَقُّ منه ولـه كُعوب كثيرة . ويُطْحَن الإذخِر فيدخل في الطِّيب ، ومنبته الحُزون والسُّهول ، وقَلَّ ما تنبُت الإذخِرةُ منفردة ، متى ما رأيتَ واحدةً ثم نظرتَ وجدتَ غيرَها ، وربّما استحلستْ منه الأرضُ . واذا خرَج عِذْقُه قيل: أعْذَقَ الإذخِر ، واذا نبت في نواحيه قيل : أحْجَنَ ، واذا جَفَّ ابيَضَّ .

ذَخِيرَةٌ : نوعٌ من التَمْر معروف ، أو : موضع يُنْسَب اليه التَمْرُ الجَيِّد .

الذَّفِرَةُ : نباتٌ من ذُكور البَقْل ، ينبت وسط العُشب، وهو قليل ليس بَشْيء ، ينبت في الجَلَد على

عِرْقٍ واحِدٍ ، وله ثَمَرَة صفراء تشاكِل الجَعْدَةَ في ريحها .

الذَّفْرَاءُ : عُشبة رِبْعيّة دَشتيّةٌ ، تبقى خَضْراءَ حتى يُصيبها البَرْدُ ، تَرْتَفِع مقدار الشِّبْر ، ولها فروعٌ وورق صغار نحو ورق الشيح ، ذات اغصان ، ولا زهرة لها ، مُرَّةٌ ذَفِرة خبيثة الريح رِيْحُها ريح الفُسَاء ، تُتبخَّرُ الابلَ وهي عليها حِراص ، ولا تَتَبَيّن تلك الذَّفرةُ في اللبن ، ومنابتُها الغَلْظ والسُّهول ، ويُتَداوى بورَقها ، يُدَقُّ ويُشْرَبُ لوَجَع الجَوْف وحُمّى الرِّبْع والكبد فيُقيء وينفع .

الزَّبْعَرُ : شجرٌ حِجازيٌّ طيِّب الريح ، وهو ضَرْبٌ من المَرْو ، وليس بعَرِيض الورق ، وما عَرُضَ وَرَقُه منه فهو ماحُوزٌ . ويُسَمّى الزَّبْعَرِيَّ ايضاً .

الزَّبْغَرُ : المَرْوُ الدقاق الورق ، وقيل : هو الزَّبْعَرُ بالعين المهملة ، وقيل : هو الذي يقال له مَرْوُ ماحُوزٍ . ويقال له الزِّبْغَر والزَّغْبَر ايضاً .

الزَّرِيرُ : نباتٌ له نَوْرٌ أصفر يُصْبَغ به .

الزَّعْرَاءُ : ضَرْبٌ من الخَوْخ ، وهو المَلِيْسِيُّ .

الزُّعْرُوْرُ : ثَمَرُ شجر معروف ، وهو ضَرْبانِ أحمر وأصفر ، والأصفر أعْظَمُ ، له نَوىً صُلْبٌ مُسْتَدير ، وهو من شجر الجِبال .

الزَّعْفَرانُ : ممّا يُصْبَغ به ، وهو من الطِّيب ، ولا ينبُت بأرض العرب ، وله أسماء كثيرةٌ منها : الزَّرْنَب ، والمَلابُ والقُمّحان ، والجادِيُّ ، والجَسَدُ والجِسّادُ ، والفَيْدُ ، والنّاجُوْدُ ، والتّامُور ، والمَرْدَقُوْش ، والرَّدْعُ ، والأَيْدَعُ ، والخَلُوق ، والرَّيْهُقَان ، والسَّجَنْجَل ، والكُرْكُم ، والرَّدْن ، والرّادِن ، والرِّقَان ، والرَّقُون ، والإرْقان ، والجَيْهان .

الزَّغْبَرُ : المَرْو الدقاق الورق (يراجَع تركيب زبغر)

الزُّنْبُوْرُ : شجرةٌ عظيمة في طُول الدُّلْبَة ؛ ولا عَرْضَ لها ، ورقُها مثلُ ورق الجَوْز في منظره وريحه ، ولها نَوْرٌ مثل نَوْر العُشَر ابيضُ مُشْرَب ، ولها حَمْل مثل الزَّيتون سَواء ، فاذا نَضِجَ اشتدَّ سَوادُه وحَلا جدّاً فيأكله الناس كالرُّطب ، ولها عَجَمَةٌ كعَجَمَة الغُبَيْراء وهي تصبُغ الفَمَ كما يصبُغُه الفِرْصادُ ، تُغْرَس غَرْساً .

وقيل : الزُّنْبُوْرُ ضَرْبٌ من التِّيْن يسمّيه أهْل الحَضَر : الحُلْوانيَّ .

السّابِرِيُّ : تَمْرٌ جيِّد طيِّب ، من أجْوَد تَمْر الكُوفة .

السَّوْجَرُ : ضَرْبٌ من الشجر قيل هو الصَّفْصاف ، وقيل : هو الخِلاف ، يمانيَةٌ . وقيل هو بالحاء المهملة.

السَّوْحَرُ : هو السَّوْجَرُ السالف الذكر .

الإسْحَارُ : بَقْلٌ من أحرار النّبت ، يَسْمَن عليه المالُ ، وهو نباتٌ يُشبِه الفُجْلَ غير أنّه لا فُجْلة له ، خَشِنٌ له ورق صغار ، ترتفع في وسطه قَصبَة في رأسِها كُعْبُرَةٌ ككُعْبرة الفُجْلة ، فيها حَبٌّ أسود له دهن ، يؤكل ويُتَداوى به ، وفي ورقه حُروفة لا يأكُلُه الناس ، ولكنّه ناجِع في الابل ، تُعْلَفُه الرَّبائطُ من النّجائب .

السُّخَّرُ : السَّيْكَرانُ .

السَّخْبَرُ : شجرٌ اذا طال تدلّتْ رؤوسُه وانحنَتْ ، وهو طيِّب الريح ، له ذفرة وحَراوة ، يشبه الإذخِر أو الثُّمام ، وله جُرثومة ، وعِيدانُه كالكُرّاث في الكثرة ، كأنّ ثمرَه مَكاسِح القَصَب أو أرق منها ، وقيل : هو شجرٌ تأْلَفُه الحيّات فتسكن في اصوله .

السِّدْرُ : شجر النَّبِقِ ، وهو من العِضَاه ، وهو ضَرْبان: عُبْرِي وضالٌ . فأمّا العُبْرِيُّ فما لا شَوْك فيه الاّ ما لا يَضير ، وينبت في الأنهار . وأمّا الضّالُ فهو بَرِّيٌّ ذو شوك ، ولا ينتَفَع بثمره ولا يصلح ورقُه للغَسُول ، وربما خَبَط ورقَه الراعيةُ ، وثمرُه عَفِصٌ لا يسُوغ في الحلق . وللعُبْرِيِّ منه ورقة عريضة مدوّرة ، وثمره طيب ، وورقه غَسول ، يُشبه شجر العُنّاب

وله سُلاَّءٌ كسُلاّئه ، وورقه كورقه . وأجْوَدُ نَبِقٍ يُعْلَمُ بأرض العرب نَبِقُ هَجَر ، وهو أشدُّ نبقٍ يُعْلَم حَلاوةً وأطيبه رائحةً ، يفوح فَمُ آكِله وثيابُ مُلابِسِه كما يفوح العِطْرُ .

اليَسْتَعُوْرُ : شجر يأتي ذكره في (يستعر) .

السَّعْتَرُ : ضَرْبٌ من النبات ، ويسمّى الصَّعْتَر والنَّدْغَ ايضاً .

السَّكْرُ : بقلةٌ ، من احرار النبت، وهي من أحسن البقول.

السُّكَّرُ : ضَرْبٌ من الرُّطَب طيِّب شديدُ الحلاوة ، وهو معروف عند اهل البحرَيْن وفي سِجِلْماسَةَ ودَرْعَةَ ، ويكثر بالمدينة المنوَّرة ، ولا يُتْمِر الا بالعِلاج .

السُّكَّرُ : ضَرْبٌ من العِنَب ابيض رطب صادق الحلاوة عَذْب ، من أحسَن العنب وأظرفه ، وعناقيده أوساط ، واذا أصابه المَرَقُ – وهو آفة تُصيب الزَّرْعَ – انتثر فلا يبقى في العُنقود الاّ أقلُّه ، ويزبّب .

السَّيْكَرانُ : نبتٌ دائم الخُضْرة القَيْظَ كلّه ، يؤْكَل رَطْباً ، وحبُّه أخضر مستدير ، ويسمّى السُّخَّرَ ايضاً .

السَّيْكُرانُ : هو الشَّيْكُرانُ .

السَّمُرُ : شجر معروف ، وهو من العِضَاه ، طِوالٌ عَثَيْنٌ ، صغار الورق ، قصار الشوك ، له

بَرَمَةٌ صفراء يأكلها الناس ؛ ثم تصير حبَلَةً متعكِّشة مجتمعة كأنها قُرون اللوبيا الا انها مُتَثَنِّيَة مجتمعة ، ولها زهرة تنبت في جوفه يقال لها العَنَمُ يُشَبَّه بها البَنَانُ ، وقيل ليست زهرةً ولكنها اغصان تنبت في اصله حُمْرٌ لا تُشْبِه سائر اغصانه .وليس في العضاه شيءٌ أجْوَدُ خَشَباً من السَمُر ، يُنْقَل الى القُرى فتُغَمَّى به البيوت . والسَمُرُ من خير الشجر لاتِّخاذ الحِبال . ويخرج من اجوافه الدُّودِمُ والحَذَالُ .

السَّمْرَاءُ : من اجناس البُرِّ ، وهي حنطة غَبْراء رقيقةٌ سريعة الانفراك دقيقة القَصَب سريعة الانداس، الى الرِّقّة ما هي ، وهي أوضَعُ الحنطة وأقلُّها رَيْعاً .

السَّنْدَرَةُ : شجرة يُعْمَل منها النَّبلُ والقِسِيُّ .

السَّيَرَاءُ : ضَرْب من النبات ؛ قيل : هو يشبه الخُلَّةَ .

السَّيْسَنْبَرُ : الرَّيحانة التي يقال لها النَّمّامُ . (وردت الكلمة في اللسان في تركيب س ي س ب ر ، وفي القاموس والتاج في تركيب س س ن ب ر) .

الشَّبْذَرُ : نبات شبيه بالرطبة إلاّ انه أجل واعظم ورقاً منها.

الشَّيْعُوْرُ : الشَّعِيرُ . ويقال : هو بالغين المعجمة .

الشَّحِيْرُ : قيل : هو ضربٌ من الشجر .

الأَشْخَرُ	:	ضرب من الشجر ، وهو شجر العُشَر بلُغَة اهل اليمن .
الشَّرِيْرُ	:	شجر ينبت في البحر .
الشَّرْشِرَةُ	:	عُشْبَة أصغر من العَرْفَج ، تنبت في السَّهْل وفي جِبال نجد ، ولها زهرة صفراء وقُضُب وورق ضخام غُبْر ، تنبت متفَسِّحَة كأنَّها الحِبَالُ طُولاً كقِيْس الانسان قائماً ، ولها حَبٌّ كحب الهَرَاس ، وليس لها شوك يؤْذي ، تسمن عليها الابلُ وتغزر .
الشَّعِيْرُ	:	جنس من الحبوب معروف .
الشَّعْرَاءُ	:	شجرة من الحَمْض ، ليس لها ورق ، ولها هَدَبٌ ، تخرُج عِيداناً شِداداً ، ولها خَشَب حَطَب ، تحرص عليها الابل حرصاً شديداً .
الشَّعْرَاءُ	:	فاكهةٌ قيل هي الخَوْخُ ؛ أو ضَرْبٌ منه .
الشُّعَيْرَاءُ	:	شجرٌ ؛ بلُغَة هُذَيْل .
الشَّعْرَانُ	:	ضَرْبٌ من الحَمْض أو الرِّمْثِ أخضر يَضْرِب الى الغُبْرَة ، ترعاه الأرانبُ وتجثم فيه ، وهو كالأُشْنَانة الضخمة ، وله عِيدانٌ دقاق ، تراه من بعيد أسْوَدَ .
الشُّعْصُوْرُ	:	الجَوْز الهِنديُّ ، وقيل : هو الجَوْز البَرِّيُّ .
الشُّغْرُوْرُ	:	نبتٌ .
الشَّقِرُ	:	شَقَائق النُّعمان . وقيل : هو نبت آخر غير

الشقائق الا أنه أحمر مثله . وقيل : هو الشُّقّارى الآتي .

الشُّقّارى : نبات رَمْليٌّ ، من ذكور النبت ، له زُهَيْرَة شُكَيْلاء حمراء ، وورقه لطيف أغبر ، تشبه نِبتَتُه نبتةَ القَضْب ، وهو يُحْمَد في المرعى ، وله ريح ذفرة وتوجَد في طعم اللبَن ، ولا ينبت الا في عامٍ خَصِيب ، وهومن جنس الشّقائق . ويقال له الشَّقِر والشُّقّار والشُّقَارى بالتخفيف .

الشَّقْرى : تَمْرٌ جيد ، ويسمّى المُشَقَّر في بعض نواحي اليمن .

الشَّقِرّانُ : نبتٌ ، أو موضعٌ .

الشَّيْكرَانُ : نباتٌ ساقُه كساق الرّازِيانَج ، وورقُه كورق القِثّاء أو كورق اليَبْرُوح وأصغر وأشدُّ صُفرةً ، وله زَهرٌ أبيض ، وأصله دقيق لا ثَمَر له ، وبزرُهُ مثل الأنِيسُون ، بغير طعم ولا رائحة ، وله لُعَابٌ . وروى بعضهم ان اسمه الشَّوْكرَانُ .

الشَّمَرُ : الرّازِيانَجُ في اللغة المصرية ، ويقال له الشَّمَارُ ايضاً .

خِيَارُ شَنْبَر : ضَرْبٌ من الخروب (يراجع تركيب خ ي ر) .

الشِّنْجَارُ : نباتٌ لاصِق بالأرض ، مشوك ، ورقه كورق الخسّ الدقيق ، كثير العدَد الى السَّوَاد ، له

أصْل في غِلظ إصبَع ، أحمر كالدَّم يصبُغ اليدَ اذا مُسّ ، منبته الأرض الطيبة التُّرْبَة ، وأقواه الأصْفَرُ، والأبيض ، ومنه مائيٌّ ضعيف ، وله فوائد طبية ، ويقال انه ينفع من الأورام الصُّلبة حيث كانت . ويسمى ايضاً : خَسّ الحِمار ؛ ورِجْلَ الحِمار ؛ وابا حَلْسا ؛ والكَحْلاء ؛ والحُمَيْراء .

الشَّنْذَرَةُ : شبيه بالرُّطبة الا أنّه أجَلُّ منها وأعظم ورقاً ، لغة في الشّبذر المتقدم الذكر .

الشَّوْرى : نبتٌ بحريٌّ ، وقيل : هو شجر من اشجار سَواحِل البحر .

الصَّبِرُ : نباتٌ ينبت كالسَّوْسَن الأخضر ، غير أن ورق الصَّبِر أكْثَرُ وأطول وأعرض وأثخن كثيراً، وهو كثير الماء جداً .

الصَّخِيرُ : نبتٌ.

الصَّعْبَرُ : شجر كالسِّدْر، ويقال له الصَّعَنْبَر والصَّنْعَبَر ايضاً .

الصَّعْتَرُ : هو السَّعْتَرُ ، ويقال له النَّدْغ .

الصَّفَارُ : نبت

الصَّفْرَاءُ : عشبٌ ، من ذكور النبت ، من نبات السهل والرمل وقد ينبت بالجلد ، وهي نبتة تَسَطّح على الأرض ، وورقها كالخَسّ ، وزهرتها صفراء، تأكلها الابل أكْلاً شَديداً .

الصُّفْرِيَّةُ : ضربٌ من التّمر ، يَمَاميٌّ أو يَمانيّ ، يُجَفّف بُسْراً وهي صفراء، فاذا جفَّ فَفُرِكَ انْفَرَكَ ، ويُحَلّى به السّوِيْقُ فيَقَع موقع السُّكّر فيه بل يفُوق .

الصَّوْمَرُ : شجر لا ينبت وحده ، ولكنّه يتلوّى على الغاف قُضْباناً ، له ورقٌ كورق الأراك ، وقُضبانه أدقُّ من الشوك ، وله ثمر يشبه البَلُّوطَ في الخِلْقة ، ولكنّه أغلظ أصلاً وأدقُّ طَرَفاً ، يُؤْكَل ، وهو لَيِّن حُلوٌ شديد الحلاوة . وأصل الصَّوْمَرَةِ أغْلَظُ من الساعد ، وهي تسمو مع الغافَة ما سَمَتْ .

الصَّوْمَرُ : لغة يمانية في ضَرْبٍ من البَقْل يُعْرَف بالباذَرُوْج .

الصِّنَارُ : شجر الدُّلْب ، معرَّب ، ويقال له بالعربيّة: العَيْثام .

الصَّنَوْبَرُ : شجر مُخْضَرٌّ شتاءً وصيفاً ، وهو شجر باسِق طوال غلاظ . وقيل : ان الصَّنَوْبَرَ هو ثمر الأرْز ، وقد سُمِّيت الشجرةُ صنوبرةً من اجل ثمرها ، وَحمْلها شيٌ امثال اللوز الصّغار في قشرٍ صُلب يسمّى لَوْزَ الصَّنوبر يأكله الناس ويجعلونه في القُبَّيْط :

الصَّنَعْبَرُ : (يراجع تركيب ص ع ب ر)

الضَّبْرُ : شجر جَوْز البَرِّ ، يكون بالسَّرَاة في جبالها ،

وهو شجر عظام ينوِّر ولا يعقِد ، أو يعقد ولكنه صلب لا يؤْكَل . ويقال بكسر الباء ايضاً .

الضَّبْرُ : هو الذي يسمّيه اهل الحَضَر : جَوْزَ بُوْيا أو جَوْز بَوّا ، ولعله الذي تقدَّم ذكره .

الضُّبّارُ : شجر يشبه شجر البَلُّوط ، وحطبُه جيِّد مثل حطب المَظِّ ، واذا جُمِع حطبُه رطباً ثم أُشْعِلت فيه النارُ فَرْقَع فرقَعَة المَخاريق ، ويُفْعَل ذلك بقُرْب الغِياض التي فيها الأُسْدُ فتهرب .

الضَّمْرَانُ : نبتٌ من الحَمْض شبيه بالرِّمْث الاّ أنه أصغر ، وله هَدَبٌ كهدب الأرْطى ؛ وخَشَب قليل يُحْتَطَب ، ويقال هو اخضر سَبِطٌ يعجِب الابل . وقد تضم الضاد فيه .

الضَّوْمَرُ : ضَرْب من الشجر مثل الحَوْك ، من ريحان البِرِّ . وقيل : هو الحَوْك نفسه . ويسمّى الضَّوْمَرانَ والضَّيْمُرَانَ .

الطُّبّارُ : من اجناس التِّين ، وهو أكبر تين رآه الناسُ ؛ تملأُ التينة منه كفَّ الرَّجُل ، وهو أحمر كُمَيْت اذا أنى تشقّق ، واذا أُريد أكلُه قُشِر لغِلظ لحائه فيخرج أبيض ؛ ويكفي الرجُلَ منه الثلاثُ والأربع ، ويزبّب .

ظُفُرُ القِطِّ : نباتٌ .

ظُفُرُ النَّسْرِ : نباتٌ يُشبِه ظُفُرَ النَّسْرِ .

الظُّفْرَةُ	:	نباتٌ حرِّيف يشبه الظُّفُرَ في طلوعه . قيل : ينفَع القُروحَ الخبيثةَ والثَّآليلَ .
الأُظْفُورُ	:	خيُوط تلتَوي على قُضْبان الكَرْم .
العَبِيرُ	:	من اسماء الزَّعْفَران .
العُبَيْراءُ	:	نبتٌ .
العَبَوْثَرانُ	:	من نبات البادِيَة ، يُشبِه القَيْصُومَ في الغُبْرة ، ونَوْرُه مثل نَوْره ، وهو أطيب منه ريحاً ، يشاكِه رائحةَ سُنْبل الطِّيب ، طيِّب للأكْل ، له قُضْبان دقاق ، وله شِمْراخٌ مُدَلّىً علِيْتَه نَوْرٌ أصفر شبيه بالذي يكون في وسط الأُقحُوان ، يُزْرَع بالبصرة في البَساتين ، ويوضَع في المجالس مع الفاغِيَة فلا يفوقُه رَيْحان . ويسمى العَبَوْثُرانَ والعَبَيْثُرانَ والعَبَيْثَرانَ والرَّيحان البريَّ ايضاً .
العَبَيْثَرانُ	:	شجرة طيبة الريح كثيرة الشوك لا يكاد يخلص منها مَنْ يَشاكُها . ويبدو من المعجمات انها غير النبات المتقدم الذكر .
العَبْقَرُ	:	النَّرْجِس .
العَبْهَرُ	:	النَّرْجِس ، وهو نبات طيب الريح جدّاً منه برِّيٌّ ومنه ريفيٌّ . وقيل : العبهر هو الياسَمِين . وقيل : هو نبت آخَرُ غيرهما .
العِتْر	:	شجرة صغيرة في جِرم العَرْفَج ، شاكة ، كثيرة اللّبن ، منبتها نجدٌ وتهامة ، وهي

غُبَيْراءُ فَطْحاء الورق كأنَّ ورقها الدَّراهم ، تنبت فيها جِراءٌ صغار أصغر من جِراء القُطن ، تُؤْكل جراؤها ما دامتْ غضَّة .

وقال بعضهم : العِتْرُ نبتٌ ينبت مثل المَرْزَنْجُوش متفرِّقاً ، فاذا طال وقُطِع أصلُه خرَجَ منه شبهُ اللَّبَن ونَبَتَ من حواليْه شُعَبٌ ستّ أو ثلاث ، وقيل : هو انما ينبت منه ستٌّ من هنا وستّ من هنالك لا يجتمع منه أكثر من ستٍّ ، وله جِراءٌ نحو جِراء الخَشْخاش .

ووصف بعضهم العِتْرَةَ بأنها : شجيرة ترتفع ذراعاً ، ذات اغصان كثيرة وورق أخضر مدوَّر كورق التَّنُّوم ، ولها جِراءٌ جِروانِ جِروانِ متقاربان يتدَلَّيان الى الأرض ، وجِراؤها حلوة طعمها طعمُ القِثّاء الصغار ، ولا يكاد ينبت فرداً انما توجَد ثِنْتَيْن ثنتين أو اربعاً اربعاً .

وقيل : العِتْرَةُ شجرة تنبت عند وِجار الضَّبِّ فهو يُمَرِّسُها فلا تَنْمى .

وقيل : العِتْرُ هو العَرْفَج .

وقيل : هو المَرْزَنْجُوش ، ويُتَداوى به .

العِتْرَةُ : قِثّاء الأصَف ؛ وهو الكَبَرُ .

العُذارُ : من الحَمْض .

أصابع العذارى : صِنْف من العِنَب أسود طوال كأنه البَلُّوط ، يُشَبَّه بأصابع العَذارى المُخَضَّبة ، وعُنقوده

نحو الذراع ، مُتداحِس الحبّ ، وله زَبيب جيِّد ، ومنابته السّراة .

أطراف العذارى : عنبٌ هو اصابع العَذارى السالف الذكر .

العَرَرُ : بَهارُ البَرّ ، وهو نبت سُهْليٌّ طيِّب الريح شديد الصُّفرة واسِع النَّوْر ، والضِّبابُ والأوْرَالُ حَرِيصةٌ على أكْلِه . وقيل : هو النَّرْجِس البَرِّيُّ .

العَرْعَرُ : شجر عظيم جبَلي من نبات جبال السَّراة ، لا يزال أخضر ، وله ثمَرٌ امثال النَّبِق يبدو أخضرثم يبيضُ ثم يَسْوَدُّ حتى يكون كالحُمَم ، ويَحْلو فيُؤْكَلُ . و يُتّخَذ من العَرْعَرِ القَطِرانُ ، وهو أجْوَدُه ، قيل : انّه يشفى العَرَّ ويُلَيِّن الجِلْد ، وانما يُتّخَذُ من عُروق العَرْعَر وأعجازِه فقط ، ويسمّى القَطِرانُ الذي يخرج منه : الخضْخاضَ .

ويقال للعرعر السَّاسَمُ والشِّيزى ايضاً .

العَيْزَارُ : ضَرْبٌ من الشجر .

العَسْرى : بقلةٌ تكون أذَنَةً ،ثم تكون سِحَاءً اذا ألوَتْ، ثم تكون عَسْرى اذا يبِسَتْ . ويقال لها العُسْرى ايضاً .

العَيْشُرَانُ : نبتٌ .

العُشَرُ : شجر من العِضَاه ، من ذكور البَقْل ، منابته السَّهْل وقيعان الأودية ، فيه حُرّاقٌ مثل القُطن

لم يقتَدِح الناسُ في أجْوَدَ منه ؛ ويُحْشى في المَخَادِّ لنُعُومَتِه ، وهو من كبار الشجر ، وله صَمْغ حُلو ، وهو عَرِيض الورق ، ينبت صُعُداً في السّماء ، ويخرج من زهره وشُعَبه مَغافيرُ فيها سُكّر يجمعه الناسُ بعد أنْ تَيْبَس يقال له سُكّر العُشَر ، وفي سُكّرِه شيءٌ من مِرارة ، ويخرج له نُفّاخٌ كأنها شَقاشق الجِمال التي تهدِر فيها ، وله نَوْرٌ مثل نَوْر الدِّفْلى مُشْربٌ مشرِق حسن المنظر ، وله ثَمَرٌ .

وربما تُمْرَط الجُلود بلَبَن العُشَر ، وانما يستعمل ذلك حيث يكثر العُشَر ، واذا أرادوا حَلَب لبنِه قَطَعوا ورقه ورُطْبَ قُضبانه ، فانه حينئذ تهراق أماكنها لَبَناً فيجتمع في الأواني — والعُشَرُ كثير اللبن — ثم تنْقَع فيه الجلود ، فيمرطها .

ويُلْتَحى العُشَرُ ثم يُفْتَل شُرُطاً ويُنْسَج منها شِباك عظام لسمك البحر .

العُصْفُرُ : نبت سُلافته الجِرْيال ، يُصْبَغ به ، منه ريفيٌّ يُزْرَع زَرْعاً ، ومنه بَرِّيٌّ وليست فيه منفعة ، وكلاهما ينبت بأرض العرب ، وقيل في خَوَاصِّه : انه يُهَرِّئُ اللحمَ الغليظ اذا طُرِح منه فيه شيء . ويسمّى العُصْفُر :

الإحْرِيْضَ والخِرِبْـعَ والمُرِّيق والبَهْرَمَ و البَهْرَمانَ ايضاً .

العَصَافِيْرُ : ضَرْبٌ من الشجر له صُورة كصُورة العُصْفور .

العُصَيْفِرَةُ : الخِيريُّ الأصفر الزَّهر ، كأنّه تصغير عُصْفُرةٍ ، على التّشبيه .

العَقَارُ : شجرٌ خوّار يُتّخَذ منه الزّناد ، وهو من أكثر الشجر ناراً ، وزِنادُه من أسْرَع الزّناد وَرْياً ، وشجرته شبيهة بشجرة الغُبَيْراء الصّغيرة ؛ اذا رأيْتَها من بَعيدٍ لم تشكَّ أنها شجرةُ غُبَيْراءَ .

العُقَارُ : ضَرْبٌ من القُرّاص ، وهو عُشْبة رِبْعيّة ترتفع قَدْرَ نصف القامة ، مُمِضَّة لا يأكلها شيءٌ ، لها أفنان وورق أوسع من ورق الحَوْكِ ، شديدة الخُضْرة ، ولها ثمرة كالبَنادِقِ ، ولا نَوْر لها ولا حَبّ ، ولا يُلابِسها حيوانٌ الاّ أمَضَّتْه حتى كأنما كُوِي بالنار ، ثم يشرى له الجَسَد ، واذا التبس بها الكلبُ يعوي مما يناله ، وكذلك غير الكلب .

الأعْقارُ : شـجرٌ .

العَمّارُ : الآسُ . وقيل : كلُّ رَيحانٍ عَمّارٌ .

العُمْرُ : ضَرْب من النخل ؛ وهو نخل السُّكّر ، والسكّر ضَرْبٌ من التّمر جيِّد ، معروف عند أهــل البَحْرَيْن .

العَمْرِيُّ : ضَرْبٌ من التمر عَذْب ، من رُطَب البصرة ، وهو غير العُمْرِ السالف الذكر .

حَبَلَةُ عَمْرٍو : ضَرْب من العِنَب بالطّائف ، شجرته بيضاء محدَّدة الأطراف مُتَداخِشَة العَناقيد .

اليَعَامِيرُ : شجرٌ ، أو موضِع .

العَنْبَرُ : الزَّعْفَرَان ، وقيل : الوَرْسُ .

العُوّارُ : شجرة تنبُت نِبْتَة الشَّرْية ولا تَشِبُّ ، خضراء ، ولا تنبت الا ّ في أجواف الشجر الكبار .

العُوّارى : شجرة تُؤْخَذ جِراؤها فتُشْدَخ ثم تيَبَّس ثم تذَرّى ثم تُحْمل في الأوعية فتُباع ، وتتّخَذ منها مَخانِقُ بمكة ، والمِخْنَقة : القِلادة .

الغَبِيْرُ : ضَرْب من التّمر .

الغَبْرَاءُ : نبات سُهْلِيٌّ ، وسُمِّيت الغَبْراءَ للَوْن ورقها وثمرتها حين تبدو ، ثم تحمرُّ حُمرة شديدة . وقيل : الغَبْراء اسم الثّمرة وهي فاكهة ؛ والغُبَيْراءُ اسم الشجرة ، وقيل العَكْس ، ولا تُذْكَر الا ّ مصغّرة .

الغَرّاءُ : نبت طيِّب الريح شديد البَياض ، لا ينبُت الا ّ في الأجارع وسُهولة الأرض ، وورقه تافِهٌ ، وعُوده كذلك ، يشبه عُودَ القَضْب الا ّ أنه أطَيْلِس ، يحبُّه المالُ كلُّه وتَطِيب عليه ألبانُها ، وله زهرة شديدة البياض ، وهو

من رَيحان البَرّ . وقيل : ان الغَرّاء من ذكور البَقْل ، وتنبت نباتَ الجزَر وحَبُّها كحَبِّه . وقد يقال لهـا الغُرَيْراء .

الغِرْغِرُ : من عُشب الربيع ، ولا ينبت الا في الجَبَل ، له ورق نحو ورق الخُزامى ، وزهرته خضراء ، وهو محمود .

المُغْزِرَةُ : نبات رِبْعيٌّ ، ورقه كورق الحُرْف غُبْر صغار ، وله زهرة حمراء كالجُلّنار ، يعجب البَقَرَ جداً وتَغْزُر عليه ، ويرعاه كلُّ المال .

الغَضْرَةُ : نبـاتٌ .

الغَضْوَرُ : شجرة غَبراء تعظُم . وقيل : هو نباتٌ يشبه الثُّمام ، لا يُعْقَد عليه شَحْم ، غير ناجع ولا نامٍ في الماشية ، وهو من أصناف الأسل .

الغَفَرُ : نوع من التَّفِرَة ، وهو نبات رِبْعيٌّ ، ينبُت في السّهل والاكام ، كأنّه عَصافير خُضْر قيامٌ اذا كان أخضر ، فاذا يبس فكأنّه حُمُرٌ غير قيام . وهو أفضل مَرْتَع للحُمُرِ .

الغَوْفَرُ : البِطّيخُ الخَرِيفيّ ، أو هو نوع منه .

الغُمْرُ : الزَّعْفَران ، أو الوَرْس ، أو الحُصُّ ، أو الكُرْكُم . وهو الغُمْرَة ايضاً .

الغارُ : ضَرْبٌ من شَجَر الجِبالِ ، وقد ينبُتُ في السَّهْلِ ، وهو شجرٌ عظام ، له ورق طوال أطول من ورق

الخلاف ، وحمل أصغر من البُندق ، أسود القشر ، له لُبٌّ يقع في الدَّواء ، وورقه طيِّب الريح يَتَقَعُ في العِطْر ، ومنه دُهن الغار ويسمّى الرَّنْدَ ايضاً .

الفَأْرَةُ : شجرة ، يهمز ولا يهمز .

مُصْرَانُ الفَأْرَةِ :

مِعى الفَأْرَة : كلاهما من رَدِيء تَمْر الحِجاز .

الفاخِرُ : ضَرْب من النخل ، له بُسْر يعظُم ولا نَوى له.

الفاخُورُ : المَرْوُ العَرِيض الورق ، وهو من رَياحين البَرِّ . وقيل : هو المَرْوُ الذي تخرج له جَماميحُ في وَسَطه كأنّها أذناب الثّعالب ، عليها نَوْر أحمر في وَسَطه ، وهو طيِّب الرِّيح ، يسمِّيه اهلُ البصرة رَيحانَ الشيوخ .

الفَرْفارُ : شجر عظام صُلْب صَبُور على النّار ، تُنْحَت منه العِسَاسُ والقِصَاع ، يسمو سُمُوَّ الدُّلْب، وورقه مثل ورق اللّوز ، وله نَوْر مثل الوَرْد الأحمر ، واذا تقادَمَ شجرُه اسْوَدَّ خشبُه سواداً شديداً فصار كالآبِنُوس . وأقداح الفَرْفار رقاق خِفاف طيِّبة الرائحة .

الفُطْرُ : ضَرْب من الكمأة ابيض عظام ، وهو قَتّال .

الفَعْرُ : ضرب من النبت ، وزعموا أنه الهَيْشَرُ (الهَيْشُ) . وقيل : الفَعارِير : صِغار الذّآنين.

الفَقُرَةُ : ضرب من النبات .
الفنْفَعْرُ : ضَرْب من الشجر .
القَبَرُ : عِنَب أبيض طويل جيِّد الزَّبيب ، وعَناقيدُه متوسطة .
القوارِيْرُ : شجر يشبه الدُّلْبَ ، تُعْمَل منه الرِّحال والمَوائد .
القَسْوَرُ : ضَرْب من النبات أو الشجر ، سُهْلِيٌّ ، قيل : هو حَمْضَةٌ من النَّجيل ، مثل جُمَّة الرَّجل ، يطول ويعظم ، والابل حراص عليه ، وأنكر بعضهم أن يكون القَسْوَرُ من الحَمْض ، وهو كثير الماء يفتَّق السائمةَ .
القُشْعُرُ : القِثّاءُ ، بلُغَة اهل الجَوْفِ (الحَوْف) من اليَمَن .
قَطُوْراءُ : نباتٌ ، وهي كلمة سَوَادِيّة .
القَفُّوْرُ : نبات تَرْعاه القطا .
القِلارُ : ضرب من التِّين ، أضخم منالطُّبّار والجُمّيْز ، أبيض متوسط ، ويابِسُه أصفر كأنّه يُدْهَن بالدِّهان لصَفائه ، واذا كُنِزَ لزم بعضُه بعضاً كالتمر ، يكْنَز منه في الحِبَاب ثم يُصَبُّ عليه رُبُّ العِنَب العَقيد حتى يرْوى ثمتُطيَّن افواهُها ، فيمكث ما شاؤوا السنةَ والسنتين واكثر ، ويتلبّد حتى يقْلَع بالصِّياصي . ويقال له القِلاّرِيُّ ايضاً .

القِنّارِيُّ : ضَرْبٌ من الشّعير يشبه الحنطةَ ، لغة مصريّة .

القِنْبِيْرُ : نبات يسمّيه اهلُ العراقِ البَقَرَ ، يُمَشّي كدَوَاء المشيِ .

القُنّابِرى : بقلة ، وتسمّى التُّمْلُوْلَ والغُمْلُول َ ايضاً .

القَنْعُرُ : شجرة كالكَبَر ، لكنّها أغلظ عُوداً وشَوكاً ، وثمرتها كثمرته ، ولا تنبت في الصّخر ، والابل تحرص عليها .

القارُ : شجرٌ مُرٌّ .

الكَبَرُ : الأصَفُ ، وهو نبات له شوك ، على شكل صغار القِثّاء .

الكُزْبُرَةُ : لغة في الكُسْبُرَة ، وهي من الأبازِيْر ، ويجوز فيها فَتْح الباء .

الكُسْبُرَةُ : لغة في الكُزْبُرَة . وقيل : هي نبات الجُلجُلانِ وهو السِّمْسِم .

الكُعْرُ : شوك ينبَسِط ، له ورق كبار امثال الذّراع كثير الشّوك ، ثم يخرج له شُعَب ، وتظهر في رؤوس شُعَبه هَنَاتٌ امثال الرّاح يُطِيف بها شوك كثير طوال ، وفيها وردة حَمْراء مشرقة تجرسها النّحل ، وفيها حَبٌّ امثال العُصْفُر إلاّ انه شديد السّواد . وتُؤْخَذ قُضْبان الكُعْر وهي رؤْدة فتُلْتَحى وتؤْكَل حُلوةً طيبة .

الكافُوْرُ : نبت طيب ، له نَوْر ابيض كنَوْر الأُقْحُوان .

الكُمَّثْرى : من الفَوَاكه ، وتسميه العامّةُ الإجّاصَ . وينْضَح شجره عسلاً كثيراً حتى تُلْثِي الشجرة ما تحتها ، واكثر ما يكون اذا قَلَّتْ ثمرتُها أو حالتْ ، فيصير ما لم يذهب في غذاء الثمرة لثىً .

المُرّةُ : بقلة تَنْفَرِش على الأرض ، لها ورق ناعم مثل ورق الهِنْدَبا أو أعرض ، ولها نَوْرة صفراء وأرومة بيضاء ، وتُقْلَع مع ارومتها فتُغْسَل ثم تؤْكَل بالخَلّ والخُبز ، فيها عُلَيْقمة يسيرة ولكنّها مَصَحّة ، وهي مَرْعىً ، ومنبتها السُّهول وقُرب الماء حيث النّدى .

المُرَارُ : شجر من الحَمْض ، من ذكور البقل . وقيل : هو عُشبة ذات شوكٍ وورقٍ طوال وعراض ، تلزم الأرضَ ، ثم يتشعّب لها شُعَب ، تخرج في رأْس كلشُعبةٍ كُرَةٌ كبيرة شَوِكة جداً؛ فيها حَبٌّ مثل حبِّ العُصْفُر . وهي عشبة مُرَّة جداً من أضخم العُشْبِ ، اذا أكَلَتْه الابل قَلَصتْ عنه مَشافِرُها فبدتْ أسنانُها .

المُرّانُ : شجر باسِق ، يأتي ذكره في حرف النون . وسُمِّيت رِماحُ القَنا مُرّاناً لأنها تُعْمَل من هذا الشجر

المَرْمَرُ	:	ضَرْب من الرُّمّان كثير الماء ، لا شحم له ، ويقال له المَرْمارُ ايضاً .
مُصْرانُ الفَأْرِ	:	تمر رديء (مرَّ ذكره في تركيب ف أ ر) .
المَقِرُ	:	شَجَر الصَّبِرِ ، وهو شجر مُرٌّ ينبت ورقاً في غير أفنان ، ويقال له العَلَسيُّ ايضاً . يُخْرَجُ منه الصَّبِرُ أوّلاً ، ثم الحُضَض ، ويقال لثُفْله الذي يبقى : المَقِر ايضاً .
المَكْرُ	:	ضَرْب من النبات ، ولعلّه الآتي ذكره .
المَكْرَةُ	:	نبتة سُهْليّة رَمْليّة ، من عُشب القَيْظ ، غَبْراء مُلَيْحاءُ الغُبْرة ، تُنْبت قَصَداً ؛ بعضُها حذاء بعض ؛ يخرُجن معاً من الأرض، كأن فيها حَمْضاً حين تمضَغ ، لها ورق صغار وليس لها زهر . ووصفها بعضهم : بأنها من الخِلْفَة ، غبراء خفيفة العيدان ، طيبة في أفواه المال لحَلاوتها ، يظن الجاهل انها بقلة ، وهي تنبُت في أصْلٍ .
المَهْرِيّةُ	:	من اجناس البُرِّ ، وهي حنطة حمراء ، وكذلك سَفاها ، عظيمة السُّنبل ، غليظة القَصَب ، مُدَحرجة الحَبِّ ، مربّعة .
المَنْثُورُ	:	نوع من الرَّياحين .
النَّسْرِينُ	:	وَرْدٌ معروف ، وهو ضرب من الرَّياحين .

النُّضَارُ : الأثْل الوَرْسِيُّ اللّون ، وقيل : النبْع ، وقيل : الخِلاَف ، ويُعْمَل من النُّضَار ما رَقَّ من الأقداح واتّسَع وما غَلُظ ، ولا يحتمله من الخشب غيره ، ويكون بغَوْر الحجاز .

النَيْلَوْفَرُ : ضَرْب من الرَّياحين ينبُتُ في المياه الراكدة ، ويقال له النَيْنَوْفَر ايضاً ، ويسمّى عند أهل مصر : البَشْنِيْن ، ويقوله العَوامُّ النّوْفَر ، يستعمل في الطّيب ، ويتّخذ منه شراب فائق نافع ، ويقال ان أصله اذا عُجِن بالماء وطُلي به البَهَق مرّات أزاله ، واذا عُجِن بالزِّفْت أزال داءَ الثّعلب .

النّاهِرُ : العِنَب الأبيض .

الهَوْبَرُ : السَوْسَنُ ، أو الأحمر منه خاصةً .

هيْرُوْرٌ تمر معروف ، وقال بعضهم : هو الهيْرُوْنُ ، وقيل : هِيْرُونُ ايضاً ، وعرَّفوه بأنه ضَرْب من التّمر .

اليَهْبَرُ : شــجرةٌ .
وهو الحَنْظَل ايضاً ، ويقال فيه اليهْيَرُ بالتخفيف ايضاً .

اليَهْيَرّى : نبات أو شجر ، وأظنه اليَهْيَرّ السالف الذكر نفسه .

الهَيْشَرُ : نبات ضعيف رخْو فيه طُول ، على رأْسه بُرْعُومة ، كأنّه عُنُق الرَّأْل . وقيل : هو عشب أو شجر رَمْلِيٌّ له ورقة شاكة ضخمة ، يَسْمو ويُطول ، وزهرته صفراء ، وتطول لــه قَصَبَة من وسطه حتى تكون أطْوَل من الرَّجُل ِ هي كمامة البزر .

وقيل : الهَيْشَرُ : الخَشْخاشُ .

الوَبْرَاءُ : نبات مُزْغِب ، وقيل : هو عُشبة غَبْراء مُزْغبة ، ذات قَصَب (قُضُب) وورق ، هَشّة ، لا تُرْعى ، تنبُت في ملتَقى الرَّمل والسَّبخ ، وهي قليلة وَتِحة .

الوِبَارُ : شجرة حامِضَة شاكة ، تكون بتَبالة باليَمَن ، كأنَّ شوكها الصغير مثل الوَبَر .

بَنَاتُ أَوْبَر : كَمْـأة كأمثال الحصى ، صغار مُزغبة بلَوْن التُّراب الى الغُبْرة والسَّواد ، رديئة الطّعم ، وهي أوَّل الكَمْـأة .

وقيل : هي مثل الكمْـأة وليس بكمأة .

المَيْسَرُ : نبت رِيفيٌّ (ربْعِيٌّ) يُغْرَسُ غَرْساً ، مثل شجر الفرْفار ، وفيه قصف .

اليَسْتَعُورُ : شجر تُصْنَع منه المَساوِيك ، ومَساويكه غايَةٌ جَوْدَةً ، انْقاءً للثَّغر وتَبييضاً له ، ومَنابته بالسَّراة ، وفيها شيء من مَرارة مع لِيْن .

اليَعْرُ : شجر .

اليُعار : شجرة في الصحراء تأكلها الابلُ . وأظنه واليعر المتقدم الذكر نبتاً واحداً .

ما يتعلّق بالنبات :

أبَرَ النّخْلَ : لَقّحَه وأصلحه ، وكذلك أبّرَه : وتأبّرَ الفَسِيْل : اذا قَبِل الإبَارَ .

المَأْبَرُ : ما يُلَقّح به النخلُ كالكُشّ ، ويقال له المِئْبَر ايضاً .

الإبارَةُ : القيام باصلاح الزرع :

الإبَرُ : فَسِيل المُقْل ؛ أي صغارها .

المِئْخَارُ : النخلةُ التي يَبْقى حَمْلها الى آخرِ الصِّرام ؛ وقيل : الى آخرِ الشِّتاء ، والشجرةُ اذا أخّرَتْ اثمارَها .

أزَرَ النَبْتُ : غَطّى الأرضَ .

آزَرَ النَبْتُ : طال وقَوِي ، ويُقال : آزَرَ الزّرْعُ وتأزّر : اذا قَوّى بعضُه بعضاً فالتَفّ وتلاصق واشتَدّ . ويُقال : آزَرَ النبت – ايضاً – : اذا لَحِقَ الأُمّهات أي استوى بها .

فَسِيْلَةٌ مُؤْتَزِرَة : اذا مَشَت الحياةُ فيها واخضرّتْ وخرج قلبها وبَجّتْ شحمتَها وضربتْ بعروقها وخرج ليفُها .

الأسيرُ	:	المُلْتَفُّ من النبات ، كالأصِيْر .
أشِرَ النَّخْلُ	:	كَثُرَ شربُه للماء فكثرتْ فِراخُه .
الإصَارُ	:	ما حَواه المِحَشُّ من الحَشيش ، وقيل : هو كِساءٌ يُحَشُّ فيه ، ويسمّى الأيْصَر ايضاً .
المُتَآصِرُ	:	الزَّرعُ الذي تقاربتْ أُصولُه .
الإطارُ	:	قُضْبانُ الكَرْم تُلْوى للتَعْريشِ .
الإكارَةُ	:	الفِلاحَة .
زَرْعٌ أمِرٌ	:	كثير .
الباخِرُ	:	ساقي الزَّرع .
أبْدَرَ البُسْرُ	:	اذا احْمَرَّ .
البادِرَةُ	:	أجْوَد الوَرْسِ وأحْدَثُه نباتاً .
بادِرَةُ النَّباتِ	:	رأْسُه أول ما ينفَطِر عنه . وبادِرَةُ الحِنّاء : أول ما يبدأُ منه .
البَيْدَرُ	:	هو الأنْدَرُ أو أنْدَرُ القَمْح يعني الكُدْسَ منه، أي الموضع الذي يجعل فيه الزَّرعُ اذا حُصِد، أو الموضع الذي يُداس فيه الطَّعامُ .
البَذْرُ	:	ما عُزِل من الحبوب للزِّراعة . ويسمّى طَرْحُ الحَبِّ للزراعة بَذْراً ايضاً ، كما يسمى الحَبُّ ما دام في التُّراب بَذْراً .
البَذْرُ	:	الشجر وجميع النبت اذا طلع من الأرض فنَجَم، قبل أنْ يتلَوَّنَ بلونٍ أو تُعْرَف وجوهُه ، لا يزال ذلك اسمَه ما دام على ورقَتَيْن .

المِبْذَرَةُ :	آلة البَذْر .
البَرِيرُ :	ثَمَر الأراك أو أول ما يظهر من هذا الثَمر ، كالحَرَز الصغار ، أعظم حَبّاً من الكَبَاث وأصغر عُنقوداً منه ؛ الا ّ انّ لون الثّمرة واحد ، وله عَجَمَة مُدوَّرة صَغيرة صُلبة ، أكبر من الحِمّص قليلاً ، وعُنقوده يملأُ الكفَّ . تأْكُلُه النّاسُ والماشية ،وفيه حَرَاوة على اللّسان ، ينبُت أخضر مُرّاً ثم يحمَرُّ فيَحْلُو وفيه حُروفة ، ثم يسودّ فيزداد حَلاوةً وفيه بَعْدُ حَرَاوة . واذا رَعَتْه الابلُ وُجِدتْ رائحتُه في ألبانها طيِّبة . ويباع ببعض البلدان في الأسواق كما يباع العِنَب . وقيل : المَرْدُ والبَرِيرُ واحدٌ ، وقد مَرَّ المَرْد في تركيب م رد .
البَزْرُ :	كلُّ حَبٍّ يبذَر للنبات ، وهو البِزْرُ ايضاً ؛ والبُزُوْرُ : الحُبوب الصغار مثل بُزور البُقول وما أشبهها ، وقيل : البَزْرُ : الحَبُّ عامّةً ؛ وأبْزَرَ النّباتُ : أدركَ بزرُه .
البَزْرُ :	التّابَلُ ، ويقال له البِزْر ايضاً .
البُسْرُ :	الغَضُّ من كل شيىء ، ونبتٌ بُسْرٌ : اذا ارتفع عن وجه الأرض ولم يَطُلْ لأنه حينئذٍ غَضٌّ .

البُسْرُ : التّمر قبل إرطابه وذلك اذا عَظُم ولَوَّنَ ولم ينضَج . ويقولون : أول البُسْر طَلْع ، فاذا انعقد فسَيَابٌ ، فاذا اخْضَرَّ واستدار فجَدال وسَراد وخَلال ، فاذا كَبِر شيئاً فبَغْوٌ ، فاذا عَظُم فبُسْر ، ثم مُخَطَّم ، ثم مُوَكِّت، ثم تذْنُوب ، ثم جُمْسَة ، ثم ثَعْدَة وخالع وخالعة ، فاذا انتهى نضْجُه فرُطَب ومعْو ، ثم تَمْرٌ ؛ وهو آخر المراتب .

الابْتِسَارُ : أنْ تُعْجَل النخلة فتُلَقّح قبل أوان التلقيح .

التَبَسُّرُ : رَعْيُ البَقْل غَضّاً في اول نباته .

المِبْسَارُ : النخلة التي لا يُرْطِب بُسْرُها ، وذلك من الآفات والعُيوب .

البَشَرَةُ : البَقْل والعُشب . وأبْشَرَتِ الأرضُ : أخرجَتْ نباتَها . وتَبَشَّرَتِ الأرضُ : اذا خرج اول النبت .

تَباشِيرُ النّخْلِ : أوّل ما يُدْرِك أو يرطِب .

بُصْرُ الكَمْأةِ : حُمْرتها ، وكذلك بَصَرُها .

البُعَارُ : النّبق الكبار ، يمانيَة .

البَغْرَةُ : أن يُزْرَع الزَّرع بعد المطر فيبقى فيه الثّرى حتى يُحقِل أي يتشعّب ورقه ويظهر ويكثر .

البِكْرُ : الكَرْم الذي حمل أول مرّة .

الباكُورُ : أوّل ما يُرى من الرُّطب .

البَكُورُ : النخلة تدرك في أول النخل ، ويقال لها البَكيرة والباكُورة ايضاً .
بَكَّرَتِ الشجَرَةُ : اذا عَجّلتْ بالإثمار وباليَنْع . واذا كان ذلك عادَتَها فهي مِبْكارٌ .
الأبْهَرُ : الضَّرِيعُ اليابِس .
البُهْزُرَةُ : النخلة التي تتناوَل منها بيَدِك .
النَّفِرُ : النباتُ اذا كان قَصيراً زَمِراً ، والعُشبُ الصغير لم ينهض ولم يُسْتَمْكَن منه .
النَّفِرَةُ : كلُّ ما اكْتسبَتْه الماشيةُ من حَلاوات الخُضَر ، وأكثر ما يرعاه الضَّأْن وصغار الماشية ، وهي تكون من جميع الشجر والبَقْل . وقيل : هي من الجَنْبَة خاصة . وقيل : من القَرْنُوة والمكر خاصة .
أتْفَرَ الطَّلْعُ : اذا طلع فيه نَشْأتُه .
التَّفاطِيرُ : النبــات .
النَّوْرُ .
التَّقِرُ : التّابَلُ .
الكُسْبُرَة ، ويقال التَّقِرَةُ ايضاً .
وقيل : التَّقِر : الكَرَوْياءُ ، والتَّقِرَة : جَماعة التّوابل .
التَّمْرُ : معروف ، وهو حَمْل النَّخل ، واجناسه كثيرة :
وَرَقٌ تَجْرٌ : أي عَرِيض .

الثَّجِيرُ	:	ثُفْلُ عصير العنَب والتَّمر ، وقيل : هو ثُفْل التَّمر وقِشْر العنب اذا عُصِر ، وقيل : هو ثُفْلُ كل شيىء يُعْصَر .
الثُّجَرُ	:	القِطع المتفرِّقة من النبات .
الثَّعْرُ	:	لَثىً يخرج من أصل السَّمُر أو من غُصن شجرته يقال انه سمٌّ قاتل ، واذا قُطِر في العين منه شيىء مات الانسان وَجَعاً ، ويقال له الثُّعْرُ والثَّعَرُ ايضاً .
الثُّعْرُورُ	:	القِثّاء الصَّغير .
		طَرَفُ الطُّرْثُوث أو رأْسُه ،وهو نبت يؤْكَل ؛ ثَمَر الذُّؤْنُون وهي شجرة مرَّة .
الثَّمَرُ	:	حَمْلُ الشجر وثَمَرُ كلٍّ ما نَبَتَ وأثْمَرَ ؛ وثَمَرَ الشجرُ وأثْمَر : صار فيه الثَّمَرُ أو طلع ثَمَرُه قبل أن ينضَج ؛ وثَمَّرَ النَّبتُ والشجر وأثْمَرَ : اذا انْتَثَرَ وَرْدُه وعَقَد الثَّمرُ .
الثَّامِرُ	:	الذي بلغ أوانَ أنْ يُثْمِر : وشجرٌ ثامِرٌ : أدْرَك ثمرُه . والمُثْمِر : الذي فيه ثَمر ؛ وشجرة ثَمِيرة : كثيرة الثَّمَر ، وثَمْراءُ : ذات ثَمَرٍ .
الثَّامِرُ	:	نَوْر الحُمّاض ، وهو أحمر ؛
الثَّمَرَةُ	:	الشجرة .

إثارةُ الأرضِ : حرْثُها وزراعتُها وقلبُها على الحَبِّ بعدما قُلِبَت مرّةً .

جأرَ النبْتُ : طال وارتفع . والجأْرُ من النبت : الغضُّ الريّان . وعُشبٌ جأْرٌ : كثير .

الجَبّارُ : النخل الذي قد ارتُقِيَ فيه ولم يسقط كرَبُه، وهو أفتى النخل وأكرمُه .

الجَبّارةُ : النخلة في احدى مراحل نموها ، وسُمِّيت جبّارة لأنها طالت ففاتتِ اليدَ من كبرها .

تجبّرَ النبْتُ : اخضرَّ وأورق وظهرتْ فيه المَشْرَة وهو يابس .

الجَدْرُ : الحاجز الذي بين الدبّار والذي يمسك الماءَ .

. وقال بعضهم : الجَدْر والظَهْر : ما بين الركيبين من التراب المرتفع .

جدَرَ النبْتُ : طلعتْ رؤوسه في أول الربيع . وجدَرَ العرفجُ والثُّمام : اذا خرج في كعوبه ومتفرّق عيدانه مثلُ أظافير الطير .

أجْدَرَ الشجرُ : أخرجَ ثمرَه كالحِمّص ، وكذلك جدَّرَ ؛ وجدَّرَ الكَرْمُ : اذا صار حبُّ العنب فويق النَّفَض .

الجَدَرُ : حبُّ الطلْع .

الجدارُ : عُوْد في مؤخّر الدُجْرَيْن واللُّؤمة من الفدّان يجمع الدُجرين الى اللُّؤمة .

المجْدارُ : ما ينْصَب في المزارع مَزْجَرةً للسِّباع والطير .

المُجْذَئِرُّ	:	النّبات الذي نبت ولم يَطُلْ .
الجُذُورُ	:	الأُصول ، وكذلك الجَذامير .
الجِذْمارُ	:	ما بقي من السّعفة وكل غُصْن أو قَضيب بعد قطعه .
الجَرُّ	:	الحَرْث .
الجَرُّ	:	الحَبْل الذي في طرف اللُّؤمَة من الفَدّان الى وسط المِضْمَدَة .
الجُرَّةُ	:	قَعْبَة من حَديدٍ مثقوبةُ الأسفل ، يجعَل فيها بذرُ الحِنطة حين يبْذَر ويمشي به الأكّارُ والفدّانُ وهو ينهال في الأرض .
الجَرْجَرُ	:	ما يُداس به الكُدْس ، وهو من حديد .
الجِزَارُ	:	صِرامُ النّخْل .
الجَشَرُ	:	بَقْل الربيع .
الجَشَرَةُ	:	القِشرة السُّفلى التي على حَبّة الحنطة .
الجُفَرُ	:	خُروق الدّعائم التي تحفَرُ لها تحت الأرض .
الجُفُرّى	:	وعاء الطّلع ، وهو الكافور من النخل ، ويقال له الجُفُرّاء والجُفُرّاة ايضاً .
الجُلَّنارُ	:	زَهر الرُّمّانِ .
المِجْمَرُ	:	عُود الطّيب .
الجُمّارُ	:	شحمة النّخل التي في قمّة رأْسه ، تقطَع قمّتُه ثم تكْشَط عن جُمّارةٍ في جوفها بيضاء كأنها قطعة سَنامٍ ضخمة ،وهي رَخْصة ،

تؤكل بالعسل . ويقال له الجامور ايضاً .
والكافور يخرج من الجمّارة بين مشقّ السعفتين

الجَنُّورُ : مداسُ الحنطة والشعير .
الحُبْرَةُ : عُقْدَةٌ من الشجر كالسلعة تخرج فيه ، تقطع قطعاً ويُخرط منها الآنية ، مُوَشّاة كأحسن الخلنج .
الحَثَرُ : حَبُّ العنب ، وذلك بعد البرم حين يصير كالجلجلان وهو حامض صُلب لم يُشكل ولم يتموّه . وقال بعضهم: الحَثَرُ نَوْرُ العنبِ . وحثرة الكرم : زمعته بعد الإكماخ .
الحَثَرُ : البَرِيرُ ، وهو ثمر الأراك ، ويقال له العُنّاب والكَبَاث والجهاد والمَرْد والعَقَش والجَهاض والغَيْلة .
حَثَرَةُ الغضا : ثمرة تخرج فيه أيام الصفرية ، تسمن عليها الابل وتُلبِن .
أحْثَرَ النَّخْلُ : اذا تشقّق طلعه وكان حَبُّه كالحثرات الصغار قبل أن تصير حصلاً .
حُثَارَةُ التِّبْنِ : حُطامُه .
الحاجِرُ : كَرْمٌ مِئْناث ، وهو مُطْمَأنٌّ له حروف مُشرفة تحبس عليه الماء .
الحاجِرُ : مَنبِت الرِّمْث ومجتمعه ومُستداره .
حُرُّ الفاكهة : خيارها .

أحْرَارُ البقُول	:	جيِّدُها . وما أُكِلَ منها غيرَ مَطْبوخ . وقيل : هو ما خَشُن منها .
أحْرَارُ النبْتِ	:	ما رَقَّ منه ونعم ورَطُب ، وذُكوره : ما غَلُظَ منه وخَشُنَ .
الحَزْرَةُ	:	النَبِقَةُ المُزَّة (المُرَّة) .
الحازِرُ	:	دَقيق الشّعير ، وله رِيح ليس بطيِّب .
الحَزْمَرَةُ	:	تَفَتُّق نَوْر الكُرّاث .
الحَشْرَةُ	:	القِشْرة التي تلي الحَبَّ . والحَبّة عليها قِشْرتانِ : فالتي تلي الحَبّةَ الحَشَرَةُ ، والتي فوق الحَشَرَة القَصَرَةُ . ومَرَّت « الحَشَرَة» ولعلّها تصحيف منها .
الحَشَرَةُ	:	كلُّ ما أُكِل من بَقْل الأرض كالدُّعاع والفَثّ .
المَحْشَرَ ةُ	:	هي في لغة اليَمَن : ما بقي في الأرض من نبات بعد ما يُحْصَد الزَّرع ، فربما ظهر من تحته نباتٌ أخضَر
الحَشَرَاتُ	:	ثِمار البَرِّ كالصَّمغ وغيره .
الحَصَرُ	:	التّضايُق في نبتة النخل حتى يَمَسَّ بعضُ السعف بعضاً ، ولا خَيْر في هذه النبتة ، لأن أفضل الغَرْس ما بوعِد بينه حتى لا تمسَّ جَريدةُ نخلةٍ جَريدةَ نخلةٍ اخرى ؛ وشَرّه ما قورِب بينه . وان من جَيِّد نعته أن يمتدَّ جَريدُه

ويكثر خُوصُه ويكثف ويتّصل بعضُه ببعض حتى يمنع الطير من أنْ تطيرَ من تحته الى أعلاه .

الحَصِيْرَةُ : لغة في الحَضيرة .

الحَضِيْرَةُ : موضع التَّمْر ، وأهل الفَلْح يسمُّونها الصُّوْبَةَ ، وتُسمّى الجُرْنَ والجَرِيْنَ ايضاً .

الحَظِيْرَةُ : جَرِيْن التّمر في لغة اهل نَجْد ، ومرّت الحَصِيرة والحضيرة .

الحَظِرُ : الشجر المُحْتَظَر به ، وقيل : الشَّوْك الرَّطْب .

الحِفْرَاةُ : الخَشَبَة ذات‌الأصابع التي يُذَرّى بها الكُدْس المَدُوس ويُنَقّى بها البُرُّ من التِّبْن ، وهي لغة ناسٍ من اليَمَن .

الخَبْرُ : الزَّرع . والخَبِير : الأكّار .

الخَبْرُ : شجر السِّدْر والأراك وما حولهما من العُشب .

الخَبِيْرُ : النّبـــات .

المُخَابَرَةُ : المُزارَعة ببعض ما يخرج من الأرض ، ويقال له الخِبْرُ ايضا .

الخِدَارُ : عُودٌ يجمع الدُّجْرَيْن الى اللُّؤمة . ومـــرَّ « الجِدَارُ » في تركيب ج د ر .

الخَدِرَةُ : البُسْرَة التي تقع من النخل قبل أن تنضَج ، وقيل : هي العَفِنة التي اسودَّ باطنُها .

الخَيْزُرَانُ : القَصَب . وقيل : هو كلُّ عُودٍ لدنٍ وغصن مُتَثَنٍّ .

الخُشَارُ : ما لا لُبَّ له من الشّعير .

خُشَارَةُ التَمْر : شِيْصُه .

الخَضِرُ : الزَّرْع ، والغَضُّ من النّبات . والخُضْرَة : جميع النبات الأخضر . والخَضَرُ : صَعَف النخل وجَريدُه الأخضر . والاخْتِضَار : جَزُّ الخَضْرَة .

الخَضَارُ : البَقْل الأول ، أي اول ما ينبت . والخُضَارَةُ والخَضْراءُ : البُقُول .

الخَضِيْرَةُ : النخلة التي ينتَثِر بُسْرُها وهو أخْضَر .

الخُضّارى : الرِّمْث اذا طال نباته ، ويقال بتخفيف الضاد ايضاً .

المُخَاضَرَةُ : بيع الثّمار خُضْراً قبل بُدُوّ صلاحها .

الخِطَرَةُ : اغصان الشجرة .

الخَمْرُ : المُسْكِرُ من الشّراب .

الخُمْرَةُ : الوَرْس .

الخُمْرَة : بزر الكَعابر التي تكون في عيدان الشجر ، أو وِعاء البِزر كما في بعض المعجمات ، ويقال بكسر الخاء ايضاً .

الخَنْوُرُ : كل شجرة رِخوة خوّارة . وقَصَبُ النُّشّاب يقال له خَنُّور ايضاً . وقيل فيهما انهما الخَنَوَّر .

الحَوّارَةُ	:	النخلة الكثيرة الحمل .
الدَّبْرُ	:	مَشارات المَزْرعة أي مَجاري مائها والسَّواقي والأنهار الصغار التي تتفجّر في أرض الزّرع . والدَّبْرَة مُرَبّعة ولها أعضاد ، وتسمّى هذه الأعضاد الكَلالي ، وكلُّ وَجْهٍ منها كَلاّء .
الدَّثْرُ	:	النبات الكثير .
دَثَرَ الشَّجَرُ	:	أوْرَق وتَشَعّبَتْ خطرتُه .
الدُّجْرُ	:	الخَشَبَة التي تُشَدُّ عليها حَديدةُ الفَدّان ، ومنهم مَنْ يجعلها دُجْرَيْن كأنهما أذُنان . وقال بعضهم : الدُّجْرانِ : عُودان يُجْعَلان على ملتَقى اللُّؤمة والسِّلْب من الفَدّان . ويقال للدُّجْر : الدَّجْرُ والدُّجُورُ ايضاً .
الدُّجْرُ	:	شيىء تُلْقى فيه الحِنطة اذا زرعوا وأسفلُه حَديدة تنثُر في الأرض .
الدَّجْرانُ	:	الخَشَب المنصوب في الأرض للتّعريش ، ويقال له الدّعائم .
الدَّيْجُورُ	:	يَبيسُ الكَلأ اذا كثر جدّاً وتراكَمَ .
دَرَّ النَّباتُ	:	التفَّ بعضُه مع بعض لكثرته .
الدَّوْسَرُ	:	الزُّؤانُ في الحِنطة .
نَخْلَةٌ داعِرَةٌ	:	لم تقبل اللِّقاحَ ، فتُزاد تلقيحاً وتُنحّق (وتُبَخّق) ، وتنحيقُها (وتبخيقها) أنْ يُوْطَأ عَسَقُها حتى يسترخي ، فذلك دواؤها .

الدَّفَرُ	:	ثَمَر شجرٍ صينيّ وشِحريّ .
دَفِرَ النَّباتُ	:	كَثُر وتَنَعَّم.
الدُّقْرَانُ	:	خَشَبٌ ينصَب في الأرض يُعَرَّش عليه الكَرْمُ . ومرّت « الدُّجْرانُ » قريباً ، ولعلها لغة في هذه .
الدّائِرَةُ	:	خشبة تُركَز وسط الكُدْس تدور بها البَقَرُ .
ذَرَّ البَقْلُ	:	اذا طلع من الأرض .
المِذرَّةُ	:	آلة يُذَرُّ بها الحَبُّ .
الذَّرِيْرَةُ	:	فُتاتٌ من قَصَب الطِّيب الذي يُجاء به من الهند يُشبِه قَصَب النُّشّاب .
ذَفِرَ النَّبْتُ	:	كَثُـــرَ .
ذُكُورُ البَقْلِ	:	ما غلُظَ منه وجفا وخشُنَ والى المرارة ما هو .
الذُّكارَةُ	:	حمل النخل .
الذُّكّارَةُ	:	الفحْل من النخل .
ذَهِرَ النَّوْرُ	:	اسودَّ ، وخُصَّ به نَوْرُ الحَوْذان .
الزَّأْرَةُ	:	الأجَمَةُ ذات الحَلْفاء والماءِ والقَصَب .
الزُّبَارَةُ	:	الخُوصة حين تخرج من النَّواة .
ازْبَأَرَّ النَّبْتُ	:	طلـــع .
الزّاخِرُ من النّبات	:	الطــويل الكثير المُلتفّ . ونبْتٌ زُخاريٌّ وزَخْوَريٌّ وزَخْوَرٌ : ريّان تامٌّ مُلتفّ قد خرج زَهرُه .

الزَّفَرُ : الذي يُدعم به الشجر ويُسنَد .
زَوافِرُ الكَرْم : خُشُب تقام وتُعرَّض عليها الدَّعَمُ لتَجْري عليها نوامي الكَرْم
الزِّمْرُ : القليل القصير من النبات .
الزَّمْخَرُ : النبات الأجوف النّاعم من الريِّ . وهو ايضاً : الكثير الملتفُّ من الشجر .
الزَّمْخَرُ : قَصَب النّشاب والمَزامير
الزِّنْقِيرُ : القشْرة على النّواة .
الزَّهرُ : النَّوْرُ اذا نصَعَ لونُه وظهرت بهجتُه وزَهوتُه ، وخصَّ بعضهم به الأبيض ، وقيل : هو الاصفر .
الزّاهِرُ : الحَسَن من النبات .
الزَّوْرُ : عسِيب النخل ، يمانية .
الزِّيْرُ : هو الكَتّان ، وتتّخَذ منه الحِبال .
اسْبَكَرَّ النَّبْتُ : طال وتَـمَّ .
شجر ستَيْرٌ : كثير الأغصان .
اسْجَهَرَّ النباتُ : طال وتوَقّد حُسْناً بألوان الزَّهر .
السَّدِيْرُ : العُشْب .
سَدِيْرُ النَّخْل : سَوَادُه ومجتَمَعُه .
السَّرَّةُ : الطّاقة من الرَّيحان . والمَسَرَّة : أطراف الرَّياحين وكذلك السّرير والسُّرور .
السَّرِيْرُ : شحمة البَرْديِّ .
سُرُوْرُ النّبات : أنصاف سُوقِه العُلا .

السِّرَرُ : ما على الكَمْأة من القُشور والطين .
أسِرَّةُ النبتِ : طَرائقُه .
السَّطْرُ : السِّكّة من النّخل .
السَّعَابِرُ : حَبٌّ ينبُت في البُرّ يفسِده ؛ فيُنَقّى منه .
وقيل : السَّعابر والكَعابر كلٌّ ما يُخْرَج من الطعام من زُؤان ونحوه فيُرْمى به .
السَّفِيْرُ : اليَبِيْسُ من البَقْل وحُطامُه وورق الشجر اذا تغيّر لونه وابيضّ ، لأنّ الريح تسفِره .
وهو ايضاً : التِّبْن الدقاق اذا ذَرَّيْتَ الزرع المَدوس .
وهو ايضاً : أسافل الزرع التي تبقى في الأرض بعد الحَصاد .
نَخْلَةٌ مِسْقارٌ : يسيل سَقْرها أي دِبسُها .
السَّكَرُ : شرابٌ يتّخذ من التّمر والكَشُوث والآس .
السّكَرَةُ : المُرَيْزاء التي تكون في الحنطة .
سَمْهَرَ الزَّرعُ : اذا لم يتوالدْ كأنه كلُّ حَبّة برأسِها .
اسْمَهَرَّ الشّوكُ : يبس وصَلُب .
السِّيَرَاءُ : القِرْفة اللّازقة بالنّواة .
وهي ايضا : الجريدة من جرائد النخل .
الشَّثِيرُ : شكير النبت ؛ وهو أول ما ينبت .
الشَّجَرُ : كلُّ ما سما بنفسه ، دَقّ أو جَلّ ، قاوم الشِّتاء أو عجز عنه ، وهو كلُّه صِنفان :

صِنف ذو ورق أو ما يجري مجرى الورق .
وصنف لا ورق له ولكن بعضه له ما يقوم مقام الورق ، ويسمّى الهَدَب ،وبعضه ليس له ما يقوم مقام الورق ايضاً ، وإنما نباته قضبان سُلُب.
وقـد اعتزل النخل هذا كلّه كما اعتزل الشجرَ، فلا يسمى شجراً الاّ على التأويل ، وورقـه خُوص في رطبه ويابسه .
والشجر – بعد ذلك – اصناف : فأما جِـلُّ الشجر فعِظامه التي تبقى على الشتاء ، وأمّا دِقُّ الشجر فصنفان : أحدهما تبقى له أرومة في الأرض في الشتاء وينبت في الربيع ، والثاني ما ينبت من الحبّة كما تنبت البُقول . والفرق بين دِقّ الشجر والبقل ان الشجر له أرومة تبقى على الشتاء ، ولا يبقى للبقل شيء .

التَّشْجِيرُ : أن تُوضَع العُذوق على الجَريد ، وذلك اذا كَثُر حملُ النخلة وعظمت الكَبائسُ فخيف على الجُمّارة أو على العُرجُون .

التَّشْخِيرُ : هو التشجير الذي مرَّ ذكره .

الشَّعَرُ : النبات والشجر . والشَّعْرَاء : الشجر الكثير ، والأَجَمَة ايضاً .

الشَّعْرُ : الزّعفَران قبل أن يُسحَق

الشَّعَارُ	:	ما كان من شجر في لين ووطاء من الأرض يحله الناس نحو الدَّهناء وما أشبهها ، يستدفئون به في الشتاء ويستظلُّون به في القَيْظ . وقال بعضهم : الشَّعَار : جماعة الشجر أو الشجر المُلتفُّ .
الشَّعَارِيرُ	:	صِغار القِثّاء .
الشَّقْرَانُ	:	داءٌ يصيب الزرعَ مثل الوَرْس يعلو الأَذَنَةَ ثم يصعد في الحَبِّ والثَّمر .
الشَّكِيرُ	:	فِراخ النخل ، شَكِرَت النخلة : كثرتْ فِراخها. وقيل : شَكِير النخلِ الخُوصُ الذي حول السعف .
الشَّكِيرُ	:	لحاء الشجر ، وأضاف بعضهم : اذا تشعّث .
الشَّكِيرُ	:	قضيب الكَرْم المغروس ، وقيل : قُضْبانه الأعالي .
الشَّكِير	:	ما ينبت في أصل الشجرة من الورق وليس بالكبار ، وما ينبت من القضبان الغضَّة الرَّخصة بين القضبان العاسية .
شَكِيرُ العِضاه	:	ما بدا ورقه صغاراً قبل أن يتمَّ شجراً له شَوْك .
الشَّمْرُ	:	صِرام النخل .
الأشاهِرُ	:	بياض النَّرجِس .
المَشَارَةُ	:	الدَّبْرَة التي في المزرعة ؛ المقطّعة للزراعة والغراسة .

الشَّوْرَان : العُصْفُرُ ، وثوب مُشَوَّر : مصبوغ به .

الصَّبِرُ : عُصارةُ نبتٍ مُرٍّ شبيه بنبات السَّوسن الأخضر الاّ أنه أكثر ورقاً ، وورقه كقُرُب السكاكين طوال غلاظ ، في خضرته غُبرة وكُمدة ، مقشعرُّ المنظر ، يخرج من وسطه ساق عليه نَوْر أصفر تَمِه الريح . ويؤْخَذ ذلك الورق فيُقْدَح في المَعاصِر وتُسَيَّل عصارته الى جِباب (حِبَابٍ) مجيّرة ، وتُقَرُّ حتى تمتُن ، ثم تجعل في الجُرُب وتُشَمَّس حتى تشتد ، ثم تحمَل في البلاد ، وأكثر ما يُعْمَل ببلاد عُمَان ، وأجْوده ما كان بالجزيرة التي تسمّى سُقُطْرا ، وهي قريبة من ساحل اليَمَن .

الصُّبْرَةُ : ما جُمِع من الطعام بلا كَيْل ووزن ، وهو الكُدْسُ .

الصُّبَّارُ : حَمْل شجرةٍ شديدة الحُموضة ؛ أشدُّ حُموضة من المَصْل ، له عَجَمٌ أحمر عريض ، ويُجْلَب من الهند . وقيل : هو التَّمْر الهنديُّ الذي يقال لشجره : الحُمَر . والصُّبَّار مما يُتَداوى به . ويجوز تشديد بائه .

اصْحَارَّ النَّبْتُ : أخذتْ فيه حُمرة ليست بخالصة ثم هاج فاصفرَّ . ويقال اصحارَّ العشبُ : اذا كانت صفرتُه غير خالصة . واصحارَّ السُّنبل : احمرَّ ، وقيل : أبيضَّتْ اوائلُه .

أصَرَّ الزَّرْعُ : اذا خرج اطراف السَّفاء قبل أن يخلص سنبله، فاذا خلص سنبلُه قيل : قد أسْبَلَ . وقيل : إصرارُه حين يلتوي الورق وييبس طرف السنبل وان لم يخرج فيه القمح . وقال بعضهم : الصَّرَرُ : تخلُّق السنبل في الزَّرع .

الصارُّ : الشجر الملتفُّ الذي لا تخلو اصولُه من الظِّلِّ لاشتباكه .

نباتٌ مَصْرُورٌ : أصابه الصِّرُّ – وهو بَرْدٌ يجيءُ في ريح – فيُهلكه .

الصِّرّانُ : ما نبت بالأرض الصُّلبة من شجر العِلك وغيره .

الصُّعْرُورُ : كلُّ حَمل شجرةٍ تكون مثل الأبْهَل والفُلفُل وشبهه مما فيه صلابة .

الصَّفَارُ : يبيس البهمى ، وقيل هو بضم الصاد . والصُّفَارَة من النبات : ما ذَوى فتغيَّر الى الصُّفرة .

الصُّفَارُ : صُفرة تقع في البُرِّ قبل أن يسمَن ، وسِمَنُه أن يمتلئَ حَبُّه . وهذه الصفرة من آفات النبات وأدوائه .

الصَّفَرِيَّةُ : نبات يكون في أول الخريف أو في تَوَلِّي الحَرِّ واقبال البَرْد ، يُخَضِّرُ الأرضَ .

الصَّقْرُ : ما تحلَّب من العنب والزبيب والتمر من غير أن يُعْصَر . وقيل : هو ما سال من جِلال التَّمر التي كُنِزَت وسُدِّك بعضها على بعض

في بيت مُصَرَّج – أي مَطْلِيّ بالصارُوج – تحتها خَوابٍ خُضْرٌ ، فينعَصِر منها دبس خام كأنه العسل . ويقال رُطَب صَقِر :أي ذو صَقْرٍ ، وهو التمـر الذي يصلح للدِّبس . والتَصْقِير : أن يؤخذ الرُّطب الجيِّد ملقوطاً من العِذْق ، فجعلوه في بَساتيق ، وصَبُّوا عليه من ذلك الصَّقْر ، فيقال له رطب مُصَقَّر . ويبقى رطباً طيباً طول السنة .

الصَّقَرُ : الوَرَق ، وقيل : هو ورق العِضاه اذا انْحَتَّ ، وكذلك ورق العُرْفُط والسَّلَم والطَّلح والسَّمُر ، ولا يقال له صَقَرٌ حتى يسقط .

الصُّنْبُورُ : سَعَفات تنبت في جذع النخلة غير مستأْرِضة في الأرض ، واذا نبتت الصَّنابير في جذع النخلة أضْوَتْها لأنها تأخذ غِذاءَ الامّهات ، وعِلاجُها أن تُقْلَع تلك الصَّنابير منها . وتسمى النخلة اذا دقّت من أسفلها وانْجَرَد كَرَبُها صُنْبُورةً .

الصُّنْبُورُ : أصل النخلة الذي تشعّبت منه العُروق . وهو ايضاً : النخلة الخارجة من أصل نخلة اخرى من غير أن تُغْرَس .

الصِّنْخِرُ : البُرُّ (البُسْرُ) اليابس .

الصَّوْرُ	:	اصل النخــل .
		وهو ايضاً : النخل الصغار ، وقيل : هو النخل المجتَمِـع الصغار والطوال .
الصَّوْرَةُ	:	النخلــة .
الصَّيُّوْرُ	:	الكَـلأ اليابس يؤْكَل بعد خضرته زمانــاً ، وليس لشيء من العشب صَيُّوْرٌ الا ّ ما كان من الثغر والأفاني ، ويقال له الصائرة ايضاً .
الضَّبَغْطَرى	:	العين الذي يُنْصَب في الزرع يُفَزَّع به الطير.
الضَّمِيْرُ	:	العِنَب الذابل يُنَضَّد في الجَرين خُصلة خُصلة ، فاذا جفّت أعاليه قُلِب ، فاذا جفّ كلُّه ضُرِب بالخشب ، ثم ذُرِّي في مكانه حتى يتبيّن الحَبُّ من التّفاريق .
الطّباشير	:	دواء يكون في جوف القنا الهندي . وقيل : هو رَمادُ اصولها المحترقة وفُلوسُه التي في جوف قَصَبه مستديرة كالدرهم ، وانما يوجَد هذا فيما احترق منه بنفسه لاحتكاك بعضه ببعض أو احتكاك اطرافه عند عُصوف الرياح فيخرج منه الطّباشــير .
طَرَّ النّبْتُ	:	طلع ونَبَتَ .
ظَفَّرَ النّبْتُ	:	اذا طلع مقدارَ الظُّفر . وظَفّر البَقْلُ : خرج كأنه أظفار الطائر . وظَفّر النّصِيُّ والوَشيج

والبَرْديُّ والثُّمام والصِّلِّيان والعَرَزُ والهَدَبُ : اذا خرج له عُنْقُر أصفر كالظُّفر ، وهي خُوصة تندُر منه فيها نَوْر أغبر .

ظُفْرَةُ العَجُوز : ثَمَر الحَسَك ، وهي شوكة مدحْرَجَة .

العُبْرِيُّ : ما لا شوك فيه من السِّدْر .

العُبْرِيُّ : ما نَبَت من السِّدْر على شُطوط الأنهار وعَظُم ، وقيل : هو ما لا ساق له منه . وقيل: العُبْري والعُمري منه : ما شرب الماءَ ، والذي لا يشرب يكون بَرِّياً وهو الضال .

العَبْقَرُ : أول ما ينبت من اصول القَصَب ونحوه ؛ وهو غَضٌ رَخص ؛ قبل أن يظهر من الأرض .

العَتْرَةُ : ساق الشجرة .

عِتْرَةُ المِسْحَاة : نِصابها . وقيل : هي خشبة معتَرِضة في نصابها يعتمد عليها الحافِر برِجْله .

العَثْرُ : العِذْيُ ؛ وهو ما سقَتْه السماء من النخل . وقيل : هو من الزَّرع ما سُقِي بماء السَّيل والمطر وأُجْري اليه الماءُ من المسايل وحُفِر له عاثُورٌ ــ أي أتِيٌّ ــ يجري فيه الماء اليه . ويقال له العَثَرِيُّ ايضاً .

العُثْمُرَةُ : ما امتُصَّ ماؤه من العِنب وبقي قشره .

العِذَارُ : السِّكَّة المُصطَفَّة من الشجر .

المِعْرَارُ	:	النخلة التي يصيبها مثلُ العَرّ وهو الجَرَب، وذلك من الأدواء والآفات .
نخلةٌ معرورة	:	مُزَبّلة بالعُرَّة وهي العَذِرة والسِّرْجين والبَعر .
العزّائرُ	:	ما كان من الكَـلأ دون العِضاه وفوق الدِّقّ . وقيل : هي اصول ما يَرْعَونه من سِرّ الكَـلأ كالعَرْفَج والثُّمام والضَّعَة والوَشيج والسَّخْبَر والطَّريفة والسَّبَط ، وهي العَيازِر ايضاً .
العيازِيْرُ	:	بقايا الشجر .
العَوزَرُ	:	نَصِيُّ الجَبَل ، وأهل نَجْدٍ يسمونه النَّصِيَّ .
عصَّرَ النَّبْتُ	:	نبتت أكْمامُ سُنبلة .
العَصْرَةُ	:	شجرة كبيرة .
العُصَارَة	:	أول ما يخرج من العنب اذا اعتُصِر . والمِعْصار : الذي يُجْعَل فيه شيء ثم يعصَر حتى يتحلّب ماؤه . والعَواصِرُ : ثلاثة أحجار يعصِرون العِنب بها يجعلون بعضَها فوق بعض .
العَفَرُ	:	أول سَقْيةٍ يُسقاها الزرع بعد طرح الحَبّ ، ثم يترك أياماً لا يسقى فيها حتى يعطَش ، ثم يسقى فيصلح على ذلك ، وأكثر ما يفعَل ذلك بخِلْف الصيف وخضراواته ، وكذلك النخل .
العَفَارُ	:	أن يُترَك النخل بعد السَّقي — وقيل : بعد التلقيح — اربعين يوماً لا يُسقى لئلاّ ينتَفِض

حَمْلُها ، ثم يسقى ، ثم يترك الى أن يعطش ، ثم يسقى .

العَفَارُ : اصلاح النخل وتلقيحها ، بلغة اهل المدينة .

عَقْرُ النخلة : قَطْع رأْسِها فتيبس ، أو أن يُكْشَط ليفُها عن قَلْبها ويؤْخَذ جَذَبها ؛ فاذا فُعِل ذلك بها يبست وهمدت .

شجرةٌ عاقِر : لا تحمِل .

كَلأٌ عَقَّارٌ : يعقِرُ الماشية ويقتلها .

عُقَارُ الكَلا : خِيار ما يُرْعى من نبات الأرض ؛ ويُعتَمَد عليه .

العِقَّيْرُ : ما يُتَدَاوى به من نبات وشجر ، وهو العَقَّار ايضاً .

العَمْرُ : الشجر الطِّوال .

العُمْرِيُّ : هو العُبريُّ المتقدم الذكر أي السِّدر الذي لا شوك فيه . وقيل : هو القديم من السِّدر والشجر نسبةً الى العُمر .

العُنْقَرُ : النبات اذا ارتفع ولم ينتَشِر ، ويقال له العَنْقُر ايضاً .

العُنْقُرُ : البَرْديُّ . وقَلْب النخلة . والأصل الأبيض لكل نبات قبل أن تنقشِر خُضرتُه .

الغُبْرانُ : رُطَبتان أو ثلاث في قِمع واحد .

الغَشَرِيُّ : لغةٌ في العَشَرِيِّ من الزرع ، وهو الذي تسقيه السماء .

المَغَاثِيرُ : لغة في المغافير (يراجع تركيب غ ف ر) .

نَبْتٌ مُغَشْمَرٌ : مُخَلَّط ليس بجيِّد .

الغَدِيْرُ : القطعة من النبات .

المَغْدَرَة : البئر تُحفَر في آخِر الزرع لتسقي مَذانبَه ، وقيل : هي المُغْدِرة .

غُرَّةُ الكَرْم : سرعة بُسُوقه .

غُرَّةُ النَّبات : رأسُــه .

الغِرَارُ : ما بين السكَّتَيْن من النخل ، والسكّة : السَّطْرُ من النخل .

نَباتٌ غَضِيرٌ : رطب طريٌّ ناعِم ، وكذلك غَضِرٌ وغاضِر .

الغَفَرُ : صغار الكَــلإ .

أغْفَرَ النَّخْلُ : رَكِب البُسْرَ شيئٌ كالقِشْر .

المَغافِيرُ : صمغ شبيه بالناطِف ينضحه العُرْفُط فيوضَع في ثوب ثم يُنْضَح بالماء فيُشْرَب ، غير أن رائحته ليست بطيِّبة . وتكون المغافير في الرِّمْث والعُشَر والثُّمام . فما كان منها في الرِّمث فانه يكون ابيض مثل الجُمّار حُلواً فيه لين ، ومغافير الرمث يُكْلِع شفة الانسان وفَمَه ، مثل الدّبق والرُّبِّ يعلق به ، وانما يُغْفِر الرمث في الصَّفَرِيّة

اذا أوْرَسَ . وما كان منه في العُشَر فانه يخرج من فُصوصه ومواضع زهره فييبس ، يجمعه الناس ، ويسمّى سُكّر العُشَر ، وفيه مرارة .

ومن اجناس المغافير : العسل الجامد الـذي يسمّى التَرَنْجَبِيل ، انما هو نَبْع شجرةٍ من شجر الشوك صغيرة .

وقال بعضهم : ما استدار من الصمغ يقال له المُغْفُر ، وما استدار مثل الاصبع يقال له الصُّعْرور ، وما سال منه في الأرض يقال له الذَّوْب .

الغامِرَة : النخل التي لا تحتاج الى السقي .

الغَمِيْرُ : هو اليَبِيْس اذا مُطِر فنبت في اصوله نبتُ الخُضْرة جديداً حتى يغمر الأول ، أو هو كل نبات أخضر قد غمره اليبيس .

وقيل : هو ما كان في الأرض من خُضْرة قليلة ، إمّا رِيْحَةٌ وإمّا نباتاً . وقيل : اذا يبست البُهمى وتحَطّمَتْ كانت كَلاً يرعاه الناس حتى يصيبه المطر من عام مقبل وينبت من تحته حبُّه الذي سقط من سنبله فيسمى عند ذلك الغَمير ؛ ويأكله المال على ريح الغيث الذي فيـــه .

نَخلٌ مُغْتَمِرٌ	:	يشرب في الغَمْرَة أي الماء الكثير .
الغارُ	:	وَرَق الكَرْم .
الفاخِرُ	:	النخل اذا لم يقبل اللقاح ولم يكن للبُسْر نوىً أو كان له نوى ضعيف ، وهو من الأدواء النباتية .
الفَخُوْرُ	:	النخلة العظيمة الجِذع الغليظة السعف .
عُشْبٌ فاخِرٌ	:	اذا طال .
الفِدْرَةُ	:	الكَعْبُ من التَّمر .
الفُطْرُ	:	ما تفطّر من النبات . وفَطَرَ الشجرُ وتفطّر : انشقّتْ عيونه وتفتّح للايراق وبدتْ اطراف ورقه . والتّفاطِيْرُ : أوّل نبات الوَسْميّ .
الفُطْرُ	:	العِنب اذا بدت رؤوسُه ، ويقال له الفِطْر ايضاً .
الفَغْرُ	:	الورد اذا فَغَم وفتّح (وفَقّح) . وانْفَغَرَ النّوْرُ : تفتّح .
الفاغِرَةُ	:	ضرب من الطّيب . وقيل : هو اصول النّيْلُوفَر الهندي .
الفَقِيْرُ	:	البئر تُحفَر للوَدِيّة وتُغْرَس فيها ثم يُكْبَس حولها بتُرْنُوق المَسِيل — وهو الطّينُ — والدّمَنِ — وهو البَعرُ — .
الفِنْدِيْرَةُ	:	الفِدْرة الضخمة من التّمر ، أي قطعة ضخمة من تَمْرٍ مكتَنِز .

القِبْرُ : موضع مُتَأَكِّلٌ في عُود الطِّيب .

نخلةٌ قَبُوْرٌ : سريعة الحمل . وقيل : هي التي يكون حملها في سعفها .

القَبَعْرُوْرُ : الرَّديء من التمْر .

قَسْوَرَ العُشْبُ : بلغ مَداه . وقَسْوَرَ النبتُ : كَثُر .

تَمْرٌ قَشِرٌ : كثير القِشْر ، وكذلك قَشِيْرٌ .

شجرةٌ قَشْرَاءُ : مُنْقَشِرة . وقيل : هي التي كأنَّ بعضها قد قُشِر وبعض لم يقشَر .

اقْشَعَرَّ النباتُ : اذا لم يُصِب ريّاً .

قَصَرُ النخلِ : أُصولها التي تلي الأرضَ ، أو أصولها العِظام ومـا غَلُظ من أسفلها ، ويقال ذلك في عموم الشجر ايضاً . وتسمى اصول الشجر : المَقَاصِر.

القَصَرُ : كَعابِرُ الزرع الذي يخلص من البُرِّ وفيه بقية من الحَبِّ ، ويقال له القِصرى ايضاً .

القَصَرُ : قِشْر الحنطة اذا يبست .

القَصَرَةُ : احدى قِشْرتي الحبّة ، فالتي تلي الحبة الحَشَرَةُ والتي فوق الحشرة القَصَرَة .

القُصَارَةُ : ما اعتزل عن الحَبّ فلم ينزل في الغِربال ، وقيل : هو ما يخرج من القَتِّ وما يبقى في السنبل من الحب بعد الدَّوْسَة الاولى . ويقال له القَصَر والقَصَرَة والقُصَرّى والقُصَيْراة ايضاً .

القَوْصَرَّةُ	:	وعاء للتَّمرْ من قَصَب ، وقيل : من البَواريّ .
القُطْرُ	:	من أسماء العُود الذي يُتَبَخَّر به . ويقال بضم الطاء ايضاً .
اقْطارَّ النبتُ	:	اذا تهيأ لليبس ، وهو الذي ينثني ويعوجُّ ثم يهيج .
القَطِرانُ	:	عُصارة الأبْهَل والأرْز ونحوهما يطبَخ فيُتحلب منه ثم تُهْنَأُ به الابل . وقيل : القَطِران هو عصير ثَمَرِ الصَّنَوْبَر . ويجوز فيه تسكين الطاء .
القِطْمِيْرُ	:	القشرة الرَّقيقة التي على النَّواة بين النواة والتَّمر ، ويقال : هي النُّكْتة البيضاء التي في ظَهْر النواة ؛ التي تنبت منها النخلة . وتسمى القِطمار ايضاً .
نَخْلٌ مُنْقَعِرٌ	:	منقَلِع من أصله ، وكذلك الشجر .
القَعْسَرُ	:	أول ما يخرج من صغار البِطِّيخ .
القَفُّوْرُ	:	كافور النخل ووعاء طَلْعِه .
أقْمَرَ التَّمْرُ	:	تأخَّر ايناعُه ولم ينضج حتّى يدركه البرد فتذهب حلاوته وطعمه من يبسه . ويقال ذلك في عموم الثَّمَر ايضاً .
نخلة مِقْمَارٌ	:	بيضاء البُسْر ، وهو من الآفات والأدواء .
الوَرَقُ القُمَاريُّ	:	ورق حِرِّيف طيب الطعم ، وهو ورق التُّنْبُل،

رائحته كرائحة القَرَنفُل . قيل : انه يهضم الطعام ويقوّي اللِّثَة والمَعِدَة .

القِنْفَخْر : أصل البرديّ .

القَهْقَر : قشرة حمراء تكون على لُبّ النخلة .

القَهْقَرَة : الحِنطة (الحنظلة) التي قد اسودّتْ بعد الخضرة.

القَوْر : شجر القُطن الحديث ، وقطنه أجود القطن .

الكَثْر : جُمّار النخل وهو شحمه الذي في وسط النخلة ، لغة انصارية . وقيل : هو طلع النخل . ويقال له الكَثَر ايضاً .

الكَثِيراءُ : عِقِّير معروف ، وهو رطوبة تخرج من اصل شجرة تكون بجبال بيروت ولبنان في ساحل الشام ، وله منافع وخواصُ طبية .

الكَدَر : القبضات المحصودة المتفرقة من الزرع :

الكَرّ : الحَبْل الذي يصعد به على النخل ، ولا يسمى بذلك غيره من الحبال ، ويسوّى من حُرِّ اللِّيف ، وقيل من قشر العَراجين ومن العَسيب ايضاً .

مَكْسِرُ الشجرة : أصلها حيث تُكْسَرُ منه أغصانها .

الكَشَر : العُنقود اذا أُكِل ما عليه وأُلْقي .

الكُعْبُرَة : عُقدة أنبوب الزرع والسنبل ونحوه ؛

الكُعْبُرَة : شيء يخرج من الطعام اذا نُقّي ، غليظ الرأس مجتمع .

الكُعْبُورَة : أول ما يخرج من بَدْء الحَبابَة .

الكافِرُ : الزارع ، لأنه يكفُر – أي يستر – البذر المبذور بتراب الأرض المثارة اذا أمَرَّ عليها مالَقه .

الكافُورُ : طلْع النخل أو وعاؤه ، ويقال له الكافِر أيضاً .

الكافُورُ : كِمُّ العِنب قبل أن يُنَوِّر . وكافور الكَرْم : الورق المُغَطّي لما في جوفه من العُنقود .

الكافُورُ : طِيبٌ يكون من شجرٍ بجبال بحر الهند والصين، وهو انواع ولونها أحمر ، ويبيضُّ بالتصعيد .

الكَفَرُ : وعاء الطّلع وقشره الأعلى،ويقال له الكُفُرّى أيضاً.

الكِمْرُ : بُسْر سقط فأرطب في الأرض ولم يرطِب على نخاله .

الكُنَارُ : هو النَّبِقُ في لسان عبدالقيس .

الكِنْبَارُ : ليف النَّارَجِيل وهو جوز نخيل الهند . وأجود الكِنبار الصينيُّ ، وهو أسود شديد السَّواد ، وليس يقوم لأمساد الكنبار ولا يصبر صبرها على ماء البحر شيىء من الأمساد الاخرى ، ومنه تتّخذ حبال مراسي سفن البحر .

مَخَرَ الأرْضَ : شقّها للزراعة .

المُرُّ : صمغٌ منابت شجره بسُقُطْرى .

المَرُّ : المِسْحاة ، وقيل : مقبِضُها ، وكذلك هو من المحراث .

المَرْمارُ : الرُّمّان الكثير الماء الذي لا شحم له .

المُرَيْراءُ : ما يُخرَج من الطعام فيُرمى به . وهي ايضاً : حبّة سوداء تُمِرُّ الطعام .

المَشْرة : الخُوصة الرَّطبة الناعمة . وقيل : هي شبه خوصة تخرج في العِضاه وفي كثير من الشجر ايام الخريف ، لها ورق واغصان رخصة .

المَشْرَةُ : العُشب ما لم يَطُل . والنبات اذا نهض لُعاعاً غَضّاً . والورقة قبل أن تتشعّب وتنتشر .

المَشارَةُ : المزرعة ، وتسمّى الدَّبْرَةَ والمُقَطّعة ايضاً .

المُصَارَةُ : اللُّعَاعة من الكَلإ .

المُطْرُ : سُنبول الذُّرَة .

الشجرُ الأمْعُر : الذي ذهب ورقه .

نخلةٌ مِمْغَارٌ : حمراء البُسْر ، اونه لون المَغْرَة ، وذلك من الأدواء والعيوب .

المَقِرُ : نبات الصَّبِر . وقيل : يخرج الصَّبِرُ منه اولاً ، ثم الحُضُض ، ثم ثُفْلُه الذي يبقى يقال له المَقِر .

المَكْرَة : السَّقْيَة للزرع .

المَكْرَةُ : البُسْرَة اذا دخلها كلّها الإرطابُ وهي صلبة لم تنهضم بعد ولا حلاوة لها ، وتسمّى الجُمْسَة ايضاً . ونخلة مِمْكارٌ : يكثر ذلك من بُسْرها .

المُهْرُ : ثَمَرُ الحنظل .

أمار الزَّعفرانَ : صبَّ فيه الماءَ ثم دافه .

الأنْبَارُ : أكداس الطعام وأهراؤه .

المِنْثَارُ : النخلة التي يتناثر بُسرها ، وكذلك النَّثِرَة .

النَّجِيْرَةُ : النبت العَجِرُ القصير لا يطول .

النَّوْجَرُ : الخشبة التي تُكْرَب بها الأرض .

نَدَرَ النباتُ : اذا خرج الورق من أعراضه . ونَدَرَت الشجرةُ : اذا ظهرت خوصتها فوقها واستمكن المال منها من حيث أتاها .

الأنْدَرُ : البيدر ، وكُدْس القَمح خاصة ، وهو الموضع الذي يجعل فيه الزرع اذا حُصِد ، لغة شاميّة .

النُّذْرُ : جِلْدُ المُقْل .

النَّشْرُ : أن تعود الى العُشب خضرته ويتغيّر لونه بعد أن يدبر وييبس ؛ ثم يصيبه المطر فيخرج فيه شيىء كهيئة الحَلَمَة أحمر ، ولا يكون النَّشْر الاّ في دُبر الصيف ، وهو رديء للراعية يهرب منه الناس بأموالهم ، يصيبها منه السّهام اذا رعته في أول ما يظهر .

انتشرتِ الفَسِيْلةُ : اذا خرجت سعفات فيها بعد غَرْسها . وانتشرت النخلة : انبسط سعفها .

النَّشِيْرُ : الزرع اذا جُمِع وهم لا يَدُوسُونه .

المِنْشارُ : خشبة ذات أصابع يُذَرّى بها البُرُّ ونحوُه .

عُشْبٌ نَضِرٌ : اذا كان مع شدّة خضرته مشرقاً ، وكذلك ناضِرٌ ونَضِيْرٌ .

النُّضَارُ : ما كان من الأثْل عِذْياً على غير ماء في جبل، وقيل : هو الطويل منه المستقيم الغصون ، وقيل هو الأثل الوَرْسِيُّ اللون . وقيل : هو الخِلاف .

النّاطِرُ : حافظ الكَرْم والنخل والزرع ، وهو الناطُور ايضاً ، ويقال بالظاء المعجمة ، وهو من كلام اهل السّواد .

النُّطّارُ : الخيال المنصوب بين الزرع .

النُّعَرُ : ثَمر الأراك أول ما يثمِر .

النَّفاطِيْرُ : نَبْذ من النبت يقع في مواقع من الأرض مختلفة . ويقال : هي أوّل نبات الوَسْميّ .

النّقيرةُ : اول اسماء النخلة في نشوئها .

النّقِيْرَةُ : سُرّة العَجَمة ، وهي النُّقْرَة التي في ظهر النّواة ، منها تنبت النخلة ؛ من حبّة صغيرة تكون في ذلك الموضع .

النَّوْرُ : الأبيض من الزّهر، ويقال له النُّوّار ايضاً . وقيل :النَّوْرُ من كل شجرة وَرْدُها ، وأنارَتِ

الشجرةُ : طلع نَوْرُها ، وأنارت ونوّرتْ : أخرجت نَوْرَها .

النُّوْرُ : حُسن النبات وطُوله .

النُّوّارُ : النَّوْرُ المتقدم الذكر . وقيل النُّوّار : جِماع النَّوْر أبيضه وأصفره وأحمره .

نَوَّرَ التمرُ : خُلِق فيه النَّوى .

النِّيْرُ : الخشبة المعترضة على عنقي الثّورين من الفدّان والذي تُشَدُّ به العَصافير .

الهِبْرِيَةُ : ما تناثر من القصب والبَرْديِّ فيتلبّد .

الهَجيْرُ : ما يبس من الحمض .

نخلةٌ مُهْجِرٌ : مُفرطة الطول والعِظم ، ومُهْجِرَة ايضاً . وذهبت الشجرةُ هَجْراً : أي طولاً وعظماً .

هديرُ العُشْب : تمامه وطوله وكثرته . وهَدَرَ العَرْفَجُ : عَظُمَ نباتُه .

هَرَّ الشَّوْكُ : يبس واشتدَّ يبسه وتنفّش فصار كأظفار الهِرِّ وأنيابه ، وكذلك البُهمى والشُّبْرِق .

الهَرُوْرُ : ما تَساقَط من حمل الكَرْم قبل إدراكه ، أو ما تناثَر من حَبِّ العُنقود في أصل الكَرْم ، ويقال له الهُرْهُور ايضاً ، لغة يمانية .

شجرةٌ هَشُوْرٌ : يسقط ورقها سريعاً ، وكذلك هَشِرَةٌ .

اهْتصرَ النخلةَ : ذلّل عُذوقَها وسوّاها . وتهصّرَت اغصان الشجرة : تهدّلَتْ .

انْهَمَرَتِ الشجرةُ : انحتّتْ عند الخَبْطِ .

اليَهْيَرُّ : صَمْغ الطّلْح ، ويقال بتخيف الـراء ايضاً ، وقد ذكرته المعجمات في تركيب ه ي ر .

الوَتِيْرُ : نوْرُ الوَرْد . والوَتِيرة : الوردة البيضاء ، وقيل : الحمراء .

أوْقَرَتِ النخلةُ : كثر حملها ، وكذلك الشجرة .

* * *

التفكّر (العلم) والتسخير (التقنية)

دعوة لإقامة أمة العلم في الإسلام

الدكتور احمد عبد السلام

(عضو المجمع المؤازر ـ باكستان)

«الله الّذي سخّرَ لكم البحرَ لِتَجْرِيَ الفُلْكُ فيه بأمْرِهِ . وسخّرَ لكم ما في السّموات وما في الأرضِ جميعاً منه ، إنّ في ذلكَ لآيات لِقَوْمٍ يتفكّرون . »

سيكون محور حديثي في هذا المقال مكوناً من كلمتين ، يستعملهما الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة . وهما : كلمة « التفكّر» ونفهم منها العلم ، وكلمة « التسخير » ونفهم منها التقنية .

نهضة العلوم في الاسلام :

التفكر في قوانين الطبيعة واكتشاف هذه القوانين ، ثم التمكن من تسخيرها للسيطرة على البيئة الطبيعية حولنا ، شكلت على مدى العصور حوافزَ مشتركة للجنس البشري كله . وقد حث القرآن الكريم تكراراً على متابعتها كواجب ملزم للمسلمين . ونتيجةً لهذا الحافز ، لم تكد تمر مئة سنة على وفاة النبيّ (صلّى الله عليه وسلّم) إلا كان المسلمون قد أخذوا على عاتقهم لا مهمة استيعاب العلوم المعروفة في ذلك الزمن وحدها ، بل سارعوا أيضاً فتصدّروا عملية الخلق والتجديد في هذه العلوم ، فدانت لهم السيادة فيها على مدى الأعوام الستّ مئة اللاحقة . ويعطي « جورج سارتون » مِقياساً شبه كميّ لهذه السيادة في كتابه الضخم ذي

المجلدت الخمسة : «تاريخ العلم». فهو يقسّم سرده لأسمى المُنْجزات عصوراً ، يمتد كل منها على مدى نصف قرن . وهو ينسّب لكل نصف قرن شخصية رئيسة يسمى بها ، وهكذا. فهو يسمي المدة من سنة ٤٥٠ الى سنة ٤٠٠ ق . م .(عصر أفلاطون)، تعقبها عصور كلٍ من أرسطو ، فأقليدس ، ثم أرخميدس ، وهكذا دَوالَيْك . أما المدة من سنة ٦٠٠ الى سنة ٧٠٠ م فهي قرن الصينيّين هسيان تسانج (Hdiiam Tsang) ، وآي شِنْج (J chung) ثم تأتي المدة من سنة ٧٥٠ م إلى سنة ١١٠٠م – أي على امتداد ٣٥٠ سنة متواصلة لتشكل تعاقباً لم ينقطع لعصور كل من جابر بن حَيّانَ ، والخوارزمي ، والرّازيّ ، والمسعودي ، وأبي الوفاء ، والبيروني ، وعمر الخيام . وهم علماء في الكيمياء والجبر والطب والجغرافيا والرياضيات والفيزياء ، والفلك . ومنهم العربي والتركي والأفغانيّ والفارسي .

ويذكر جورج سارتن في حديثه عن تاريخ العلوم : أن أول الأسماء العملية التي ظهرت في الغرب ، أسماء : جرارد كريمونا (Gerard of Gemona) ، وروجر بيكون (Roger Bacon) وذلك بعد عام ١١٠٠م .

ولكن شرف المشاركة في التطور العلمي ظل تقاسمه وتلازمه مدة (٢٥٠) سنة أخرى– أسماء العلماء العرب المسلمين أمثال: ابن رشد ونصيرالدين الطوسي ، وابن النفيس الذي سبق هارفي (Harvey) في تشخيصه للدورة الدموية .

ولتقدير المستوى الرفيع الذي بلغته هذه المنجزات في ضوء المعطيات الحديثة ، سأورد هنا بعض الأمثلة من حقل اختصاصي ، وهو « الفيزياء » ، خلافاً للآراء التي كانت سائدة عند الإغريق عن طبيعة الضوء. فقدرأى ابن سينا(٩٨٠–١٠٣٨م) أن الضوء ينبعث من المصدر المضيء على هيئة جسيمات تسير بسرعة محدودة، كما أنه فهم طبيعة الحرارة والقوة والحركة . أما معاصره الحسن بن الهيثم (٩٦٥ – ١٠٣٩ م) فانه على ما أنجزه في تجاربه على الضوء ذهب الى أن شعاع الضوء ، إذْ يمر في وسطٍ مّا ، يتخذ المسار الأسهل « والأسرع » ، متبعاً

بذلك قاعدة الوقت الأقل لفرماه كما أنه استوعب قانون الاستمرارية الذي أصبح فيما بعد قانون «نيوتن» الأول للحركة، ووصف عملية انكسار الضوء وصفاً ميكانيكيا اذ قرّر أن حركة « جزيئات الضوء » حين تعبر سطحاً بين وسطين مختلفين تخضع لقانون تحليل القوى بواسطة المضلّعات ، وهي الطريقة التي أعاد اكتشافها ثم طوّرها نيوتن فيما بعــد » . أما الخازني (١١٢٢ م تقريبا) فقد طــور نظرية للجاذبية باتجاه مركز الأرض ، وهــو صاحب الفرضية بأن للهواء وزناً . وقد قدم قطب الدين الشيرازي (١٢٣٦ — ١٣١١ م) وتلميذه كمال الدين أول تفسير لقوسِ قُزَحَ ، وقالا إن سرعة الضوء تتناسب مع الكثافة الضوئية (وليس المادية) للوسط الذي يسير فيه ، وإن العدسات الهيبربولية تصحح التزاول .

وحتى الآن لم أتطرق الى البيروني (٩٨٣ — ١٠٤٨ م) فقد كان البيروني مثل معاصره ابن الهيثم عالماً تجريبياً عظيماً . كما أنه كان على نفس درجة « غاليلو » في نظرته العصرية ، وفي ابتعاده عن نظرة القرون الوسطى . وقد سبق غاليلو باكتشافه القاعدة التي تقول بعدم تغــير صيغة القوانين الطبيعية تحت تأثير تحويل غاليلو . وما ورد في مراسلاته مــع ابن سينا عــن الطبيعة الأولية للجسيمات الأساسيّة، يذكرنا بما يكتب في هذا الموضوع في يومنا هذا . إذ بهذه الروحيّة مــن المعاصرة تميز تفكير البيروني . ودعنا لا نَنْسَ أن جميع هؤلاء الرجال لم يكونوا فيزيائيين وحسبُ ، بل إن منجزاتهم في الطب والرياضيات والجيولوجيا والفلسفة والفلك ، قد جارت أو فاتت منجزاتهم في الفيزياء . ولكن لماذا لم يتم تطوير هذه المنجزات وجعلهــا جزءاً من الفيزياء في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ؟ للأسف هذه حالة معروفة في العلم ، فإن أتباع الأعلام كثيراً ما تنسحق جرأتهم الفكرية تحت وطأة تغير العقائد السائدة في مجتمعاتهم .

لماذا ازدهر العلم في الاسلام ؟

عند الرجوع الى الأسباب التي دفعت المسلمين الى البحث عن العلوم ، وإلى

تطويرها على هذه الوتيرة العالية في عصرهم الذهبي في المئة الثامنة والمئة التاسعة والمئة العاشرة والمئة الحادية عشرة تبدر إلى أذهاننا أسباب ثلاثة :

أولها وأهمها أن المسلمين اتبعوا الطريق التي حثهم عليها القرآن الكريم والنبي (صلى الله عليه وسلم). فانه كما يقول الدكتور محمد الخطيب الأستاذ في جامعة دمشق لا أدل على الأهمية التي حظي بها العلم من الحقيقة الآتية : « إنه في مقابل ٢٥٠ آية تشريعية وردت في القرآن ٧٥٠ آية — عنه تقريباً — تحث المؤمنين على دراسة الطبيعة ،وعلى التفكر ، وعلى استعمال العقل على أفضل وجه ،وعلى جعل النشاط العلمي جزءا لا يتجزّأ من حياة المجتمع » .

السبب الثاني ، وهو مرتبط بالأول ، كان الرفعة التي أعطاها الإسلام لأهل المعرفة والعلم . فالقرآن الكريم يؤكد أفضلية العالم — صاحب العلم والمعرفة في السؤال الذي يطرحه في الآية الكريمة : (قُلْ : هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ ») . وقد منح النبي ، صلى الله عليه وسلم ، المؤمنين من أهل المعرفة والعلم اللقب المشرف : « ورثة الأنبياء » . وذلك لقدرتهم على تبيان آيات الله وجلالها . وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) صريحاً صراحةً مطلقة حين قال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » . كما أنه ألزم أتباعه أيضاً طلب العلم ، ولو اقتضاهم البحث عنه الذهاب الى الصين النائية . ومن المفيد في هذا الصدد أن نذكّر أنفسنا أنه ليس في اللغة العربيّة من كلمة أخرى غير « العلم » تصف هذا النشاط الإنساني .

وأحد مظاهر هذا التبجيل للعلوم ، الرعاية التي حظي بها ،خلقها في الدولة العربية الإسلامية . واذا جاز لنا إعادة صياغة ما قاله ه .آ . ر . جيب في الأدب العربي لينطبق على حالة العلم المشابهة ، فاننا نقول : «لدرجة أكبر منها في أي مكان آخر ،فان ازدهار العلوم في الاسلام كان يتوقف على سعة آفاق رجال الحكم وعلى رعايتهم . فحينما بدأ المجتمع الإسلامي في الاضمحلال ،فقد العلم حيويته

واندفاعه . ولكن حيث وجد في عاصمة ما أمراء ووزراء تبعث رعاية العلم السرور في نفوسهم ،أو يرون لهم فيها شهرة أو فائدة ،فان شعلته بقيت متوقدة» .

اما السبب الثالث لنجاح النشاط العلمي في الاسلام ، فهو الطبيعة العالمية للاسلام ولم يقتصر هذا الأمر على كون دواة الإسلام قد شملت أمماً وأعراقاً عدة ، بل تعدّاه الى كون المجتمع الإسلامي الأول أكثر المجتمعات تقبلاً للرجال من خارجه ولأفكارهم . وهكذا نجد الكندي يكتب قبل مئة وألف عام ما فحواه : «إنه ليليق بنا إذن أن لا نخجل من معرفة الحقيقة ومن استيعابها من أيّ مصدر أتت الينا » .

اضمحلال العلم في الاسلام :

بعد عام ١١٠٠ م بدأ العلم في الإسلام في الاضمحلال ، وما إن حل عام ١٣٥٠ م الا كان هذا الاضمحلال قد أصبح تاماً . . لماذا خسرنا ، نحن في الديار الإسلامية ، مكانتنا ؟ لا أحد يعرف الجواب عن هذا السؤال بكل تأكيد . لا شكّ أنه كانت هناك عوامل خارجية ، كالخراب الذي أحدثه الغزو المُغولي ولكن هذا الغزو بالرغم من كل مساوئه شكل في الغالب عامل انقطاع مؤقت ، اذ أنه لم تكد تمر ستون عاماً على غزو جنكيزخان الا ونجد حفيده هولاكو يؤسس مرصداً في « مراغة » . وفي رأيي المتواضع أن نهاية العلم الحي في دولة الاسلام يعود في أغلب الظن الى أسباب داخلية .

ولأعطيَ مثالاً لماأقول : دعني أقتبس هنا مما يقوله ابن خلدون (١٣٣٢-١٤٠٦م) وهو من أعظم علماء التاريخ الاجتماعي ، ومن أعظم المفكرين اللامعين في هذا المجال على مدى العصور . يكتب ابن خلدون في المقدمة : «كذلك بلغنا لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية ببلاد الافرنجة من أرض « رومة » وما اليها من العدوة الشمالية كانت نافقة الأسواق ، وأن رسومها متجددة ، ومجالس تعليمها متكثرة . والله أعلم بما هنالك » . . .

« بيد أن مسائل الطبيعيات لم تكن موضع اهتمام لنا في شؤون ديننا ، ولذلك

كان علينا أن نتركها جانباً » . (*). فابن خلدون لا يبدي أيّ رغبة في معرفة ما يدور هناك، ولا يستثيره أيّ فضول. بل كل ما يصدر عنه هو عدم اكتراث يقارب العداء . عدم الاكتراث هذا قاد الى العزلة . والتقاليد التي أرساها الكندي بطلب العلم حيثما أمكن الحصول عليه، أصبحت منسية . فعالم العلم الإسلامي ، لم يحاول إقامة أية صلات مع الغرب الذي بدأت العلوم تخلق فيه في ذلك الوقت. في حين نجد المسلمين قبل ذلك بخمسة قرون يطلبون العلم بكل شغف . ففي البداية تلمسوه من تجمعات العلماء اليونان والنسطوريين في جُنْدَيسابور وحرّان حيث بدأت الترجمات عن اليوناني والسرياني . ثم أسسوا في بغداد والقاهرة وأماكن أخرى معاهد عالمية للدراسات العليا — بيوت الحكمة — ومراصد عالمية — الشمسيات — أصبحت كلها مراكز تجمّع لعلماء من جميع الأقطار. مثل هذه التجمعات بدأت تتكون في الغرب بعد نحوسنة ١٢٠٠ م، وذلك بدءاً بمدينتي طليطلة وبلرم حيث كان النشاط على أشده في عملية الترجمة من لغة العلم المرموقة في ذلك الوقت وهي العربية . وهكذا أشعلت شمعة في الغرب من شمعة كانت تتقد متوهجة في ديار الإسلام . ولكن هذه الحركة لم تقابلها حركة معاكسة الى ديار الإسلام التي تميزت علاقاتها بالعلم في العالم الخارجي بسطحية متناهية. والعُزْلَة في العلوم ، كما يعلم كل منا ، يمكن أن تقود إلى موت الفكر .

ولإكمال الصورة استمرت هذه العزلة الفكرية منذ عهد ابن خلدون الى عهود

(*) لقد وضعنا هذه المقتطفات بالعربية نقلاً من الترجمة الانجليزية لأجزاء من مقدمة ابن خلدون قام بها الدارس F. Rosenthal ، وكما ظهرت في الصفحتين ١٣٢ و ١٣٤ في الكتاب الآتي :

John J. Saunders (ed.), The Muslim World on the Eve of Ewope's Exprsin (Prentiu - Hall Ire. Englewood Cliffs, N. J., 1966).

هذا هو المرجع الوحيد الذي توفر لنا حين كتابة هذا المقال .

الإمبراطوريّات الإسلامية الكبيرة : إمبراطورية الأتراك العثمانيين ، وإمبراطورية الصفويين في إيران ، وإمبراطورية المغول في الهند . ذلك أن ضخامة الناتج في المعرفة والعلم في الاسلام أصبح يؤلّف عائقاً أمام تقدمهما ، لأن طلب العلم أصبح محظوراً في المعاهد الدينية التي قدمت التقليد على التجديد . وهذا لا يعني أن السلاطين الشاهنشاهات لم يكونوا على معرفة بالتقدم التقني الذي أحرزه الأوربيون . فقدكان من غير الممكن أن لا يشعرهم توسع البندقيّة وجنوة بتفوقهما عليهم في صب المدافع . وهكذا كانت الحال بالنسبة الى تفوق البرتغاليين في الملاحة وفي تقنية بناء السفن ، فقد سيطر هؤلاء على جميع محيطات العالم ، ومنها تلك التي تحدّ الديار الاسلامية ، وعلى طرق الحج . ولكن يبدو أنهم لم يدركوا إطلاقاً أن مهارة البرتغاليين في الملاحة لم تأتِ بمحض المصادفة هذه المهارة قد طوّرت بالطرق العلمية ، وبذلت في رعايتها كل عناية . وذلك منذ أن أسس الأمير هنرى الملاح معهد الأبحاث في ساجرزسنة ١٤١٩ م . ولما حزت بهم مرارة هذا التفوق وحاولوا اكتساب هذه التقنيات ، لم يستوعبوا إطلاقاً الترابط الأساسي بين العلم والتقنية. والى ذلك التاريخ المتأخر (سنة ١٧٩٩م) لما أدخل السلطان سليم الثالث العلوم الحديثة في الجبر ، وسلم المثلثات ، والميكانيكا والرماية وعلم المعادن مستقدماً معلمين فرنسيين وسويديين لهذا الغرض ، وليستطيع بز الأوربيين في تقنية صب المدافع ، فاته التركيز على البحث العلمي الاساسي في هذه المجالات وهكذا لم تتمكن تركية من اللحاق بأوربة قطّ .

ومما يشير بوضوح الى هذه الحالة أن هذا النشاط المتعدد لم يَحْظَ لدى المسلمين بشرف تسميته بالعلوم ، بل كانت تعرف لديهم بالفنون —وهي مما يمارسه الحرفيون ، ثم بعد ذلك بثلاثين عاماً نجد محمد علي في مصر يعمل على تدريب رجاله على فنون مسح الأرَضين والتنقيب عن الفحم الحجري والذهب . ولكن يبدو أنه هو ومن أتوا بعده لم يدركوا أهمية تثقيف المصريين بعمق لاستيعاب علم طبقات الأرض الأساسي . ونحن حتى في يومنا هذا وبعد أن أدركنا أن التقنية هي الاداة

وهي القوة ، لم نستوعب أنه ليس هناك من طريق مختزل اليها .ذلك أن الشرط لإمساكنا بناصية العلم في تطبيقاته هو أن يصبح العلم الأساسي وعملية خلقه جزءاً من حضارتنا . ولو أردنا أن نكون مكيافيليين ، لرأينا خلف شعار « نقل التقنية » من غير « نقل العلم » دوافع سيئة لأولئك الذين أقنعونا به .

الشروط التي تسبق النهضة العلمية عند المسلمين :

تقديراً مني لدعوة مجلة الأونيسكو الكوريور لكتابه هذا المقال ، أود أن أستغلّ هذه الفرصة لأناقش كيف يمكننا أن نقلب صفحات التاريخ الى الوراء لنستعيد تفوقنا في العلوم مرة ثانية . معظم ملاحظاتي تنطبق على « العالم النامي » بصورة عامة ، ولكنني سأتحدث عن الوضع في البلدان الإسلامية بصورة خاصة .

انسجاماً مع تجربتنا في القرون الأولى ، وانسجاماً مع تجربة غيرنا ، وتمشياً مع ما ألزمنا به القرآن الكريم والنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فان على مجتمعنا بأكمله — وعلى شبابنا بصورة خاصة — أن يعمل على أن ننمّي في أنفسنا التزاماً صميمياً بتأسيس نهضة علمية لدينا . علينا أن نعدّ نصف اليد العاملة لدينا اعداداً علمياً متيناً وصُلْباً . ويجب أن ننصرف الى ممارسة العلوم الأساسية والتطبيقية منفقين ما يُراوِح بين ١٪ و ٢٪ من الناتج القومي الإجمالي على البحث والتطوير . عشرُ هذا المبلغ في الأقل يجب أن يصرف على البحث العلمي الصِرْف وحدَهُ . هذا ما فعلته اليابان إبّانَ ثورة المايجي .وهذا ما تقوم به في يومنا هذا جمهورية الصين الشعبية ، وذلك بنهج مخطط وبسرعة محمومة . ذلك أنهم في الصين قد رسموا لأنفسهم أهدافاً محدودة يجب أن يبلغوها ، وذلك في علم الفضاء ، وعلم الوراثة ، والالكترونيات الدقيقة ، وفيزياء الطاقة العالية ، والزراعة ، وفي السيطرة على الطاقة الحرارية النووية . وهم يتفهمون تفهماً جلياً أن جميع العلوم الأساسية هي علوم ضرورية ، وأن تخوم معرفة اليوم هي مجال تطبيق الغد ، وأن موقعهم يجب أن يبقى على التخوم . ومن المفيد في ضمن هذا السياق أن نستذكر أن الناتج القومي الإجمالي للأمم الإسلامية والعربية يفوق نظيره لدى الصين ، في حين

لا تقل مواردها البشرية بدرجة تذكر عن موارد الصين . هذا إلى أن الصين لا تتقدم على ديار الإسلام بأكثر من بضعة عقود في نشاطها العلمي .

لقد تكلمت على رعاية العلوم . ومن مظاهرها الحيوية ذلك الشعور بالاطمئنان والاستقرار الذي يجب أن يتوافر للعالم الدارس في مزاولة عمله . فالعالم أو التقني ، مثله في ذلك مثل كل الناس ، لا يعطي أفضل ما عنده إلا اذا تأكد له أنه سيتمتع بالاطمئنان وبالاحترام وبتكافؤ الفرص في عمله وفي ترقيته ، وأنه في منأى عن أي تمييز .

لقد أشرت الى رابطة العلم للبلدان الإسلامية والعربية ، وإن لم تظهر في الأفق رابطة سياسية لها حتى الآن . هذه الرابطة العلمية كانت حقيقة واقعة في أيام عظمة العلم الإسلامي ، حينما كان أبناء آسية الوسطى ، من أمثال ابن سينا والبيروني يكتبون بصورة تلقائية باللغة العربية ، في حين يهاجر معاصرهما أخي في الفيزياء ، ابن الهيثم ، من وطنه البصرة تحت حكم الخليفة العباسي الى بلاط منافسه الحاكم بأمر الله الفاطمي ، وهو واثق من أنه سيلقى الاحترام والتبجيل . وذلك بالرغم من وجود الفروق السياسية والمذهبية التي لم تكن حدتها في ذلك الوقت أخف مما هي عليه اليوم . رابطة العلم هذه بها حاجة الى أن تُحَدَّد معالمها وتُرسم بوضوح عن وعي وتصميم من قبلنا نحن العلماء ، ومن قبل حكوماتنا كذلك . فنحن العلماء المسلمين نؤلف اليوم جماعة صغيرة جداً ، لا تُعَدّ في حجمها وفي مواردها العلمية وفي إنتاجها العلمي نسبة واحد من المئة الى واحد من العشرة مما هو مطلوب قياساً على المستويات العالمية . إن بنا حاجةً الى ان نتحد ، والى أن نجمّع قدراتنا ، والى أن نشعر بأننا نعمل جماعة .

إن بنا حاجةً الى أن نُمنح العصمة ، وذلك بصورة محددة ومركّزة خلال ربع القرن الآتي ، على سبيل المثال ، بحيث ان كل من ينتمي الى هذه الرابطة ، إلى

أمة العلم هذه ،سيكون في حصانة من أي تمييز ضده سواء على أساس طائفي أو قومي .

وأخيراً هناك عزلة مجهودنا العلمي عن العلم العالمي . ونحن لا نعاني من عزلة الفرد المادية عن أقرانه من العلماء في الخارج حسب ، بل هنالك أيضاً العزلة عن مقاييس العلم العالمي التي تتمثل بالفجوة بين الطريقة التي نسيِّر بها النشاط العلمي في بلداننا وبين طريقة الحكم الذاتي التي تُسَيَّر بها في بلدان العالم المتطور .

وبموجز القول ان انبعاث العلم في الأمة الاسلامية والعربية يتوقف على شروط خمسة رئيسة : التزام صميمي ، رعاية سخية ، توفير الاطمئنان ، انعدام التمييز المذهبي أو القومي . الحكم الذاتي وعالمية نشاطنا العلمي .

التقنية في البلدان الاسلامية :

وهذا يقودنا أخيراً الى التقنية ، ونجد أن القرآن الكريم يضع نفس القدر من التشديد على التسخير (التقنية) ، وعلى التفكُّر (العلم) — أي نفس القدر من التشديد على السيطرة على الطبيعة بواسطة المعرفة العلمية ، وعلى توليد المعرفة . والقرآن الكريم يضرب لنا مَثَلَيْ داوود وسليمان في سيطرتهما على تقنيات عهديهما ، إذ يقول عن داوود :(. . وألنّا له الحَديدَ . . أن اعمَلْ سابغات وقَدِّرْ في السَّرْدِ . .) . (ولسليمنَ الرِّيحُ غُدُوُّها شهرٌ ورَوَاحُها شهرٌ ، وأسَلْنا له عَيْنَ القِطْر . .)

وهذا في تفسيري المتواضع إنما يعني السيطرة على آلات الصناعة الثقيلة في ذلك الزمن ،التي أنتجت حجارة البناء الضخمة ، والقصور ، والسدود ، والخزانات . كما أنه يذكرنا بذي القَرْنَيْن ، وكيف أنه استعمل قطع الحديد الضخمة والنحاس المسيَّل في دفاعاته .

فالتشديد اذنْ هو على تقنيات صناعة المعادن ، وتنفيذ الأعمال الكبرى ، وطاقة الرياح والمواصلات . والقرآن الكريم كما هو معلوم عند كل مسلم إنّما

يقُصُّ علينا القصص ، ليحثّنا في مستقبلنا ، وليضرب لنا الأمثال التي يجب أن تحذو الأمة حذوها في حاضرها .

(تلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) .

ولن أسترسل هنا في سرد منجزات المسلمين العالية في ميدان التقنية أيام كان العلم والتقنية مفترقين ، وسأركّز جلّ اهتمامي على المستقبل .

ما العقبات الحاليّة في مجتمعاتنا التي تعوق اكتسابها لأعلى المهارات في التقنية؟ ذلك أنه لم يسبق في تاريخ الإنسانية أن بذل هذا القدر من الجهد ، وأنفق ذلك القدر من المال لخلق مرافق تقنية في وقت بهذا العقد كما حصل في ديارنا في العقد الأخير . يقول زحلان : كانت البلدان العربية – الاسلامية في نهاية سنة ١٩٧٨ م ، قد أنفقت ما يزيد على أربع مئة مليار دولار على عقود لأعمال تقنية ضخمة مع موردين أجانب . ولكن يا للاسف قد أنجز معظم هذه الأعمال بالطريقة المعهودة التي لا تكسبنا أي تقنية ، وهي تسلّم الأعمال منجزةً للتسيير .

أما جماعات البحث والتطوير التي هي في طور التكوين من بين تقنيينا ومهندسينا ، فلم يكن لها أي نصيب يذكر في تنفيذ هذه الأعمال . لقد اصبحت مجتمعاتنا مستهلكة للتقنية ، وليست مستوعبةً لها .

وفي أقلّ الحالات ، يعود السبب في هذا الى أن صانع القرار في بلادنا ، بدون استثناء ، هو رجل غير تقني . فبلادنا هي جنة المخطط والإداري . أما التقني ، فليس له مكان في صنع القرار . ولكن التجربة أظهرت أن الهدف البعيد المدى لحيازة التقنية ، يعتمد على أكمل قدر من الانسجام ، والمشاركة ، والانخراط بالمسؤولية بين العالِم والتقني ، ومن يدير عجلات تطوير الدولة والصناعة ، واثقين جميعاً ثقة تامة بكفاية كلّ منهم في ميدان اختصاصه . وبالإضافة الى انطباقها على التقنية الصناعية والتقنية المبنية على العلم ، فان هذه القاعدة نفسها تنطبق على ميدان تطبيق العلم سواء في الزراعة ، أو الصحة العامة ، أو تقنية

الإحياء ، أو أنظمة الطاقة ، أو في الدفاع .

نداءات ثلاثة :

أملي أن كلماتي ستصل الى الأجيال الناشئة من العلماء حاضراً ومستقبلاً ، والى أساتذتنا وأهل القرار بيننا .

ما الذي يجعلني أدعو بكل اندفاع الى انخراطنا في جهد خلق المعرفة هذا ؟ هو ليس لأن الله قد وهب لنا الدافع لنعرف ، وليس لأن المعرفة في عالم اليوم هي قوة ، والعلم في التطبيق هو الأداة الأساسية للتقدم المادي ؛ ولكن لأننا ، بحكم كوننا أعضاء في المجتمع الدولي ، نشعر بلسع الاحتقار لنا – وهو قائم وإن لم يُجهر به – من أولئك الذين يخلقون المعرفة .

وما زلت أذكر كلمات عالم فيزيائي أوربي حائز على « جائزة نوبل» إذْ قال لي منذ بضعة أعوام : « هل تعتقد حقاً ، يا عبدالسلام ، أنه يجب علينا أن ننجد ونعين ونبقي على قيد الحياة تلك الأمم التي لم تخلق ، أو لم تُضِفْ ولا مثقال هباءة الى مخزون المعرفة ؟ » . على أنه لو لم يقل لي هذا فإن احترامي لنفسي يجرح بدرجة رهيبة كلما دخلت مستشفى ووجدت أنه يكاد يكون كل دواء مانح للحياة من أدوية اليوم – من البنسلين الى الأنترفرون- قد أُوجد من غير أن تكون لنا حصة من المشاركة في ذلك ، سواء كنا من العالم الثالث أو من الديار العربية والإسلامية .

اود أن أختتم بثلاثة نداءات . الأول الى زملائي العلماء الذين هم داخل بلداننا والذين هم في الخارج ، والثاني الى أساتذتنا ، والثالث إلى حكامنا وإداريينا .

أولاً ألتفت الى إخواني العلماء فأقول لهم : إن لنا حقوقاً وعلينا واجبات . عددنا قليل ، وحجم أيٍّ من تجمعاتنا هو دون الحجم الحرج ، إلا أن هذا سيتغيّر إذا

نحن توحدنا في أمة العلم . إن بناء دار إسلام فعلية ، وبعث العلوم فيها ، يعتمدان علينا في النهاية .

لقد انهمكت « شخصياً » في البحث عن الوحدة التي تجمع بين قوى الطبيعة المتباعد هذا جزء من عقيدتنا كفيزيائيين ، ومن عقيدتي كمسلم في وحدة الطبيعة النهائية وفي تناسقها . وقد كان لي في حقل منح « جائزة نوبل » عام ١٩٧٩ م أن أذكِّر الحضور بما يأتي :

« إن خالق الفيزياء هو تراث مشترك لكل الجنس البشري . فالشرق والغرب والشمال والجنوب ، كلٌ قد شارك بنفس المقدار في هذه «العملية» . وفي كتاب الإسلام المقدس يقول الله سبحانه وتعالى :

(ما ترى في خلق الرحمن من تفاوُت ، فارْجِعِ البَصَرَ هل ترى من فُطُور . ثم ارْجِعِ البَصَرَ كرَّتَيْن يَنْقَلِبْ اليك البَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حسيرٌ ») .

هذه النهاية هي عقيدة الفيزيائيين ، تلك العقيدة التي تلهمنا وتقيم أودنا ؛ إنه كلّما تعمقنا في البحث ، ازداد اندهاشنا ، وانبهرت أنظارنا .

وبهذه الروح أتوجه بندائي الثاني الى اولئك الذين يصوغون مجتمعاتنا من خلال تعاليمهم ، فأقول لهم : أن لا يَنْسَوا هذه الكلمات من كتاب الله العزيز ، أو ما تعنيه بالنسبة الى أهداف مجتمعنا . واذا كان لي أن أقترح ، فانني أقترح بتواضع أن من بين ما تعنيه هو أن على المعاهد الدينية في الديار الإسلامية أن تدخل في برامجها التدريسية مفاهيم العلوم المعاصرة ، وليس علوم عصر ابن سينا وحدها .

وأخيراً أتوجه بندائي الثالث الى القيمين على أمورنا : إن العلم مهم ، لما

ينطوي عليه من فهم للكون ولآية الله فيه ؛ وهو مهم للفوائد المادية التي يمكن أن نجنيها من اكتشافاته ، وأخيراً وبسبب عالميته ، فانه يؤلف وسيلة تعاون بين الإنسانية كلها وبين الأمم الاسلامية .

للعلم العالمي دَيْن في عنقنا يلزمنا احتراماً لأنفسنا أن نقوم بالوفاء له . إلا أن النشاط العلمي لا يمكن أن يزدهر بغير رعايتكم السخية كلّ السخاء، كما كانت عليه الحال في عصور الاسلام الماضية . إن تطبيق المعيار الدولي بصرف ما بين واحد واثنين من المئة من الناتج القومي الإجمالي ، يعني أن يصرف العالم الإسلامي من أربعة مليارات من الدولارات الى ثمانية مليارات في السنة الواحدة ، يخصص عشرها للعلوم الصرفة . إن بنا حاجة الى مؤسسات تموّل العلم في بلادنا، يديرها العلماء أنفسهم . وإن بنا حاجة الى مراكز دولية للدراسات العليا ، داخل جامعاتنا وخارجها ، نوفر للعلماء ولأفكارهم الدعم السخي والاطمئنان والاستقرار اللازمين . ولنعاهد أنفسنا على أن لانترك لجيل آخر في المستقبل أن يسجل علينا أنه في المئة الخامسة عشرة للهجرة توفر العلماء ، ولكن انعدم الأمراء الذين يرعونهم بسخاء .

* * *

منطق الحراني
في
التحليل والتركيب

(٢٩٦ هـ /٩٠٨م – ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م)

الدكتور ياسين خليل

كلية الاداب ـ جامعة بغداد

١ـ ان مساهمات العلماء والفلاسفة العرب في مختلف العلوم والفلسفة كثيرة ومتشعبة ، وان الدراسات الحديثة قد تناولت بعض الاوجه من الانجازات الفكرية والفلسفية والعلمية ، والنظرية والتطبيقية ، لتراث العرب .وغالبـــاً ما كانت الأحكام حول هذه الانجازات يعوزها الدليل وتطغى عليها روح العاطفة في حالة الاعتزاز بالتراث[١] . وعلى الطرف الآخر نجد عـــدداً من رجال الاستشراق ومن سار في ركابهم يركزون اهتمامهمفي اغلب الاحيان على دراسة التراث العربي من زاوية تاريخية بحتة تسعى الى رده بكل الوسائل الى جذور يونانية او فارسية او هندية ، ولم يشذ عن هذه القاعدة الا نفر قليل من العلماء[٢] ، فاذا بالاحكام العـــامة

(١) لا توجد اكثر اساءة الى التراث من ادعاء باطل يحاول ان يبرهنبالتحيز والتعصب او بالكلمات فقط ، بان تراثنا العلمي العربي احتوى كل شيء ، وان كل انجاز حديث لا بد ان يرد الى الماضي العربي . ان الدراسة الموضوعية بالنقد والتحليل هي الاسلوب الأمثل في تقصيالحقائق وبيان فضل علماء الأمة العربية وفلاسفتها على الحضارة الانسانية.

(٢) ان التحيز الاوربيوالعداء الذي اثارته الحروب ضد العرب على مدى القرون ،والاعتزاز الفائق=

التي طرحتها الغالبية منهم لا تهدف غير البرهان على عجز العرب في الابتكار والانجاز الاصيل .

والموضوع الذي اخترت الكتابة فيه من الموضوعات التي اصابها الاهمال ، فأردت ان اكشف عن جوانبه المختلفة ، وما انجزه العلماء العرب في موضوع اشتهر فيه غيرهم من فلاسفة الغرب على الرغم من ان جميع الآثار العلمية تشير الى حقيقة لا مجال الى انكارها ، وهي اسبقية العلماء العرب على غيرهم في هذا الميدان من الناحيتين الزمنية والفكرية .

لقد اخترت الكتابة في « منطق التحايل والتركيب » لاسباب عديدةاورد ابرزها على هيئة نقاط رئيسة : —

أولاً : لم تتناول الدراسات الحديثة للتراث العامي العربيهذا الموضوع بالدراسة والتحليل ، وان المقالات التي خلفها العلماءوالفلاسفة العرب في هذا الميدانلم ينشر منها الا النزر اليسير ؛ ولم تجر دراسة تحليلية جادة لما تم نشره في ضوء التطور الفكري والفلسفي المعاصر[٣] .

--- عن الحد بالتراث اليوناني على اساس انه يمثل انجازاً اوربياً كبيراً ، قد اساء الى فهمالتراثالعلمي العربي ، وقد تركزت جهود عدد كبير من المستشرقين الاوربيين على البرهان بوسائل غير علمية وغير دقيقة بان ما انجزته العقلية العربية ليس الا مجرد تكرارالتراث اليوناني ، وان ما عرف عند العرب من ابتكار مرده الى التراث اليوناني او الهندي او الفارسي او السرياني ، ولم يشذ عن هذه القاعدة الا نفر قليل من العلماء او المحققين الذين اظهروا ما للعربمن مكانة سامية وفضل في تقدم العلوم .

(٣) لقد اشار مترجم كتاب « البحث عن الحل How to solve it لمؤلفه ج . بوليا G-Polya ، الاستاذ احمد سليم سعيدان في مقدمته بان مقالةالحراني « في طريق التحليل والتركيب » ما تزال تنتظر من يدرسها دراسة متقنة مقارنة ويطبعها طبعة علمية محققة ص ٢٤ — ٢٥ (بيروت ١٩٦٠) .

ثانياً : ان ما خلفه العرب في « التحليل والتركيب » يمثل خطوة كبيرة وواسعة نحو بناء المنطق الهرستيكي Heuristic Logic ، او منطق حل المسائل [٤] ، وهو منطق اشتهر به عدد من فلاسفة اوروبا في العصر الحديث امثال رينه ديكارت R. Descartes (١٥٩٦ — ١٦٥٠) وجوتفريد فلهلم لايبنتز G.W Leibniz (١٦٤٦ — ١٧١٦) وليونارد بولتزانو L- Bolzano (١٧٨١ — ١٨٤٨) وغيرهم [٥].

ثالثاً : لقد طمست البحوث والدراسات المنطقية المعاصرة ما خلفه العلماء العرب من انجاز واضافة وابتكار في « التحليل والتركيب » ، بينما جرى التأكيد في كتب المنطق وتاريخه على دور غيرهم من العلماء امثال پاپوس pappus (القرن الرابع بعد الميلاد) من اليونانيين [٦]، وديكارت ولايبنتز من فلاسفة اوربا المحدثين وغيرهم .

٢ — وحسبنا ونحن نتطلع الى دراسة هذا الموضوع ان نشير الى ابرز الشخصيات العلمية العربية التي ساهمت في رفد منطق التحليل والتركيب بالابتكار والانجاز

---

(٤) انظر مقالة « منطق الحل » للدكتور ياسين خليل المنشورة في مجلة « آفاق عربية » ، السنة الرابعة العدد ٦ ، شباط ١٩٧٩ ، بغداد .

(٥) من الصعب حصر جميع الذين ساهموا في تطوير منطق التحليل والتركيب ، ولكننا نستطيع القول ان كل عالم أقدم على حل مشكلة جديدة بأسلوب مبتكر لا بد ان يكون قد ساهم في التطوير ، فعلماء الرياضيات والمنطق والفيزياء وغيرهم انما يستخدمون طريق التحليل او التركيب في اعمالهم بالاضافة الى ما قد يضيفونه الى هذا المنطق من أشياء جديدة .

(٦) يعود الفضل الى تطور طريقة التحليل والتركيب الى جهود افلاطون في تحليل المعرفة عامة والعلم الرياضي خاصة ، والى جهود ارسطو المنطقية ، والى انجاز اقليدس الهندسي ، وابولونيوس وغيرهم ، وأخيراً وضع بابوس كتاباً عالج فيه التحليل والتركيب ، حيث يبدأ بتعريف التحليل والتركيب انظر :

Heath, Th- L, A History of Greek Mathematics Vol.2 pp : 399 – 401 [Oxford, 965]

الاصيل ، وذلك من خلال استقراء ما ذكرته بعض المصادر والمراجع العربية القديمة ، وان نبين قدر المستطاع ما اختصت به بعض المؤلفات الرياضية من حيث صلتها بهذا المنطق .

تقع المصنفات العربية في التحليل والتركيب في مجموعتين : —

١— مجموعة المصنفات التي اختصت بالبحث في طريقة التحليل والتركيب ، حيث طرحت مجموعة من الارشادات والتعليمات في كيفية حل المسائل الرياضية ، بالاضافة الى تثبيت عدة شروط لازمة للحل وقواعد عامة تجعل حل المسائل بطريقة التحليل او التركيب ممكناً وصائباً .

٢— مجموعة المصنفات الرياضية التي تشير الى التحليل او التركيب في حل المسائل المعروضة فيها ، ولا تخلو هذه المصنفات من الارشادات والتعليمات والشروط والقواعد الخاصة بكيفية حل المسائل بطريقة أفضل .

فمن مصنفات المجموعة الاولى نذكر كتاب ابراهيم بن سنان الحراني (٩٠٨ — ٩٤٦ م) الموسوم : « مقالة في طريق التحليل والتركيب » [٧] ، وكتاب الحسن بن الهيثم (٩٦٥ — ١٠٣٨ م) الموسوم : « كتاب في التحليل والتركيب الهندسيين على جهة التمثيل للمتعلمين » [٨] ، ويختص هذا الكتاب بمسائل هندسية وعددية ، وقد بيّن كيفية حلها بطريقتي التحليل والتركيب .

ونذكر من مصنفات المجموعة الثانية مقالة لابراهيم بن سنان الحراني بعنوان

---

(٧) ابراهيم بن سنان الحراني : كتاب في حركات الشمس ص ٦٦ (حيدر آباد . الدكن ، ١٩٤٧) ذكرت هذه المقالة ضمن قائمة آثار الحراني العلمية ؛ الهندسية والفلكية في ذيل كتابه الآنف الذكر ، وقد ذكر جمال الدين القفطي هذه القائمة في كتابه « كتاب أخبار العلماء باخبار الحكماء » ص ٤٣ .
(تصحيح محمد امين الخانجي بمقابلته على النسخة المطبوعة في ليبسك ، ١٣٢٦ ﻫ) .

(٨) ابن ابي اصيبعة ؛ عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٥٥٥ (تحقيق د . نزار رضا ، دار مكتبة الحياة — بيروت ١٩٦٥) .

« مقالة فيها احدى واربعون مسئلة هندسية من صعاب المسألة في الدوائر والخطوط والمثلثات والدوائر المتماسة وغير ذلك » ، سلك فيها طريق التحليل من غير ان يذكر تركيباً الا في ثلاث مسائل احتاج الى تركيبها »[٩] . ونذكر كتاب الحسن بن الهيثم الموسوم : « الكتاب الجامع في اصول الحساب » ، وهو كتاب يقول عنه ابن الهيثم : « استخرجت اصوله بجميع انواع الحساب من اوضاع اقليدس في اصول الهندسة والعدد ، وجعلت السلوك في استخراج المسائل الحسابية بجهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي »[١٠] . ونذكر كتاب ابي سهل القوهي (القرن العاشر الميلادي) الموسوم : « كتاب مراكز الدوائر على الخطوط من طريق التحليل دون التركيب » ، و « كتاب في الدوائر المماسة عن طريق التحليل »[١١] .

واذا ما القينا نظرة فاحصة على المعلومات المتوفرة عن اهتمامات هذه المصنفات من خلال ما اوردته كتب التراجم والمراجع العربية لظهرت امامنا عدة حقائق مهمة :

أ — إدراك علماء الرياضيات العرب لفضل معرفة الطريقة في حل المسائل الرياضية ، وضرورة التمييز بين طريقتي التحليل والتركيب ، وبيان قواعد وشروط وارشادات لحل المسائل بواسطة التحليل دون التركيب ، او التركيب دون التحليل ، وضرورة توافق طريقتي التحليل والتركيب .

ب — إدراك علماء الرياضيات العرب لضرورة بحث الطريقة ذاتها من حيث ما تقتضيه من قواعد وشروط وتوجيهات وارشادات لايجاد الحلول السليمة ،سواء كانت بطريقة التحليل او التركيب ،

(٩) ذكرها الحراني في« كتاب في حركات الشمس»ص ٦٨ ، وذكرها القفطي في كتابه السابق ذكره .
(١٠) ابن ابي اصيبعة : المصدر السابق ص ٥٥٤
(١١) ابن النديم : كتاب الفهرست ص ٣٤٢ (تحقيق رضا – تجدد ، طهران ١٩٧١)

وتقديم الأمثلة المختلفة بغية الابانة والتوضيح ، فيسهل على المتعلمين حل المسائل بسهولة .

ج- ادراك علماء الرياضيات العرب لاهمية طريقة التحليل والتركيب خارج نطاق علم الهندسة كذلك ، فنجد منهم من استخدمها في الحساب فضلاً عن استخدامها في الهندسة ، وقد اشار ابراهيم بن سنان الحراني الى استعمال طريق التحليل في سائر العلوم بقوله : « وإذا تأملت غرضهم فيه تأملاً شديداً وجدته يؤدي الى طريق التحليل الصحيح الذي يستعمل في سائر العلوم»[١٢]

٣- وبعد هذه المقدمة لابد من استعراض لخطة البحث في هذا المقال ، لنتعرف منذ البداية على جوانب الدراسة واطرافها ، وما ينبغي اثباته وبيان اصالته في مبحث التحليل والتركيب . ويمكن طـرح خطة البحث على هيئة نقاط محدودة مشفوعة بايضاحات مبسطة قصد التعرف على كل نقطة من نقاط الخطة . وهذه النقاط هي :

1- ان نتعرف اولاً على مؤلف «مقالة في طريق التحليل والتركيب» ومؤلفاته في علم الهنـدسة والفلك ، وان نتلمس بعض الجوانب في هذه المقالة قصد معرفة مناهاها ، وما اعتمد المؤلف من مصنفات رياضية لعلماء الرياضيات الاوائل في انجاز المقالة .

2- موضوع بحث طريقتي التحليل والتركيب ، وفيه تتعين حدود البحث وما يتناوله ، وتبرز فيه بشكل واضح اهمية المسائل الهندسية ، بحيث يمكن القول بسهولة ، ان موضوع البحث يتركز حول ماهية المسألة وما تحتويه من عناصر بالاضافة التي انواعها المختلفة .

3- تحديد لطريقة التحليل عن طريق بيان ماهيتها ومـا تستوجبه

(١٢) ابراهيم بن سنان الحراني : مقالة في طريق التحليل والتركيب ص ٤٤ (حيدر آباد الدكن ، ١٩٤٧) .

من قواعد وشروط ، بحيث يصبح الامر ميسوراً امام الباحث لتتبع الطريقة عند الحل او التعرف عليها عند مواجهته لأي حل مطروح ، واكتشاف فيما اذا كان الحل مستوفياً لكافة الشروط او غير ذلك .

4- تحديد لطريقة التركيب من خلال تثبيت القاعدة الخاصة بالتركيب وما تستوجبه الطريقة من قواعد وشروط ، بحيث يصبح الامر ميسوراً امام الباحث لتتبع الطريقة عند اجراء الحل ، او التعرف عليها عند مواجهة المرء لاي حل مطروح ، واكتشاف فيما اذا كان الحل مستوفياً لكافة الشروط او غير ذلك .

5- الغاية التي تستهدفها طريقة التحليل والتركيب ، وذلك من خلال رسم الطريق الذي يحتاج اليه المتعلم في استخراج المسائل الهندسية بصورة مضبوطة ، وما يقع من الغاط في التحليل ، وما يجب اتباعه من قواعد وشروط وصولاً الى الحلول الصحيحة .

6- مقارنة بين منطق التحليل والتركيب للحراني ، ومنطق القياس لارسطو ، ولسوف نختار للمقارنة مجموعة الملاحظات التي اوردها الحراني في مقالته ، بالاضافة الى بعض النقاط التي نراها ضرورية ، وما يترتب على ذلك من ايضاحات ضرورية .

7- استنتاجات عامة تشمل ما نحصل عليه من نتائج في البحث ، وما يترتب على هذه النتائج من توضيحات خاصة لدور منطق التحليل والتركيب في العلوم ، والآثار التي تركها هذا المنطق في فلسفات بعض الفلاسفة المرموقين في العصر الحديث .

٤- يتركز موضوع بحثنا بالدرجة الاولى حول كتاب ابراهيم بن سنان الحراني الموسوم : «مقالة في طريق التحليل والتركيب» بقصد تحليله وادراك ما به

من جدة واضافة وابتكار . وحسبنا ان نبدأ اولاً بالتعرف على مؤلف المقالة ، ثم استعراض بعض الجوانب الخاصة بمصنفاته العلمية ، ومصادر المقالة او الكتب والمصنفات التي افاد منها في تطوير منطق التحليل والتركيب ثانياً .

ذكرت كتب تراجم الاعلام العربية القديمة جانبـاً من سيرة حياة الحراني ومنزلته العلمية ومصنفاته في الرياضيات والفلك ، فقال عنه صاحب كتاب « الفهرست » ما نصه : « ابراهيم بن سنان ، ويكنى ابا اسحق بن ثابت ، وتوفي عن سن قليلة ، وكان فاضلاً في علم الهندسة مقدماً فيها . ولم يُرَ في زمانه اذكى منه ، وتوفي سنة . . . . وله من الكتب ؛ كتاب ما وجد من تفسيره للمقالة الاولى من المخروطات . كتاب اغراض المجسطي » [١٣] . وقد ذكر ابن ابي اصيبعة سنة مولد الحراني ووفاته ، ولم يذكر مؤلفاته ، فقال ما نصه : « ابو اسحق ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة ، كان كاملاً في العلوم الحكمية فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقدماً في زمانه ، حسن الكتابة ، وافر الذكاء ، مولده في سنة ست وتسعين ومائتين . وكانت وفاته في يوم الأحد النصف مـن المحرم سنة خمس وثلاثين وثلثمائة ببغداد . وكانت العلة التي مات فيها ورم في كبده » [١٤] . وتوسع القفطي في ذكر مصنفات الحراني ، واسوف نورد جانباً مما نقله عن رسالة الحراني نفسه [١٥] ، فقال : « ابراهيم بن سنان بن ثابت ابن قرة الصابي الحراني يكنى ابا اسحق كان ذكياً عاقلاً فهماً عالماً بانواع الحكمة ، والغالب عليه فن الهندسة ، وهو مقدم في ذلك ولم يُر اذكى منه وله مصنفات حسان في هذا الشأن ظفرت له برسالة في ذكر ما صنفه ، فمن تصانيفه على ما حكى في أمر علم النجوم ثلاثة كتب اولها كتاب سماه كتاب الآت الاظلال .. والثاني الذي بين فيه امر الرخامات كلها . . . . ثم عمل بعد ذلك كتاباً فيما كان

(١٣) ابن النديم : المصدر السابق ص ٣٣٢ .
(١٤) ابن ابي اصيبعة : المصدر السابق ص ٣٠٧ .
(١٥) المقصود هنا هو كتاب الحراني في حركات الشمس .

بطلميوس القلوذي استعمله على سبيل التساهل في استخراج اختلافات زحل والمريخ والمشتري . . . . وعمل في الهندسة ثلاث عشرة مقالة فيها إحدى عشرة مقالة في الدوائر المتماسة بيّن فيها على اي وجه تتماس الدوائر والخطوط التي تجوز على النقط وغير ذلك . وعمل بعد ذلك مقالة اخرى تتمة ثلاث عشرة مقالة فيها احدى واربعون مسألة هندسية من صعاب المسائل في الدوائر والخطوط والمثلثات والدوائر المتماسة وغير ذلك سلك فيها طريق التحليل من غير ان ذكر تركيباً الا في ثلاث مسائل احتاج الى تركيبها . وعمل مقالة ذكر فيها الوجه في استخراج المسائل الهندسية بالتحليل والتركيب وسائر الاعمال الواقعة في المسائل الهندسية . . . وعمل ايضاً مقالة لطيفة في رسم القطوع الثلاثة بين فيها كيف توجد نقط كثيرة بأي عدد شئنا تكون على اي قطع اردنا من قطوع المخروط » [١٦] .

ولقد اغفل القفطي ذكر مصنفات اخرى ذكرها الحراني في الرسالة التي اشار اليها ، منها مقالة سماها « المسائل المختارة » التي قال عنها : « وسميت هذه المقالة المسائل المختارة الا اني لم اظهر هذه المقالة الثالثة عشرة لاشياء ، منها ان فيها مسائل استخرجها غيري وقد حكيت استخراجهم ثم استخرجتها واتفق ان طرقي في أكثرها اقرب واسهل ، فتخوفت ان يظن ان من استخرجها قبلي أردت مباهاته او يتبين الزيادة عليه وغير ذلك من أسباب يطول شرحها » [١٧] ، ومن الكتب الاخرى كتاب في مساحة القطع المكافيء . الذي قال عنه الحراني : « وعملت كتاباً في مساحة القطع المكافيء في مقالة مفردة وكان جدي استخرج مساحة هذا القطع فعرفني بعض اهل هـذا العصر من المهندسين ان للماهاني [١٨] في

(١٦) جمال الدين القفطي : المصدر السابق ص ٤٣ .

(١٧) كتاب في حركات الشمس ص ٦٩ .

(١٨) الماهاني : هو ابو عبدالله محمد بن عيسى ، ولد ببغداد في القرن التاسع للميلاد ، ولم نتمكن من معرفة تاريخي ولادته ووفاته ، ويقول « سمث » انه من المحتمل انه توفي بين ٨٧٤ و ٨٨٤م (انظر كتاب تراث العرب العلمي ص ١٧٧ لمؤلفه قدري حافظ طوقان ، دار الشروق- بيروت).

ذلك عملاً اوقفني عليه اسهل من عمل جدي ، فلم احب ان يكون للماهاني عمل تقدم على عمل جدي ولا يوجد فينا من يزيد عليه فيما عمله ، وكان جدي استخرج ذلك في عشرين شكلاً ، وقدم له مقدمات عددية كثيرة من جملة العشرين شكلاً ويبين له امر مساحة القطع بطريق الخلف . وقدم ايضاً الماهاني مقدمات عددية لما بينه ثم برهن بطريق الخلف ما اراده في خمسة اشكال او ستة فيها طول ، فاستخرجت ذلك في ثلاثة اشكال هندسية لم اقدم لها مقدمة عددية ، وبينت مساحة القطع نفسه بطريق البرهان المستقيم ولم احتج الى طريق الخلف » [19] .

ويذكر من المحدثين خير الدين الزركلي في كتابه « الاعلام » ما نصه: «ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت ، ابو اسحق الحراني ثم البغدادي : مهندس طبيب من الصابئة . اصله من حران ومولده ووفاته ببغداد . من كتبه « زبدة الحكم » في الحكمة ، و « اغراض المجسطي » ، و « تفسير المقالة الاولى من المخروطات » ، و « الآت الظلال » و « رسالة في الاسطرلاب » ، و « مقالة في رسم القطوع الثلاثة »[20] . ولم يذكر قدري حافظ طوقان اي كتاب او رسالة للحراني لم نذكرها فيما تقدم [21] .

ومن آثاره الهندسية والفلكية التي تم نشرها ست مقالات، وقد تولت مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن نشرها ، وهي على التوالي : —

رسالة في الاسطرلاب سنة ١٣٦٢ هـ/١٩٤٣ م
مقالة في طريق التحليل والتركيب سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧ م

(١٩) كتاب في حركات الشمس ص ٦٩ — ٧٠
(٢٠) خير الدين الزركلي : الاعلام : قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ص ٣٥ — ٣٦ (الجزء الاول ، الطبعة الثالثة — بيروت ١٩٦٩) .
(٢١) قدري حافظ طوقان : تراث العرب العلمي ص ٢٥٣ .

كتاب في حركات الشمس سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧ م
مقالة في رسم القطوع الثلاثة سنة ١٣٦٢هـ/١٩٤٣ م
كتاب مساحة قطع المخروط المكافيء سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧ م
رسالة في الهندسة والنجوم سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧ م

ان الذي يعنينا من آثاره المنشورة في هذا البحث مقالته في طريق التحليل والتركيب بقصد تحليلها والتعرف على ما فيها من انجاز علمي . ويبدو ان الحراني خصها بعناية فائقة ، خاصة بعد ان ادرك بوضوح اهمية التحليل والتركيب في حل المسائل الهندسية وما انطوت عليه مؤلفاته الرياضية السابقة من استخدام لطريق التحليل والتركيب في مجالات هندسية ورياضية متنوعة .

تقع المقالة في تسعين صفحة تقريباً من القطع المتوسط ، وهي محشوة بالاخطاء المطبعية وخالية من الفواصل بالاضافة الى ان تحقيقها لم يكن بالشكل الجيد ، فهي في الوقت نفسه خاليـــة من مقدمة تكشف عن الدراسة والصعوبات والمخطوطات التي تم اعتمادها . وان القارئ يجد صعوبة بالغة وكبيرة في فهم المراد من فقراتها ناهيك عن الامثلة الهندسية فيها ، والشرح الذي جاهد المؤلف في اظهاره .
وخلاصة القول ان هذه المقالة المهمة تحتاج الى تحقيق علمي دقيق ونشر جديد لتكون خير عون للباحثين في معرفة ما تنطوي عليه بشكل افضل ، مع بيان مكانة المقالة في تطور منطق التحليل والتركيب ، واثرها في الدراسات التي قامت بعدها . وعلى الرغم من تعدد الاخطاء والضعف الواضح في التحقيق ، فقد حاولت جاهداً ان اكشف عن الانجاز الضخم الذي ساهم به الحراني في التحليل والتركيب .

ويمكن النعرف على مصادر المقالة او الكتب والمصنفات التي افاد منها في تطوير منطق التحليل والتركيب من خلال ما ذكره في المقالة ذاتها ، وما له صلة وثيقة بالبحث ، بالاضافة الى مساهماته الشخصية الفذة نتيجة ممارساته في علم الهندسة وكيفية حل المسائل الهندسية المختلفة .

وردفي المقالة ذكر بعض علماء الهندسة من اليونانيين، منهم اقليدس Euclid (٣٦٥ ؟ — ٣٠٠ ق.م ؟) الذي اشتهـــر بكتاب الاصول او المبادئ Elements ta stoicheia ، حيث ذكره اكثر من مرة واحدة [٢٢] ، وابولونيوس Apollonius (٢٦٢ ؟ — ١٩٠ ق.م. ؟) الذي اشتهر هو الآخر بكتاب المخروطات conics ، وثاوذوسيوس Theodosius (القرن الاول قبل الميلاد) ، حيث ذكر له الحراني كتاب الاكر Sphaerica المقالة الثالثة [٢٣] . واشار الى ارسطاليس Aristotle (٣٨٤–٣٢٢ق . م) في كتابه التحليلات الأولى Analytica priora او الانالوطيقا [٢٤]

وبالاضافة الى ما تقدم نجد الحراني يكرر من ذكر كتابه « كتاب الدوائر المماسة » في اكثر من موضوع واحد ، ويعتمد عليه كثيراً في التحليل و الامثلة [٢٥]

٥ — ونتناول بعد هذا العرض موضوع بحث طريقتي التحليل والتركيب . فاذا ما استعرضنا كتب التحليل والتركيب ، سواء كانت مختصة بالطريقة ذاتها ، او كانت مجرد مصنفات رياضية تتخللها الطريقة لوجدنا قاسماً مشتركاً فيها يتجلى في بحث المسائل الهندسية والعددية من جهة ، وفي كيفية الحل ومـــا يقتضيه من قواعد وشروط وغير ذلك من جهة اخرى . فالمسألة الرياضية هي موضوع البحث وكيفية الحل هدفه . وهذا معناه : ان طريقة التحليل والتركيب تسعى الى دراسة المسألة للوقوف على اجزائها من مفروضات وشروط ومطلوبات ، والسلوك الى حلها بالطريقة المناسبة بعد التعرف عليها بصورة صحيحة ، وعلى صنفها او نوعها . وقد حدد ابراهيم بن سنان الحراني قصده من كتابه « مقالة في طريق التحليل والتركيب » بقوله : « فرسمت في هذا الكتاب طريقاً للمتعلمين يشتمل

(٢٢) مقالة في طريق التحليل والتركيب : ص ٤٤ ، ص ٤٩ .

(٢٣) المصدر نفسه : ص ٦٣ . (٢٤) المصدر نفسه : ص ٩٢

(٢٥) المصدر نفسه : ص ٣٠ ، ص ٣١ ، ص ٤٦ ، ص ٥٥

على جميع ما يحتاج اليه في استخراج المسائل الهندسية بقول مجمل ، ثم قسمت الاقسام واوضحت كل قسم منها بمثال ، ثم ارشدت المتعلم الى طريق يعرف به في أي قسم منها يدخل ما يلقى عليه من المسائل ، ومع ذلك كيف الوجه في التحليل من التقسيم والاشتراط ، والوجه في تركيبها وما يحتاج اليه من الاشتراط فيه ، ثم كيف يعلم هل المسألة مما تخرج مرة واحدة او مراراً[٢٦] » .

يتركز موضوع بحث منطق التحليل والتركيب حول المسائل المختلفة سواء كانت هندسية او حسابية او فيزياوية وغيرها ، لذلك يوجب علينا تحليل المقال ان نبدأ بدراسة ماهية المسألة فنطرح السؤال الآتي : —

ما هي المسألة المبحوثة في التحليل والتركيب ؟

تناول ابراهيم بن سنان الحراني في مقالته عن التحليل والتركيب جملة من المسائل الهندسية ، ولكنه في الوقت نفسه اشار الى ان التحليل والتركيب لا يقتصران على المسائل الهندسية ، بل تتعدى ذلك الى المسائل العددية او الحسابية وغيرها من المسائل في سائر العلوم . اما اذا استعرضنا الكتاب المذكور فاننا سرعان ما نلاحظ أن جميع الامثلة التي يطرحها هي مسائل هندسية ، وكأنه يريد بها نموذجاً يحتذى به في سائر المسائل الاخرى . وعلى الرغم من عدم وجود تحديد واضح لما يقصد بالمسألة في مقالة الحراني ، الا اننا نستطيع ان نحددها ببساطة من خلال تحليله لعناصرها وانواعها . فالمسألة قضية (هندسية او حسابية ، او منطقية ، او فيزياوية وغير ذلك) او مشكلة مطروحة يتوخى الباحث او المتعلم التصدي لها عن طريق ايجاد الحل المناسب لها او اثبات انها غير قابلة للحل او انها تحتاج الى تعديلات بالزيادة او النقصان من اجل ايجاد الجواب القاطع لها بالنفي او بالايجاب .

ويمكن معرفة ما تنطوي عليه كل مسألة من خلال تحليل العناصر المؤلفة لها ،

---

(٢٦) المصدر نفسه : ص ٣

وان استعراض المواقف المختلفة للحراني من المسائل المتنوعة يجعلنا نستخلص نتيجة مهمة هي ان المسألة تتألف من العناصر الأساسية الآتية : . —

اولاً : المفروضات : وهي المعلومات التي تفترضها المسألة ليفيد منهاالباحث او المتعلم كمقدمات ضرورية يبدأ منها صاعداً باتجاه المبادئ الضرورية ، او نازلاً منها باتجاه النتائج اللازمة عنها منطقياً بالضرورة ، فهي في الحالبين ضرورية من اجل اكتشاف انسب الطرق وصولاً الى النتيجـــة .

ثانياً : الشروط :(او الشرائط كما يطلق عليها الحراني) ، وهي مجموعة مـــن التقييدات التي تسمح او لا تسمح بالعمل عند القيام بالحل ، وقد تكون على هيئة توجيهية او تحذيرات واجبة الاتباع لكي لا يصل الحل الى طريق مسدود او نتيجة غير صحيحة .

ثالثاً : المطلوبات : وهي مجموعة العناصر او المجهولات او النتائج التي تتوخى المسألة ايجاد الجواب او الاجوبة لها او حلها او التي يسير الحل باتجاه الوصول اليها ، وقد تكون مجهولاً او مطلوباً واحداً او عدة مجهولات او مطلوبات .

لاشك في ان المسائل التي طرحها الحراني في كتابه من النوع الذي يتوخى الاجراء او الانشاء Construction ، فهي تنطوي على ثلاثة عناصر مهمة هي المفروضات والشروط والمطلوبات . ولكن من المسائل الهندسية ما يتوخى البرهان او الاثبات proof ، وهذه تنطوي على مفروضات ومطلوبات . ولاجله نميز بين الصنفين من المسائل الهندسية ، ونضرب مثالاً مبسطاً على كل نوع منها.

مثال على الصنف الأول : فيه المفروض والمطلوب والشرط (مسألة انشائية) .

كيف ننشئ مثلثاً على خط مستقيم معلوم ، بحيث تكون اضلاعه الثلاثة متساوية .

نلاحظ في هذا المثال ان المفروض فيه هو « خط مستقيم معلوم » والمطلوب هو « انشاء مثلث على مستقيم معلوم » ، والشرط هو ان تكون « اضلاع المثلث متساوية » ، او « ان يكون المثلث متساوي الاضلاع » .

مثال على الصنف الثاني : فيه المفروض والمطلوب (مسألة برهانية) . اذا تقاطع مستقيمان ، فكل زاويتين متقابلتين متساويتان .

نلاحظ في هذا المثال ان المفروض فيه هو « تقاطع مستقيمين في نقطة » ، والمطلوب اثباته هـو ان « الزوايا المتقابلة متساوية » . وسواء كانت المسألة اجرائية او برهانية ، فان ذلك لايعني ان الصنف الأول لا يحتاج الى بديهيات او مبرهنات بغية الوصول الى الحل ، كما ان ذلك لا يعني بالضرورة ان الصنف الثاني لا يحتاج الى اجراء او انشاء ، اذ لا يوجد ما يمنع استخدام البديهيات والمبرهنات لحل مسائل من الصنف الاول ، ولا يوجد ما يمنع استخدام الاجراءات العماية لحل مسائل من الصنف الثاني . ولقد ادرك الحراني حقيقة امكانية استخدام ما في كتاب اقليدس من قضايا الهندسة لحل المسائل التي تنطوي على اجراء او انشاء ، وذلك بقوله : « وان احتجت الى استعمال شئ من قضايا الهندسة التي في كتاب اقليدس او غيرها استعملت في كل مسألة ما تصلح ان تستعمله . . . »[٢٧] .

٦ — والمسائل التي يتصدى الحراني لدراستها ليست من نوع اوصنف واحد ، بل انها على انواع مختلفة ، وان اختلافها يقوم على ما تنطوي في منطوقها من مطلوبات وشروط ، وما يكون عليه الحل سواء كانت المسألة صحيحة او مستحيلة او سيالة وغير ذلك .

---

(٢٧) المصدر نفسه : ص ٤٤

ومنطوق المسئلة : هندسية كانت او حسابية او فيزياوية او غير ذلك يمثل الاساس الذي يقوم عليه الحل ، لذلك اتجهت جهود الحراني منذ البداية الى فحص المنطوق وادراك الزيادة او النقصان او التمام فيه قبل مناقشة الحل وكيفية ادراكه . والمنطوق في صورته العامة قد يكون مختلفاً في ظاهر اللفظ ، ولكنه من حيث المعنى واحد ، اذ من الجائز ان يواجه المرء مسألة بمنطوقين مختلفين في الظاهر ، ولكن البحث فيهما يثبت بوضوح انهما واحدة في المعنى . واقد بيّن الحراني ذلك بقوله : « كيف يعمل مثلثاً مساوياً لمثلث معلوم ويكون شبيهاً بمثلث معلوم ، وقد يسأل المهندس على جهة ثانية ، فيقال له اذ كان مثلث معلوم كيف تعلم اضلاع المثلث ، وسنبين مستأنفاً ان هذين القولين يرجعان الى معنى واحداً [٢٨] .

وبناءاً على ذلك يمكننا استخلاص قاعدة في منطق التحليل والتركيب ، وان لم يكن الحراني قد دونها بصراحة ، وهي بالصورة الآتية : —

قاعدة المعنى :

من الضروري ادراك معنى منطوق المسألة بوضوح ، اذ من الجائز ان تظهر مسئلة واحدة بمنطوقين مختلفين في ظاهر اللفظ ، ولكنهما في حقيقة الامر يرجعان الى معنى واحد .

واذا كانت المسائل تختلف بعضها عن بعض في ما ينطوي عليه المنطوق من شروط ومفروضات ، فان المسائل الصحيحة في نظر الحراني هي تلك التي تكون مستوفية للشروط والمفروضات . وبناءاً على ذلك يمكن استخلاص تعريف للمسألة الصحيحة بالصورة الآتية : —

تعريف المسألة الصحيحة : —

هي مسألة مستوفية الشروط والمفروضات ، ولا تحتاج الى استثناء فيها ، ولازيادة ولانقصان ، ولاتغيير في منطوقها

(٢٨) المصدر نفسه : ص ٥

واذا نظرنا الى المسائل الصحيحة من زاوية الحل على أساس معرفة ما اذا كانت قابلة للحل او غير قابلة له ، فان القسمة الثنائية تشترط علينا ان نقسم المسائل الى مسائل صحيحة تخرج بمعنى ان يكون لها حل تنتهي اليه ، ومسائل صحيحة لا تخرج بمعنى ان لا يكون لها حل تنتهي اليه . فمن الامثلة على النوع الاول الذي تكون فيه المسائل مستوفية الشروط والمفروضات كقولك : « كيف نقسم خطاً مفروضاً على نسبة معينة ؟ فان هذه المسألة مستوفاة الشروط والمفروضات تخرج كيف ما وضع الخط وبأي مقدار فرض وكيف كانت احوال النسبة من نسب الاعظم الى الاصغر او عكس ذلك او نسب المثل »[٢٩] .

ومن الامثلة على النوع الثاني الذي تكون فيه المسائل مستوفاة الشروط والمفروضات ولا تخرج البتة كقولك : « نريد ان نقسم خطاً بقسمين يكون ضرب احدهما في الآخر مثل مربع الخط كله ، فان هذه المسألة محال كيف قسم الخط وبأي مقدار كان وكيف تصرفت به الحال »[٣٠] .

وهكذا نصل الى استنتاج مهم من الوجهة المنطقية وهو ان من المسائل الصحيحة ما يخرج ، ومن المسائل الصحيحة ما لا يخرج ، ونطلق على النوع الاول اسم المسائل الصحيحة المطلقة ، ونطلق على النوع الثاني اسم المسائل الصحيحة المستحيلة ، وتعرف الاولى والثانية بالصورة الآتية :ـ

تعريف المسألة المطلقة :

هي تلك التي تكون مستوفاة الشروط والمفروضات بالاضافة الى كونها مسألة تخرج ، بمعنى ان يتوفر لها الحل في كل الاحوال .

تعريف المطلقة المستحيلة :

هي تلك التي تكون مستوفاة الشروط والمفروضات بالاضافة الى

(٢٩) المصدر نفسه : ص ٦
(٣٠) المصدر نفسه : ص ٦

كونها مسألة لا تخرج البتة ، بمعنى عدم توفر اي حل تنتهي اليه في كل الاحوال .

٧- ولقد ادرك الحراني اهمية وضوح منطوق المسألة ، وفيما اذا كان محتاجاً الى شرط او فرض او فيه زيادة غير ضرورية . فاذا كان منطوق المسألة مبهماً وغير واضح ، فان المسألة عندئذ يمكن ان تخرج او لا تخرج ، وذلك من خلال تخصيص السؤال بان يضاف الى المسألة شرط ، فتتحول الى مسألة صحيحة مطلقة او مسألة صحيحة مستحيلة . وفي ذلك يقول ما نصه : « واذا جعلت (المسألة) عامية السؤال مبهمة فيمكن ان تخرج وان لا تخرج ، فاما اذا خصص السؤال بان يضاف اليه الشيُ الذي به تخرج المسألة ، فان المسألة تكون من الصحيحة على الاطلاق . وان خصصت بالتصريح في السؤال بما لا تخرج المسألة جرت مجرى المسائل المحال التي يجري ذكرها ودخلت معها[٣١] .

وبناءاً على ما تقدم يمكن استخلاص تعريف للمسألةالمبهمة علىالنحو الآتي :-

تعريف المسألة المبهمة :

هي تلك التي تكون عامية المنطوق ، تحتاج الى شرط او تخصيص لكي تتحول الى مسألة صحيحة . فاذا ما خصص السؤال باضافة الشيُ الذي به تخرج المسألة ، كانت المسألة صحيحة مطلقة ، واذا ما خصص السؤال بما به لا تخرج المسألة ، كانت المسألة صحيحة مستحيلة .

ان غاية المهندس في نظر الحراني هي ان يحلل منطوق السؤال ليقف على صنفه او نوعه ، فان كانت المسألة صحيحة مطلقة ، فما عليه الا ان يثبت لها الحل الذي به تخرج ، اما اذا كانت المسألة من الاصناف الاخرى التي تحتاج الى تغيير في منطوقها باستثناء او زيادة او نقصان ، فان على المهندس ان يعالجها بذكر شرط او

(٣١) المصدر نفسه : ص ٧

مفروض ، او حذف شرط او مفروض . فاذا تحولت بعد ذلك الى صنف المسائل الصحيحة على الاطلاق ، كان عليه ان يثبت لها الحل الذي تخرج به . اما اذا تحولت بعد ذلك الى صنف المسائل الصحيحة المستحيلة ، فان عليه ان يبين ذلك بالتحليل . ويذكر الحراني صنف المسائل السيالة ، على اساس انها مسائل تحتاج الى تغيير شيْ من مفروضاتها او شروطها بزيادة شيْ لم يكن في السؤال او نقصان شيْ » (٣٢) .

وعلى الرغم من ان الحراني لم يحدد صنف المسائل السيالة بدقة في كتابه ، الا ان الامثلة التي يسوقها تلقي الضوء على طبيعتها واسلوب حلها . واليك المثال الآتي : « نريد ان نجد خطين نسبة احدهما الى الآخر معلومة ، فان هذه المسألة سيالة الى ان نقول ويكون مجموعهما معلوماً فيكون من المسائل الصحيحة (٣٣) وليست جميع اصناف المسائل السيالة من هذاالصنف ، فمنها مسائل تحتاج الى زيادة في المفروضات او الشروط لكي تصبح صحيحة ، ومنهامسائل تحتاج الى نقصان او حذف في المفروضات او الشروط لكي تصبح صحيحة ، ومنها مسائل تحتاج الى استثناء لكي تصبح من المسائل الصحيحة .

وبناءاً على ذلك نستطيع تعريف المسائل السيالة بالصورة الآتية : —

تعريف المسألة السيالة :

تلك التي تحتاج الى تغيير شيْ منمفروضاتها او شروطها بزيادة شيْ لم يكن في السؤال او نقصان شيْ ، فاذا تمذلك تحولت الى مسألة صحيحة مطلقة او مسألة صحيحةمستحيلة .

يظهر لنا من التعريف عدة حقائق ، منها ان المسألةالسيالةمسألة غير محددة ، وان ايجاد حل لها يتوقف على زيادة في منطوقها او حذف منهليتم المنطوق معناه بدقة . ومنها ان المسألة السيالة لا تتحول الى مسألة صحيحة مطلقةبمجرد الزيادة

(٣٢) المصدر نفسه : ص ٨

(٣٣) المصدر نفسه : ص ٩

او النقصان ، بل انها تجري مجرى اصناف المسائل الاخرى ، حيث يمكن ان تكون من المسائل الصحيحة المطلقة او من المسائل الصحيحة المستحيلة .

والشيءُ المهم في جميع انواع هذه المسائل واصنافها هو ان التغيير الذي يطرأ على منطوقها لكي تكون من المسائل الصحيحة يعيدها بالتالي الى احد امرين : اما ان تكون المسألة المعدلة صحيحة مطلقة وبذلك تخرج بحل معين لها ، أو صحيحة مستحيلة لا تخرج بحل لها .

ونجد الحراني يصنف المسائل الى ثمانية اصناف يذكر ماسلف ان بيناه بتلخيص فيقول : « هي هذه المسائل الصحيحة بلا شرط ولا استثناء ولا زيادة ولا نقصان . الباطلة من الوجوه ، السيالة بلا شرط ، السيالة بشرط ، المحدودة. وهي التي تحتاج ان تقر بمفروضاتها على جهتها ويرادفيها شرط ، التي تحتاج الى نقصان من المفروضات ليرجع الى المسائل الصحيحة ، التي ترجع بالنقصان الى صنفي المسائل السيالة ، التي ترجع بالنقصان الى المحدودة ، فذلك ثمانية اصناف » (٣٤).

٨ــ وبأسلوب منهجي يواصل الحراني بحثه للتحليل والتركيب بعد ان ثبت اصناف المسائل الهندسية جميعاً ، وذلك لادراكه الواضح للعلاقة بين هذه الاصناف والطريقة . وتناول في البداية طريقة التحليل وتوسع بها ، بحيث لم يبق شيئاً لم يذكره وكانت له صلة بالتحليل ، فطريقة التحليل للمسائل الهندسية قد انطوت على معنيين يرتبطان باجراءين مختلفين : ـــ

اولهما معنى يتصل بالقسمة او التجزئة ، وثانيهما معنى يتصل بجوهر الحل واسلوبه .

فالمسألة المطروحة للحل بحاجة الى تحليل يبين ما فيها من اجزاء او اقسام او عناصر ، وهذا تحليل يقتضي التجزئه ، وغايته معرفة ما تنطوي عليه المسألة من مفروضات وشروط ومطلوبات ، وفيما اذا كانت المسألة ناقصة او فيها زيادة في

(٣٤) المصدر نفسه : ص ١٧

احد عناصرها الرئيسة ، وفيما اذا كانت المسألة من النوع الذي تخرج او من النوع الذي لا تخرج ، وفي اي نوع من المسائل .

وبناءاً على ذلك يجب علينا بيان مفهوم القسمة عند الحراني وما يشترطه ، فنبدأ بطرح السؤال الآتي :-

ما الفائدة التي يتوخاها المرء من تحليل المسألة ؟

والجواب على هذا السؤال يتطلب منا ان نتعرف بالتفصيل على اهمية القسمة وارتباطها بالحل ، فنقول : ان القسمة ضرورية لانها تطلعنا على ما في المسألة من اجزاء وعناصر ، فندرك من خلال ذلك ما يأتي : -

١- ما في المسألة من مفروضات وشروط ومطلوبات ، ومعرفة ان كانت المسألة قيد البحث اجرائية يحتاج حلها الى عمل ، او برهانية تحتاج الى مفروضات ومقدمات ضرورية وصولاً الى المطلوب الذي يمثل نهاية الحل وغايته.

٢- نوع المسألة قيد البحث ، واين تقع ، ان كانت قابلة للحل او غير قابلة للحل ، او ان كانت من المسائل المستحيلة او السيالة اوالصحيحة وغير ذلك ، وما هو الاسلوب الافضل لحلها ، فهل نتبع طريق التحليل او طريق التركيب ؟

٣- الزيادة او النقصان في المسألة ، وما تحتاجه من شروط او مفروضات ان كانت من المسائل التي تخرج ، او حذف ما هو زائد عن منطوق المسألة ، واتاحة الفرصة لايجاد حل افضل .

وفي ضوء ما تقدم يمكننا استخلاص نتيجة هامة هي بمثابة قاعدة عامة في التحليل بمعنى القسمة ، ومشيرين في الوقت نفسه الى هذه القاعدة من خلال اقوال الحراني ، لكي لا يكون الاستنتاج مجرد استخلاص فحسب ، وتكون القاعدة بمثابة شرط قابل للتطبيق عند اجراء حل المسائل ، وبالصورة التي

مارسها الحراني نفسه من خلال الامثلة التوضيحية التي يسوقها. وسوف يكون هذا المطلوب في هذا البحث كلما وجدنا في اقوال الحراني ما يشير الى قاعدة عامة . الاسلوب هـــو

قاعدة القسمة الاولى :

يجب على المرء عند حل مسألة ما ان يبتدء بالقسمة ما وسعه ذلك حسب الحاجة لمعرفة ماتنطوي عليه المسألة من معلومات ومجهولات ،وما تحتاجه من زيادة في المفروضات او الشروط ان كانت ناقصة ،وما يمكن الاستغناء عنه ان كانت زائدة . « فانك اذا حللت فاستغنيت ببعض المفروضات عن بعض عامت ان في المسألة زيادة . . . » [٣٥] .

قاعدة القسمة الثانية :

يجب على المرء ان يقسم السؤال عند حله للمسألة بطريقة تهديه الى الحل المطلوب ، وذلك عن طريق انتقال ذهنه بالقسمة من قسم الى قسم آخر لادراك الحل ، فان احتاجت المسألة الى مواصلة القسمة فليكن ذلك ، فيجول المرء بخاطره كل الممكنات حتى يعثر على الحل المطلوب .

ويمكن التعبير عن معنى القاعدة باقوال الحراني نفسه فيقول : « فقد يجب على المهندس ان يقسم السؤال مبتدياً بذلك ان كان السؤال محتملاً للقسمة كقولك كيف تعمل دائرة تماس خطين ودائرة ، فان هذه المسألة تحتاج ان تقسم اولاً ويقال : الخطان اما ان يكونا متوازيين او لا يكونا كذلك، وان كانا متوازيين فان هذه الدائرة لا تخلو من ان تكون خارج الخطين غير ملاقية لاحدهما او خارجهما مماسة لاحدهما او قاطعة لاحدهما او واقعة فيما بينهما غير ملاقيــة لواحد منهما . ثم ان احتيج ايضاً اذا شرعت في التحليل الى قسمة شيءٌ من هذه

(٣٥) المصدر نفسه : ص ٣٩

الاقسام قسمته كأنك ان احتجت الى ان تقول في بعض الاقسام انه اما ان يكون مركز الدائرة المعلومة واقعاً في الوسط بين الخطين المتوازيين واما ان لا يكون كذلك ، هكذا ينبغي ان يجري الامر في التقسيم » [٣٦] .

واشترط الحراني في القسمة ان تكون مؤدية الى الحل ، والا ضاعت جهود المرء اذا ما سارت القسمة في طريق آخر ، فحذر من ذلك بقوله : « والذي يكره في التقسيم ان يحل ببعض الاقسام فاحذر ان يقع لك ذلك ، واخطر ببالك جميع الاقسام والوقوعات والاوضاع ثم بعد التقسيم ينبغي ان تحلل قسماً على حدته» [٣٧]

يبدو لنا الآن بوضوح تام ان المسألة في منطق الحراني ليست الا سؤالاً مطروحاً يسعى المرء الى حله على خطوات ، وان اولى الخطوات هي في تقسيم السؤال الى اجزائه وعناصره ، ثم النظر في المسألة من خلال ذلك لرسم خطة مؤدية الى الحل . وان القسمة التي نجدها في القاعدة الثانية تحمل معها صورة اولية لرسم الخطة عن طريق تقليب الممكنات المتاحة ، ووضع اليد على بداية الحل الصحيح .

٩ — اما المعنى الآخر للتحليل الذي يتصل بجوهر الحل واسلوبه ، فيمكن ادراكه من خلال تعريف الحراني لمفهوم التحليل ، وهو التعريف الذي يمثل منهجاً وقاعدة ضرورية في منطق التحليل والتركيب ، الامر الذي يقودنا الى طرحه كقاعدة نطلق عليها اسم « قاعدة التحليل » :

قاعدة التحليل :

« وهو انك تبتدئ فتضع الشيء الذي تطلبه موجوداً ، ثم تنظر في جميع شروط المسألة والمفروضات فيها وما طلب منك وضعته على انه موجود فتجمع منها بالتحليل من غير ان تحذف شيئاً منها اصلا . ان الذي طلب منك معلوم ان كان مما تريد ان تجد وضعه فتبين .

(٣٦) المصدر نفسه : ص ٤٢
(٣٧) المصدر نفسه : ص ٤٣

انه معلوم الوضع ، وان كان مما تريد قدره فتبين انه معلوم القدر ، وان كان المطلوب الصورة منه ، فتبين انه معلوم الصورة » [٣٨] .

ينطوي منطوق القاعدة على عدة شروط منطقية واجبة الاتباع عندما يقتضي الأمر البحث عن الحل لمسألة صحيحة ، يمكن طرح هذه الشروط من خلال فهم القاعدة وأساليب تطبيقها في كتاب الحراني بالشكل الآتي : —

الشرط الاول :

يقتضي التحليل ضرورة تبين المطلوب في المسألة من بين المعلومات التي تقدمها المسألة ، وان تكون بداية الحل او العمل في ان نفترض منذ البداية ان المطلوب موجود ، فنضعه مقدمة ننتقل منه الى خطوات الحل الاخرى .

الشرط الثاني :

تقتضي الخطوة التالية في التحليل ان نتبين من خلال المعلومات التي يقدمها منطوق المسألة ، والشروط والمفروضات ، بالاضافة الى المطلوب ، لان ذلك هو السبيل للافادة من هذه المعلومات في طريق الحل .

الشرط الثالث :

يقتضي التحليل ان لا تحذف اي شيء من الشروط والمفروضات ، فاذا ما طرحت مسألة صحيحة ، وطلب منك ايجاد حل لها ، فمن الواجب ان تفيد من كل المعلومات التي تقدمها المسألة من شروط ومفروضات ، فلا تحذف اي شيء منها .

نتبين من القاعدة وما تنطوي عليه من شروط بالاضافة الى ما تقدم ذكره من

(٣٨) المصدر نفسه : ص ٤٣ — ٤٤

استعمال الحراني للتحليل بمعنى التجزئة والقسمة ، ان التحليل قد اخذ بمجامع المسئلة واسلوب حلها ، وانه بذلك تعدى التحليل في عرف بابوس الذي اقتصر على الجانب البرهاني في المسألة . ولكي نتبين فضل الحراني لا بد ان نذكر تعريف التحليل بالشكل الذي ورد في آثار بابوس ، حيث يرى : « اننا في التحليل نعتبر ما يطلب عمله انه قد عمل ، ثم نتساءل : من اي شئ يمكن ان ينتج ذلك ، ثم من اي شئ يمكن ان ينتج هذا الشئ وهكذا نعود القهقرى بخطوات الى ان نصل الى شئ سبق معرفته او ينتمي الى مجموعة المبادئ الاولية . ونطلق على مثل هذه الطريقة التحليل كحل معكوس » (٣٩) .

وما دمنا بصدد طريقة التحليل عند الحراني ، فمن الضروري ان نتعرف بالتفصيل على قاعدة اجراء الحل ومجموعة الارشادات التي يراها ضرورية لحل المسائل المختلفة .

لقد اطلع الحراني من دون شك على المؤلفات الهندسية اليونانية وتعلم منها كيفية اجراء الحل ، ومارس بنفسه البرهان الهندسي حتى اصبحت لديه خبرة هندسية في الطريقة تفوق من سبقه ، بل ذهب الى التقويم والنقد لاعمال العاملين في الهندسة واضاف من القواعد والارشادات مالا نجده في مصنفات الاوائل ، وقد بين بوضوح من خلال الامثلة التي اختارها مقدار اهمية كل قاعدة ، وفائدة الارشادات في تلمس طريق الحل الصحيح . وفي سبيل تقديم صورة منطقية واضحة لطريقة اجراء الحل عند الحراني ، لا بد من تثبيت القاعدة العامة اولاً ، وطرح مجموعة الارشادات المرتبطة بها ثانياً .

قاعدة اجراء الحل بالتحيل :

« وهم يتوصلون [يقصد علماء الهندسة] الى هذه الحال بان يجمعوا مفروضات المسألة كلها ، ويقربون بعضها ببعض ،

(٣٩) Heath, Th. L. Op. cit p: 400

ويستعملون القضايا التي قد بينت من القضايا الهندسية كل واحدة منها في المسألة التي تصلح ان تستعمل فيها وتليق بها وتحتاج اليها وتنظر ، وما يجب منها ، الى ان ينتهي لهم الامر الى ان يكون الحد الذي به خرج المسألة من خط او نقطة او غير ذلك مفروضاً بالوضع او بغير وضع » [٤٠] .

لاشك في ان المفروضات والشروط ضرورية ، لانها تمثل المؤشرات الاولى مع المطلوب الى طريق الحل . ومن الواضح ان يبدأ اجراء الحل بجمع المفروضات بعضها ببعض ، وكذلك الشروط للتعرف على ما بينها من روابط منطقية ، والتمييز فيما بينها لادراك ما يمكن عمله في سبيل كشف المقدمة التي نتج عنها المطلوب ، والافادة من غيرها من المفروضات لكشف مقدمة اخرى اومقدمات مرتبطة منطقياً بما سبقها ، وهكذا حتى نصل الى المقدمات التي نسلم بصحتها .

وقد بيّن الحراني هذا الاسلوب من خلال ارشاداته للحل ، وبالطريقة الآتية :

ارشاد اول :

« جمعت على ان تعمل اعمالاً وتنقل مفروضات المسألة من شيْ الى شيْ الى ان ينتهي الى الشيْ الذي تريد ان تعمله » [٤١].

ينطوي هذا الارشاد على عاملين مهمين هما : العامل الذهني الذي يقوم على اساس النظر في امكانية الحل من خلال المفروضات وكيفية الافادة منها في كل خطوة من خطوات الحل ؛ والعامل الاجرائي الذي يقوم على اساس القيام بالعمل وفق ما يقتضيه العامل الذهني ، واجراء الحل بالطريق الذي يؤدي الى ما تريده المسألة من عمل .

ارشاد ثان :

« ان احتجت الى استعمال شيْ من قضايا الهندسة التي في كتاب

(٤٠) مقالة في طريق التحليل والتركيب ص ١٥
(٤١) المصدر نفسه : ص ٤٤

اقليدس او غيرها استعملت في كل مسألة ما تصلح ان تستعمله فيها » [٤٢].

ينطوي هذا الارشاد على عاملين مهمين هما : عامل البرهان الذي يقوم على اساس الافادة من قضايا الهندسة من البديهيات والمصادرات والمبرهنات والتعريفات التي في كتاب اقليدس المعروف بالاصول ، او غيرها من القضايا الهندسية في كتب اخرى مثل كتاب « المخروطات » لابولونيوس؛ وعامل المجانسة الذي يقوم على اساس اختيار القضايا الهندسية المتفقة مع برهان المسألة ، والتي تكون صالحة الاستعمال في البرهان .

ارشاد ثالث :

« وتأخذ القضايا القريبة ابداً المشاكلة المجانسة للشيء المطلوب والاعمال التي تقرب بها مما تريده » [٤٣] .

يشير هذا الارشاد الى ضرورة تحديد مجال اختيار القضايا الهندسية عند القيام بحل المسألة . فاذا كان المطلوب مجانساً لمجموعة القضايا الخاصة بالدائرة فمن الضروري ان يقع الاختيار على هذه المجموعة اولاً ، والبحث عن القضية او القضايا من بين المجموعة التي تقرّب الحل ولا تبعد به عن الطريق ثانياً .

١٠– ولقد ادرك الحراني اهمية الاتصال والتوالي بين القضايا في البرهان على المسائل الهندسية ، وانتقد تلك الاعمال الهندسية التي تفتقر الى هذا المبدأ ، والتي قام بها علماء الهندسة قصد الاختصار ، فطالب بضرورة ذكر جميع الخطوات من دون اي حذف ، وذلك لكشف الصورة المنطقية البرهانية للمسألة بشكل كامل من جهة ، ولاثبات خطأ القائلين بأن بين طريق التحليل وطريق التركيب اختلافاً من جهة اخرى . وجاء في كلامه هذا الهدف بصراحة بقوله : « وأومأت الى ما يقع

(٤٢) المصدر نفسه : ص ٤٤
(٤٣) المصدر نفسه : ص ٤٥

للمهندسين من الغلط في التحليل باستعمالهم عادة قد جرت لهم في الاختصار المسرف ، وذكرت ايضاً لأي سبب يقع للمهندسين في ظاهر الاشكال والمسائل خلاف بين التحليل والتركيب انه ليس يخالف تحليلهم التركيب إلا باب الاختصار ، وانهم لو وفوا التحليل حقه اساوى التركيب وزال الشك من قلب من يظن بهم انهم يأتون في التركيب باشياء لم يكن لها ذكر في التحليل من قبل ما يرى في تركيبهم من الخطوط والسطوح وغيرها مما لم يكن له ذكر في التحليل» [٤٤] .

والتزم الحراني بتحقيق هذا الهدف من خلال تمسكه بقاعدة الاتصال والتوالي ، والتي نجدنصاً واضحاً لها بالصورة الآتية : —

قاعدة الاتصال والتوالي : —

«وكلما كان لك في المسألة شرط او مفروض فأقربه بمفروضات المسألة ليخرج لك ما تريده مفروضاً ، وينبغي ان تكون اذا وجدت مفروضاً في المسألة لم يكن لك ولا هو الذي تريد علمه ، او علمت عملاً ان تحفظه او تضيف اليه اما شرطاً آخر او مفروضاً او قضية وتستعمله ، فانك متى تركته ولم تستعمله لم تنتفع به ، وانما تحتاج ان تربط عملك بعضاً ببعض على الاتصال والتوالي» [٤٥]

تنطوي هذه القاعدة على مجموعة من الشروط المنطقية التي يجب اتباعها عند الشروع باجراء الحل ، كما تشتمل على معيار منطقي في غاية الاهمية هو الترابط المنطقي بين القضايا في سلسلة استنتاجية من دون ترك ما هو ضروري للبرهان سواء كان ذلك بقصد الاختصار او بقصد ان ما ترك معروف لا حاجة الى ذكره . وفيما يلي مجموعة الشروط على التوالي .

الشرط الاول :

ان يجري الاستنتاج من خلال مفروضات المسألة او الشرط

(٤٤) المصدر نفسه : ص ٣ — ٤

(٤٥) المصدر نفسه : ص٤٥

والمفروض في المسألة ، قصد الحصول على مقدمة تكون بمثابة مفروض جديد بالنسبة لمقدمة او مقدمات اخرى .

الشرط الثاني:

ينبغي ان تقرر فائدة ما تحصل عليه في المسألة نتيجةالاستنتاج ، فاذا ما وجد مفروض لم يكن ما تريد علمه ، فامامك اختياران : اما ان تتركه اذا شعرت بعدم فائدته للحل ، او ان تضيف اليه شرطاً او مفروضاً او قضية هندسية وتستعمله .

الشرط الثالث:

(وهو معيار تكامل السلسلة الاستنتاجية)
ينبغي ان يكون البرهان او الحل مترابط الاجزاء ، متتابع الاستنتاج ، متوالياً يلزم بعضه بعضاً ، حيث يبدأ بالمطلوب (طريق التحليل) والافادة من المفروضات والشروط باتجاه استنتاجمقدمة ، والانتقال من ذلك خطوة بعد خطوة اخرى من دون اهمال مفروض او شرط او قضية هندسية ضرورية للحل ، حتى نكسب كافة المقدمات الضرورية ، والمقدمات هي المبادئ او المبرهنات .

تضع هذه القاعدة بشروطها الحراني في مقدمة قائمة علماء الرياضيات والمنطق الذين طالبوا باستمرار ان تكون السلسلة الاستنتاجية خالية من الانتقالات المفاجئة والثغرات . ونجد تشابهاً كبيراً بين مطالبة الحراني بتكامل السلسلة الاستنتاجية ، ومطالبة عالم المنطق والرياضيات جوتلوب فريجه (١٨٤٨ — ١٩٢٥) بضرورة ذكر جميع عناصر البرهان ، على الرغم من اختلاف الهدف . فلم يكن من مهام الحراني غير توجيه المتعلمين والعلماء الى ما يجب ان يكون عند اختيار حل المسائل الهندسية بطريق التحليل وطريق التركيب ، بينما استهدف فريجه من وراء مطالبته بيان ان علم الحساب مجرد منطق متطور ، ومثل هذا الهدف لا يمكن تحقيقه

الا من خلال تكامل السلسلة البرهانية ، بحيث يكون البرهان قائماً على عناصر برهانية كاملة فنذكر البديهية والمفروض والفرضية » [٤٦] .

وطالب الحراني الى جانب ذلك بضرورة التحرز في البرهان خوفاً من الوقوع في الخطأ الذي يؤدي الى عدم استجلاء الحل والوصول بالمسألة اليه ، فيقول : «وكلما اشرنا اليه بالتحرز منه قد تبين في الاعمال انه لم يتحرز منه وقع الانسان في خطأ من حيث لا يعلم ان يترك شيئاً من شروط المسألة او مفروضاتها ، فانك ان فعلت ذلك وكانت المسألة من المسائل الصحيحة لم ينته الى ان يعلم شيئاً اذا كان ذلك الشيء المجهول انما يعلم بالاشياء التي نأخذها في المسألة اجمع » [٤٧] .

واذا ما تم للمرء ما عزم عليه من البرهان بطريق التحليل ، فان ما يجنيه من منافع علمية ليس بالقليل ، وقد ذكر الحراني هذة المنافع بطريقة مباشرة مرة وبطريقة غير مباشرة مرة اخرى ، ونستطيع بدورنا اجمال هذه المنافع على هيئة نقاط بالشكل الآتي مع دعم ما نثبته بالنص الحرفي ان كانت المنفعة قد ذكرت بطريق مباشر : —

اولاً يوقفنا التحليل على اجزاء المسألة ، فنقع على المطلوب فيها والمفروضات والشروط مما يساعد على الحل في الحالتين : — حالة البرهان بطريق التحليل ، وحالة البرهان بطريق التركيب .

ثانياً : يوقفنا التحليل على صنف المسألة وما يحتاج اليه فيها . وقد عبر الحراني عن النقطة الاولى والثانية بقوله : « فاما المنفعة في التحليل فهي واضحة بينة ، وذلك ان بالتحليل يستخرج جميع المطلوبات في هذه الصناعة ، ثم بعد ذلك فالتحليل يوقفك على شيء شيء مما قيل اعني صنف المسألة وما يحتاج اليه فيها » [٤٨] .

46 Frege, G., Grundgesetze der Arithmetik Vol. I p: Vll [Wissenschaftliche Buchgeselschaft Darmstadt]

(٤٧) مقالة في طريق التحليل والتركيب ص ٤٧ .

(٤٨) المصدر نفسه : ص ٦٠

ثالثاً : يتيح التحليل مراجعة الحل بسهولة للتأكد من النتائج التي توصلنا اليها ، وهذا امر محمود بالنسبة لطريق التركيب كذلك ، لان التركيب كما سنجد هو معكوس التحليل ، اذ نبدأ فيه من حيث انتهى التحليل ، وقد اجمل الحراني مراجعة الحل بالتحليل بعبارات واضحة بقوله : « واذا انتهيت الى آخر التحليل فانظر الآن ان كنت قد تأديت الى حق فقل ان ما انتهيت اليه حق ، وان كان محالاً فقل انه محال ، وان كان يحتاج الى شريطة او كان سيالاً او غير ذلك مما قد تقدم تقسيمه فخبّر بما انتهيت اليه ، واذكر ما ينبغي ان يكون فيه من شريطة على ما ذكرناه مما قيل من احد الشريطة بالقرب من مفروضات المسألة لتعلم ان امر المسألة يتعلق بشريطة ، والا فمتى اخذت الشريطة بالبعد من مفروضات المسألة كان في ذلك ما تقدم القول فيه من العيوب ، ومع ذلك فقد يوهمك ما تعمله بالبعد من مفروضات المسألة كما قلنا فيما تقدم ان المسألة تحتاج الى شريطة وليست كذلك ولا تعمل من ذلك شيئاً الا بعد ان تطالب نفسك بان تحيط بالعلم بسببه والعلة فيه . فاذا اثبت على ذلك في قسم من اقسام المسألة ، فانك قد فرغت من التحليل » (٤٩) .

١١– والطريق الآخر في منطق الحراني لحل المسائل الهندسية ، البرهانية منها والانشائية او الاجرائية ، هو التركيب ، الذي يرى فيه الحراني طريقاً لا يختلف عن طريق التحليل الا من حيث انه يمثل حلاً معكرساً ، اذ نبدأ في التركيب من حيث انتهى التحليل ، فنبدأ بالاشياء التي نسلم بها او التي تم اكتساب مقدماتها بالتحليل ، فتكون بمثابة مقدمات ضرورية لاستنتاج ما بعدها ، وهكذا يسير الحل خطوة بعد اخرى حتى يصل الاستنتاج المطلوب ، وعندها يتحقق الهدف المنشود من الحل .

(٤٩) المصدر نفسه : ص ٥٩ – ٦٠

ولما كانت الصلة وثيقة بين التحليل والتركيب ، فان افضل اسلوب لعرض طريق التركيب يتمثل في الربط بين الاجراءين وبخطوات مشابهة لما عرضناه في طريق التحليل . واولى هذه الخطوات هي التأكيد على ان تحليل المسألة الى عناصرها من مفروضات أومطلوبات وشروط ما هو الا اجراء ضروري بالنسبة للتحليل والتركيب معاً ، وان الافادة من هذه المعطيات في الحل شرط ضروري لا يمكن الاستغناء عنه في الحل بواسطة التركيب . واذا كان التحليل يشترط القسمة (قاعدة القسمة الاولى والثانية) ، فان التركيب يفيد من هذا الاجراء على اساس تركيب الاشياء من دون حذف اي عنصر اساس في المسألة عند الشروع بايجاد الحل .

قاعدة الاحاطة الاولى (٥٠) .

يجب على المرء ان اراد تركيب المسألة بعد تحليلها بالطريق الذي يوجبه التحليل ، ان يقوم بحصر جميع عناصر المسألة ، وينظر فيها مطالباً نفسه بالتركيب شريطة ان لا يفوته اي شيْ . وبعبارة الحراني نفسه : « ركب وانظر ما يوجبه التركيب لئلا يكون شذ عليك في التحليل شيْ من الاشياء حتى لا يفوتك شيْ مما في المسألة » (٥١) .

واذا كان التحليل يطلعنا على نوع المسألة وصنفها ، فمن الضروري تثبيت القرار بعد التحليل ان كانت المسألة تخرج او لا تخرج ، او كان الحل محتاجاً الى شريطة وغير ذلك ، لان مثل هذا القرار مهم بالنسبة لطريق التركيب ، لذا فان القاعدة الثانية لا بد أن تأخذ بنظر الاعتبار ما انتهى اليه التحليل .

قاعدة الاحاطة الثانية :

يجب على المرء ان يدرك بطريق التحليل نوع المسألة او صنفها

(٥٠) اخترت هذه التسمية « الاحاطة » لانها تشير بحق الى الاخذ بمجامع المسألة علماً بان هذه التسمية ليست للحراني .

(٥١) مقالة في طريق التحليل والتركيب ص ٥٩

وفيما اذا كانت من المسائل التي تخرج او التي لا تخرج ، وإن كانت بشريطة او استثناء وان كانت من المسائل المطلقة او السيالة او المحالة او غيرها ، وذلك لان طريق التركيب اجراء يعتمد على هذه النتائج المستخلصة بطريق التحليل .

ويربط الحراني من جديد بين طريق التحليل وطريق التركيب في قاعدة التركيب لايمانه ان لا فرق بين التحليل والتركيب ، فالتركيب يبدأ من حيث انتهى اليه التحليل ، فيكون اول التحليل آخر التركيب .

قاعدة التركيب الاولى :

« واذ قد عملت التحليل كيف هو فتركيب ذلك هو ان تنظر الشيء الذي به خرجت المسألة ، فان كان لك من اول وهلة معادلة ، فارجع في الاشياء التي كانت قبله في التحليل واحداً الى ان ينتهي الى اول التحليل ، فيكون اول التحليل آخر التركيب ، وكان التركيب هو التحليل مقلوباً » (٥٢) .

قاعدة التركيب الثانية : —

« وان لم يكن لك منذ اول وهلة فانظر بما صار لك في التحليل معلوماً ، فان كان بشيء موضوع لك في المسألة ، والا نظرت ايضاً بما عملت ذلك ولا تزال حتى تنظر اي شيء كان لك معلوماً فاستخرجت به شيئاً شبيهاً ، ولا تزال تستخرج تلك الاشياء واحداً واحداً الى ان تنتهي الى آخرها ، فاذا انتهيت الى الشيء الذي به خرجت المسألة واستخرجت قوم اقامة البرهان عليها بان تبتدئ بآخر ما عملته وهو ما كانت المسألة خرجت به في التحليل ثم اصعد في شيء شيء على الولاء تأخذ ما قبل كل شيء الى ان تنتهي

(٥٢) المصدر نفسه ؛ ص ٦٦

الى اول التحليل الذي هو آخر التركيب على توال ونظام مخالف لتوالي التحليل ونظامه ولا تخطىء شيئاً [٥٣] .

ينطوي منطوق القاعدة الاولى والقاعدة الثانية على عدة شروط على الرغم من ان القاعدة الثانية تزيد في حقيقة التثبت من البرهان بالتحليل عندما لا يكون الطريق مستقيماً او ظاهراً من اول وهلة . ويمكن اجمال هذه الشروط كما يأتي : —

الشرط الاول : ينبغي الافادة من عناصر المسألة التي خرجت بالتحليل ، بان يكون المفروض والمطلوب واضحاً ، وان يسير الحل عكس طريق التحليل فنبدأ بالمفروضات والاشياء التي نسلم بها ونستنتج منها وبخطوات متتابعة حتى نصل الى استنباط المطلوب .

الشرط الثاني : ينبغي ان يكون حل المسألة بطريق التركيب غير مخالف لحل المسألة بطريق التحليل ، الا من حيث ان اول التحليل هو آخر التركيب على توال ونظام مخالف لتوالي التحليل ونظامه .

الشرط الثالث : ينبغي ان نبدأ بالتركيب من حيث انتهى اليه التحليل ، وذلك بترتيب منطقي ، حيث نبدأ مما سبق معرفته ونستنتج الخطوة التي سبقته ، وهكذا صعوداً تأخذ ما قبل كل شيءٌ الى ان تنتهي الى اول التحليل وهو آخر التركيب .

وقد حذر الحراني في اكثر من موضوع في كتابه من المبالغة في اختصار البرهان وعدم ذكر جميع الخطوات ، كما اشار الى ان الاختلاف الذي قد يبدو في البرهان بين التحليل والتركيب انما مرده الاختصار او ذكر اشياء ليست ضرورية . وفي ذلك يقول الحراني صراحة : « وقد ينبغي ان يعلم ان بعضاً يطعن على هذا الطريق ويقول انهم اذا ركبوا ظهر في التركيب ما لم يكن في التحليل ذكر ، بل انما سبيل التحليل والتركيب ان يكون الكلام فيهما واحداً لا خلاف فيه وان

(٥٣) المصدر نفسه : ص ٦٦ — ٦٧

الخلاف بين التحليل والتركيب انما هو في الترتيب فقط بان هذا كانه ذاك معلوماً » (٥٤) .

ولكي يبدو فضل الحراني في باب التركيب وسعة معلوماته ودقته في الاجراء والبرهان ، نورد ما ورد على لسان بابوس بشأن التركيب فيقول : « ولكن في التركيب نسير على العكس ، حيث نسلم بما تم فعلاً للشيء الأخير الذي توصلنا اليه في التحليل ، وعن طريق ترتيب الاشياء حسب النظام الطبيعي كنتائج او لواحق للتي كانت سوابق قبلاً ، ثم يربط بعضها ببعض على التوالي ، وهذا هو ما نطلق عليه التركيب » (٥٥) .

١٢– يتضح لنا الآن مدى الاتفاق بين بابوس والحراني بصدد طريق التركيب ، ويظهر لنا في الوقت نفسه اهتمام الحراني بالتفاصيل وبالكيفية الدقيقة التي يجب ان يكون عليها طريق التركيب سواء من خلال ما يثبته من اقوال او ما يورده من امثلة هندسية متنوعة يوضح فيها كيفية تطبيق القواعد والالتزام بالشروط والتوجيهات العامة . وقاعدة اجراء الحل بالتركيب تبين بوضوح تام حرص الحراني على تتبع الخطوات العملية وصولاً الى الحل الذي هو غاية الطريق .

قاعدة اجراء الحل بالتركيب :

« فاذا استممت هذه الاشياء فينبغي ان تبتدئ بتركيب ما حللته ، فانظر اولاً لا تركب شيئاً انتهى بك التحايل فيه الى ما يبطل المطلوب اعني لا تركب مسألة قد وضح لك من تحليلها انها محال ، وكذلك في اقسام المسائل ، ولكن انظر كل ما سوى المحال فركبه حقاً مطلقاً فقد ينبغي ان تركبه بلا استثناء ، وان كان حقاً باستثناء فليكن تركيبك اياه هكذا ، تذكر الشريطة ثم تقول فيها اما ان يكون ذلك

---

(٥٤) المصدر نفسه : ص ٧٨

55- Heath, Th.Op. cit, p : 400

موجوداً في هذه المسألة او لا يكون موجوداً ، فان كان موجوداً فتفعل كذا وتصنع كذا وتركب الى ان ينتهي الى آخر التركيب وهو اول التحليل » (٥٦) .

يقصد الحراني بقوله : « فاذا استممت هذه الأشياء » ما قد سلف ان بينه ، وهو ما انتهى اليه التحليل ابتداءاً بالمفروضات والشروط ومعرفة نوع المسألة او صنفها وأقسام المسألة ، وانتهاءاً بالحل . وبعد ذلك يأتي دور التركيب واجراء الحل بواسطته ، فاذا كانت المسألة محالاً ان تخرج ، وعرفنا ذلك عن طريق التحليل ، فمن الضروري ان نهمل حلها بالتركيب ، اذ لا يمكن تركيبها . ويلزم الحراني في القاعدة السابقة ان نعرف اي صنف من اصناف المسائل التي نريد تركيبها ، هل هي مسألة صحيحة مطلقة ؟ هل هي مسألة سيالة ؟ هل هي مسألة محدودة ؟ هل هي مسألة مبهمة ؟ وغير ذلك ، ولا يتم لنا معرفة ذلك الا عن طريق التحليل. وبصورة عامة فان المسألة تكون اما صحيحة على الاطلاق وعندئذ يمكن تركيبها بسهولة ، او تكون بزيادة شريطة او بنقصان شريطة ، وفي الحالتين يجب رد المسألة الى صنف المسائل الصحيحة على الاطلاق ان كانت بعد الرد من المسائل التي تخرج ، والا كانت من المسائل المستحيلة التي لا يمكن تركيبها . وتلزم الضرورة في جميع الاحوال عند اجراء الحل بطريق التركيب ان يذكر الاستثناء او الشريطة ، ثم يجري الحل بعكس طريق التحليل .

اما الارشادات التي تقترن في العادة باجراءات الحل ، فانها واحدة سواء كانت الارشادات لحل المسائل بطريق التحليل هي ذاتها بالنسبة لطريق التركيب مع مراعاة طريق التركيب وما يستوجبه من ضرورة البدء بالمقدمات واستنتاج المطلوب

١٣– وارب سائل يطرح علينا السؤال الآتي : –

هل هناك من صلة بين منطق الحراني في التحليل والتركيب ، ومنطق ارسطو ؟

(٥٦) مقالة في طريق التحليل والتركيب ص ٦٠

وللاجابة على هذا السؤال يجدر بنا ان نبقى في دائرة تفكير الحراني ومنطقه، وان نعزز الاجابة بمقارنة دقيقة مع اصول ومبادئ منطق ارسطو .

لقد شغل الفكر اليوناني بالبرهان لاثبات صدق مسألة هندسية او حسابية ، وان استعراضاً بسيطاً لكتاب اقليدس المعروف بالاصول او المبادئ يشير بما لا يقبل الشك بان التعريفات للحدود الهندسية والبديهيات والمصادرات هي المقدمات الضرورية لحل المسائل الهندسية وذلك على اساس صدق هذه المقدمات الضرورية وصدق ما ينتج عنها بالضرورة . ومن الواضح ان يتجه التفكير الرياضي صوب اسلوب الحل ، فهل يبدأ بالمقدمات التي قد تكون تعريفات او مصادرات او بديهيات أو مبرهنات سبق البرهان عليها واستنتاج المطلوب منها بخطوات منطقية متلازمة ؟ او هل يبدأ بالمطلوب ويسير عكس الطريق السابق وصولاً الى المقدمات ؟

ان الطريقين صحيحان من الوجهة المنطقية ، ولكن ذلك لا يكفي ، لان الممارسة العلمية للبرهان اثبتت وجود عقبات ومشكلات ليس من السهل حلها بمجرد الاشارة الى طبيعة البرهان ونوعيته ، بل تحتاج الى دراسة وتتبع لكل طريقة ، وادراك واضح للصعوبات والمشكلات . وكانت غاية الحراني ، كما ظهر لنا مما سبق تحليله ودراسته ، في تتبع الاجراءات بطريق التحليل وطريق التركيب تشير الى اهتمامه بدراسة خطوات الحل والصعوبات التي تعترض الحل بالانشاء او البرهان ، والى ضرورة تلافي الاخطاء التي يقع فيها المهندسون والمتعلمون لعلم الهندسة بالاضافة الى ما قد ينتج من اهمال للشروط وعدم الالتزام بالمحاذير ، وتأثير ذلك على البرهان ذاته .

وفي ضوء ما قد تم انجازه من دراسة دقيقة لطريق التحليل والتركيب ، وما يرافق الطريقين من شروط وارشادات ، نحاول الآن عرض النتائج بالاسلوب الرمزي قبل اجراء مقارنة مع منطق ارسطو :

اولا : استهدف تحليل المسألة معرفة صنفها ، وما تحتويه من مفروضات

وشروط ومطلوبات ، والافادة من هذه العناصر عند اجراء الحل سواء كان بطريق التحليل او بطريق التركيب .

نرمز للمطلوب في المسألة بالرمز (م) ونرمز الى مجموعة المفروضات بالصيغة الآتية [ا١ . . . . ان] ، ونرمز الى مجموعة الشروط بالصيغة الآتية [ب١ . . . . . . ب ن] .

ثانياً : يشترط طريق التحليل ان نبدأ بالمطلوب مع الافادة من المفروضات والشروط في المسألة ، ونسير بخطوات منطقية متلازمة ، فلا ننتقل الى طلب المقدمات او المسلمات الا بعد ان نتأكد من ان الخطوة صحيحة منطقياً ، وان القضية صادقة وما ينتج عنها صادق ، بمعنى : اذا كانت القضية ق صادقة ، فمن الضروري ان تكون القضية ل صادقة ، وان نتأكد بان كل قضية في السلسلة الاستنتاجية صادقة .

ثالثاً : يشترط طريق التركيب ان نبدأ عكس طريق التحليل فنبدأ بالمقدمات مع الافادة من المفروضات والشروط في المسألة ، ونسير بخطوات منطقية متلازمة ، فلا ننتقل الى ما يلزم عن المقدمات الا على اساس ان النتائج صادقة بالضرورة استناداً الى صدق المقدمات ، بمعنى : اذا كانت ل صادقة ، فمن الضروري ان تكون ق صادقة . وهـذا معناه كذلك : ان الصـلة بين التحليل والتركيب وثيقة وان الخلاف بينهما في الترتيب فقط . فكل خطوة في السلسلة الاستنتاجية لطريقة التحليل يجب ان تكون معكوسة في التركيب ، فاذا قلنا في التحليل : اذا كانت ق صادقة فان ل صادقة ، فيجب علينا التأكد من ان كل قضية هي لاحقة او نتيجة ضرورية لاخرى ، بحيث ان صدق ق يعتمد كذلك على صدق ل ، بمعنى : ان صدق ق ينبع تماماً من صدق ل .

رابعاً : نرمز الى الاستنتاج او الاشتقاق بالرمز ← ، ونرمز الى المقدمات بالصيغة الآتية [ك١ . . . . . ك ن] ، ونرمز الى رابطة العطف « و »

بالرمز ∧ لتقوم بعملية الربط المنطقي. وبذلك نستطيع التعبير عن حل المسألة بطريق التحليل بالصيغة الآتية : —

{أ١ ..... أن} / {ب١ .... بن} ∧ ص ⟸ {ل١ .... لن}

كما نستطيع التعبير عن حل المسألة بطريق التركيب بالصيغة الآتية: —

{أ١ ..... أن} / {ب١ .... بن} ∧ {ل١ .... لن} ⟸ ص

وللتبسيط نستغني عن المفروضات والشروط لاشتراكهما في الطريقتين معاً، فيظهر التحليل عكس التركيب بوضوح.

طريق التحليل: ص ⟸ {ل١ .... لن}

طريق التركيب: {ل١ .... لن} ⟸ ص

١٤— ان الطريقة التي يطلق عليها علماء الرياضيات اسم « طريق التحليل » هي ولاشك الطريقة التي سبق ان ثبت ارسطو اصولها في منطق النظرية القياسية ، والتي تعرف بطريقة الرد Reduction [٥٧] . وتقوم الطريقة على اساس قسمة الاقيسة الصحيحة الى قسمين : قسم يضم الاقيسة الكاملة Perfect Syllogisms وقسم آخر يضم الاقيسة الناقصة Imperfect Syllogisms حيث تكون الاولى ،

(٥٧) انظر كتاب « نظرية ارسطو المنطقية » تأليف د . ياسين خليل (بغداد ١٩٦٤)
ان ما ورد من صيغ رمزية تعبر عن برهان ارسطو بالرد لقياس cesare فالحرف أ يشير الى متغير ، وكذلك الحرف حـ ، اما الحرف ب فيشير الى الحد الاوسط ، وهو مشترك في المقدمتين ، ويشير الرمز (A) الى الكلي الموجب ، ويشير الرمز (E) الكلي السالب اما الرمز (∧) فيشير الى رابطة العطف ، ويشير الرمز ⟵ الى الشرطية .

بمثابة مقدمات ضرورية او مبادئ اساسية نسلم بصحتها ولا تحتاج الى برهان، بينما تكون الثانية مبرهنات تحتاج لاثبات صدقها الى برهان، وذلك بردها الى الاقيسة الكاملة . ولتوضيح ما نذهب اليه نأخذ مثالاً منطقياً باسلوب التدوين الرمزي : —

مثال :

رد قياس Cesare الى قياس Celarent

الحل :

قياس Cesare من الاقيسة الناقصة وهو المطلوب ، فالخطوة الاولى هي ان نطرح هذا القياس في بداية الحل ، وصيغته المنطقية كما يأتي : —

أ E ب ∧ حـ A ب ⟵ حـ E أ

ثم نرد هذا القياس الناقص Cesare الى القياس الكامل Celarent ، وذلك بتطبيق القاعدة الاستنتاجية الآتية : —

أ E ب ⟵ ب E أ

فنحصل على قياس Celarent بالاستبدال

ب E أ ∧ حـ A ب ⟵ حـ E أ Celarent

لقد ادرك الحراني بوضوح تطابق طريقة ارسطو المنطقية في رد الاقيسة مع طريقة التحليل ، وفضل ارسطو في تحليل العلم الرياضي وشروطه ، فقال : « . . . . وذلك ان التحليل التماس وجود المقدمات التي ينتج منها المطلوب على ان يكون فيها حد اوسط ، بين ان المحلل اذا انتهى الى غايته في التحليل فقد وجد التحليل المقدمات ، وعمل ما يسميه ارسطوطاليس في كتاب انالوطيقا اكتساب المقدمات »[٥٨] .

فالتحليل كطريقة في العمل والبرهان تبدأ بالمطلوب ثم تسير خطوة بعد خطوة نحو المقدمات التي ينتج منها المطلوب ، ويتوقف البرهان على اكتساب المقدمات التي نسلم بصدقها او التي سبق البرهان على صدقها من المبرهنات .

(٥٨) مقالة في طريق التحليل والتركيب ص ٩١ – ٩٢

وأفاد الحراني من منطق ارسطو وتحليلاته الدقيقة في التحليل والتركيب ، وقد اوجز ذلك بقوله : « واذا وجدت في التحليل المقدمات فحدودها لا محالة عنده موجودة معلومة مشار اليها . ففي التحليل ينبغي ان يذكر الحدود ويسار اليها ، واما التركيب فليس فيه استخراج الحدود ولا المقدمات ، وانما فيه تأليف تلك المقدمات»[٥٩]

وقد ادرك الحراني النظرية القياسية لارسطو وما تقتضيه من استدلالات مترتبة على المقدمات وما ينتج منها ، كما التزم في دراسته للتحليل والتركيب بضرورة الموافقة بينهما جرياً على ما التزم به صاحب المنطق ، وليس على ما جرى من عادة عند المهندسين الذين يسرفون في الاختصار ، فيظهر وكان التحليل لا يوافق التركيب واجمل الحراني موقفه بشكل دقيق من منطق ارسطو واعمال المهندسين في اقوال دالة على عمق في الفهم وادراك للصلة الوثيقة بين المنطق والعلوم البرهانية عامة والهندسة خاصة ، فيقول : « وانما وجدت في التحليل وحمل الحدود بعضها على بعض ، فاذن عند التركيب انما ينبغي ان نقر ما كان استنبط واكتسب في التحليل من حدود المقدمات التي منها يؤلف القياس الذي ينتج المطلوب ، ونعمل على انها موجودة غير مفقودة ونقتصر في التركيب على نظم القياس فقط وتنتج منه النتيجة ، الا ان هذا انما نعمل عند التحليل الصحيح الذي أومأنا اليه قبل لا عند التحليل الذي جرت عادة المهندسين باستعماله مضمراً فيه امر الحدود غير موجودة فيه شيْ منها والحدود في قضايا الهندسة هي التي يستعملها المهندسون من الخط الفلاني والسطح الفلاني وغير ذلك ويحملون بعضها على بعض . فاما التحليل الذي يستعمله المهندسون فليس فيه تصريح شيْ اكتسب ولا ايماء اليه ولا ذكر حدود المقدمات باعيان الحدود ، وانما اكثره مضمر غيْر ظاهر ، وليس هكذا تكتسب المقدمات»[٦٠]

١٥ــ واخيراً لا بد لنا من اجراء تقويم عام لمنطق الحراني في التحليل والتركيب إنصافاً للرجل ولما انجزه هذا العالم العربي الكبير في ميدان من العلم لم يبرز فيه

(٥٩) المصدر نفسه : ص ٩٢
(٦٠) المصدر نفسه: ص ٩٢

في تاريخ العلم والفلسفة الا مجموعة قليلة من العلماء ، ولم يلق الاهتمام الكافي الا حديثاً . وانه لمن الانصاف ان نقول بان ابراهيم بن سنان الحراني رائد في هذا النوع من المنطق ، وان ابحاثه ومقالاته وكتبه تشير بوضوح الى ادراكه العميق لاهمية الطريقة في اكتشاف الحل عند مجابهة مسألة علمية سواء كانت هندسية او عددية او غير ذلك . فبالاضافة الى انجازه الكبير نجد فيه تواضع العلماء والمفكرين ، وهو السلوك الذي استمد قيمه من الاسلام العظيم ، ففي مستهل كتابه « مقالة في طريق التحليل والتركيب » يشير الى ادراكه للريادة العلمية في بحثه وحسن تواضعه ، فيقول : « وقد ينبغي لمن نظر في هذا الكتاب ان وجد فيه تقصيراً ان يعلم ان الانسان اذا ابتدأ بمعنى لم يكثر غيره الخوض فيه لم يخل من بعض التقصير ، لان العلوم انما تنمى وتتزيد بان يبتدئ واحد من الناس شيئاً منها ثم يزيد من بعده فيه فيصححه ويقومه فقد يجب على من وقف على تقصير ان يقول فيه ما يوجبه الحق وان يزيد ان اقتضى لامر زيادة او ينقص ، او يعمل لنفسه كتاباً في هذا المعنى يستوفي فيه الامر على حقه فيحوز الجمال لنفسه وشرف الاصابة له دون غيره . فاني ما اخلو من تقصير في كثير مما اعمله لاشغال تتقسمني وتعوقني عن المواظبة على هذه الاشياء وما اشبهها والله الموفق » (٦١) .

والحراني في مجموع ابحاثه ومؤلفاته يلتزم بالموضوعية وذكر من سبقه من العلماء عندما يأخذ عنهم . فشأنه في ذلك شأن العلماء العرب يشير بالفضل لمن سبقه في ميدان بحثه او لمن افاد منه واعتمد عليه ، فهو يذكر اقليدس وابولونيوس وثاوذوسيوس وارسطو في مقالته وما اخذ عنهم ، ويذكر فضل ابولونيوس في التحليل والتركيب بقوله : « ووجدت المهندسين في هذا العصر قد اغفلوا طريق ابلونيوس في التحليل والتركيب وسائر الاشياء التي ذكرتها واقتصروا على التحليل فقط

(٦١) المصدر نفسه : ص ٤ – ٥

واختصروه حتى انهم صيروا التحليل الى ان يظن انه ليس تحليل التركيب الذي يركبونه . . » (٦٢) .

وقد اثار استغرابي ان الحراني لم يذكر فضل بابوس في التحليل والتركيب ، والارجح انه لم يطلع على آثاره ، وا ن بعض معلوماته قد استقاها مباشرة من مؤلفات علماء الهندسة اليونان ، فكانت مقالته بحق اول مقالة علمية دقيقة تناولت جميع اوجه منطق التحليل والتركيب ، وان سر تفوقها على ما عداها يكمن في معرفة الحراني الدقيقة بعلم الهندسة وطرق حل المسائل الهندسية .

ولكن الذي يثير في النفس استغراباً اكبر ان رينه ديكارت لم يذكر في « مقالة الطريقة Discourse on Method فضل من سبقه في طريق التحليل والتركيب ، ولكنه ذكر ما تعلمه في المنطق والتحليل الهندسي والجبر بالاضافة الى تعرفه على ما انجزه لولي Lully او ريماندوس لولوس (١٢٣٥— ١٣١٥) في الفن الكبير (٦٣) . واخيراً يرى ديكارت بان القواعد الاربعة التي توصل اليها كافية لحل المسائل الرياضية ، وتمثل الطريقة التي اهتدى اليها من خلال امتحانه للعلم الرياضي . ولا أدري ان كانت اقواله هذه تقنع الباحث بانه لم يعرف التحليل والتركيب في مؤلفات علماء الرياضيات اليونان والعرب ، ولكني مقتنع بأن ما توصل اليه ديكارت لا يمثل الا النزر اليسير مما افاض به الحراني في مقالته ، وان مقارنة بسيطة بينهما تشير الى سمو منزلة الحراني على ديكارت في منطق التحليل والتركيب ، وشمولية الفكر الرياضي المنهجي للحراني على محدودية الفكر الرياضي المنهجي لديكارت ، وفيما يلي بعض الاوجه للمقارنة بين العالمين :—

---

(٦٢) اكتاب في حركات الشمس ص ٦٦

(٦٣) الفن الكبير طريقة ابتدعها لولوس بنية الحصول على جميع الحقائق اللا هوتية وان اهميتها تكمن في كونها طريقة خوارزمية Algorithm للحل

Bochenski M., Formale Logik p:318 - 320
[Verlag karl Alber Freiburg München 1956

اولاً : ان طريقة الحراني اوسع بكثير من طريقة ديكارت ، فهي « اي طريقة الحراني » تفصل القول في انواع المسائل او اصنافهاوكيفية ردها الى المسائل الصحيحة على الاطلاق لتكون جاهزة للحل ، وتثبت مجموعة القواعد والشروط والارشادات وما ينبغي عملة لحل المسألة بالتحليل او بالتركيب والالتزام بضرورة منطقية منهجية هي توافق التحليل والتركيباللهم الا اختلافهما من حيث الترتيب والنظام . فلقد ارشد الحراني الى ضرورة استخدام القضايا الهندسية من بديهيات ومصادرات ومبرهنات لحل المسائل ، وبين ان التحليل هو قسمة واجراء حل ، وانالتركيب يقوم على التحليل من دون حذف ، وانه اجراء حل بالاضافة الى ذلك .
اما قواعد ديكارت فلا تشكل منمنطق الحرانيالا جانباً بسيطاً ، فالقاعدة البديهية موجودة عند الحراني ضمناً ، والقاعدة التحليلية لا تمثلالا قاعدة القسمة عند الحراني ، والقاعدة التركيبية ليست الا وجهاً مبسطاً للقاعدة التركيبية عند الحراني ، وقاعدة الاحصاء التامنجدها ملازمة لتفكير الحراني في التحليل والتركيب وقد اكد عليها في منطقة (٦٤).

ثانياً : تشكل طريقة الحراني منطقاً متكاملاً لحل المسائل الهندسية ، وقد توصل الى ضرورة ابرازه وتعليمه من خلال ممارساته الهندسية في حل المسائل ، واكتشافه ان هذه الطريقة لم تكن كاملة قبله ، ولم يدرك اهميتها الا عدد قليل من العلماء . اما طرق ديكارت فليست الا مقترحات تحتاج الى دعم بالشواهد ، وهي ناقصة ، لانها خالية من قواعد اجراء الحل ، بينما عمل الحراني في مقالته ان تكون طريقته مشفوعةبالشواهد الهندسية بالاضافة الى تثبيته لقواعد اجراء الحل . وبذلك تتفوقطريقة

(٦٤) انظر القواعد الديكارتية في كتاب ديكارت مقالة الطريقة
R. Descartes, A Discourse on Method p: 15-16
[Everymanr,s Library. 570]

الحراني على طريقة ديكارت بدقتها من ناحية واسلوب استخدام القواعد عند القيام بالحل من ناحية اخرى .

ثالثاً : افاد الحراني من منطق ارسطو في كتابته للمقالة ، وادراك الصلة بين القياس والتركيب من جهة ، والرد والتحليل من جهة اخرى ، واشترط الحراني بالاضافة الى ذلك موافقة التحليل للتركيب منطقياً ، على الرغم من ظهورهما مختلفين عند المهندسين بسبب استخدامهم اسلوب الاختصار عند اجراء الحل . لذلك نجد الحراني يؤكد اهمية تسلسل الاستنتاجات من دون حذف ، وهذا معيار يضع الحراني في مصاف علماء المنطق في اكتشاف الحل والتعامل مع الاستدلال المنطقي . ولكننا اذا تفحصنا مقالة الطريقة لديكارت فاننا سنشعر بخيبة امل لعدم ادراكه لاهمية المنطق في الرياضيات من جهة ، وانشغاله بامور لا تمت بصلة للطريقة من جهة اخرى .

تتجلى قيمة منطق التحليل والتركيب في امكانية تطبيقه في سائر العلوم اضافة الى اهميته في التربية واصول تدريس العلوم ، ولقد افاد فلاسفة اوربا وعلماؤهم من هذا المنطق في حل المسائل العلمية ، سواء كانت على هيئة تعليمية او بداعية ، كما اصبح حجر الزاوية في اختيار افضل السبل لعرض الكتب العلمية التعليمية بصورة سهلة ومقبولة لذهن الطالب والمتعلم . وتوسع هذا المنطق بصورة كبيرة في العصر الحديث ، بحيث يمكن القول انه مامن علم الا ويستخدم طريقة معينة لحل المسائل او المشكلات التي تعترضه ولم تعد طريقة التحليل والتركيب الا النموذ ج الجيد في العلوم المضبوطة النظرية ، وابتدعت طرق اخرى مختلفة ، فالتدوين الرمزي والتعريف وفحص الوحدات الفيزياويةاو غيرها والتثبت من صحة الحل او خطئه ، وكيفية اكتشاف الحل وغير ذلك ، اساليب جديدة ابتدعها الانسان باتجاه حل المسائل العامية .

ولقد بذلت محاولة عامة من اجل تصنيف المشكلات في الوقت الحاضر ، فكانت ثلاثة اصناف : مشكلات مدرسية ومشكلات برهانية ومشكلات البحث العلمي ، وكانت الغاية من ذلك التعرف على نوع المشكلة واسلوب حلها ، ولعل هذه المحاولة اول خطوة على طريق بناء منطق حل المشكلات بشكل كامل ، منطلقين من محاولة الحراني وما انجزه العلم الحديث من دراسات في هذا الميدان [٦٥]



(٦٥) د . ياسين خليل ، منطق البحث العلمي الفصل الخامس من القسم الاول (الطبعة الاولى ، ايلول ١٩٧٤) .

إبن أرفع رأس

شاعر الحكماء وحكيم الشعراء

وديوانه الشعري في الصنعة

الدكتور رزوق فرج رزوق
كلية الآداب ـــ جامعة بغداد

عني الاندلسيون بمثل ما عني به المشارقة من ضروب العلوم والآداب والفنون ، واتسمت الحياة الثقافية والحركة العلمية في كل من الاندلس وبلاد المشرق بسمات من التماثل والتقارب ، بفضل ما حظي به المشرق من مكانة سامية واحترام جم عند اهل العلم وطلبته من الاندلسيين ، ولما كان بينهم وبين المشارقة من صلات التبادل الثقافي ووشائج العلم الوثيقة . وتحفل كتب التراجم والتواريخ الاندلسية بذكر ما كان للاندلسيين من رحلات الى بلدان المشرق ، ولا سيما مصر والشام والعراق ومكة ، ومن لقوه فيها من الفقهاء والعلماء والادباء ، وما طلبوه من العلوم وقبسوه من الآداب ، وما حملوه الى بلادهم من نفائس الكتب والاسفار . وتذكر كتب التراجم والتواريخ ايضاً العلماء والادباء المشارقة الذين قدموا الاندلس ، فسمع الناس منهم ، وكتبوا عنهم ، وقرأوا عليهم أمهات الكتب .

كان اول وأهم ما عني به الاندلسيون من العلوم علوم الدين واللغة العربية . الا ان طائفة من علمائهم اهتمت بدراسة علوم الاوائل وتأليف الكتب والرسائل في موضوعاتها . ومن هذه العلوم الصنعة أو علم الكيمياء القديم . وقد برز من اهل هذا العلم عندهم ثلاثة هم مسلمة بن احمد المجريطي ، وتلميذه ابو بكر بن بشرون ، وابن أرفع رأس ؛

ووصل الينا من مؤلفاتهم في الصنعة كتاب للمجريطي ورسالة لابن بشرون وديوان شعر لابن أرفع رأس . وهو الديوان الذي سيدور حوله وحول ناظمه هذا البحث .

تعريف بابن أرفع رأس:

هو ابو الحسن علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف – ويقال علي بن موسى بن أبي القاسم بن علي – الانصاري ، السالمي ، الاندلسي ، الجيّاني ولد بمدينة جيان بالاندلس في رمضان سنة خمس عشرة وخمس مئة .

ونزل مدينة فاس ، وتصدر للاقراء فيها ، وولي خطابتها بجامع القرويين [1] .

عُرِفَ بابن أرفع رأس [2].

وبابن النقرات [3] .

ولُقّبَ ببرهان الدين [4] .

ذكر ابن عبدالملك طائفة من اهل عصره ممن تلقى عنهم علوم الدين ولا سيما الحديث والقراءات ، وممن روى عنه ، فقال : « تلا بالسبع على أبي عبدالله بن حطيئة وابوي محمد : ابن علي الشنتريني وأبي محمد الفهري ، وتلا أيضاً على أبي علي حسين بن عريب . وروى عن ابوي اسحاق : ابن ابراهيم بن خلف المخزومي وابن قرقول وأبي الحجاج بن فتوح العشاب وابي الحسن بن الحسن اللواتي ، وآباء عبدالله : ابن خلف بن الشبوقي وابي علي بن الرمامة وابن عيسى ، وابي العباس ابن عبدالعزيز ابن أبي طورقيه . وروى عنه ابو الحجاج بن محمد الاندي وابو الحسن بن القطان وابو عبدالله النجيبي وابو العباس : ابن طاهر بن خلف وابن عبدالله السكوتي ، وابو علي حسن بن عبدالرحمن البلنسي » [5] .

وقال شمس الدين الجزري انه « اخذ القراءات عن أبي العباس احمد بن الحطية بمصر وعبدالله بن محمد بن غريب ، وقرأ عليه ابو عبدالله القرطبي » [6] .

وتوفي – كما ذكر ابن الأبار وابن الجزري وابن شاكر الكتبي والمقّري – سنة ثلاث وتسعين وخمس مئة [7] .

وقال ابن العماد الحنبلي انه توفي سنة اربع وتسعين وخمس مئة [8] .

اما ابن عبدالملك فقال انه كان حياً سنة خمس وتسعين وخمس مئة [٩] .

والسنة الاولى (ثلاث وتسعون وخمس مئة) هي الراجحة ، فقد ذكرها أربعة من أعلام المؤلفين والمؤرخين ، ورجّحها من المحدثين كارل بروكلمان [١٠] وخير الدين الزركلي [١١] وعمر رضا كحالة [١٢] .

أما ما ذكره حاجي خليفة [١٣] ثم اسماعيل باشا البغدادي [١٤] من انه توفي سنة خمس مئة فغير صحيح .

منزلته العلمية :

في كتب التراجم والفهارس وفي مقدمات مخطوطات ديوانه « شذور الذهب » اشادة بمنزلته العلمية وفضله وصلاحه ، وثناء كثير عليه .

قال ابن عبدالملك انه « كان مقرئاً مجودا محدثا راوية ، حافظاً للآداب ، عارفاً بالانساب ، صالحاً ورعا زاهدا ، ذا حظ في قرض الشعر » [١٥] . وقال ابن الجزري انه « امام كبير وأديب بليغ » [١٦] ، وقال ابن شاكر الكتبي بعد أن نوه بديوانه « شذور الذهب » : « لم ينظم احد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان وفصاحة الفاظ وعذوبة تراكيب ، حتى قيل فيه: انه إن لم يعلمك صنعة الذهب علمك صنعة الادب . وقيل : هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء [١٧] . » ونقل ابن العماد الحنبلي قول ابن شاكر [١٨] . واثنى المقري على بلاغته ، فقال : «ولو لم يكن للاندلسيين غير كتاب (شذور الذهب) لكفاهم دليلاً على البلاغة » ونقل ايضاً قول ابن شاكر .[١٩]

ووصفته مقدمة « ديوان الشذور » (مخطوطة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب في جامعة بغداد) بالشيخ الامام العالم الفاضل الفيلسوف ، ونعتته مقدمة « شذور الذهب » (مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني) بالشيخ الامام العالم العلامة برهان الدين سراج الاسلام حجة الشريعة زين الامة شرف الفقهاء .

ووصفه المحدثون بمثل ما وصفه به الاقدمون من الحكمة ، والعلم بالكيمياء ، والأدب ، والشعر [٢٠] .

آثاره :

أهم آثاره وأشهرها ديوانه الشعري الكيمياوي : شذور الذهب .

عرّف به وبشروحه حاجي خليفة فقال : « شذور الذهب — في الاكسير . . . وهو ديوان مرتب على الحروف ، خمّسه شرف الدين محمد بن موسى القدسي الكاتب تخميساً حسناً . وشرحه أيد مر بن علي الجلدكي وسماه (غاية السرور) . قال : قد استوعب فيه جميع الحكمة المطلوبة والنعمة المرغوبة . قال الشيخ علي بن سعيد الانصاري في (شفاء الالم) : وقد شرح بعضهم الشذور على زعمه ، كعلاء الدين القصصي وابن الجزري وغياث الدين بن الملوك وابن عبدالسلام الدمشقي ، فأما القصصي فكان هائماً في الشعر ، وأما ابن عبدالسلام فكان تائهاً في قوالح القصب ، وأما غياث الدين وابن الجزري فأعجب من الاولين . و (طوالع البدور في شرح الشذور) لصاحب (كشف الاسرار وهتك الاستار) أوله : الحمد لله الذي زيّن السموات بأنوار الطلائع . الخ ذكر فيه البيت الاول وشرحه على قواعد علم الحروف والنجوم . وللشيخ أيد مر بن علي الجلدكي شرحُ صدرِه . سمّاه (الدر المنثور) . صنفه بمدينة القاهرة سنة ٧٤٢ هـ ثم شرح هذا الشرح وسمّاه (كشف الستور) .[٢١]

أما مؤلف « طوالع البدور » و « كشف الاسرار » اللذين ذكرهما حاجي خليفة فهو علي بلك بن خسرو الازنيقي المتوفى سنة ١٠١٩ هـ ، والمعروف بالمؤلف الرومي الجديد[٢٢] . وله كتابان آخران في الصنعة هما « جواهر الاسرار في معارف الاحجار » و « السر الرباني — في علم الميزان » [٢٣] .

ولابن أرفع رأس آثار أخرى ، ذكرها اسماعيل باشا البغدادي . قال : « من

تصانيفه : الجهات في علم التوجهات . في شرح قصيدة ثابت قصيدته الطائية . الوسم الوسيم عن الحجر الكريم » [٢٤] .

وعرّف في كتابه الآخر « ايضاح المكنون » « باثنين من هذه الآثار ، هما : « الجهات في علم التوجهات » و « الوسم الوسيم عن الحجر الكريم » تعريفاً موجزاً ، لم يزد فيه على ذكر أول كل كتاب [٢٥] .

ولم يذكر شيئاً عن « في شرح قصيدة ثابت » . وقد يكون هذا العنوان تتمة لعنوان المصنّف السابق « الجهات في علم التوجهات » وليس عنوان مصنّف مستقل.

اما القصيدة الطائية فهي واحدة من قصائد ديوان « شذور الذهب » وليست مصنّفاً مستقلاً . وقد خصها بالذكر – كما يبدو – لما تميزت به من براعة في الجمع بين الكيمياء والغزل والقصة الدينية فضلاً عن متانة نسجها ونصوع ديباجتها [٢٦] . وسيرد ذكر هذه القصيدة في تعريفنا بديوان « شذورالذهب » ودراستنا له .

ديوانه الشعري في الصنعة :

عرف العرب الشعر التعليمي منذ العصر الاموي ، فنظموا القصائد والمقاطيع والاراجيز في طائفة كبيرة من علوم الدين واللغة والعلوم الانسانية ، ومن العلوم البحتة ومنها الصنعة ، او الكيمياء ، متوخين من منظوماتهم تلخيص هذه العلوم وتيسير تعليمها وتسهيل حفظها .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية (– ٩٠ هـ) أول من نظم الشعر في صنعة الكيمياء ، وله فيها ديوان شعر تحتفظ مكتبة المتحف العراقي ببغداد بنسخة خطية منه [٢٧] .

وأعقبه جابر بن حيّان (– ٢٠٠ هـ) ، وله في الكيمياء شعر متفرق في بعض

كتبه الكثيرة [٢٨] ، وذو النون المصري (— ٢٤٥ هـ) ، ومن شعره الكيمياوي أرجوزة طويلة تنيف على مئة بيت ، أولها :

الحمد لله الجميـــل فعلُهُ قد شمل الخلقَ جميعاً فضلُهُ [٢٩]

وابن أُمَيْل (نبغ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) ، وله قصيـــدة مخمّسة في الكيمياء عنوانها « الماء الورقي والارض النجمية » وتسمى أيضاً « رسالة الشمس الى الهلال » [٣٠] .

وجاء بعدهم مؤيد الدين الطغرائي (— ٥١٥ هـ) فنظم « المقاطيع في الصنعة التي نيّف عدد أبياتها على ألف بيت ، وقال في مقدمتها : « وانما دعاه الى نظمها ما رآه من اختلال كل نظم يروى فيها عن خالد بن يزيد وجابر بن حيان وغيرهما وعدولهم عن تفصيح الالفاظ واستيفاء المعاني ومطابقة بعضها بعضاً ،إمّا ضناً بالعلم أو استهانة بالنظم ».[٣١] .

وأعقب ابن أرفع رأس (— ٥٩٣ هـ) هؤلاء ، فكان المجلّي في ميدانالشعر التعليمي الكيمياوي . وقد بزّ بشعر ديوانه « شذور الذهب » أشعار من سبقوه ، ثم من لحقوه في هذا المجال .

وقد مدحه أيد مر بن علي بن أيدمر الجلدكي (— ٧٤٣هـ)هابرز كيمياويي زمانه في كتابه « قلائد النحور في شرح صدر أبيات الشذور » وقرظ ديوانه قائلاً : « لما منّ الله تعالى عليّ وجعلني ممن يحب الحكمة وأهلها ونظرتفي كتب الحكماء المتقدمين والمتأخرين فما وجدت أفصح ولا أبلغ ولا أغوص في العلوم من الشيخ الذي غاص في العلوم واستخرج الدر من التخوم . . . الامام أبي الحسن علي بن موسى ابن القاسم بن علي الانصاري الاندلسي المجريطي رحمه الله تعالى . . . ونظرت في كتابه الموسوم بشذور الذهب فوجدته قد استوعب فيه جميع الحكمة المطلوبة والنعمة المرغوبة وجمع جميع ما فيه في الابيات التي صدره بها فيحرف الالف أردت أن اشرحها شرحاً وجيزاً . . . » [٣٢] .

وتحدث علي بك بن خسرو الازنيقي (– ١٠١٩ ﻫ) المعروف بالمصنف الجديد الرومي ، وهو صاحب عدة مؤلفات في الصنعة ، في رسالة له شرح بها بعضا من « شذور الذهب » ، عن ابن أرفع رأس فأثنى عليه ثناء عاطراً ، وقرظ ديوانه فقال : « . . . فكان أول من صنّف فيها [اي الصنعة] نظماً خالد بن يزيد بن معاوية وبعده جماعة من المصنفين الى أن ظهر ديوان شذور الذهب ، فلم يوجد فيما صنف في علم الصنعة نظم اشرف منه ديواناً ، اذ كان صاحبه ارتاض في الادبيات والعلوم الرياضيات والبرهانيات ، وبلغ أقاصيهما ، وتبعه في ذلك جابر بن حيان .

واعلم ان الفاضل المذكور كان في غاية المعرفة التامة في العربية وصناعة الشعر ، فكان ديوانه زبدة ما صنّف نظماً في علم الصنعة ، لانه استوعب في كل لفظة من ألفاظه شريف المعاني ما يحتمل شروحاً متسعة ومعاني مختلفة ، مثل علم النجوم والهندسة والطب والشرع واللغة العربية ، والبحث في سائر العلوم . والرجل لا يباهى في صناعة الشعر والادب والفلسفة ، ولقد فاق من تقدمه ممن نظر في الصناعة نثراً وسطر فيها نظماً ، وافترد بديوان فيه معان لو كتبت بدم حبات القلوب على صحاف العيون لكان حقه مبخوساً ومصنفه مغبوناً ، فتأوله الناس على اختلاف طبقاتهم ، فمنهم من يتبع ظواهر الفاظه وخفي عنه ما دفن في بواطنها ، فكان كخابط في عشواء . ومنهم من ادعى ادراك معانيه وهو مضناه

ولما كان مصنف هذا الديوان منفرداً في صناعة الشعر والحكمة ، وبخاصة هذه الصناعة كان ديوانه أجلّ شيء صنف نظماً في الصناعة وعلم الكيمياء ، لانه جعل كل بيت منه بمقام مجلد من تصانيف غيره . وهذه بلاغة لم يعاند فيها بطمع ، ولم يطمع في بلوغ مثلها ، اذ كان الناظمون في هذه الصناعة كثيري العدد ، والابيات التي صنعوها غير محصورة ، فكلها بالاضافة الى هذا الديوان كالطلح عند التمر ، والزَّرَجُون (٣٣) عند العنب ، فلو رام أحد به من الناس بعد الوصول اقتفاء

اثره لم يصنّف وإن اجتهد الاّ دونه ، فهو زبدة ما صنّف نظماً في صناعة الكيمياء ، ولذلك صارت الابيات التي نظمت بعد سماع هذا النظم هزءا »[٣٤]

مخطوطات شذور الذهب :

وصلت إلينا نسخ خطية كثيرة من « شذور الذهب » ، ذكر بروكلمان منها ما يأتي :

مكـــة ٢ ، ٤١٠

لا ندبرج — بريل ٤٨٠

باريس ٢٦٢٢ ، ٢٦٢٣

مانشستر ٣٣٨

اسكوريال — الفهرست الثاني ٥٣٠ / ٥

بريل — هوتسما — الفهرست الثاني ٥٣٩

لا له لي ١٧٢٧

الموصل ١٥٧ / ١١٠ [٣٥] .

طهران — الفهرست الثاني ٧٢٣

الرباط ٤٧٧ [٣٦] .

وورد ذكر نسخ اخرى في فهارس ست من المكتبات ، هي نسخ مكتبات :

جامعة برنستن بالولايات المتحدة — مجموعة كاربت . رقمها ٩٣١ .

بلدية الاسكندرية بمصر . رقمها ٣٠٦٩ .

دار الكتب المصرية . رقمها ١٧ طبيعيات .

طوب قابي سراي باستانبول رقمها ٨٤٨٧ أ / ٢٥٧٢

الخزانة العامة برباط الفتح . نسختان . رقماهما ٢٤٦٨ ، ٢٤٦٩

الشيخ محمد السماوي بالنجف . رقمها ٣١١

المتحف البريطاني بلندن . رقمها ٧٥٩٠

الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد . رقمها ٥٥

وسأعمد الى عرض الديوان ودراسته معتمداً على مخطوطة مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب ، ثم على مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني لغرض مقارنة ما سأقتبسه من شعر الديوان وتصويبه .

مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد :

رقمها ٥٥
عدد اوراقها ٤١
عدد السطور في الصفحة ١٩
عدد القصائد والمقاطيع ٤٢
عدد أبيات الديوان ١٤٣١
الديوان مرتب وفقاً للتسلسل الالفبائي لقوافي الاشعار .

اوله : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله . قال الشيخ الامام العالم الفاضل الفيلسوف برهان الدين علي بن موسى بن أرفع رأس رحمه الله تعالى . . .

آخره :

فإنْ كنتَ في حل الرموز مدانيا ... اخانا فقد نلتَ الذي كنت راجيا
والاّ فلا ترتعْ بها فهي روضة ... قد امتلأت للواردين افاعيا

تمّ الديوان بحمد الله وحسن توفيقه .

يبدأ شعر الديوان في قافية الالف بمقطوعة أولها :

اذا ثلّثَ المريخَ بالزهرة امرؤٌ ... وقارن بالبدر المنير ذكاءَ
واجمدَ أدهاناً وحلَّ بحكمة ... صخوراً أصارتها المياهُ هباءَ
فذاك الذي إن يُضحِ أفقرَ مَعْتدٍ ... يَرُحْ وهو أغنى العالمين مساءَ

وتتوالى القصائد والمقاطيع في هذا الديوان في الموضوعات المألوفة في امثاله من الدواوين أو الكتب والرسائل الكيمياوية القديمة ، كالتدبير والتصعيد والتكليس والتشميع والحلّ والعقد والغسل والاكسير والمعدنيات والزئبق والكبريت والحجر والبيض والدهن والصبغ والماء والنار .

ويشير في احدى القصائد الى أن الاختصار هو الذي دعاه الى نظم موضوعات الديوان بدلاً من نثرها ، فيقول :

وقد مال بي عن نثر لؤلؤ سلكه ... الى نظمه اني ارى النظم اخصرا
فدونكموها مجملاً في قصيدة ... قصدت بها تعريف ما كان منكرا
تبوح بعلم الكيمياء لمن غدا ... مكبّاً عليها ظهره وتفكــــرا

ق ١٣ب

ويدافع عن صنعة الكيمياء ، ويردُّ على من يعاديها ويعنّف طالبيها ، فيقول :

لنفسك فانظر أيهــذا المفنــدي ... فلست وان حاولت نصحاً بمرشدِ
فما خير انسان يروح معنّفاً ... لطالب علم الكيمياء ويغــتدي
وفي كل شيءٌ للصناعة آيــة ... متى استشهدتْها فكرة المرء تشهدِ
ولكنه يخفى على الغرّ سرُّها ... ويبدو لذي الرأي المصيب المسدّدِ
واني وان خالفت صحبي لضاربٌ ... لها مثلاً يُهدى به كل مهتــدِ

ق ١٠ ب

ويعود الى الدفاع عنها في قصيدة ثانية ، ضد من ينكر امكانها ويبطل ما قد تحقق منها ، فيقول :

قــبّحَ اللهُ جاهـــلاً ... جــــامد الطــبع أحمـــقا
ينكـــر الصنعـــة التــي ... برقُهـــا قـــد تألقـــا

واذا بُرْهِنَتْ لـــه	نكّس الرأس مطـــرقـــا
مبطـــلا من صنـــاعة الـ	قـــوم ما قـــد تحقـــقـــا

ق ٢٨ ب

ويشير الى ما تخلل شعر الديوان من رموز كيمياوية ، مما هو شائع في المؤلفات الكيمياوية القديمة ، فيقول :

ولكنني لم أظهر الوزن انمـــا	أشرت اليه في خفيّ معـــانِ
فإن شئتَ حلّ الرمز فيه فقدّمَنْ	وأخّرْ وباعدْ ما شرحتُ ودانِ

ق ٣٤

ويقول ايضا :

هي الصنعة المضروب من دون نيلها	من الرمز أستارٌ تشيب النواصيـــا
ولكنها أدنى ــ اذا كان عالماً ــ	الى المرء من حبل الوريد تدانيا
واني لأستحيي من المرء يرتمي	به الظن في فلكّ الرموز المراميـــا
ولم يجعل العلم الرياضي روضه	وكان عن العلم الالهي لا هيا (٣٧)

ق ٤٠ أ

ويرى ، مثل غيره من الكيمياويين القدماء ، أنه قد نشر علمه ولم يكتمه ، مريداً بنشره وجه الله ، فيقول مخاطباً طالب العلم :

لعمري لقد ألقمتكَ العلم لم أردْ	به غيرَ وجه الله إن كنت ماضغا
فان انت ياهذا بفهم أعتنتي	تسربلت أثواب الكمال السوابغا
فهذا هو التدبير والحجر الـــذي	ورثناه إدريساً ونوحاً وفالغـــا
فلا تصبحنْ إلاّ بـــه متشاغلاً	ولا تمسينْ إلاّ له متفـــارغـــا
ولا تطمع الشيطان في هتك ستره	فما زال بين الناس بالبغي نازغا

ق ٢٤ ب

ويقول ايضاً :

ارى البذل في احياء نفس بحكمة	فلا اتوقاها عن البذل بالمطـــلِ

ولا اكتم العلم الذي شحَّ أهله عليه فكتمان العلوم من البخلِ
فلا فضل في أن يصبح المرء عالماً اذا كان يأبى أن يشارك في الفضلِ
ق ٣١ أ

ونجد في القصيدة النونية الآتية من شعر الديوان تعليمات تتعلق بواحد من تدابير الصنعة المهمة ، هو تركيب الزئبق بالدهن :

ان كنت تبغي الفوز بالأمْنِ فركّب الزئبق بالدهن
ولْيَكُ دهناً طاهراً خالصاً من شائب الكدرة والافنِ (٣٨)
وليكن الزئبق في لونه كالماء ينهلُّ من المزنِ (٣٩)
حتى اذا ما قام وزناهما وامتزجا بالحل في الدفنِ
صار لنا جوهرة كالمها جامدة في غاية الحسنِ
فهي لنا عون على سبك ما صار من الاحجار كالعِهْنِ (٤٠)
وذلك المسبوك أرض لنا نؤثر سكناها على عدنِ
يا لك من طائرة مالها غير رماد الريش من وكنِ
كانت لنا بيضاً فصارت فتىً يزيد في الجود على معنِ (٤١)
ق ٣٣ أ – ٣٣ ب

ويذكر هرمس في ثلاث من قصائد الديوان ، فيقول في أولاها :

وان رمتَ أن تحظى بحكمة هرمس ومن بعده من أوحد بعد أوحدِ
فدونك هذا القاسي الخالد الذي يُدَبَّرُ بالدهن اللطيف المقيّدِ
هو العلم المعلوم في كل بلدة هوالزئبق المشهورفي كلمشهدِ (٤٢)

ويقول في الثانية :

وقال ابونا هرمس إنَّ ما علا فمن صفوها فيثفلها المتمايزِ (٤٣)

ويقول في الثالثة :

لهرمس أرض تنبت العز والغنى اذا ما انتفى منها غريبالحشائشِ (٤٤)

وهرمس المذكور في هذه الابيات حكيم مصري قديم عرّفت به مصادر عربية قديمة منها طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل . وقال جون ريد في كتابه «مقدمة للكيمياء» (باللغة الانكليزية) : « إنّ الرأي القائل بان أصل الكيمياء مصري قد قَوَّتْهُ كثرةُ ورودِ اسم هرمس المثلث العظمة في الكتابات الكيمياوية بوصفه أبا الصنعة الهرمسية وراعي اهلها الذين يسمّون أنفسهم ابناء هرمس . . . » وقد نسب الى هرمس عدد كبير من المؤلفات في الفلك والسحر والكيمياء ، ذكر ابن النديم منها ثلاثة عشر مؤلّفاً في الكيمياء ، وذكر حاجي خليفة ستة مؤلفات أخرى . ويستعمل الاسم هرمس رمزاً للزئبق ، في مؤلفات الكيمياويين القدماء ، الى جانب رموز أخرى(٤٥) .

ونجد في الديوان القصيدة الطائية (٤٦) التي أوردها ابن شاكر الكتبي كاملة في تسعة وثلاثين بيتاً ، في ترجمة لابن أرفع رأس ، وقال إن صاحبها « أبرزها في ثلاثة مظاهر : مظهر غزل ، ومظهر قصة موسى ، والمظهر الذي هو الاصل في صناعة الكيمياء ، وهذا دليل القدرة والتمكن ، رحمه الله تعالى » (٤٧) .

استهلها بقوله :

بزيتونة الدهن المباركة الوسطى	غنينا فلم نبدلْ بها الأثْل والخَمْطا
صفونا فآنسنا من الطور نارها	تشبُّ لنا وهناً ونحن بذي الأرطى
فلما أتيناها وقرّب صبــــرنا	على السير من بعد المسافة ما اشتطا
نحـــاول منها جــذوة ما ينالها	من الناس من لا يعرف القبض والبسطا
هبطنا من الوادي المقدس شاطئاً	الى الجانب الغربي نمتثل الشرطا
وقد أرِجَ الارجاء منها كأنهـــــا	لطيب شذاها تحرق العود والقسطا (٤٨)

وختمها بقوله :

فهذا الذي أعيا الانام فأضمروا	لمن وضع الارماز في علمــه سخطا
وهذا هو الكنز الذي وضعوا له	برابيّ إخْميم وخَصّوا بها قفطا

وتخليصه سهل بغير مشقة   لمن عرف التطهير والعقد والخلطا
أبا جعفر خذها اليك يتيمة   تورّعَ لوقا أنْ يورّثَها قسطا
ولكنني لما رأيتك أهلها   سمحتُ بها لفظاً وأثبتُّها خطا[٤٩]

وبعد فقد كان هذا الديوان الكيمياوي القيّم من كتب الصنعة التي ذكرها يوليوس روسكا — وهو احد العلماء الاوربيين البارزين الذين عنوا بدراسة الكيمياء عند العرب — في قائمة الكتب « الجديرة بالتقديم في النشر » [٥٠] ، قائلاً ان هذه الكتب ، وان غلب عليها الانتحال ، كان لها نفسها « اعظم التأثير طيلة قرون عديدة ، ولذلك فان كل كشف وكل نشر للمخطوطات التي تقرب الينا هذه النصوص سيكون من الاهمية بمكان . » [٥١] .

والمأمول أن ينهض بعبْ تحقيق هذا الديوان محقق يجمع بين قدر كافٍ من البصر بقديم علم الكيمياء وحديثه ، ومن الالمام بقواعد تحقيق المخطوطات ، ثم بما تدعو إليه الحاجة من المعرفة اللغوية والعروضية ، مع ما لابد منه من الجلد والصبر ، لتعم بتحقيق الديوان وطبعه فائدته ويبرز فضله ، وليضاف بجدارة واستحقاق الى تراثنا العلمي وشعرنا التعليمي .

* * *

حواشي البحث

(١) ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالملك الأنصاري الاوسي ؛ الذيل والتكملة ، تحقيق د. احسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٥ ، السفر الخامس ص ٤١٣ ؛ محمد بن عبدالله بن الأبار ؛ تكملة الصلة ، نشر كوديرا ، مجريط ، ١٨٨٧ ، ٢ ؛ ٦٧٤ ؛ محمد ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٤ ، المجلد ٣ص ١٠٦ .
(٢) عبدالحي بن العماد الحنبلي ؛ شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، سلسلة ذخائر التراث العربي ، بيروت ، د . ت ، ٤ ؛ ٣١٧ ؛ اسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، استانبول ، ١٩٥١ ، ١ ؛ ٦٩٤ ؛ ديوان الشذور ، (أو شذور الذهب) مخطوطة مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد ، رقمها ٥٥ ، ق ١ أ .
(٣) الذيل والتكملة ، السفر الخامس ص ٤١٣ ؛ تكملة الصلة ٢ : ٦٧٤ ؛ شمس الدين محمد ابن محمد الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء ، تحقيق ج . برجستراسر ، القاهرة ، ١٩٣٢، ١ : ٥٨١ .
(٤) ديوان الشذور ق (أ ، شذور الذهب ، مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني بلندن ، رقمها ٧٥٩٠ ، ق ١ ب ، كارل بروكلمان ؛ تاريخ الادب العربي(بالالمانية) ، الذيل الا ول ص ٩٠٨ .
(٥) الذيل والتكملة ، السفر الخامس ص ٤١٢ – ٤١٣ . –
(٦) غاية النهاية ١ ؛ ٥٨١ – ٥٨٢ .
(٧) تكملة الصلة ٢ ؛ ٦٧٤ ، غاية النهاية ١ ؛ ٥٨٢ ؛ فوات الوفيات ٣ : ١٠٦ ؛ أحمد بن محمد المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د . احسان عباس ، بيروت ١٩٦٨ ، ٣ ؛ ٦٠٦ .
(٨) شذرات الذهب ٤ ؛ ٣١٧ .
(٩) الذيل والتكملة ، السفر الخامس ص ٤١٣ .
(١٠) تاريخ الأدب العربي (بالالمانية) ، الذيل الاول ص ٩٠٨ .
(١١) الأعلام – قاموس تراجم ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ٥ ؛ ١٧٨ .
(١٢) معجم المؤلفين – تراجم مصنفي الكتب العربية ، دمشق ، ١٩٥٧ ، ٧ ؛ ٢٤٩ .
(١٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، استانبول ، ١٩٤١ – ١٩٤٣ ، ص ١٠٢٩ .
(١٤) هدية العارفين ١ ؛ ٦٩٤ ؛ ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، استانبول ، ١٩٥١– ١٩٥١ – ١٩٥٥ ، ١ ؛ ٣٨٧ .
(١٥) الذيل والتكملة ، السفر الخامس ص ٤١٣ .
(١٦) غاية النهاية ٥ : ٥٨٢ .
(١٧) فوات الوفيات ٣ ؛ ١٠٦ .
(١٨) شذرات الذهب ٤ ؛ ٣١٧ .
(١٩) نفح الطيب ٣ ؛ ٦٠٥ .

(٢٠) انظر الاعلام ٥ : ١٧٨ ؛ معجم المؤلفين ٧ : ٢٥٠
(٢١) كشف الظنون ص ١٠٢٩ .
(٢٢) المصدر نفسه ص ١٤٨٧ .
(٢٣) المصدر نفسه ص ٦١٢ ، ٩٨٧ .
(٢٤) هدية العارفين ١ : ٦٩٤ .
(٢٥) ايضاح المكنون ١ : ٣٨٧ ؛ ٢ : ٧٠٥ .
(٢٦) انظر ديوان الشذور ؛ مخطوطة مكتبة الدراسات العليا ق ٢٠أ – ٢١ أ ؛ فوات الوفيات ص ١٠٧ – ١٠٨ .
(٢٧) رقمه ٢١٢٣ وعدد أوراقه ١١٣ ورقة (عدد السطور في كل صفحة ١٣ سطراً) .
(٢٨) من هذا الشعر « قصيدة دالية في وصف الحكمة » . انظر فؤاد سيد ؛ فهرس المخطوطات المصورة – معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ج٣ ق٤ ص ٨٦ – ٨٧ .
(٢٩) مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني ، المرقمة ١٥٩٠ إضافية ، الاوراق ٨٥ أ – ٨٩أ . لدي نسخة مصورة عنها، بعنوان «ديوان في الكيمياء» وبرقم ٤٢ . وقد زودني بها معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية . انظر فهرس المخطوطات المصورة ج٣ ق٤ ص ٤٥ – ٤٦ .
(٣٠) كشف الظنون ص ١٥٧٦ .
(٣١) مخطوطة مكتبة المتحف البريطاني بلندن ، ٨٠٤٧ شرقيات ، ق١ ؛ مخطوطة مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، ٢١٢٣ ، ص ٣٠٥ – ٣٠٦ .
(٣٢) قلائد النحور في شرح صدر أبيات الشذور ، احد أقسام مجموع خطي بمكتبة المتحف البريطاني بلندن ، ٣٧٥١ شرقيات . لدي نسخة مصورة عنه .
(٣٣) الطلح : شجر عظام . الزرجون : قضبان الكرم .
(٣٤) المصنف الرومي الجديد (علي بك بن خسرو الازنيقي) ؛ رسالة مخطوطة في الكيمياء ؛ بلا عنوان . أولها ؛ « نحمدك اللهم حمد العارفين بوحدانيتك المتصرفين بحكمتك . . . » ، في مكتبة المتحف البريطاني بلندن . لدي نسخة مصورة عنها .
(٣٥) يعني مخطوطة مكتبة مدرسة عبدالرحمن جلبي الصائغ . وقد ذكرها د . داود الجلبي في «كتاب مخطوطات الموصل » برقم ١١٠ وفي ص ١٥٧ من الكتاب .
(٣٦) تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) ، الذيل الأول ص ٩٠٨ .
(٣٧) في المخطوطة ؛ روضة . والتصويب من مخطوطة المتحف البريطاني ق ٥٠ أ .
(٣٨) في المخطوطة ؛ واليك . والتصويب من مخطوطة المتحف البريطاني ق ٤٣ أ .
(٤٠) في المخطوطة ؛ على سبل . والتصويب من مخطوطة المتحف البريطاني ق ٤٣ أ .
(٤١) في المخطوطة ؛ فصارت فتاً . والتصويب من مخطوطة المتحف البريطاني ق ٤٣ ب .
(٤٢) المخطوطة ق ١٠ ب – ١١ أ .
(٤٣) المخطوطة ق ١٤ ب .
(٤٣) المخطوطة ق ١٤ ب .
(٤٤) المخطوطة ق ١٦ ب .

(٤٥) انظر : « ذات الفوائد – رسالة في الكيمياء لمؤيد الدين ابي اسماعيل الحسين ابن علي الطغرائي بتحقيقي » مجلة المورد ٣ (بغداد ١٩٧٤) ص ٢١٤ .
(٤٦) المخطوطة ق ٢٠ أ – ٢١ أ .
(٤٧) فوات الوفيات ص ١٠٧ – ١٠٨ .
(٤٨) المخطوطة ق ٢٠ أ ؛ فوات الوفيات ص ١٠٧ .
(٤٩) المخطوطة ق ٢١ أ ؛ فوات الوفيات ص ١٠٨ .
(٥٠) كارلونلينو : العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي ، ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٥٥٥ .
(٥١) المرجع نفسه ص ٥٥٣ .

٭ ٭ ٭

عناصر الوحدة الثقافية
في الشعر العربي في عصر ما قبل الإسلام

الدكتور
محمود عبد الله الجادر
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يبدو أن إخضاع النماذج الشعرية التي ورثناها من عصر ما قبل الإسلام لمنهج الدراسة العلمية سيبقى مفتقراً ـ في أكثر من جانب ـ إلى إضاءات المعطيات التأريخية التي تبدو قلقة من خلال انشدادها العنيف إلى نمط الرواية الشفهية التي ظلت تواجه منطق التشكيك خلال أربعة عشر قرناً وما تزال ، فضلاً عن أن النص الشعري نفسه لم يسلم من المواجهة نفسها في أكثر الأحيان ، ولهذا فإن الكثير من الأحكام التفصيلية التي انبثقت من خلال استقراء نماذج الإبداع الشعري وحده ظلت متأرجحة بين القبول المتساهل والرفض المتزمت ، أما الأحكام التي اتخذت طريقها إلى منطق الحسم التأريخي فهي التي تظافر على ترسيخها عوامل عديدة لا يشكل النص الشعري منها إلا جانب الاستشهاد على صحة الواقعة التي ينتهي إليها الاستقراء .

تلك هي الحقيقة التي تفصح عنها حصيلة الدراسات التأريخية القديمة والمعاصرة معاً ، أما الدراسات الأدبية فقد وقعت بشكل ما تحت التأثير نفسه ، حتى غدا من تقاليد الباحثين ومؤرخي الأدب أن يجهدوا أنفسهم في متابعة أبعاد الأطر الاجتماعية والفكرية والسياسية ليستقيم لهم توظيف النتاج الأدبي للتحرك مع

التفاصيل التي تقررها لديهم المرويات والوثائق التأريخية ، وذلك منهج لا مأخذ عليه في حدود منطق التوثيق العلمي ، ولكن ما يمكن أن يترتب عليه في ميدان فهم وظيفة الشعر خطير ، وخطير جداً ، فالوعي المعاصر لتأريخ الأمة ظل يبدو واقعاً تحت تأثير تصور الوظيفة التسجيلية للقصيدة دون استيعاب مقومات طبيعتها الإبداعية والإنسانية المتجهة إلى تسجيل ملامح الطموح من خلال الواقع ، وذلك جانب يمثل في نظرنا المهمة الأساسية لدور النص الشعري على صعيد فهم فعالية الأمة الفكرية ، بتعبير آخر نريد أن نقرر هنا أن مهمة الشاعر تختلف من حيث الأساس والبناء والتفاصيل عن مهمة المؤرخ ، فحيث يبدو الأخير مهيأ للانطلاق من موقف الرصد والتسجيل يبدو الشاعر مشدوداً إلى فعالية إنسانية تمتلك القدرة على الإفادة من الحقائق لتسجيل ملامح الاستشراف الطامح إلى تحديد هوية الصورة المثلى للعلاقات الاجتماعية والإنسانية التي ينبغي لها أن تنبثق من أرض الواقع المفروض ، وليس معنى ذلك كله أننا نريد أن نسند إلى القصيدة مهمة وعظية أو تبشيرية ، وإنما نحاول أن نضع أيدينا على الخيط الذي يفصل بشكل حاسم بين مهمتي التسجيل الاستقرائي والتحليل الإبداعي لحقائق التاريخ [1]

إن توجهنا إلى فهم هذا النمط من الفعالية الفكرية للقصيدة يؤهلنا بشكل قاطع لاستيعاب متميز لطبيعة المكونات الثقافية التي ينبغي لنا تشخيصها خلال محاولة الكشف عن خلفية الشعر الفكرية والفنية ولعل قصيدة الجاهلية ستبقى الميدان .... الأصلح لإجراء مثل هذه الدراسات لما تميز به دورها الفكري من قدرة خارقة على الريادة في مجتمع كان الشعر لديه علماً لم يكن له علم أصح منه [2] .

وقد يبدو بعد ذلك أن التصدي لدراسة بواعث هذه الريادة ومقوماتها وآثارها مرهون باستيعاب ملامح الظرف التأريخي الذي احتضن نشأة القصيدة المكتملة ورافق تطورها ونضجها ، ولكننا قررنا ابتداءً أن نحاول تجنب مثل هذا المنهج لكي لا ننتهي إلى ما انتهت إليه الدراسات السلفية من محاولة قسر النص الشعري

على استيعاب آثار الظرف التأريخي الذي تنتهي إليه التصورات القائمة على استقراء مرويات قد لا تكون موثقة بأية حال ، ولهذا فإننا سنعتمد على استقراء النص الشعري نفسه في تشخيص المدلولات ، وتثبيت المؤشرات ، محاولين الإفادة من الحقائق التأريخية العامة على صعيد تقرير طبيعة الاتجاهات الساقطة إلى الوعي الاجتماعي من المراحل التأريخية السابقة ، بيد أننا لن نتخذ النص الشعري — حتى من هذا المنطلق — شاهداً تسجيلياً صرفاً ، وإنما سنحاول إقامة شواخص اللقاء والتفاعل بين تلك الاتجاهات وطبيعة التفاصيل المطروحة في العمل الإبداعي.

وحين نتحدث عن قصيدة ما قبل الإسلام ينبغي لنا أن نشير إلى أننا نتحدث عن القصيدة المكتملة التي أرسى مهلهل وامرؤ القيس تقاليدها الفنية ثم أورثاها أجيال الشعراء بعدهما ، أما النماذج التي سبقت هذين الشاعرين فإن القليل النادر الذي تنقله مصنفات القدامى منها لا يشير إلى نضج واستواء يتيحان للدراسة فرصة الفوز بما يعين على تحديد أبعاد فكرية وفنية واضحة [٣] ، وذلك ما يعزز لدينا قيمة الحقائق التي قررها القدامى قبلنا وضمنوها نتائج بحثهم في هذه المسألة الدقيقة ، كقول ابن سلام : « لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة ، وإنما قصدت القصائد ، وطول الشعر ، على عهد عبدالمطلب وهاشم بن عبد مناف » [٤] ، وقول الجاحظ : « فإذا ما استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام » [٥] ، وقول ابن رشيق الذي جمع فيه بين القولين السابقين : « زعم الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزاً وقطعاً ، وأنه إنما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس ، وبينهما وبين مجيء الإسلام مائة ونيف وخمسون سنة » [٦] .

وعلى الرغم من أننا نستطيع أن نقرر دون تردد أن بزوغ نور الإسلام هو النهاية الحاسمة للعصر الجاهلي الذي يرادف عندنا الآن مصطلح (عصر ما قبل الإسلام) ،

يبدو أن علينا أن نتريث قبل الحكم بانتهاء النمط الشعري الجاهلي بمجرد ظهور الإسلام ، ذلك أن الإسلام تحول جذري وحاسم في حياة العرب ، ولكن التحولات الجذرية التي تمتلك القدرة على إنهاء نظام ما بشكل حاسم تستنزف في العـادة وقتاً أطول لحسم ما انبثق عن ذلك النظام من توجهات فكرية واجتماعية ، كما أن التحول نفسه لا يمكن أن ينبثق منقطع الجذور عن المرحلة التي يسعى لتغييرها ، ولهذا فإن من السذاجة المفرطة أن نتصور بأن كل ما جاء به الإسلام جديد على الحياة العربية ، وأن كل ما جاء به الإسلام من جديد وجد طريقه إلى عمق الحياة العربية حتى غدا جزءً من شخصية الأمة بمجرد ظهوره وانتشاره ، ولما كانت القصيدة هي المنفذ الإبداعي المعبر عن آثار تفاعلات الحياة صح لدينا التوقف عن الربط العنيف بين ظهور الإسلام وانتهاء النمط الشعري الجاهلي ، وتلك مسألة تنبه لها الباحثون ، وذهبوا مذاهب شتى في رصدها وتقرير مواقف معينة منها [٧] ، ولكن تشعب الآراء لا يمنعنا من القول بأن انقراض جيل الشعراء المخضرمين الذين ولدوا وقالوا الشعر قبل الإسلام قد يمثل بداية النهاية ، فإذا ملنا إلى التحديد صح القول بأن وفاة الحطيئة (حوالي سنة ٥٩ هـ) كان الإيذان بتراجع النفس الجاهلي من النمط الذي ظلت أطره الفنية حية على صعيد النتاج الشعري إلى عمر جيلين أو ثلاثة من الأجيال التالية .

فإذا ما انتهى الأمر لدينا إلى القناعة بهذه الملاحظات السريعة صح أن نقصر الجهد على نتاج هذه الحقبة الشعرية المبتدئة بظهور مهلهل وامرئ القيس والمنتهية بوفاة الحطيئة .

وعلى الرغم مما قد يثار حول بعض هذا الذي وصل إلينا من نتاج المرحلة الشعري من طعن وتشكيك فإننا سنعمد إلى استقراء النماذج الموثقة التي تقوم لدينا الأدلة على صحة انتمائها إلى العصر ، وسنستخدم نتائج الاستقراء في تثبيت الملاحظات

انطلاقاً مما قررناه سابقاً من مبدأ الاعتماد على النص في عملية الرصد والتحليل والتقويم .

إن متابعة النصوص المبثوثة في الدواوين الجاهلية الموثقة ، والمصادر التراثية القديمة تقرر حقيقة أساسية لم نكن نريد استباق الإشارة إليها ولكننا مضطرون إلى اتخاذها مؤشراً أساسياً ، وهي أن الشاعر الجاهلي كان يرجع في حركته الموضوعية والفنية إلى معين ثقافي قد تتشعب روافده وتتفاوت صور الاغتراف منه ، ولكنه يبقى المرجع الأساس لوحدة العطاء الفكري في عامة النماذج التراثية ، وتلك حقيقة يمكن أن نتابع تفاصيلها من خلال دراسة متانية لوجوه الحركة الفنية والفكرية في الميادين التالية : —

١— الإطار الفني لبناء القصيدة :

تقدم النماذج الشعرية الموروثة من العصر ملامح واضحة لصيغة شعرية لفت شيوعها واستقرارها أنظار القدامى قبلنا، فرصدوها ، وحددوا تفاصيلها، واجتهدوا في تحليل مظاهر الوحدة التي تنتظم مراحل نمو الحدث الفني فيها، وكان أول نص مستوعب لنتائج الاستقراء والتحليل ما قدمه ابن قتيبة من قوله : « إن مقصَّد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى ، وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل من ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لانتقالهم من ماء إلى ماء ، وانتجاعهم الكلأ ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان ، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف إليه الوجوه ، ويستدعي به إصغاء الأسماع إليه ، لأن التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب ، وضارباً فيه بسهم حلال أو حرام ، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع

له ، عقب بإيجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، وشكا النصب والسهر ، وسرى الليل وحر الهجير ، وإنضاء الراحلة والبعير ، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ في المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزه للسماح ، وفضله على الأشباه ، وصغر في قدره الجزيل » (٨) .

وعلى الرغم من أننا قد نلمح أثر تسلل نموذج المديح العباسي إلى تحليل ابن قتيبة لأطر البناء التقليدي للقصيدة الجاهلية المكتملة فإننا لانشك في أن الرجل استقى النتائج التي خرج بها من جولة موسعة في دواوين جاهلية لم يعد بوسعنا — في حدود ما وصل إلينا منها — أن نقوم بجولة مماثلة فيها لما كان من امتداد يد الأيام إليها ، أما هذا القليل الذي وصل إلينا منها فإنه يشهد على أصالة الاستقراء ودقة النتائج .

إن اتفاق شعراء عصر ما قبل الإسلام على هذا الإطار الفني لا يخلو من دلالة إذا نظرنا إلى اتساع الرقعة الجغرافية الممتدة بين العراق والشام والجزيرة حتى سواحل اليمن وحضرموت ، فضلاً عن صعوبة وسائل التواصل وندرتها ، ولهذا فإننا لا نرى بداً من تشخيص جانبين يمثلان في نظرنا الجسور التي وجد النمط الشعري الموحد من خلالها طريقه إلى الانتشار والرسوخ ، أولهما وحدة الموروث الفكري الذي تحكم في الحركة الفنية والفكرية للقصيدة ، وثانيهما وحدة الظرف البيئي والاجتماعي الذي أعان بعض الرسوم التقليدية على الحضور الدائم في القصيدة المكتملة .

وإذ يمثل الوقوف على الطلل في المعيار الموضوعي صيغة مناجاة تستقطب معاناة القصيدة بإزاء تجربة طواها الزمن ، فإن انشداد عشرات التجارب الشعرية المتباينة الأجواء إليها مسألة تثير الانتباه وتستدعي التأمل ، والا فإننا مطالبون بأن نجد تفسيراً موضوعياً مقنعاً لامتدادها إلى تجارب شعرية لا تعين الادلة على صدق صلتها الموضوعية بها كما هو الأمر مثلاً في مطولة زهير بن أبي سلمى التي افتتحها

بالوقوف على طلل (أم أوفى) وهو بإزاء خوض تجربة شعرية جماعية البعد تتمثل في محاولة ايقاف عودة الحرب بين عبس وذبيان فكانت التفاصيل نفسها غير قادرة على بعث القناعة بموضوعية المعاناة ، ذلك أن زهيراً بدا خلال الافتتاحية الطللية ــ وهو المعروف بالحلم والأناة والرزانة ــ واقفاً على مشارف ذكريات حب خاضه وهوفي الستين من عمره ! ثم تذكّر تفاصيله وهو في الثمانين ، فهو يقول في المطولة :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولاً لا أباً لك يسأم

ويقول في المقطع الطللي منها

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأياً عرفت الدار بعد توهم

وعلى الرغم من أن الدواوين الجاهلية تضم نماذج أخرى عديدة تشهد على اختلال مبدأ التسليم المطلق بموضوعية مقطع الطلل إلا أننا لا نمتلك أن نجرد التجارب كلها من صدق المعاناة الموضوعية ولهذا فإننا نذهب إلى الزعم بتظافر الموروث الفكري والفني وآثار الظرف البيئي على منح مشهد الطلل عوامل الحضور الدائم في النموذج الشعري ، فحيث تجتمع عناصر الخلود التي تمثلها الأثافي والرماد والنؤي في مشهد الطلل يتداعى إلى الذهن ما سقط إلى الحصيلة الجماعية العربية من الآثار الفكرية للديانات القديمة ، فالأثافي (وهي حجارة) تكاد تذكرنا بما كان من صور المعتقدات التي أقامت من الحجارة آلهة لها ثم نظرت إليها نظرة التقديس عندما انتهت إلى الظن بأن كل حجارة من بقايا هياكلها المقدسة حصن لروح خفي يكمن وراءها (٩) أما الرماد فقد كان من عقائدهم الموروثة أنه يخلد ألف سنة (١٠) ، وذلك يعني أن الشاعر كان يتحرك بوعي خلال محاولة تخليد طلله مفيداً من قدرة هذه الرموز على استشارة قناعة جمهوره الذي يشاركه في الخلفية الثقافية نفسها .

ولا نرى أنفسنا بعد ذلك بحاجة إلى تأكيد القول بأن طبيعة الحياة الصحراوية

القائمة على النقلة والاضطراب هي التي أمدت المشهد من جانب آخر بالقدرة على الرسوخ في النموذج الشعري ، ومن هنا تسللت عناصر بيئية صرف لتقف إلى جانب العناصر التي أشرنا إليها في محاولة تخليد الطلل ، ومن ثم تخليد تجربة الشاعر نفسه ، فكانت العين والآرام والسخال وحمر الوحش التي تعمر الطلل بعد رحيل أهله وسيلة من وسائل بعث الحياة المتدفقة فيه ، وكان (الفغو والريحان ومنابت الوسمي) أرضية رائعة لهذا المشهد الزاخر بالحياة ، ولا غرابة بعد ذلك كله أن ينبثق جهد الشاعر عن تشبيه الطلل بالوشم المرجع أو السطر المكتوب والرق المحيل فتلك صور يمارس الوعي الاجتماعي متابعتها في حياته اليومية بشكل عنيف (١١)

بقي أن نواجه افتراض المدلول الموضوعي البحت لمشهد الطلل من خلال التساؤل المشروع عن سر امتداده إلى دواوين شعراء لا تشير أخبارهم إلى عنف ممارسة النقلة والاضطراب أو خوض تجارب حب يائس ، والإجابة عن هذا التساؤل هي المنفذ إلى تقرير قولنا بأن الطلل كان تعبيراً عن ممارسة موضوعية مباشرة في مرحلة ما من عصر أولية الشعر قد يمثلها (ابن خذام) الذي ورد ذكره في قول امرئ القيس

عوجا على الطلل المحيل لأننا . نبكي الديار كما بكى ابن خذام (١٢)

ولكن الأمر استحال بعد ذلك إلى عرف فني ظل يجد طريقه إلى نتاج الشعراء في طول الجزيرة وعرضها مقدماً أحد الشواهد التي لا تدحض على وحدة موارد الثقافة الفنية التي ظل الشعراء يردونها خلال عملية الابداع الإلهامي ، وهذا هو التفسير الذي نرى أنه ينسحب على التقاليد الفنية الأخرى التي تقف إلى جانب الطلل في عملية التهيئة الفنية لتجربة القصيدة الجاهلية حيث ينبثق مشهد الطلل عادة عن مقطع نسيب أو ظعن أو غزل يبدو امتداداً طبيعياً لحديث الطلل نفسه ، ذلك أن تجارب الطلل تظل تمزج بين حديث الانتزاع من الأرض وحديث فراق المرأة إلا فيما ندر (١٣) ولهذا كان الخلوص إلى حديث المرأة بعد الطلل أشبه

بالترجيع المقبول للنغم الحزين الشائع في حديث الأسى عند أعتاب الأمس اليائس الذي ذهب بكل المتع .

ومن خلال فهمنا لتجربة الطلل يمكن أن نواجه تجربة حديث المرأة في هـــذه المقاطع حيث تتوفر القناعة بأن اقتحامها عالم القصيدة بهذا الشكل العنيف إشارة حاسمة إلى مرحلة سيادة الأم التي خلفت آثارها الواضحة في حياة العرب الفكرية حتى الحقبة المتأخرة قبل ظهور الاسلام سواء في أسماء الآلهة أو أسماء أو أسماء بعض القبائل، بيد أننا لا نستطيع ـ رغم إيماننا هذا ـ أن نحدد تأريخـــاً تقريبياً لانتهاء الاستخدام الموضوعي إلى الاستخدام الرمزي لعنصر المرأة وإن كنا نزعم أن الظرف الذي انبثقت فيه القصيدة المكتملة على يد امرئ القيس يؤكد أن منفذ المرأة إليها كان منفذاً رمزياً دون أدنى ريب ، ففي مئات التجارب الشعرية تطالعنا الأدلة على توظيف صورة المرأة توظيفاً فنياً محضاً يكشف عن انفصال جذري عن موضوعية المعالجة ، ولعل من أصدق ما يمكن أن نقدمه دليلاً على هذه الحقيقة تعدد رموز المرأة في ديوان الشاعر الواحد ، وفي القصيدة الواحدة ، وفي البيت الواحد أحياناً .

إن تفسير ابن قتيبة لظاهرة استخدام رمز المرأة في القصيدة التراثية إشـــارة حاسمة إلى الأرضية الفكرية التي كان يؤول إليها الشاعر وجمهوره معاً ، أمـــا الجانب الفني الصرف فقد وضع ابن رشيق يده عليه عندما قال : « وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم ، وتحلو في أفواههم ، فهم كثيراً ما يأتون بها زوراً ، نحو : ليلى وهند وسلمى ودعد ولبنى وعفراء وأروى . . . الخ ، ولذلك قال مالك بن زغبة الباهلي ، أنشده الأصمعي :

وما كان طبي حبها غير أنـــه يقام بسلمى للقوافي صدورها » (١٤)

إن تعدد صور دخول عنصر المرأة إلى القصيدة التراثية عن طريق النسيب أو الظعن أو الغزل مما لا ينبغي أن يشغلنا عن تقرير الحقيقة النهائية التي نرى أنها

تتمثل في امتداد صورتها إلى الموروث الثقافي الساقط من المراحل السابقة ، وانشداد عملية توظيفها إلى الظرف البيئي الذي ظل يمنحها قدرة الاستثارة والتشويق في بيئة تكاد تشح بألوان المتع الإنسانية غيرها [١٥] .

وقد تختلف وجهات نظر المحدثين بعد ذلك في طبيعة الدوافع النفسية والفنية لانتقال الشاعر من حديث الطلل والمرأة إلى حديث الرحلة التي تشخص الناقة فيها عنصراً مشاركاً للشاعر في خوض رحلة اسطورية تحفها المخاطر ويكتنفها المجهول ، بيد أن النماذج الشعرية نفسها تحمل مفاتيح الحقيقة ، فالشاعر ينتقل إلى الرحلة عادة من خلال تراكيب معروفة لا تعدو النص على (تسلية الهم) أو (تعدية الطلاب) أو (التعزي عن الراحلين) ، وذلك ما يتيح لنا الجزم بأن مقطع الانتقال يمثل انتزاعاً عنيفاً للنفس من حديث الذاكرة إلى حديث مواجهة الواقع واقتحامه [١٦]

والذي يعنينا من هذا أن استخدام الناقة في لوحة الرحلة لا يبدو منقطع الجذور عن أرضية الموروث الفكري العربي ، فعلى الرغم مما هو معروف من احتلال الناقة موقعاً متميزاً من الحياة الصحراوية ، ومشاركتها لسكانها حياتهم ووجوه كسبهم ونقلتهم واستقرارهم يبدو أن علينا أن نواجه رافداً خفياً لعله كان منفذها إلى القصيدة في مرحلة أوليتها المجهولة ، فالإشارات التأريخية تقرر مواقع متميزة للناقة من الموروث الديني والاجتماعي لعل أقربها إلى المتناول قصة ناقة صالح (ع) التي كان عقرها سبباً في هلاك قومه من ثمود [١٧] ، وقصة الناقة التي كانت السبب المباشر في اشتعال الحرب الطاحنة بين بكر وتغلب والتي سميت باسم الناقة نفسها (البسوس) ، بل إن الواقع ليشير إلى أن العرب كانت تتخذ مسالك معينة لإضفاء إنماط من التقديس لإبل بأعيانها حتى جاء الاسلام ونص القرآن الكريم على تخريم تلك المسالك التي غدت أشبه بالعقائد التي لا تمس [١٨] .

من هنا نستطيع أن نطرح الحذر الشديد عند الحكم على منافذ دخول الناقة إلى النموذج الشعري فلا نستثني منها عنصر الموروث الثقافي والعقائدي الذي

منحها موقعاً متميزاً في الوعي الاجتماعي رغم ملاحظتنا أثر الظرف البيئي في حضورها الدائم في تقاليد القصيدة الموروثة .

أما انتهاء تفاصيل مشهد الناقة إلى تشبيهها بثور الوحش أو حمار الوحش أو النعامة فإنه قد يستقطب قناعة ساذجة برغبة الشاعر في تشخيص سرعة ناقته حسب ، بيد أن الأمر يظل أعمق من هذا التصور في الاستيعاب والتعبير ، فقصص الوحش تمثل من الناحية الفنية آثاراً لجهد واعٍ ومتابعة متأنية يتحول مجرى التشبيه خلالهما إلى عناية خالصة بالمشبه به ، حتى يخيل إليك أن التشبيه مجرد جسر للصورة التي يفرغ الشاعر لمتابعتها في هذه القصص المنتشرة في الدواوين الجاهلية بشكل يلفت النظر

وتقوم قصة ثور الوحش على تصويره وهو يواجه ليلة باردة ذات ريح ومطر يحاول خلالها أن يحتفر لنفسه مبيتاً يقيه أهوال ليلته فيحالفه الفشل ، وما إن يتنفس الفجر حتى يروعه صوت كلاب صياد ، فيفزع إلى قوائمه مجداً في الهرب ، ولكنه ما يلبث أن يذكر حقيقته (كرامته) أو تلحقه الكلاب فتنهش قوائمه ، فيكر عليها ليورد بعضها حتوفها حتى تنكشف بقيتها عنه يائسة منه ، فينطلق إلى هدف مجهول ملقياً بينه وبينها عموداً من غبار يكون وصفه اللمسات الأخيرة من لمسات العمل الفني في قصته التقليدية (١٩) .

وتختلف قصة الحمار الذي يبدو في المشهد راتعا مع أتانه (أو أتنه) في مرعى ربيعي خصب ما يلبث الماء أن ينضب فيه فيضع الحمار أمام تحدي البحث عن مورد ماء جديد ، فيقف مفكراً ، وتقف الأتن بانتظار قراره ، حتى يتذكر غديراً بعيداً ، وعند ذاك يجهد في دفع أتنه النافرات وسياقتهن حتى يبلغ بهن هدفه ولكن القدر ما يلبث أن ينبري له في هيأة صياد كامن على الغدير بانتظار صيد يرسل سهماً يمر بين قوائم الحمار فلا يصيبه ، ولكنه ينذره بخطر الموت ، فينفر مرة أخرى إلى هدف جديد مجهول ، وتكون آخر لمسات المشهد وصف انطلاقه وأتنه إلى الأفق البعيد المجهول (٢٠) .

أما قصة النعامة فإنها تنفتح على صورتها – وصورة ظليمها معها أحياناً – ينقفان من الحنظل والخطبان ما طاب لهما في مرعى خصب ، ولكن الليل يذكرهما ببيضات لهما تركاها في العراء ، فيهرعان إليها ويواليان الشد حتى يبلغاها ليحتضنها الظليم ، ولتطوف النعامة به تناغيه في مشهد أسري رائع [٢١] .

إن النظر المتعجل إلى الموروث من النماذج وعرضه على الظرف البيئي قد ينتهي إلى الاقتصار على عوامل موضوعية أدت إلى انبثاق المشاهد الثلاثة من خلال تشبيه الناقة ، فعنصر السرعة متوفر في الوحوش الثلاثة ، والبيئة الطبيعية مسرح زاخر لها فهي مما يعرض للعين في الحل والترحال ، وقد يصح بعد ذلك تعليل اختيار الشاعر لمشهد أحدها دون الآخر بوفرة مشاهدته له أو بميل ذوقه الشخصي البحت ، بيد أن الأمر يبدو للنظرة الفاحصة أبعد غوراً من هذا الفهم السطحي ، فالمشاهد الثلاثة مما ينتشر في الدواوين بشكل لا يعين على تشخيص حالات اختيار متميزة عند كل شاعر ، فنحن لا نكاد نظفر بديوان ينفرد باستخدام مشهد دون غيره ، وقد دلني استقراء متوسع أجريته على عشرات الدواوين أن اختيار مشهد الثور يكاد يلازم التجارب الشعرية ذات التوجه الفردي ، بينما يكاد اختيار مشهد الحمار يلازم التجارب ذات التوجه الجماعي ، أما مشهد النعامة والظليم فهو يحتل موضعه من تمهيد القصائد ذات الطابع الانساني الرقيق [٢٢] ، وواضح ان نتائج هذا الاستقراء تشير إلى عمق وعي الشاعر في اختياره للمشهد الذي تعين تفاصيله الداخلية على فتح أرضية ملائمة لتجربته الموضوعية ، بل إن بعض الحقائق لتشير إلى أصالة هذا الوعي ، فقد كان الشاعر يعمد إلى تغيير بعض التفاصيل التقليدية للمشاهد عند تصديه لتجارب من نوع متميز ، من ذلك ما رصده الجاحظ قديماً وقرره بإشارته إلى أن ثور الوحش ينتهي إلى الموت لا إلى النجاة في مقدمات قصائد الرثاء [٢٣] والموروث من النماذج يؤكد هذه الحقيقة ويقرر أصالة استخدامها في جميع المشاهد التقليدية [٢٤] وذلك ما لا ينبغي أن

ننظر إليه بمعزل عن إطار الخلفية الثقافية والفنية التي كان الشاعر وجمهوره يؤولان إليها بإزاء العمل الابداعي .

إن إنشداد صور وحش الصحراء إلى ظرف الشاعر البيئي لا يمثل في نظرنا المنفذ الوحيد لانتشارها في النماذج الشعرية ، ذلك أننا نستطيع أن نلمح في الموروث الديني والاجتماعي ظلالاً لبعض شخوصها ، فالثور السماوي يحتل موضعاً معروفاً من ملحمة جلجامش ، والنقوش السومرية تكشف عن دور واضح له في الديانات القديمة [٢٥] ، أما مشهدا الحمار والنعامة فإننا قد نعجز عن العثور على خلفية دينية أو ميثولوجية لهما في حدود ما كشفت عنه التنقيبات والبحوث ، ولكن ذلك لا يعني أننا يائسون من الفوز بما يعيد بعض تفاصيلها إلى تلك الأرضية ، وإلا فإن انتشارهما بهذا الشكل الذي يلفت النظر في النماذج لا يمكن أن يخلو من دلالات . .

وقد يقال بعد ذلك كله إن المسألة لا تعدو أن تكون تقليداً لنماذج مبكرة استقطبت إعجاب الشعراء والجمهور ، فكان أن امتدت إلى الذوق الأدبي ورسخت في النماذج التالية ، وذلك نظر يحمل الكثير من الوجاهة ، ولكنه يبقى عاجزاً عن تفسير سر امتداد المشاهد دون غيرها إلى النماذج المبكرة نفسها [٢٦] ، وعلى الرغم من ذلك فإننا نستطيع أن نؤكد أن استقرار تقاليد البناء الفني الموروث لا ينقطع بأية حال عن الأرضية الثقافية الدينية والميثولوجية التي توارثتها أجيال الأمة من مراحل موغلة في القدم لا نستبعد أن تكون المعين الأساس الذي رفد الحضارات العربية القديمة التي ازدهرت في وادي الرافدين والشام ومصر ، أما افتقارنا إلى الشواهد المادية والتأريخية على بعض مقومات هذه الحقيقة فإنه لا يغض بأية حال من نتائج استقراء ما خلفته لنا يد الأيام من النتاج الأدبي الذي أبدعته قرائح شعراء مرحلة ما قبل الإسلام .

٢ـ المعالجة الموضوعية في صلب التجربة الشعرية

يبدو أن ثمة شبه اتفاق بين الدارسين المعاصرين على ارتباط أولية التجارب

الشعرية عند الأمم بعقائدها الدينية[٢٧] ولعل ذلك ما أتاح لبعض الدراسات أن تستخدم مجموعة من الحقائق التأريخية الشاخصة في محاولة استنباط نظرية تذهب إلى أن الآداب العربية القديمة كانت وثيقة الصلة بعالم الغيب ، وأن نمطها كان النمط الملحمي الذي لم تبق الأيام من نماذجه إلا ملحمة جلجامش ، ولهذا علينا أن نتخيل التوجه الأساس في موضوعات الشعر منصباً على الرثاء الذي ظل يمثل حالة تأمل عميق لرحلة الإنسان إلى عالم المجهول الذي هو عماد نشاط الفعالية الدينية ، ومن الرثاء انبثق المديح لان الرثاء نفسه يقوم على مديح الموتى في بعض تفاصيله ، ولكن المديح اقتصر على الرجال فانبثق الغزل ليكون مديحاً للنساء ، وتكتمل السلسلة بعد ذلك بتفريع أغراض الحماسة والفخر والهجاء . . .الخ[٢٨] ، وعلى الرغم من أن النظرية تمتلك مقومات الإقناع المنطقي وتحدد مؤشرات الأرضية الفكرية التي انطلقت منها موضوعات الشعر العربي القديم فإننا لا نريد أن نتخذ منها أساساً وحيداً في الدراسة والمعالجة ، وإنما سنعمد إلى معالجة تفاصيل الموضوعات نفسها متابعين جذورها الفكرية والاجتماعية التي منحتها أطرها التقليدية الموروثة .

وتبقى الدراسات التقليدية لموضوعات الشعر العربي القديم عاجزة عن الإلمام بالمضامين الفكرية والحضارية لانطلاقها في الأساس من زاوية النظر إلى الجانب الذاتي والموضوعي حسب ، ولعل العودة إلى تفاصيل هذه الدراسات كفيلة بإن تكشف عن نقص واضح حتى في استقرائها للجانب الذاتي نفسه ، ذلك أن دراسة معطيات الابداع الذاتي منفذ تلقائي للكشف عن الخلفية الثقافية التي ترفد المبدع وتمنح عمله أرضيته الأصيلة ، وهي في الوقت نفسه منفذ الكشف عن هوية الطموح المرتسم في أفق الاستشراف الذي يمثل المهمة الأساس في كل عمل إبداعي .

إن إعادة النظر فيما خلفته لنا يد الأيام من موضوعات الشعر التراثية للكشف عن المضامين الفكرية والحضارية فيها ليست مهمة معقدة ، ذلك أن الشعر كان

الصوت الأوضح لسلطة (العرف) في مجتمع لم يكن يمتلك إلا هذه السلطة في تحديد صيغ العقاب والثواب على الصعيدين الفردي والجماعي ، ومن خلال فهمنا لطبيعة التوجه الإنساني الذي ظل يسم رسالة الأمة الفكرية التي عبرت حضاراتها القديمة عن مضامينها نستطيع أن نلمس وجوه اللقاء بين ملامح تلك الخلفية وبين القيم المطروحة في أغراض النموذج الشعري القديم .

إن الواقع المضطرب الذي ظل يسم الوجه الظاهر للحياة العربية في المرحلة التي سبقت الإسلام لا يمتلك أن يشغلنا عن ملاحظة تسال ملامح الرغبة الأصيلة في تحديد الآفاق الإنسانية للمجتمع الحضاري الذي ظل الشعر يرسم أبعاده من خلال عملية الاستشراف النبيل لمقومات شخصية الفرد وشخصية المجتمع في آن معاً ، ويكون (حسن الثناء) أعلى درجات مكافأة العرف الاجتماعي للشخصية الإنسانية الكاملة ، وذلك ما يمكن أن نضع عليه اليد من خلال قراءتنا لمثل قول السموأل السموأل بن عادياء

إذا المرء لم يدنس من اللؤمِ عرضُه　　فكلُّ رداءٍ يرتـديه جميـلُ
وإن هوَ لم يحملْ على النفسِ ضيمَها　　فليسَ إلى حُسن الثناءِ سبيلُ[٢٩]

أما المواصفات التي تقود إلى ضفتي العقاب والثواب فانها ستبقى منفذنا إلى الكشف عن هوية التأمل الفكري لمقومات (المجتمع الفاضل) الذي كان الشعر يستمد ملامحه من إرث الأمة الفكري ، ويقيم منه شاخصاً من شواخص الطموح إلى المستقبل المأمول الذي انبثق الإسلام ليقيم التطبيق الحقيقي له على الأرض التي اختارها الله مهداً لرسالاته واختار رجالها جنوداً لنشر قيم العدل والرحمة والانسانية في مشارق الأرض ومغاربها .

ولسنا هنا بصدد إجراء موازنات تطبيقية قد تجنح بالبحث إلى إطالة لا مسوغ لها ، ولكن رغبتنا في منح الحقائق أرضيتها المادية تدعونا إلى تأمل بعض النصوص التي انبثقت في مرحلة متقدمة من العصر فكانت تفاصيلها تحديداً للشخصية التي

نلمح فيها ظلال الشخصية التي سعت شريعة حمورابي لخلقها من خلال مبادئ العقاب والثواب ، وظلال الشخصية التي سعى الإسلام فيما بعد إلى خلقها من خلال رقابة الذات الانسانية المشدودة إلى تعاليم السماء ، من هذه النصوص وصية شاعر جاهلي قديم هو عبد قيس بن خفاف لابنه (جبيل) يقول له منها

أجبيلُ إن أباكَ كاربَ يوْمُــهُ فإذا دُعيتَ إلى العظائم فــاعجلِ
أوصيكَ إيصــاءَ امرئٌ لك ناصحٍ طبنٍ بريبِ الدهرِ غيرِ مغفــلِ
الضيفَ أكرِمهُ فإن مبيتــه حقٌ ولا تكُ لعنــةً للنزّلِ
واعلــم بأنَّ الضيفَ مخبرُ أهلهِ بمبيت ليلتهِ وإن لم يُسألِ
وصلِ المواصلَ ما صفا لك ودُّه واحذر حبالَ الخائنِ المتبدِّلِ
واترك محلَّ السوءِ لا تحللْ بــه وإذا نبا بك منزل فتحــولِ
وإذا هممت بأمر شرٍّ فــاتئــد وإذا هممت بأمرِ خيرٍ فافعلِ
واستأنِ حلمَك في أمورِكَ كلّها وإذا عزمتَ على الهوى فتوكّلِ
وإذا تشاجر في فؤادكَ مــرة أمرانِ فاعمد للأعفِّ الأجملِ (٣٠)

إن فهمنا الدقيق للتفاصيل الانسانية التي ظلت تسم ملامح رسالة الأمة الحضارية هو الكفيل بمنحنا القدرة على الإحاطة بالسر الذي يكمن وراء انبثاق مثل هذه الأفكار عن شعراء عصر اعتدنا — مخطئين — أن نتصور الحياة فيه قائمة على أساس من الإيمان بشريعة الغاب ، ومن هنا ينبغي لنا أن نكون أكثر حذراً بإزاء محاولات إسقاط مثل هذه النصوص واتهامها بالنحل بدعوى انتماء أفكارها إلى ما ورد في التعاليم الاسلامية ، فحسبنا أن نقول هنا إن التعاليم الإسلامية السمحاء لم تكن لتنزل منقطعة عن طبيعة الأرض التي احتضنتها واستوعبت مضامينها وحمل رجالها السيف في سبيل نشرها والدفاع عن بنائها الحضاري الشامخ .

إن تباين وسائل تشخيص هذه القيم في الموضوعات الشعرية المتباينة مما لا ينبغي

أن يقف حاجزاً بين وعينا المعاصر وبين الخلفية الفكرية التي ظلت تتحكم في مفردات قصائد المديح والرثاء والفخر والهجاء حيث تبقى (مواصفات) الشخصية الانسانية منوطة بالقيم والمثل التي حددها (العرف) واعتمد الشعر على تثبيتها في عملية البناء الموضوعي ، وتلك مسألة تنبه لها القدامى واستطاعوا أن يشخصوا من خلالها اتفاق الشعراء على الأطر العامة لقيم الموضوعات المختلفة ، بل إن قدامة بن جعفر خرج من خلال تنظير منطقي متزمت بملامح أربع فضائل كانت عماد الشخصية المثلى في البناء الشعري وهي : العقل والعدل والعفة والشجاعة[٣١] ، أما استقراء موضوعات الدواوين الجاهلية فإنه كفيل بان يمنحنا تصوراً أشمل لمدلولات الكرم والنجدة وحماية الجار ومنع الحمى وإعانة الضعيف وإغاثة الملهوف والعفة عن المحارم وما يدخل في هذا الإطار مما هو مبثوث في الدواوين بشكل لا يخضع لاستثناء .

ويبقى الأمر مقيداً إلى المعايير الإنسانية نفسها على صعيد العلاقات القومية والإنسانية ، فعلى الرغم من أثر الظرف البيئي القاسي في تأجيج الخصومات بين القبائل والأرهاط ظل الواقع التأريخي والفكري للأمة يمنح شعراءها قدرة تحديد ملامح مرارة الواقع ومحاولة رسم ملامح الطموح إلى التغيير ، ولعل من أصدق الأدلة على هذا الذي نذهب إليه أن دواوين الشعراء الفرسان التي ظ ت تزخر بنماذج توحي بعنف التمزق وقسوة التناحر لا تخلو من نماذج تقرر الوجه الآخر للحقيقة ، فمن بين الآثار القاتلة التي كانت الحرب مؤهلة لوسم العلاقات الاجتماعية بها ظل الصوت الخفي للوازع القومي والإنساني ينبثق بين حين وآخر ليطغي على كل صوت سواه ، والنماذج على ذلك أكثر من أن تحصى ، بيد أننا سنكتفي بثلاثة نماذج ، أولها لامرئ القيس الذي قاد كندة في حربها الطاحنة مع بني أسد طلباً لثأر أبيه الملك حجر الذي كان مقتله نهاية مفجعة لدولة كندة العربية ، ففي ديوان الشاعر

قصائد أشبه بأناشيد الانتقام ، ولكنه يضم ثلاثة أبيات تدعو إلى التأمل العميق هي قوله :

الحربُ أول مَا تكونُ فتيّةً ... تسعى بزينتها لكلِّ جهولِ
حتى إذا استعرتْ وشبَّ ضرامُها ... عادتْ عجوزاً غيرَ ذاتِ خليلِ
شمطاءَ جزَّتْ رأسَها وتنكّرتْ ... مكروهةً للشمِّ والتقبيلِ (٣٢)

أما ثاني النماذج فيطالعنا في ديوان عنترة بن شداد الذي ارتبطت سيرته بتفاصيل حرب داحس والغبراء حتى بدا من خلالها بطلاً أسطورياً من أبطال الملاحم العربية ، ففي ديوانه الحافل بنماذج الحماسة ووصف الحرب إشارة حاسمة إلى (موقف) حضاري واضح من الحرب التي فرضت عليه فخاضها مضطراً ، فهو يقول :

إنْ تكُ حربُكُم أمستْ عوَاناً ... فإني لم أكنْ ممن جناها
ولكنْ ولدُ سودةَ أرَّثوها ... وشبُّوا نارَها لمن اصطلاها
فإني لستُ خاذِلَكُمْ ولكنْ ... سأسعى الآنَ إذ بلغتْ مداها (٣٣)

ولعل أعمقَ النماذج في الدلالة على هذا الذي نذهب إليه أبياتُ القائد العبسي قيس بن زهير الذي قتل بنو ذبيان إخوته فشن عليهم غارة لم يعد منها إلا وقد قتل باخوته اثنين من سادة ذبيان ولكنه حين رجع إلى نفسه متأملاً عمق الجرح الذي فرضته الحرب عليه تدفق بقوله :

شفيتُ النفسَ من حَمَلِ بن بدرٍ ... وسيفي من حذيفةَ قد شفاني
فإنْ أكُ قد بَرَدْتُ بهم غليلي ... فلمْ أقطعْ بهم إلا بناني
قتلتُ باخوتي ساداتِ قومي ... وقدْ كانوا لنا حَلْيَ الزمانِ (٣٤)

إن القيم التي تطرحها مثل هذه النماذج مرهونة بخلفية انسانية وحضارية لا يكاد الظرف الملتهب للمرحلة يفصح عنها وإن كان يضمها بذرة خير في رحم معاناته اليومية ، وذلك هو السر في سرعة توحد القبائل العربية المتناحرة حين داهمها الخطر

الفارسي فكانت وحدتها السبيل البطولي لصده في معركة ذي قار ، وهو السر في سرعة وحدة العرب كلهم تحت راية الاسلام الذي وجدوا فيه اللقاء الحقيقي لقيم تراث فكرهم الانساني وطموحهم إلى إقامة أركان المجتمع الحضاري المنشود

وننتهي أخيراً إلى هذه النماذج التي اعتاد الدارسون أن يواجهوها من زاوية موضوعية صرف ، وهي مقاطع الحكمة التي نرى أنها بحاجة إلى إعادة استقراء من زاوية نظر مؤهلة للربط بين الخلفية الفكرية والطرح الموضوعي ، فأبيات الحكمة تنبثق عادة عن ضرب من التنظير الفكري لنتائج التجربة التي تستقطب جهد المعاناة ، بيد أن الشاعر لا يسترفد ـ حتى من خلال هذا المفهوم ـ تفاصيل التجربة وحدها وإنما يؤول إلى قيم غدت أشبه بالبديهيات في الحياة الفكرية فامتلكت القدرة على منح الموقف الآني قوة القانون الملزم ، هذا أوس بن حجر يواجه انشقاق رهط من قومه تميم خلال حربهم الطاحنة مع بني عامر فلا يكون منه إلا أن يتوجه إلى قائد المنشقين يزيد بن عبدالله بقوله :

يا راكباً إمّا عرضتَ فبلغــنْ ... يزيدَ بنَ عبدِالله ما أنا قائلُ
بآيةِ أني لم أخنْكَ وأنــه ... سوى الحقِّ مهما ينطقِ الناسُ باطلُ
فقومكَ لا تجهلْ عليهم ولا تكنْ ... لهمْ هَرِشاً تغتابُهم وتقــاتلُ
وما ينهض البازي بغير جناحهِ ... ولا يحملُ الماشينَ إلا الحواملُ
ولا سابقٌ إلا بساقٍ سليمــةٍ ... ولا باطشٌ ما لم تعنهُ الأنــاملُ
إذا أنتَ لم تُعرضْ عن الجهلِ والخنا ... أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهلُ (٣٥)

وقريب من هذا ما تدفق به طرفــة بن العبد وهو يواجه ظلم أقاربه له في حقه من الميراث فقال :

فما لي أراني وابنَ عميَ مالكاً ... متى أدنُ منه ينأ عنــي ويبعدِ
يلومُ وما أدري علامَ يلومنــي ... كما لا مَني في الحيِّ قرطُ بن معبدِ
على غيرِ ذنبٍ قلتُهُ غير أننــي ... نشدتُ فلم أغفل حمولةَ معبدِ

وقربتُ بالقربي وجدّك إنني ... متى يكُ أمر للنكيثة أشهدِ
وإن أُدعَ للجُلّى أكن من حماتها ... وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهدِ
وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقهم ... بكأس حياض الموت قبل التهدّدِ
وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً ... على النفس من وقع الحسام المهندِ (٣٦)

وتجد العلاقات الاجتماعية المثلى طريقها إلى هذا النمط من التأمل الذي تنبثق عنه أبيات الحكمة التي تغدو على ألسنة الناس نظريات وقوانين تحميها سلطة العرف فتحتضن تطبيقها الإنساني وتنبذ كل المحاولات الرامية إلى خرقها أو تجاوزها ، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى في الدواوين ولكن لنا أن نتأمل أبياتاً من مطولة زهير بن أبي سلمى يقول فيها :

ومن لا يصانع في أمورٍ كثيرةٍ ... يضرَّسْ بأنيابٍ ويوطأْ بمَنْسِمِ
ومن يكُ ذا فضل ويبخلْ بفضلهِ ... على قومهِ يُستغْنَ عنهُ ويذمَمِ
ومن يجعلِ المعروفَ من دون عرضهِ ... يفرْهُ ومن لا يتقِ الشتمَ يُشتمِ
ومن لا يذُدْ عن حوضهِ بسلاحهِ ... يهدَّمْ ومن لا يظلمِ الناسَ يُظلَمِ
ومن هابَ أسبابَ المنايا ينلنَهُ ... ولو رامَ أسبابَ السماءِ بسلّمِ
ومن يعصِ أطرافَ الزّجاج فإنه ... يطيعُ العوالي رُكّبت كلَّ لهذَمِ
ومن يوفِ لا يُذممْ ومن يُفضِ قلبه ... إلى مطمئنِّ البرِّ لا يتجمجَمِ
ومهما تكن عندَ امرئٍ من خليقةٍ ... وإن خالَها تخفى على الناس تُعلمِ
ومن لا يزلْ يستحمِلُ الناسَ نفسَهُ ... ولم يُغنِها يوماً عن الناس يُسأمِ (٣٧)

ولا يقتصر الأمر بعد ذلك على موضوع شعري دون آخر ، فالأمر منوط بانتماء الشاعر إلى هذا التأريخ الفكري الذي ظل يحدد للشخصية العربية هويتها من خلال قيم ومثل غدت إرثاً في العرف الاجتماعي ، أما الشعر فكان حسبه أن يضرب

بجذوره في هذه الأرض العريقة لتغدو تفاصيله كلها منتمية إلى تاريخ الأمة وفكرها وهويتها الحضارية المتميزة .

٣- التفاصيل الداخلية والاداء الفني :

قد يطول أمر استقصاء وجوه لقاء النماذج التراثية على تفاصيل الحركة الفنية في البناء الشعري ، ذلك أن مجرد انتماء الشاعر إلى البيئة والعصر يعني انشداد تفاصيل عماه الفني إلى الإطار المتحكم في الحركة الشعرية السائدة بصورة تلقائية ، ذلك أن « أكثر الكتاب أصالة هو – إلى حد بعيد – راسب من الأجيال السابقة ، وبؤرة للتيارات المعاصرة ، وثلاثة أرباعه من غير ذاته » (٣٨) .

ولقد ظل الشاعر العربي في مرحلة ما قبل الاسلام خاضعاً لسطوة تقاليد فنية وأعراف شعرية وموضوعية أشرنا إلى بعض ملامحها في الحقلين السابقين ، بيد أن تفاصيل عملية البناء الشعري نفسها ظلت تحمل آثار هذا الانشداد إلى الموروث بشكل لا يقبل التأويل ابتداء باللغة الأدبية الموحدة التي كانت تذوب عند حدودها لهجات الشعراء القبلية (٣٩) وانتهاء بأبسط صور التشبيه والاستعارة والمجاز التي ظلت مدلولاتها وتفاصيلها تمثل الحصيلة الذهنية المشتركة بين الشاعر وجمهورة على امتداد ظرفي الزمان والمكان .

ونحن لا نريد أن نتابع هذه المسائل الدقيقة كلها ، ذلك أنها تشكل أرضية عملية الابداع الواسعة التي قد لا يقوم لاحصائها إلا دراسة أكاديمية موسعة ، ولكننا سنكتفي بالإشارة إلى شواخص تمثل في نظرنا ملامح لقاء واضح على أرضية الفكر الذي ورثته الأمة من مراحل نضج عطائها الحضاري ، وكان جزءاً من شخصيتها التي امتدت إلى نتاجها الشعري خلال العصر كله .

ولعل من أوضح ما يمكن أن يطالعنا في هذا الميدان موروث المرحلة الديني الذي تعددت صوره ، وتشعبت صيغه ، حتى ذكرت لنا كتب التأريخ من أديان

المرحلة ما يكاد التصور لا يدركه ، فثمة موحدون من بقايا ملة إبراهيم وثمة يهود ونصارى وصابئة وثمة دهريون وعبدة أصنام وشمس وقمر وكواكب وجن وملائكة [٤٠] ونحن لا نشك في امتداد آثار الحياة الدينية إلى الشعر بشكل عنيف طوال العصر ، ولا نشك أيضاً في أن تحرج رواة الشعر ونقلته بعد الإسلام أضاع علينا فرصة تأمل مستقص لهذه الآثار ، بيد أن القرآن الكريم يمنحنا فرصة رائعة للاطلاع على شدة تعلق العرب بما كانوا عليه قبل نزوله ، بدليل وفرة الآيات الكريمة التي صورت ما كانوا يواجهون به الرسول (ص) من مناقشات وحجج ، ووفرة الآيات الكريمة التي تضمنت الردود والتحديات للقدرات الأرضية العاجزة عن مواجهة إرادة السماء [٤١] ، ولا يعقل بعد هذا أن يبقى الشعر بمعزل عن هذا الميدان العريض ، فعلى الرغم مما أشرنا إليه من أحتمال ضياع الكثير من الشعر المصور لابعاد الحياة الدينية فإن العودة إلى الدواوين الجاهلية ولا سيما ديوان أمية ابن أبي الصلت قد تمنحنا فرصة الاطلاع على آثار واضحة أو خفيةقد تبدو أكثر تركيزاً في غرضي الرثاء والحكمة حيث ينصب جهد الشعر على تأمل مفترق الطريق بين الواقع الملموس والغيب المتخيل ، وبين التجربة والتنظير ، على أن الآثار نفسها قد تمتد إلى موضوعات أخرى بصور متفاوتة كالحماسة والفخر حيث يتخذ الشاعر من معتقده في الحياة والموت علة لما هو مؤمن به من قيم الشجاعة والنجدة أو ما هو رافض له من صور الحياة المفروضة عليه [٤٢] .

ويدخل في الإطار نفسه ما توارثه العرب من قصص الأمم والأنبياء والملوك فتلك ثروة فكرية ظلت تشكل رافداً من روافد المعرفة العربية قبل الإسلام ، وقد استغل المشركون هذا الرافد ليتهموا بعض ما ورد في القرآن الكريم بأنه من أساطير الأولين فلا غرابة في أن نواجه نماذج لا حصر لها تستخدم هذه القصص في موضوعات الرثاء والاعتبار بوجه خاص وفي موضوعات الشعر الأخرى بوجه عام ، من ذلك ما ورد في قصيدة للأعشى مدح بها قيس بن معد يكرب وضمنها قوله :

ألم تَرَ الحَضْرَ إذ أهلُه ... بنعمى وهل خالدٌ من نَعَمْ
أقامَ بهِ شاهبورُ الجنو (م) ... دَ حولين تضربُ فيه القُدُمْ
فما زادَه ربُّهُ قوةً ... ومثلُ مجاوره لم يُقَمْ
فلما رأى ربُّه فعلَهُ ... أتاهُ طروقاً فلَم ينتقمْ
وكان دعا رهطَهُ دعوةً ... هلُمَّ إلى أمركم قد صُرِمْ
فموتوا كراماً بأسيافكم ... وللموتُ يجشَمه من جشِمْ
وللموتُ خير لمن نالهُ ... إذا المرءُ أمتُه لم تدُمْ
ففي ذاك للمؤتسي أسوةٌ ... ومأربُ قفّي عليها العرِمْ
رخامٌ بنتهُ لهم حميرٌ ... إذا جاءَه ماؤهم لم يرِمْ
فأروى الزروعَ وأعنابَها ... على سعةٍ ماؤهم إذ قُسِمْ
فعاشوا بذلك في غبطةٍ ... فجارَ بهم جارفٌ منهزمْ
فطار القيُولُ وقيْلاتها ... بَيَهْماءَ فيها سرابٌ يطمْ
فطاروا سراعاً وما يقدرو (م) ... نَ منه لشربٍ صبيٌّ فُطَمْ [٤٣]

وقد يبدو الأمر في موضوع الرثاء أكثر انشداداً إلى التركيز والاستقصاء، حيث يخضع الاستخدام الفني لضرب من الربط المباشر بين الموروث القصصي وبين تفاصيل التجربة الآنية، وذلك ما نلمحه في مرثية زهير بن أبي سلمى للنعمان ابن المنذر الذي قتله كسرى حيث قال :

ألا لا أرى على الحوادثِ باقيا ... ولا خالداً إلا الجبالَ الرَّواسيا
وإلا السماءَ والبلادَ وربَّنا ... وأيامَنا معدودةً والليـاليا
أراني إذا ما شئتُ لاقيتُ آيةً ... تذكّرني بعضَ الذي كنتُ ناسيا
ألم ترَ أن اللهَ أهلكَ تُبَّعاً ... وأهلكَ لقمانَ بنَ عادٍ وعاديا
وأهلكَ ذا القرنينِ من قبلِ ما ترى ... وفرعونَ أردى جندَه والنجاشيا

ألا لا أرى ذا إمةٍ أصبحتْ به فتعركُهُ الأيامُ وهي كماهيا [٤٤]

ويدخل في هذا الإطار ما يعمد إليه بعض الشعراء من استخدام تفاصيل القصص والأساطير الموروثة لتثبيت أبعاد توجه موضوعي يحاولون تقريره في قصائدهم على أن هذا النمط من توظيف الموروث ظل معلقاً بطبيعة الموضوع نفسه ، ولهذا كان من الطبيعي أن تقتصر العناية على التفاصيل القادرة على تثبيت التوجه الآني دون غيرها ، من ذلك ما ورد في دالية للنابغة الذبياني اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر وعمد إلى قصتي سليمان (ع) وزرقاء اليمامة فاستخدم من تفاصيلهما ما ضمنه قوله :

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهُهُ ولا أحاشي من الأقوامِ من أحدِ
إلا سليمانَ إذ قالَ الإلهُ لـه قُمْ في البريةِ فاحدُدْها عن الفَنَدِ
وخَيِّسِ الجنَّ إني قد أذِنتُ لهم يبنون تدمرَ بالصفّاحِ والعمـدِ
فمن أطاعكَ فانفعْهُ بطاعتـه كما أطاعكَ وادْلُلْهُ على الرشدِ
ومن عصاك فعاقبْـهُ معاقبـةً تنهى الظلومَ ولا تقعدْ على ضمدِ

* * *

أحكم كحكم فتاةِ الحيِّ إذ نظرتْ إلى حمام شراع واردِ الـثمـدِ
يحفُّهُ جانباً نيقٍ وتُتْبِـعُهُ مثلَ الزجاجةِ لم تكحلْ مِن الرمدِ
قالتْ ألا ليتما هـذا الحمامُ لنـا إلى حمامتِنا أو نصفُهُ فقَـدِ
فحسبّوه فألفوه كما حسـبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزدِ
فكملت مائةً فيها حمامتُهـا وأسرعتْ حسبةً في ذلك العددِ [٤٥]

وواضح أن الشاعر أراد أن يقرر لممدوحه صفتي (القوة)و (الحكمة)في اعتذاريته ، فاختارمن تفاصيل القصتين ما يدعم توجهه ويمنح موقفه الموضوعي أرضية متماسكة في الإيحاء والأداء .

وقد تراجع الاستخدام الايحائي لتفاصيل القصة الموروثة والاسطورة إلى زاوية ضيقة تتمثل في استخدام التراكيب التي اصطلح العرب على تسميتها بالأمثال حيث يبدو التركيب المشحون بالقوة الدلالية على التفاصيل قادراً على منح فاعلية القصة أو الاسطورة كلها ، لأن التفاصيل نفسها جزء من الموروث الثقافي الذي يشترك فيه الشاعر وجمهوره فهي مما يتداعى استحضاره بمجرد الإيماء إليه .

ولعل ما كان من وفرة استخدام هذا النمط من التراكيب الموحية هو المسؤول عن حيرة مؤرخي الأدب وشراح الشعر وتمحلهم واختلاقهم القصص أحياناً بإزاء نصوص من هذا النوع ، بيد أن ذلك لا يمنعنا من أن نقرر حقيقة نهائية قد تتمثل بالقول بأن ما ورثته الأمة من قصص تأريخها القديم ظل يجد طريقه إلى نتاجها الفني بأنماط متباينة ليمثل أحد شواخص اللقاء بين المبدع والجمهور على أرض الثقافة التأريخية الموحدة .

وعلى صعيد التفاصيل الفنية لعملية الابداع نفسها كانت تلتقي روافد إرث ثقافي بلوره انفتاح الذوق الجماعي لممارسة عمليتي تلقي النماذج الشعرية ونقدها ، ويبدو أن عملية النقد نفسها لم تكن لتخرج عن أحكام الذوق الجماعي احياناً ، فذلك ما يمكن أن نستفيده من مثل القصة المشهورة التي تذكر أن أهل يثرب نبهوا النابغة الذبياني إلى موضع الإقواء من داليته بأن أخرجوا له قينة تغني أبياته وتتعمد إطالة حركة حرف الروي من قوله :

أمن آل ميةَ رائحٌ أو مغتدي عجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوَّدِ
زعم البوارحُ أن رحلتنا غــداً وبذاك خبرنا الغدافُ الأسودُ (٤٦)

فتنبه ولم يعد .

ولسنا هنا بمعرض متابعة مثل هذه القصص ولكننا نحاول من خلال الاشارة إليها أن نقرر حقيقة بسيطة وهي أن حركة النقد العربي قبل الإسلام ظلت تتباور في ظل تفاصيل الثقافة الفنية التي كان الناس يستخدمونها حكماً فصلاً على الشعراء

فيصنفونهم فحلاً وغير فحل ، أما افتقار الأحكام النقدية إلى التعليل فأمـر طبيعي إذا ما وضعنا نصب أعيننا حقيقة انشداد الشعر إلى الحياة اليومية انشداداً أغناه عما تحتاج إليه العلوم المتخصصة من محاولات التنظير وابتكار المصطلح ، على أن هذا النمط من التخصص في النقد بدأ يجد طريقه إلى أرض الواقع فـي الحقبة الأخيرة من العصر حيث تطالعنا الإشارات إلى نمط من المناقشات المتخصصة في سوق عكاظ ، وعلى الرغم من ذلك كله فإننا لا نستطيع ن نقدم حكماً دقيقاً بهذا الشأن لما نعرفه من ضياع أكثر النصوص النثرية الجاهلية لصعوبة نقلها عن طريق الرواية الشفوية .

تلك هي الميادين التي اخترناها للكشف عن ملامح ارضية الوحدة الثقافية التي تحكمت في اطار العمل الفني وتفاصيله الموضوعية والأدائية في الشعر العربي قبل الإسلام ، وهي ميادين لا ندعي أن ما قدمناه من المعالجة السريعة لأبعادها كفيل بالإحاطة بكل مضامينها ، وإنما هي خطوة لإقامة شواخص وتحديد ملامح ، ثم يبقى الأمر بحاجة إلى دراسة مستقصية في أدق التفاصيل لتوفير القدرة على كشف جوانب أخرى تغني الوعي المعاصر ، وتحدد له أبعاد الهوية الثقافية التي ظلت تسم نتاج الأمة الابداعي ، وتمنحه عوامل الأصالة والخلود .

* * *

الهوامش والمصادر

(١) انظر دراسة الدكتور عادل البياتي الموسومة بـ (الشعر والتاريخ) والمنشورة في العدد ٢١ من مجلة كلية الآداب ، بغداد ١٩٧٩ م .

(٢) نسب هذا الوصف إلى عمر بن الخطاب (رض) في العمدة لابن رشيق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ١٩٧٤ م ، ج ١ ص ٢٧ .

(٣) انظر النماذج التي وردت في طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، تحقيق محمود محمد شاكر مصر ١٩٥٢ م ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، والبيان والتبيين للجاحظ، تحقيق عبد السلام هرون ، مصر (د . ت) ج ٣ ص ٣٢٨ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، تحقيق محمد سعيد العريان ، مصر (د . ت) ج ٣ ص ٢٥٨ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ، ص ٣٣ .

(٥) الحيوان ، تحقيق عبد السلام هرون ، مصر ١٩٤٥ م ، ج ١ ص ٧٤ .

(٦) العمدة ، ج ١ ص ١٨٩ .

(٧) ذهب الدكتور النويهي إلى أن الشعر الجاهلي بلغ قمته قبل ظهور الاسلام وأن الجيل المتأخر من الشعراء الجاهليين بدأوا يكررون النمط ، الشعر الجاهلي ، مصر (د . ت) ج ٢ ص ٨٩ ، وقرر الاستاذ بطرس البستاني أن شعر المخضرمين جاهلي ، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بيروت ١٩٦٨ م ، ص ٢٦٥ ، وذهب بلاشير إلى أن أثر الإسلام لم يظهر إلا بعد عشرين عاماً من وفاة الرسول (ص) أي بعد سنة ٥٠ هـ ، تأريخ الأدب العربي ، ترجمة ابراهيم الكيالي ، دمشق ١٩٥٦ م ، ج ١ ص ٩٢ ، على حين ذهب بروكلمان إلى أبعد منذلك فقرر أن الشعراء الأمويين سلكوا مسالك الجاهلية ، ولم تسد روح الإسلام حقاً إلا بعد ظهور العباسيين ، تأريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مصر ١٩٦١ م ، ج ١ ص ٣٦ .

(٨) الشعر والشعراء ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر ١٩٦٧ م ، ج ١ ص ٧٤ — ٧٥ ، وقد تداول القدامى هذه النتائج فلم يكادوا يزيدون عليها شيئاً يذكر ،أنظر : الوساطة للجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي ، مصر ١٩٦٦ م ، ص ٤٨ ، الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي ، مصر ١٩٧١ ، ص ٤٥٣ ، العمدة ج ١ ص٢٢٥ .

(٩) انظر مقالة الدكتور عادل البياتي الموسومة برمز المرأة في أدب أيام العرب والمنشورة في العدد ١٢ من مجلة آفاق عربية ، بغداد ١٩٧٧ م .

(١٠) ذكر ذلك ابن السكيت في شرح بيت ورد في ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق د. شكري فيصل ، دمشق ١٩٦٨ م ، ص ٤٣ .

(١١) من هنا نذهب إلى إنكار هذا الذي رسخ في الدراسات من القول بشيوع الأمية . فيالحياة العربية قبل الإسلام ، فتعلق الشعراء بهذه التشبيهات إشـارة حاسمة إلى استقرار تفاصيلها في أذهـان جمهورهم ، والعجب بعد ذلك مما ذهب إليه بلاشير في كتابه تأريخ الأدب العربي ج ١ ص٩٥ من القول بأن انتشار هذه التشبيهات إشارة إلى جهل أصحابها بالكتابة ! ! .

(١٢) ديوانه ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٥٣ م ، ص ١١٤ .

(١٣) من هذه النماذج النادرة ما يرد في ديوان أبي دواد الأيادي (جمع غوستاف فون‌غرو نباوم ضمن كتابه دراسات في الأدب العربي) بيروت ١٩٥٩ م ، ص ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٤٨ ، وديوان عبيد بن الأبرص ، تحقيق د. حسين نصار ، مصر ١٩٥٧ م ، ص ٢٤ ، وديوان المتلمس الضبعي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مصر ١٩٧٠ م ، ص ١٢٧ ، وديوان لبيد بن ربيعة تحقيق د. إحسان عباس ، الكويت ١٩٦٢ م ، ص ٢٨٨ .

(١٤) العمدة ، ج ٢ ص ١٢١ .

(١٥) ذلك هو مدار دراسة الدكتور يوسف خليف الموسومة بمقدمة الأطلال في القصيدة الجاهلية والمنشورة في الأعداد ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٤ من مجلة (المجلة) المصرية سنة ١٩٦٥ م ، وهو ما اعتمدت عليه في دراستي الموسومة بقراءة معاصرة في مقدمة القصيدة الجاهلية والمنشورة في العدد ١٢ من مجلة الأقلام ، بغداد ١٩٧٩ م .

(١٦) انظر دراستي المفصلة لهذه المسألة وما أوردت‌فيها من آراء الباحثين في كتابي شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين ، بغداد ١٩٧٩ م ، ص ٣٢٥ وما بعدها .

(١٧) تناول القرآن الكريم تفاصيل قصتها وأشار إليها في سبعة مواضع منه هي الآية ٧٣ والآية ٧٧ من سورة الأعراف ، والآية ١٤ من سورة هود ، والآية ٥٩ من سورة الإسراء ، والآية ١٥٥ من سورة الشعراء ، والآية ٢٧ من سورة القمر والآية ١٣ من سورة الشمس .

(١٨) قوله تعالى : « ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون » الآية ١٠٣ من سورة المائدة ، وانظر مدلولات هذه الألفاظ وتقاليد العرب في هذا الميدان في بلوغ الأرب للآلوسي ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، مصر ١٣٤٢ هـ ، ج ٣ ص ٣٦ .

(١٩) انظر مثلا النماذج الواردة في دواوين : عبيد بن الابرص ، ص ٤٢ ، ١٠٢ ، المثقب العبدي، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مصر ١٩٧١ م ، ص ٣٥ ، المتلمس الضبعي ، ص ٢٢٥ ، سويد بن أبي كاهل ، تحقيق شاكر العاشور ، البصرة ١٩٧٢ م ، ص ١٧ ، ٢٩ ، بشر ابن أبي خازم ، تحقيق د. عزة حسن، دمشق ١٩٦٠ م ، ص ٥١ ، ٥٥ ، ٨٢ ، ١٢٠ ، ٢٠٤ ، الأسود بن يعفر ، تحقيق د. نوري القيسي ، بغداد ١٩٦٨ م ، ص ٤٠ ، ٦٤ ، النابغة الذبياني ، ص ٦ ، ٢٠٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٢ ، الأعشى، تحقيق د. محمد محمد حسين ، مصر ١٩٥٠ م ، ص ٢٧٩ ، ٣٦١ .

(٢٠) انظر مثلا النماذج الواردة في دواوين : امرئ القيس ، ص ٧٩ ، بشر بن أبي خازم ، ص ١٣٣ ، ١٦٢ ، ١٨٧ ، سلامة بن جندل ، تحقيق د. فخر الدين قباوة ، حلب ١٩٦٨ م ، ص ١٤٢ ، عبيد بن الأبرص ، ص ٩٨ ، عدي بن زيد العبادي ، تحقيق محمد جبار المعيبد، بغداد ١٩٦٥ م ، ص ٤٤ ، عمرو بن قميئة ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، مصر ١٩٦٥ م، ص ١٣٩ ، النابغة الذبياني ، ص ٧٥ ، ١١٤ ، الأعشى‌ص ٧ ، ١١٩ ، ١٦٥ ، الشماخ ابن ضرار ، تحقيق صلاح الدين عبد الهادي ، مصر ١٩٦٨م ، ص ٦٨ ، ٨١ ، ١٥٢ ، ١٦٦ ، ١٧٥ ، ٢٢٨ ، ٢٤٥ ، ٢٩٩ ، والمفضليات تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هرون ، مصر ١٩٦٤ م ، ص ٨٦ ، ٣٧٠ .

(٢١) انظر مثلا النماذج الواردة في دواوين : الأفوه الأودي (ضمن الطرائف الأدبية) تحقيق عبدالعزيز الميمني ، مصر ١٩٢٧ م ، ص ٢١ ، الحارث بن حلزة ، تحقيق هاشم الطعان ، بغداد١٩٦٩م، ص ٩ ، بشر بن أبي خازم ، ص ١٥٤ ، عنترة، تحقيق محمدسعيد مولوي ، بيروت ١٩٦٤م، ص ١٩٩ ، قيس بن الخطيم ، تحقيق د. ناصر الدين الأسد ، مصر ١٩٦٢ م ، ص ١٥٠ ، لبيد ، ص ٧٩ ، المفضليات ، ص ٣٠٣ .

(٢٢) أنظر فصل (الرحلة) من كتابي شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليين .

(٢٣) أنظر الحيوان ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٢٤) أنظر المقدمات الواردة في ديوان الهذليين ، طبعة دار الكتب ، مصر ١٩٥٠ م ، ج ١ ص ٤ ، ١٠ ، ١٩٧ ، ج ٢ ص ١١١ ، ١٢٢ ، ٢٠١ ، ج ٣ ص ١٧٤ .

(٢٥) انظر دراسة الدكتور عبدالجبار المطلبي الموسومة بقصة ثور الوحش والمنشورة في العدد١٢من مجلة كلية الآداب ، بغداد ١٩٦٩ م ، وإشارات الأستاذ عبد القادر حسن أمين إلى هذه الحقائق في كتابه : شعر الطرد عند العرب ، النجف ١٩٧٢ م ، ٢١٩ .

(٢٦) تجدر الإشارة إلى ورود نماذج لم تجد امتداداً تراثياً رغم أن أصحابها من الفحول منها تشبيه امرئ القيس لناقته بغزالة في ديوانه ص ١٩٠ ، وتشبيه المثقب العبدي لناقته بسفينة في ديوانه ص ١٨٨ (تابعه على التشبيه لبيد في ديوانه ، ص ١٤٢ وضابئ بن الحارث في الأصمعيات تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هرون ، مصر ١٩٦٧م ، ص ١٨١) ، ومن هذا النمط ما ورد من محاولة الحارث بن حلزة تطوير بعض تفاصيل مشهد النعامة حيث حشر فيه صوره الصياد في ديوانه ص ١٠ فلم يتابعه على ذلك سوى النابغة الذبياني في ديوانه ص ٢٠٦ ، على أن من أروع صور التطوير ما يطالعنا في ديوان زهير بن أبي سلمى ، طبعة دار الكتب ١٩٤٤م، ص ٢٣٠ ، ٢٧٣ ، وديوان لبيد ص ٦٢ من محاولة تغيير تفاصيل مشهد الثور إلى مشهد بقرة افترس السبع وليدها ثم واجهت خطر كلاب الصيد ، وذلك ما نستطيع أن نعده وجهاً من وجوه تطور القصيدة التراثية في الحقبة المتأخرة من عصر ما قبل الإسلام .

(٢٧) انظر: مثلا دراسات في الأدب العربي لغرونباوم ، ص ١٣٦ ، تأريخ الأدب العربي لبروكلمان ج ١ ص ٤٦ ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبدالله الطيب المجذوب ، بيروت ١٩٧٠ م ، ج ٢ ص ٧٧٩ .

(٢٨) انظر فصل (موضوعات الشعر الجاهلي) من كتاب تأريخ الأدب قبل الإسلام ، تأليف د. نوري حمودي القيسي وآخرين ، بغداد ١٩٧٩ م .

(٢٩) ديوانه ، جمع عيس سابا ، بيروت ١٩٦٤ م ، ص ٩٠ .

(٣٠) المفضليات ، ص ٢٨٤ .

(٣١) انظر نقد الشعر ، تحقيق محمد عيسي منون ، مصر ١٩٣٤ م ، ص ٢٠ .

(٣٢) ديوانه ص ٣٥٣ .

(٣٣) ديوانه ص ٢٨٩ .
(٣٤) ديوانه ، تحقيق د. عادل جاسم البياتي ، النجف ١٩٧١ م ، ص ٤٩ .
(٣٥) ديوانه ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، بيروت ١٩٦٧ م ، ص ٩٩ .
(٣٦) ديوانه ، جمع كرم البستاني ، بيروت ١٩٦١ م ، ص ٣٤ — ٣٦ .
(٣٧) ديوانه ، ص ٢٩ وما بعدها .
(٣٨) منهج البحث في اللغة والأدب ، لانسون ، ترجمة د. محمد مندور ، مع النقد المنهجيعندالعرب مصر (د. ت) ، ص ٤٠٢ .
(٣٩) انظر دراسة الدكتور هاشم الطعان الموسومة بالأدب الجاهلي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة ، بغـداد ١٩٧٨ م .
(٤٠) انظر مبحث (أديان العرب) من كتاب بلوغ الأرب للآلوسي .
(٤١) انظر الآيات التي ذكرت أرقامها في الفهرسين المثبتين في الصفحات ١٤ — ٢١ و ١٤٩ — ١٦٣ من كتاب تفصيل آيات القرآن الحكيم لجول لابوم ، ترجمة فؤاد عبدالباقي ، بيروت ١٩٦٩ م .
(٤٢) الشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى ، وحسبنا أن نحيل إلى البحث المستقصي الذيكتبه الدكتور مصطفى عبداللطيف بعنوان الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، بغداد ١٩٧٧ م ، ففيه تغطية بارعة لأثر هذا الجانب الفكري في الشعر .
(٤٣) ديوانه ، ص ٤٣ .
(٤٤) ديوانه ، ص ٢٨٤ ، والأبيات مما ينسب إلى صرمة بن أبي أنس الأنصاري .
(٤٥) ديوانه ، ص ٢٠ — ٢٥ .
(٤٦) القصيدة في ديوانه ، ص ٨٩ .

* * *

عليّ بن هارون المنجّم

الدكتور يونس احمد السامرائي

كليـــة الآداب ـ جامعـــة بغـــداد

اسمه وكنيته :

هو عليّ بن هارون بن عليّ ، كنيته أبو الحسن [١] .

ولادته :

ذكر ابن النديم أنّ علياً قال له : إن مولده سنة سبع وسبعين [٢] (ومائتين) [٣] وذكر الخطيب عن هلال بن المحسن ، أنّ مولده كان لتسع خلون من صفر سنة ست وسبعين ومائتين [٤] .

ولا نعلم على وجه الدقة مسقط رأسه ، والغالب على الظن انه كان (سامـــراء او بغداد) ، والحامل على ذلك ان أسرته كانت في هذا الوقت من المقربين الى الخلفاء ، وكان الخليفة في هذه السنة هو المعتمد الذي كان يقيم في سامراء ، ويتردد الى بغداد . والجدير بالذكر ان صاحب الأعلام يقول في ترجمته : (مولده ووفاته ببغداد) [٥] .

نشأته : :

الحق ان الأخبار عن نشأته وتطورها قليلة جداً . ومن المرجح انه نشأ في رعاية أبيه ، ويبدو انه كان الوحيد له ، فليس في الأخبار التي صلت الينا عن والـــده ما يشير الى ان له ولداً آخر . واذا صح هذا فان رعاية الوالد وحدبه يزدادان ويعظمان في شأن هذا الابن الوحيد ، ولا شك في انه ربّاه تربية جيدة ، ودرّبه تدريباً حسناً على المهنة التي اختصت بها أسرته وهي المنادمة .

والمعروف ان من أهم ما ينبغي أنْ يتحلّى به النديم الناجح سعة الأدب ، وحلاوة الظرف والتفنن في الحديث ، وان هذه الأمور مما تحلّى بها عليّ ، ومن أجل هذا فقد كان من الندماء الناجحين . وقد أشار الى ذلك مترجموه فقال ابن النديم : (وكان راوية للشعر شاعراً أديباً ظريفاً متكلماً حبراً نادم جماعة من الخلفاء) [٦] . وقال الثعالبي : (ذو نسب عريق في ظرفاء الأدباء ، وندماء الخلفاء والوزراء) [٧] .

وقال السمعاني : (وكان . . . مشهوراً بالفضل والأدب وخدمة الخلفاء) [٨]

ولكن من هم الخلفاء والوزراء الذين نادمهم ابن المنجم هذا ؟ . لقد عاصر من الخلفاء : المكتفي والمقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي والمطيع ، وليس في ما وصل الينا من أخبار هؤلاء الخلفاء ما يشير الى صلته بهم اللّهم إلاّ ما ذكر من أخبار حول صلته بالراضي ؛ فقد كان من مجالسيه المقربين ، وندمائه المفضلين ، فكان خامس خمسة ممن كانوا يجلسون عن يساره في أوّل مجلس له [٩] كما كان يشارك في مجالس الأنس والشراب ايضاً ويباري في ذلك الندماء المعروفين [١٠] وكان يسهم بشعره في الثناء على الخليفة وتخليد انتصاراته على أعدائه [١١] ، كما كان يسهم بنثره وتأليفه في خدمة الخليفة ، فكان مما عمله أن ألف له كتاب (شهر رمضان)

ثم من هم الوزراء الذين نادمهم في هذه الحقبة وهم كثر ؟ . الحق أن أخباره في هذا الصدد قليلة أيضاً ، وقد أشارت الى منادمته الوزير المهلبي وابن مقلة وابن رائق والصاحب بن عباد. فقد ذكر الثعالبي ما كتبه الصاحب في (الرزنامجة) الى ابن العميد عن مشاهداته في مجالس الوزير المهلبي مُشيراً الى ابن المنجم هذا ، فقال : (استدعاني الاستاذ ابو محمد ، فحضرت وابنا المنجم في مجلسه ، وقد أعدا قصيدتين في مدحه ، فمنعهما من النشيد لأحضره ، فأنشدا قعوداً وجوّدا بعد تشبيب طويل وحديث كثير . . .) [١٢] .

وذكر التنوخي خبر منادمته لابن رائق واستئناسه برأيه في بعض المسائل الفنية

المتعلقة بالموسيقى [١٣] . وأشار الصولي الى ان من أسباب إخراجه من جملة حشم ابن مقلة هو ابن المنجم هذا ، الذي كان أحد مجالسي ابن مقلة والمقربين اليه [١٤] كما ذكر التنوخي عن بعض الكتاب خبراً طويلاً عن منادمته لابن مقلة ومجالسته له ،قال الكاتب : (فلما جلسنا للشرب ، وشرب الوزير أقداحاً ، رميت الى أبي الحسن بن هارون المنجم بالرقعة ، فكانت له عادة عندي في التعصب لشعري ، والمدح لي عند الوزير ، لنفاقه عليه ، واختصاصه به ، من بين ندمائه ، فأخذ أبو الحسن الرقعة ، فأنشد منها الشعر ، وأتبع ذلك بوصفها وتقريظها ، وتبعه الجماعة ، واستحسن ذلك الوزير) [١٥] .

ويبدو ان حسن علاقته بابن مقلة وابن رائق من اسباب اعتماد الأول عليه في مخاصمته الثاني الذي استفحل أمره في عهد الراضي حتى استولى على الخلافة ، فصادر أملاك ابن مقلة وولده ، ولما يئس ابن مقلة من إعادة املاكه (أخذ في السعي بابن رائق المذكور من كل جهة ، وكتب الى الراضي يشير عليه بامساكه والقبض عليه وضمن له انه متى فعل ذلك وقلده الوزارة ، استخرج له ثلاثمائة الف ألف دينار ، وكانت مكاتبته على يد علي بن هارون المنجم النديم) [١٦] .

ويظهر ان مجالسته للصاحب كانت في بغداد عندما زارها ابن عباد سنة ٣٤٧ هـ[١٧] . فقد أشار الى شيء من تلك المجالس الثعالبي كما تقدم ، كما أشار ياقوت الى شيء منها ايضاً فقال : (ومن كتاب الروزنامجة) قال الصاحب : وتوفرت على عشرة فضلاء البلد ، فأول من كاثرني اولاد المنجم لفضل أبي الحسن علي بن هارون وغزارته ، واستكثاري من روايته وطيب سماعه ، ولذيذ عشرته .)[١٨]

ويظهر ان الرجل كان مرموق المكانة ، محبوباً من رجال العصر ، فكان يختلف الى مجالسهم فيأنسون بأحاديثه ، ويعجبون بأدبه ، وقد ذكر التنوخي خبراً مطولاً عن أحدهم عن ثابت بن سنان يتصل بكرم البرامكة فقال : (فاستهولت ذلك ، وانصرفت فحدثت بذلك بعض الرؤساء ببغداد ، وكان بحضرته ابو الحسن

علي بن هارون المنجم ، فقال : وأيّ شيءٌ تتعجب من هذا ؟ حدثني أبي عن أبيه ، قال : كنت بحضرة المتوكل في يوم مهرجان او نيروز ...)[١٩] . وأشار ابن ظافر الى حضوره دعوة ابي علي الحسن بن مروان الكاتب الذي كان المهلبي الوزير في جملة المدعوين اليها ايضاً [٢٠]

ويبدو انه كان مكفيّ المؤونة ، حسن الحال ، فكان له عبيد ، كما كانت له حاشية معروفة . قال الثعالبي في صدد حديثه عن حركات ابن المنجم في مجلس الوزير المهلبي (وعبيده احرار لوجه الله تعالى) [٢١] .

وقال الحصري في معرض حديثه عن مقامة الحاتمي في استاذه ابن المنجم هذا (أخبرني بها ابو القاسم القنطري وغيره من حاشية أبي الحسن) [٢٢] .

ثقافته :

ان ثقافته وليدة المنابع التي استقت منها اسرته عامة ، وهي ترجع الى :

١ـ أساتيذه الذين كان لهم الفضل الأكبر في التوجيه والرعاية . ولاشك في أنّ اول استاذ تعهده بالعناية الفائقة ، وزوّده بالثقافة المتينة هو أبوه . وظهر أثر تلك الرعاية في الأخبار التي رواها عنه ابنه والتي تتعلق بالشعر والشعراء والأدب والأدباء والغناء والمغنين ، أمثال : امرئ القيس [٢٣] ، وخلف الأحمر [٢٤] ، وعبدالله العائشي [٢٥] والمؤمل بن أميل [٢٦] ، وأبي عبيدة [٢٧] ، وعبدالرحمن بن عبد الأعلى الأسلمي [٢٨] ، وصالح بن عبد القدوس [٢٩] ، وبشار [٣٠] ، وعتبة الأعور [٣١] ، والعباس بن الأحنف [٣٢] ، وأبي حية النميري [٣٣] ، وعلي بن جبلة العكوك [٣٤] ، والبحتري [٣٥] ، واسحاق الموصلي [٣٦] وابراهيم بن المهدي [٣٧] وسواهم [٣٨] .

ومن أساتذته الذين لازمهم وأخذ عنهم ، عمه يحيى بن علي ، ويتجلى أثره في الأخبار التي رواها عنه والمتعلقة بالشعراء والأدباء والخلفاء وسواهم ، أمثال : فاطمة بنت ربيعة أخت كليب ومهلهل [٣٩] ، والفرزدق [٤٠] ، وحمّاد الراوية [٤١]

وولادة المهزمية [٤٢] ، ومروان بن أبي حفصة [٤٣] ، وحمّاد عجرد [٤٤] ، وابنة مطيع بن إياس [٤٥] ، وأبي تمام [٤٦] ، ومحمد بن أدريس ابن أبي حفصة [٤٧] ، وفضل الشاعرة [٤٨] ، ويحيى بن علي المنجم [٤٩] » .

وروى أيضاً أخباراً عن آخرين اتصل بهم منهم :

ابو عبدالله الهشامي[٥٠] ، والمفضل بن سلمة [٥١] ، وعلي بن العباس الكاتب[٥٢] وعبيدالله بن أحمد بن أبي طاهر [٥٣] ، وأبو عثمان الناجم[٥٤] ، وابو الغوث يحيى بن البحتري [٥٥] ، ومحمد بن خلف وكيع [٥٦] ، ومحمد بن موسى اليزيدي[٥٧] ، وعبيدالله بن عبدالله بن طاهر [٥٨] ، وزرياب المغنية [٥٩] ، وابن أبي غسان[٦٠] وابن عمه احمد بن يحيى المنجم[٦١] .

لقد كان ابن المنجم ذا علم غزير ، وإحاطة واسعة ، في الأخبار وانواعها ، حتى لنرى الصاحب بن عباد يثني على الرجل في هذا الشأن ويقول :

(فأول من كارثني اولاد المنجم لفضل أبي الحسن على بن هارون وغزارته ، واستكثاري من روايته . . . فسمعت منه أخباراً عجيبة ، وحكايات غريبة ، ومن ستارته أصواتاً نادرة مشنفة مقرطقة ، يقول في كل منها : الشعر لفلان ، والصنعة لفلان ، أخذته هذه عن فلان او فلانة ، حتى يتصل النسب باسحاق او غيره من أبناء جنسه)[٦٢] .

ان الأخبار التي رواها وحدث بها تدل دلالة واضحة على نوع ثقافة الرجل ومداها ، وهي بلا شك شيء قليل من كثير أمثالها لم يصل الينا ، ومن أجل هذه الأخبار وأهميتها واتقانها وتفننها نعت الرجل بانه كان (أخبارياً)[٦٣] .

٢- ومن منابع ثقافته ايضاً المجالس الأدبية والعلمية التي كان يحضرها ، وهي مجالس والده وعمه يحيى ، . ويبدو أنه كان يتردد الى تلك المجالس منذ طفولته ، فقد روى عنه قوله : (كنت وأنا صبي لاأقيم الراء في كلامي وأجعلها غيناً ، وكانت سني اذ ذاك أربع سنين - أو أقل أو أكثر فدخل أبو

طالب المفضل بن سلمة – أو أبو بكر الدمشقي – شك ابو الفتح – الى أبي وأنا بحضرته فتكلمت بشيءٍ فيه راء فالثغت بها . . .) [٦٤] .

ولاشك في أنه استوى أديباً لامعاً أخذ يعقد المجالس الأدبية كما كان يعقدها اسلافه، كما كان يحضر مايعقد منها من قبل الرؤساء والادباء في عصره . وقد تقدم حضوره مجالس الخلفاء والوزراء واسهامه الكبير فيما كان يجري فيها، واعجاب كبار الادباء بمحاوراته الادبية ، وأخباره العجيبة .

ونرى أن نذكر في هذا الصدد مناظرته للمتنبي التي عقدت في أحد المجالس وتصدى له الحاتمي بحضور عدد من العلماء والادباء ، قال الحاتمي :

(فحضرت (أي المجلس) جماعة كان فيهم علي بن هارون مقبلاً على أبي الطيب فقال : ألست القائل :

أعددت للغادرين أسيافا ... تجدع منهم طُلىً وآنافا

من هولاء (الغادرين) الذين أعددت لهم هذه الأسياف ؟ وما معنى قولك : (تجدع منهم طلى وآنافا) ، الطلى لها السيوف ، والآناف تجدع بالمواسي وجعل يكرر هذا القول وابو الطيب معرض عنه . . .

ثم أقبل عليٌ بن هارون عليه (أيّ المتنبي) فقال : أخبرني أمسلم أنت حين تقول :

وأفضل آيات التهاميّ أنه ... أبوك وإحدى ماله من مناقب

وحين تقول :

وكلُّ ما قد خلق الـ ... ـلّه وما لم يخلق

محتقر في همّتي ... كشعرةٍ في مفرقي

وحين تقول :

يترشفن من فمي رشفات ... هنَّ فيه أحلى من التوحيد

ثم أسرَّ اليَّ وقال : أخبرني والله مخبر ان عمود لثاته فاسدة ، وان نكهته مريحة فأضحكني . ولم يذكر ابو الطيب عن هذا جواباً . . .) [٦٥] .

ويظهر ان الرجل كان طلعة ، فلم يكتف بتلقي الأخبار من أصحابها ، وانما كان يعمد الى كل نتاج جديد فيتصل بصاحبه ، ويعمل على نسخه ، فقد أشار ابن المعتز في كتابه البديع الى ذلك بقوله : (وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين ، وأول من نسخه مني عليّ بن هارون بن يحيى بن أبي منصور المنجم [٦٦] ، ونحن لا نعرف السنة التي نسخ ابن المنجم فيها هذا الكتاب ، ولكننا نعرف — كما تقدم — ان ولادته كانت في سنة ٢٧٧ هـ . والحق انه لأمر غريب أن يكون ابن المنجم هذا اول ناسخي كتاب ابن المعتز ، مع ان والده هاروناً وعمّه يحيى كانا من المقربين الى ابن المعتز وخاصة يحيى ، فهل يعني هذا ان ابن المعتز قد ضنَّ بكتابه هذا وحجبه عن الأدباء ومنهم ابنا المنجم هارون ويحيى ، ولم يطلع أحداً عليه سوى عليّ هذا ، أو هل يكون في النص شيءٌ من التحريف بسبب التقديم والتأخير في الاسماء ، وان الاصل (واول من نسخه مني هارون بن علي بن يحيى . . .) ، ولعل ما يقوّي هذا عدم الاستقامة في تسلسل النسب ، فهارون ليس ابن يحيى ، وانما هو ابن علي بن يحيى ، ويستقيم التسلسل بتقديم هارون وتأخير عليّ ؟ .

غير ان ابن المنجم لم يقصر ثقافته على الرواية او الاخبار التي سمعها من أساتيذه ومحدثيه ومجالسيه ؛ وإنما أصبح — بعد ان تمكن مما أخذه من أنواع المعرفة — رجلاً له آراؤه الخاصة في المسائل الأدبية والنقدية والبديعية والغنائية ، ولبيان آرائه هذه نرى أن نمثل لها بما ذكره تلاميذه ومن أخذوا غنه في مؤلفاتهم .

١— (قال أبو علي (الحاتمي) : أخبرني علي بن هارون المنجم ، قال :

سألت أبي فقلت : أيّ بيت وعيته ، أبدع في التجنيس ؟ فقال : أجمع الناس على أن أحسن ما ورد من ذلك للعرب قول ذي الرمة :

كأنَّ البرى والعاج عيجت متونها على عُشَرٍ نَهّى به السيلِ أبطحُ

قال الحاتمي : وانا أقول : من بديع التجنيس قول جرير . . .

قال علي بن هارون وأنا أقول بل قول جرير :

حلّأت ذا سقم يرى لشفائه ورداً ويمنع إن أراد ورودا)[٦٧]

٢– (قال ابو علي : سألت ابا الحسن علي بن هارون عن التقسيم ، فقال : هو أن يستقصي الشاعر تفصيل ما ابتدأ به ويستوفيه ، فلا يغادر قسماً يقتضيه المعنى إلاّ أورده . قال : والى هذا كان يذهب أهلنا . قال أبو علي : قلنا : فما أحسن ما قيل فيه ؟ قال : كان يحيى بن علي يزعم انه لم يقل في التقسيم أحسن من قول نصيب :

فقال فريق القوم لمّا نشدتهم نعم ، وفريق : أيمن الله ما ندري

ومثله قول بشار :

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه ويدرك من نجّى الفرار مثالبه

فراحوا : فريق في الإسار ، ومثله قتيل ، ومثل لاذ بالبحر هاربه

قال ابو علي : وليس في وصف من وقع الضرّ به ، ودارت رحى الحرب عليه غير ما ذكره .

قال : وكان يحيى بن علي يقول :

لم يقل في التقسيم أحسن من قول الشمّاخ يصف صلابة سنابك الحمار وشدة وطئه في الأرض :

متى ما تقع أرساغه مطمئنة على حجر يرفضّ أو يتدحرج

قال : وليس في الوطء الشديد إلاّ أن يكون الذي يوطأ رخواً فيرفض أو صلباً فيتدحرج .

قال عليّ بن هارون : وأنا أقول أحسن ما قيل في ذلك قول زهير :

يطعنهم ما ارتموا حتّى اذا اطّعنوا ضاربَ حتّى إذا ما ضاربوا اعتنقا

قال ابو الحسن : وأنا أقول : لا بل قول عنترة :

إنْ يلحقوا اكرر وإن يستلحموا   أشدد وان يلقوا بضنك أنزل (٦٨)

٣- (قال ابو علي : قلت لعلي بن هارون المنجم ، ما رأيت أعلم بصناعة الشعر منك فما التسهيم ؟ فقال : وهذا لقب اخترعناه نحن . قلت : وما كيفيته ؟ فأجابني بجواب لم يبرزه في عبارة يحكيها عن غيره ، ان صفة الشعر المسهّم أن يسبق المستمعُ الى قوافيه ، قبل أن ينتهي اليها راويه . والشطر الأول يستخرج الشطر الأخير من قبل أن يسمعه . قال : واحسن ما قيل في ذلك قول جنوب أخت عمرو ذي الكلب ترثي أخاها عمراً :

وأقسمت يا عمرو لو نبّهاك   إذن نبّها منك داءً عضالا

إذاً نبّها ليثَ عِرّيسةٍ   مفيتاً مفيداً نفوساً ومالا

وخرْق تجاوزت مجهولةً   بوجناء حرفٍ تشكّى الكلالا

فكنت النهار به شمسه   وكنت دجى الليل فيه الهلالا ..) (٦٩)

٤- (حدثني عليّ بن هارون، قال : ذكر علي بن مهدي الكسروي ان ابا تمام قال : وددت ان لي بنصف شعري نصف بيت أبي سعيد المخزومي :

حدَق الآجال آجال

ولم يزل يجول في نفسه حتى قال :

ومهاً من مها الخدور وآجا   لُ ظباءٍ يُسرعن في الآجال

قال علي بن هارون : وهذا مما غلط فيه أبو تمام ؛ لان الآجال جمع إجل وهو القطيع من البقر ، يقال : سرب من قطا ، وسرب من نساء ، وسرب من ظباء . وقال عمر :

فلم ترَ عيني مثل سرب رأيته   خرجن علينا من زقاق ابن واقف) (٧٠)

٥- (أخبرني ابو الحسن علي بن هارون ، قال : ابتدأ اسحاق في قصيدته التي امتدح فيها الواثق بقوله :

ضنّت سعاد غداة البين بالزاد   وأخلفتك فما توفي بميعاد

وما أعجب أمر اسحاق في هذا الابتداء واستجازته أخذه اياه نقلاً ، مع علمه بقبيح ما في السرق الذي هذه سبيله :

ضنّت سعاد غداة البين بالزاد   وآثرتْ حاجة الثاوي على الغادي

قال الشيخ أبو عبدالله المرزباني رحمه الله تعالى : هكذا قال أبو الحسن ، والرواية المشهورة الصحيحة في بيت الأحوص :

ضنّت عقيلة لماجئت بالزاد) [٧١] .

٦– (ومما أنكر على البحتري قوله :

محل على القاطول أخلق داثره

وقالوا : انما يقال : دثر مخلقه ، ولا يقال أخلق داثره ؛ لان الداثر لا بقية له فتخلق او تستجد . وسمعت ابا الحسن علي بن هارون يقول : خذل البحتري في هذا الابتداء من قصيدته هذه [٧٢] .

٧– (حدثني عليّ بن هارون ، قل : التضمين أحد عيوب القوافي الخمسة ، وليس يكون فيه أقبح من قول النابغة الذبياني :

وهم وردوا الجفار على تميم   وهم أصحاب يوم عكاظ انـــي
شـــهدت لهم مواطن صالحات   أتينهم بحسن الـــودّ منّـــي

فأما قول امرئ القيس :

وتعرف فيه من أبيه شمائـــلاً   ومن خاله ومن يزيد ومن حُجُر
سماحة ذا وبرّذا ووفاء ذا   ونائل ذا ، اذا صحا وإذا سكر

فليس بمعيب عنـــدهم ، وان كان مضمناً ؛ لان التضمين لم يحلل قافية البيت الاول ، مثل قوله (اني شهدت لهم) . وقد يجوز أن يو قف على البيت الاول من بيتي امرئ القيس ، وهذا عند نقاد الشعر يسمى الاقتضاء : ان يكون في الأول اقتضاء للثاني ، وفي الثاني افتقار الى الأول) [٧٣] .

٨- (وشبيه بهذا الفصل فصل من هذا الكتاب أيضـاً (أيّ كتاب الشعر والشعراء للمرزباني) .

أنشد لابراهيم بن المهدي :

يا من لقلب ضيغ من صخـرة   في جسد من لؤلؤ رطـب
جرحت خدّيـهبلحظي ، فمـا   برحت حتّى اقتصّ من قلبي

ثم قال : عليّ بن هارون : أخذه احمد بن أبي فنن معنى ولفظاً ، فقال :

أدميت باللّحظات وجنتـه   فاقتصّ ناظره من القلب

قال : ولكنه بنقاء عبارته وحسن مأخذه قد صار أولى به) [٧٤] .

٩- (أخبرني عليّ بن هارون قال : كان عبدالله بن المعتز يحلف ان الواثق ظلم نفسه في تقديمه لحن اسحاق في (لقد بخلت) . قال : ومن الدليل على ذلك انه قلما غنّى في صوت واحد بلحنين فسقط أجودهما وشهر الدون ، ولا يشهر من اللحنين الا ّ أجودهما ، ولحن الواثق أشهرهما ، وما يروي لحن اسحاق الا ّ العجائز ومن كثرت روايته) [٧٥] .

١٠- (حدثني ابو الفتح ، قال : كنت بحضرة أبي ، وبحضرته مغنّ يغنّي فمرّ في بعض لحن بميم فبيّنها . فقال له أبي : إذا مررت في الحانك بميم ، أو نون ، فزمّها ، واعصرها ، وانا ضامن لك طيبة ذلك ، غارم لك كلّما يجني عليك . قال : فأعاد (الصوت ، وزمّ الميم زمّاً شديداً ، فتضاعفت طيبته) [٧٦]

١١- (أخبرنا عليّ بن أيوب القمي ، أخبرنا محمد بن عمران المرزباني ، حدثني عليّ بن هارون قال : حدثني عمّي يحيى بن علي ، قال : قال : احمد بن ابي فنن ، قولي :

صبّ بحبّ متيّم صبّ   حبيّـه فوق نهاية الحـبّ
أشكو إليه صنيع جفوتـه   فيقول : متْ بتأثر الخطب
وإذا نظرت الى محاسنـه   أخرجتـه عطلاً من الذنب

أدميت باللحظات وجنتــه فاقتصّ ناظره من القــلــب

قال عليّ بن هارون : وهذا البيت الأخير من هذه الابيات هو عينها ، وأخذه ابن أبي فتن مما أنشد نيه أبي لابراهيم بن المهدي :

يا من لقلب صيغ من صخرة في جســد من لؤلؤ رطــب
جرحت خدّيــه بلحظي فما برحت حتّى اقتصّ من قلبي)[٧٧]

١٢- (وأخبرنا المرزباني قال : حدثنا عليّ بن هارون ، قال : حدثني أبي قال : من بارع شعر بشار قوله يصف جارية مغنية قال علي : وما في الدنيا شيءٌ لقديم ولا محدث من منثور ولا منظوم في صفة الغناء واستحسانه مثل هذه الأبيات :

ورائحــة للعين فيها مخيــلة إذا برقت لم تسقِ بطن صعيــد
. . .) [٧٨] .

تلاميذه :

كان لثقافة الرجل الواسعة ، وعلمه الغزير ، وأخباره الكثيرة المتنوعة أثر في إقبال المتأدبين واصحاب المصنفات للاخذ عنه ، والتحديث باخباره ورواياته وإنشاداته فمن أخذ عنه وسمع منه :

ابنه احمد ، والحسن بن الحسين النوبختي [٧٩] ، وعبيدالله بن أحمد بن أبي طاهر [٨٠] ، وابو الفرج الاصبهاني [٨١] ، وابن النديم [٨٢] ، والمرزباني [٨٣] ، وأبو عليّ الحاتمي [٨٤] ، والتنوخي [٨٥] وأبو حيان التوحيدي [٨٦] .

صفاته:

لقد وقفنا من خلال أخباره على شيءٌ ممّا كان يتحلّى به من صفات خَلْقية وخُلقية ، وقد ألمح ابوه هارون الى ما كان عليه ابنه من الصفات التي شابــه فيها جدّه عليّاً ووالد جده يحيى في قوله :

أرى في ابني مشابه من عليٍّ ومن يحيى وذاكَ به خليــقُ

فإن يشبههما خلقـاً وخلقـاً   فقد تسري الى الشّبه العروق [٨٧]

وأكبر الظن ان هاروناً لا يريد بقوله هذا ، ان ولده يشبه جده علياً في صفاته الخَلقية ؛ لان جدّه لم يكن من ذوي الوسامة والصباحة ، وانما كان على خلاف ذلك تماماً ، الأمر الذي حمل بعض الشعراء على نعته بالقرد [٨٨] .

وأشارت بعض أخباره الى أنه كان في طفولته يلثغ بالراء ، فعالجه بعض من كان يختلف الى مجالس أبيه ، حتى زالت لثغته واستقام لسانه[٨٩] . كما أشارت الى بحّة عجيبة كانت في صوته [٩٠] . وذكر بعض مترجميه انه كان يخضب الى أن توفي [٩١] .

وكان الرجل ظريفاً فاضلاً ، حسن الخلق ، طيب العشرة ، ذا مروءة ، ذرب اللسان ، ثقة ، مؤتمناً ، سريع البديهة ، ومن أجل هذا فقد أحبه الخلفاء وقربه الوزراء فكان النديم المفضل ، والجليس المحبب . لقد شهد له بهذه الصفات من ترجم له ، فقال ابن النديم : (وكان . . . ظريفاً) [٩٢] . وقال ياقوت على لسان الصاحب بن عباد : (وتوفرت على عشرة فضلاء البلد ، فأوّل من كارثني اولاد المنجم لفضل أبي الحسن علي بن هارون وغزارته واستكثاري من روايته وطيب سماعه ولذيذ عشرته) [٩٣] ، كما ذكر الثعالبي في فصل من رسالة للصاحب بعث بها من بغداد الى ابن العميد يذكر فيها صفات ابن المنجم فقال : (على انه (أي ابن المنجم) — أيّد الله مولانا — من

من سعة النفس والخلق ، ووفور الأدب والفضل ، وتمام المروءة والظرف ، بحال أعجز عن وصفها ، وأدلّ على جملتها أنه مع كثرة عياله واختلال أحواله طلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه ، فامتنع من بيعها ، واعتقها وتزوج بها [٩٤] . وأشار ابن خلكان الى ثقة ابن مقلة بعليّ هذا في النزاع بينه وبين ابن رائق فحين كاتبه اختار ابن المنجم لتكون المكاتبة على يديه [٩٥]

أما سرعة بديهته ، فلعل الخبر الآتي خير دليل عليها ، ، قال الثعالبي :

(حدثني ابو عبدالله الحامدي قال : سمعته (أي الصاحب) يقول : أربعة لم أرَ أحسن منهم من الشعراء الظرفاء اسكتوني ، وأخجلوني بجوابات في نهاية الحسن والظرف لم أسمع أمثالها فمنهم . . . والثالث ابو الحسن المنجم ، فانه دخل عليّ يوماً وعندي فتى من مشاهير الصباح الملاح فنظر اليه ابو الحسن نظرة ذي ذي علق فكاد يأكله بعينيه ، فقلت له : سكباج ، فقال : كشكية فتعجبت من سرعة فطنته للتصحيف وإجابته بما يشاكله) [٩٦] .

ويبدو ان الرجل قد أحس بشيءٌ من هذه الصفات في نفسه فرأى ان يتحدث عنها بشعره ، فقال :

وإني لأثني النفس عمّا يريبها ... وأنزل عن دار الهوان بمعـــزل
بهمّة نبل لا يـــرام مكانهـــا ... تحلّ من العلياء أشرف منـزل
ولي منطق إنْ لجلج القول صائب ... بتكشيف إلباس وتطبيق مفصل [٩٧]

ومن الجدير بالذكر ان هناك خبرين يتصلان بابن المنجم ، في أحدهما طرافة وتصوير دقيق لما كان يقوم به من حركات ، وما يتخذه من رسم خاص بـه في مجال التعليق والنقد والاستحسان لشعره وشعر ابنه ، في المجالس التي كان يحضرها هو وابنه ، وفي ثانيهما تصوير وتندر لتوهمه وفزعه من صوت حسبه صوت لص دخل داره ، ولأهمية الخبرين نرى سوقهما بنصيهما .

قال الصاحب بن عباد : (استدعاني ابو محمد (اي الوزير المهلبي) ، فحضرت وابنا المنجم في مجلسه ، وقد أعدا قصيدتين في مدحه ، فمنعهما من النشيد لأحضره ، فأنشدا قعوداً وجوّدا بعد تشبيب طويل ، وحديث كثير ؛ فان لابي الحسن رسماً أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته ، وعتابه إن طويته ؛ ولأن أحصل عنده في صورة متزيد أحب اليّ من أن أحصل عنده في رتبة مقصّر ، يبتدي فيقول ببحّة عجيبة ، بعد إرسال دموعه ، وتردد الزفرات في حلقه ، واستدعائه من جؤذر غلامه منديل عبراته ، والله والله وإلاّ فايمان البيعة تازمه بحلّها وحرامها ،

وطلاقها وعتاقها وما ينقلب اليه حرام ، وعبيده أحرار لوجه الله تعالى ، إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله ، او اتفق من عهد أبي دؤاد الإيادي الى زمان ابن الرومي لاحد شكله ، بل عيبه ان محاسنه تتابعت ، وبدائعه ترادفت ؛ فقد كان في أن يكون كل بيت منه في ديوان يحمله ، ويسود به شاعره ، ثم ينشد ، فاذا بلغ بيتاً يعجب به ويتعجب من نفسه فيه ، قال : ايها الوزير : من يستطيع هذا إلاّ عبدك علي بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور بن المنجم جايس الخلفاء وأنيس الوزراء ، ثم ينشد الابن والأب يعوّذه ويهتز له ، ويقول : ابو عبدالله : استودعه الله وليّ عهدي وخليفتي من بعدي ، ولوا شتجر اثنان من مصر وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواه ، أمتعنا الله به ورعاه وان استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته) (٩٨) .

وذكر الحصري شيئاً من مقامة لابي عليّ الحاتمي تلميذ ابن المنجم وضعها في استاذه فقال : (وقد روى ابن قتيبة وغيره هذا المقام لابي حية النميري واسمه الهيثم بن الربيع ، وعليه عوّل ابو عليّ محمد بن الحسن المظفر الحاتمي في الحكاية التي وضعها على استاذه على بن هارون وأتى فيها بكل مليحة نادرة . وزعم انه أحسّ حسّ برذون في اصطبله فراعه وتوهمه لصاً — وهي طويلـة في نحو أربعة أجلاد . وقال في أولها :

هذه حكاية أبي الحسن علي بن هارون مع اللص الذي تخيّل انه دخل داره ، أخبرني بها ابو القاسم القنطري وغيره من حاشية أبي الحسن ، ولفظ بعضهم يزيد على بعض ، فجمعت الروايات على اختلافها ، ونظّمت شتيتها ، وهذّبت العبارة عنها ، واوردت المعاني مكسوة من النثر الرائع والتشبيه الواقع مما يطرب سامعه ويروق متصفحه ، ليكون وروده أغرب وحفظه أقرب ، ونحلت أبا الحسن وجماعة ولده قطعاً من بارع الشعر تناسب قطع الرياض بنت القطر ، صنعتها على ألسنتهم ونسبتها الى ارتجازاتهم . وتمثلت عنهم بفقر من أشعار العرب أسميت قائلها ؛

لئلا تلتبس بما اختصصت في نظمه ، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

وقال في آخرها : لقد كان في نبأ هذه الكريمة تبصرة لمستبصر ، وتذكرة لمتذكر . هذا ولم تقترح فيها الأقران ، ولا تنازلت فيها الفرسان ، ولا استبهمت فيها البهم ، ولا أريق فيها ملءُ محجم دم ؛ وانما هو تخييل جبان ، وتسويل جنان ، ولقد عزونا الى هذه الطائفة من التشبيهات الباهرة والأمثال النادرة ما يبعد جداً عن مثلها ، وانما بعثنا على ذلك أشر الشبيبة ، ومرح الصبا ، ولين الغصن ، وفضل القدرة ، واستجابة لما تدعيه من أفانين الكلام ، ونستغفر الله من فضول العمل) [٩٩] .

وواضح ان هذين النصين — اذا صحا — يصوران تصويراً دقيقاً كثيراً من صفات الرجل ومظاهر شخصيته ، وهي صفات ومظاهر لا تتناسب وما كان عليه الرجل من الصيت المدوي ، والعلم الغزير ، والأدب الجم ، والاتزان الرزين الذي أشاد به مترجموه .

ففي النص الأول اشارات كثيرة الى ما كان يقوم به الرجل في المجالس التي كان يحضرها من حركات عجيبة ، وما كان يطلقه من أحكامٍ غريبة ، وما كان يظهره من العجب بنفسه وولده ، وهيَ حركات تذكرنا بما قيل عن حركات بشار [١٠٠] والبحتري [١٠١] واقوالهما عند انشادهما وان كان ما يقوم به ابن المنجم يفوق ما أثر عن الشاعرين قبله .

والحق انه لأمر يدعو الى الدهشة ان تلصق بالرجل مثل هذه الحركات والأقوال وانه لامر عجيب أن يبدأ الرجل هذه الحركات بارسال دموعه ، وان يكون قريباً منه غلامه الذي قد أعدّ اعداداً ليمد الرجل بمنديل عبراته . ان الطابع المسرحي لما ورد في النص الأول يحملنا على الشك في صحة ما جاء فيه ، ولعل صاحب النص قد أحس بهذا فقال : (فان لابي الحسن رسماً أخشى تكذيب سيدنا ان

شرحته . . . ولأن أحصل عنده في صورة ستزيد أحبّ إليّ من أن أحصل عنده في رتبة مقصّر) .

وفي النص الثاني يبدو ابن المنجم جباناً رعديداً، على فرار ما كان عليه ابو حية النميري . واننا لنعجب حقاً ان يعمد تلميذه الى وضع مثل هذه الحكاية او المقامة عليه ، ولا يجد لذلك إلاّ حكاية الجبن والهلع من أمر يتوهمه

علاقته برجال العصر :

كان لخلق ابن المنجم السجيح وسلامة طويته ، وغزارة علمه ، ولطافة حديثه وتفنن اخباره ، وطيب عشرته ، أثر كبير في علاقاته الحسنة الطيبة مع رجال عصره : من خلفاء ووزراء ، وادباء وشعراء وان هذه العلاقة الطيبة تتمثل في تقريب اولئك الرجال له وتمتعهم بأحاديثه ورواياته وعلمه وشعره ؛ فكان — بحق — كما وصف نفسه — (جليس الخلفاء وأنيس الوزراء)[١٠٢] .

ومرّ بنا شيءٌ من علاقة الرجل برجال العصر ، ونرى من المفيد أن نشير الى صلته بمن لم يسبق الحديث عنهم .

لقد أعجب بالرجل الكثيرون ، فكان من اجل ذلك ان احتفي به وقدم على سواه من الندماء ، فكان ذا شأن كبير عند ابن مقلة الوزير : (لنفّاقه عليه ، واختصاصه به ، من بين ندمائه) [١٠٣] ، كما كان (له مع الصاحب بن عباد مجالس ، وفي تشريفه يقول الصاحب :

لبني المنجم فطنة لهبيــه	ومحاسن عجميـة عربيــه
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهم	حتّى عرفت بشدّة العصبيه[١٠٤]

وكانت صلته جيدة وطيبة مع علي بن هارون بن خلف بن طناب احد رجال الدولة ووزرائها وله ابيات كتب بها اليه في غيبة غابها ، وتأخرت عنه كتبه[١٠٥]. كما كان حسـن العلاقة مع ابن أبي الحواري الذي وصف سقطة له وثئت منها رجله[١٠٦] : غير أنه — على ما يظهر — لم يكن على علاقة طيبة مع الصولي الذي

أشار – كما تقدم – الى انه من أسباب إبعاده عن حاشية ابن مقلة ، ولعله من أجل هذا غمزه في احد الأخبار التي رواها عنه ، وحاول ان يظهره بمظهر النديم الذي لا يتورع عن الانغماس في بعض الأمور التي نراها بعيدة عن صفاتــه ومقومات شخصيته[١٠٧] :

وفاته :

ذكرت مصادر ترجمته واخباره ثلاثة تواريخ لوفاته ، فذكر ابن النديم انه توفى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وله ست وسبعون سنة ، ولكنه جعل ولادته سنة سبع وسبعين ومائتين[١٠٨]،وهذا يعني ان له يوم وفاته خمساً وسبعين سنة. وتبعه الخطيب ولكنه حدّد وفاته بالأيام فقال : (مات . .. .يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة)[١٠٩] .

وذكر اليافعي ان وفاته كانت في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة[١١٠] ، وذهب التوحيدي الى ان وفاته كانت في سنة ستين وثلاثمائة ، قال : (وأنشدنا عليّ بن هارون سنة خمسين وثلاثمائة ، ومات سنة ستين ؟[١١١] .

مؤلفاته :

ذكر له مترجموه عدداً من الكتب ، منها :

١– (كتـــاب شهر رمضـــان) عمله للراضي ، ذكره ابن النـــديم[١١٢] ؛ وابن خلكان[١١٣] وأسماه اسماعيل البغدادي (فضائل شهر رمضان)[١١٤] .

٢– (كتاب النوروز والمهرجان) ، ذكره ابن النديم[١١٥] ، وياقوت[١١٦] ، وابن خلكان[١١٧] وحاجي خليفة[١١٨] ، واسماعيل البغدادي[١١٩] .

٣– (كتاب الردّ على الخليل في العروض) ، ذكره ابن النديم[١٢٠] ، وياقوت[١٢١] وابن خلكان[١٢٢] ، واسماعيل البغدادي[١٢٣] .

٤– (كتاب رسالته في الفرق بين ابراهيم بن المهدي واسحاق الموصلي في الغناء) ،

ذكره ابن النديم[١٢٤]، وذكره ياقوت باسم (كتاب الرسالة في الفرق..)[١٢٥] وذكره ابن خلكان باسم (كتاب رسالة في الفرق . . .) [١٢٦] .

٥- (كتاب ابتدأ فيه بنسب أهله) عمله للمهلبي ولم يتمه، ذكره ابن النديم[١٢٧] وياقوت [١٢٨] وابن خلكان [١٢٩] .

٦- (كتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط ، وهو معارضة عن كتاب ابي الفرج) كذا جاء في الفهرست ، ثم ذكر بعده (كتاب الفرق والمعيار بين الاوغاد والأحرار) [١٣٠] وكأنه كتاب آخر لابن المنجم . وذكر ابن النديم في ترجمة ابي الفرج الأصفهاني ان من كتبه : (كتاب صفةهارون، كتاب الفرق والمعيار – وهي رسالة في هارون بن المنجم – بين الأوغاد والأحرار) [١٣١] .

وذكر ياقوت ان من كتب أبي الفرج : (كتاب الوزن والمعيار في الاوغاد والأحرار) وهي رسالة عملها في هارون بن المنجم [١٣٢] ، ثم ذكر في ترجمته لابن المنجم ان من كتبه : كتاب اللفظ المحيط ببعض (كذا وهو تحريف وصوابه ما في الفهرست)ما لفظ به اللقيط ،عارض به كتاب أبي الفرج الأصبهاني. ثم ذكر بعد ذلك (كتاب الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار) على انه لابن المنجم ايضاً [١٣٣] .

ويبدو ان هذا اللبس لم يكن من عمل ابن النديم وياقوت وانما جاء من ناشري كتابيهما وان المقصود بلفظة (كتاب) التي سبقت (الفرق والمعيار) هو كتاب أبي الفرج .

ويبدو ان من جاء بعدهما أحسّ بهذا اللبس فحاول أن يزيله ، قال ابن خلكان : (وكتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط) وهو يعارض كتاب أبي الفرج الاصبهاني الذي سماه (الفرق والمعيار بين الاوغاد والاحرار)[١٣٤] وقال حاجي خليفة : (الفرق والمعيار بين الاوغاد والأحرار لأبي الفرج علي بن

حسين الاصبهاني . . . وفي معارضة كتاب اللفظ المحيط بنقض ما لفظ بـه اللقيط لابي الحسن بن هارون . . . المنجم [١٣٥] .

وذكره اسماعيل البغدادي فقال : (اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط في معارضة كتاب الفرق والمعيار لابي الفرج الأصبهاني) [١٣٦].

٧- (كتاب القوافي) : عمله لعضد الدولة ، ذكره ياقوت [١٣٧] ، واسماعيل البغدادي [١٣٨] ، والجدير بالذكر ان شيئاً من هذه الكتب لم يصل إلينا .

أدبه :

لقد أسهم ابن المنجم في ميادين الادب والشعر والرواية والتأليف كما تقدم اسهاماً كبيراً ، فاعترف بأدبه وعلمه وأثره الكثيرون ، فأثنوا عليه وأطروا علمه وادبه [١٣٩] فوصف — كما سلف — بانه كان راوية للشعر أديباً ظريفاً متكاماً حبراً شاعراً ، بل شاعراً مشهوراً [١٤٠] ، بل أعلم الناس بصناعة الشعر . كما وصف بانه : (من بيت الادب ومعدنه ، ومغاني الشعر وموطنه) [١٤١] . ويبدو انه كان أشهر أولاد المنجم في عصره ، ممّا حمل الثعالبي على القول : (فأما ابو الحسن — الذي هو كبيرهم — فقد اقتصرت من ذكره واقتصاص أمره على نبذ حكاها الصاحب في كتابه المعروف (بالروزنامجة) ، مما اتفق له مع أبي محمد الوزير المهلبي حين ورد الصاحب بغداد ، وقد أرسل يحكيها لاستاذه ابن العميد ، ثم أوردت ما علق بحفظي من ملحه) [١٤٢]

نثره :

لم يصل الينا شيءٌ كثير من نثره ، وانما وصلت إلينا كلمات له وأقوال مروية على لسانه في موضوعات شتى ، وقد أعجب بها مقتبسوها ، وصدورها بالثنـاء والاطراء ، فقال الثعالبي : (من كلامه الذي يقطر منه ماء البلاغة والظرف قوله : اذا أراق الربيع ورقّ النسيم ، وامتدت سماء الندّ على أرض الورد . . .) [١٤٣] وقدّم ابو هلال العسكري لدعاء له بقوله : (وأحسن ما سمعت من الدعاء ،

قول عليّ بن هارون بن يحيى المنجم) أما الدعاء فهو : (أمتع الله الأمير بما خوّله واستقبل به العمر . . .) [١٤٤]. وقال ابو حيان التوحيدي : (وسمعت عليّ بن المنجم يقول : وكان محذقاً حلو الحديث ، وقد سئل : لم غلب البخل على كل متفلسف ؟ فقال : وجدنا الغالب على الناظرين في حقائق الأمور ، والباحثين عن أسرار الدهور ، وهم الموسومون بطلب الحكمة التي هي الفلسفة . .)[١٤٥]

واذا جاز لنا أن نستخلص شيئاً من سمات نثره من هذه النصوص فيمكن القول : بأنه يجمع بين دقة التعبير وجمال اللفظ ، وتسلسل الأفكار والتنقل بين السجع والترسل .

شعره :

لم يشر أحد من مترجميه أو من أصحاب الفهارس الى ان له ديوان شعر . ولم نقف له إلاّ على سبعة وثلاثين بيتاً جاءت في أخباره وترجمته . والجدير بالذكر ان قسماً من هذا الشعر جاء منسوباً لابي الحسن ابن المنجم دون ذكر الاسم ، وجعلناه من شعر عليّ هذا ، مع ان ابنه كان يكنى بابي الحسن ، وقد لا يستبعد أن يكون هذا الشعر او قسم منه لابنه ، ولكن ليس لدينا دليل قاطع على انه له . كما ان بيتين منه منسوبان لسواه .

ويظهر أن شيئاً من شعره قد فقد ، فقد أشار الصاحب بن عباد فيما كان يكتبه الى ابن العميد حين زار بغداد الى أحد مجالسه مع ابن المنجم فقال : (استدعاني الاستاذ ابو محمد فحضرت وابنا المنجم في مجلسه وقد أعدّا (قصيدتين) في مدحه . . . فأنشدا قعوداً ، وجوّدا بعد (تشبيب طويل) ، وحديث كثير . .)[١٤٦] وهذه القصيدة ذات التشبيب الطويل والحديث الكثير لم يصل إلينا منها شيء ، ولا شك انها لم تكن الوحيدة في فنها وطولها ، وانما هناك أمثالها قيلت في غير هذا المجلس ولكنها فقدت في جملة ما فقد من التراث ، فقد ذكر الصولي في حديثه عن قضاء الراضي على أحد خصومه قائلاً : (ودخل ابنا المنجم احمد بن

يحيى ، وعليّ بن هارون فأنشدا الراضي في يوم الخميس شعراً يهنيانه بهــذا الفتح . . .) [١٤٧] .

وذكر الثعالبي فصْلاً للصابي ضمنه بيتين لابن المنجم قال فيه : (وأقول له ما أنشد نيه عليّ بن هارون بن المنجم لنفسه من (قصيدة) كتب بها الى ابن أبي الحواري وقد وثئت رجله من عثرة لحقته) [١٤٨] ، ولم يصل الينا من هذه القصيدة سوى ثلاثة أبيات [١٤٩] .

لقد أعجب بشعره الكثيرون فاقتبسوا منه نماذج زينوا بهــا مؤلفاتهم واطروه واشادوا به . ومضى نعت الصاحب شعره وشعر ابنه بالجــودة في مجلس الوزير المهلبي . وقــال اليافعي : (وله أشعار حسان) [١٥٠] ، وقــال الثعالبي فى ثمار القلوب : (مقام ابراهيم : يضرب مثلا لكل مكان شريف ومقام كريم : ومن أحسن ماسمعت فى ضرب المثل به ما أنشده ابو اسحاق الصابى لعلى بن هارون أبن علي بن يحيى المنجم فى ابن ابى الحوارى ، وقدعرفت له سقطة وثئت رجله منها [١٥١]

كما أعجب به آخرون فكانوا يتمثلون به في مجالسهم او حالاتهم الخاصة ، فقد روي ان صلاح الدين الايوبي كان معجباً بقول ابن المنجم :

وما خضب الناس البياض لقبحه	فأقبح منه حين يظهر ناصله
ولكنه مات الشباب فسوّدت	على الرسم من حزن عليه منازله

فكان يمسك بكريمته وينظر اليها ويقول : اي والله مات الشباب [١٥٢]

ولجودة هذا الشعر أقبل عليه المغنون فغنوا به ، من ذلك ابياته في أحد أصدقائه [١٥٣]

اما هو فقد كان معجباً بشعره وشعر أسرته إعجاباً كثيراً ، ولعل ما ذكره الصاحب في أحد مجالسه مع ابن المنجم دليل على هذا .

ان ما وصل الينا من شعره يتناول فنون : الغزل والعتاب والفخر والمديح والوصف والهجاء ، وتتمثل في هذا الشعر جودة الاسلوب ومتانته ، ودقة المعنى وسلامته ، وخلوه من التعقيد او الالتواء ، فهو نماذج من الشعر الحسن الذي يدل على شاعرية متمكنة ، وقدرة عالية .

وحملت جودة شعره وحسن معانيه بعض كبار الشعراء الى النظر فيه والاقتباس منه .

وقد ذكر العميدي في كتابه الابانة عن سرقات المتنبي نموذجاً من هذ الشعر الذي رأى ان المتنبي قد نظر فيه . فقد ذكر لعلي بن المنجم قوله :

كريم نهته النفس عن شهواتها ... ووفته أقساط المعالي بلا بخس

إذا لم تكن نفس ابن آدم حرة ... تحن الى العليا فلا خير في النفس

ثم ذكر عقبه قول المتنبي :

تلك النفوس الغالبات على العلا ... والمجدُ يغلبها على شهواتها[١٥٤]

* * *

نصوص من شعره ونثره :

١ــ الشعر :

ــ ١ ــ

قال علي بن هارون المنجم (مجزوء الكامل)

١ــ ضلَّ الفراقُ ولا أهتدَى ... ونَأتْ فلا دَنَتِ النَّوَى

٢ــ وَهوَى ــ فلا وَجَدَ القَرا ... رَ ــ مُعنِّفٌ أهلَ الهــوَى

التخريج : معجم الأدباء ١٥-١١٧ وفيه : (ومن كتاب الروزنامجة قال الصاحب : وتوفرت على عشرة فضلاء البلد ، فأول من كارثني أولاد المنجم لفضل ابي الحسن علي بن هارون وغزارته ، واستكثاري من روايته وطيب سماعه ولذيذ عشرته ، فسمعت منه أخباراً عجيبة وحكايات غريبة ، ومن ستارته أصواتاً نادرة مشنفة مقرطقة يقول في كل منها : الشعر لفلان ، والصنعة لفلان ، أخذته هذه عن فلان ، أو فلانة ، حتى يتصل النسب باسحاق او غيره من أبناء جنسه ، وكان اكثر ما يعجب به مولاها أبيات له (اولها) : (البيتان) فاتفق ان سألت اول مرة سمعت اللحن فيه عن قائله ، فغضب واستشاط ، وتنكّر واستوفز ونفر وتنمّرَ وقال : تقول لمن هذا ؟ أما يدل على قائله ؟ أما يعر ب عن جوهره ؟ أما ترى أثر بني المنجم على صفحته ؟ أما يحميه لألاؤه او لو ذعيته من أن يدال بمن ؟ وممن هو الرجل ؟) .

وقال :　　　　— ٢ —　　　　(الكامل)

١— قالَ الطّبيبُ وقد تأمّلَ سَحنتي　　　هذا الفتىَ أودَتْ به الصَّفراءُ

٢— فعَجِبتُ منهُ إذْ أصابَ وما درَى　　　قولاً وظاهرُ ما أرادَ خطاءُ

التخريج :

نشوار المحاضرة (٢/٧٠ ـ ٧١ ، ٨/٢٦٣ ـ ٢٦٤) ، معجم الأدباء ١٥/١١٨-١١٩)

يحسن الرجوع الى النشوار للوقوف على حكاية تتصل بالبيتين .

١— في هامش النشوار (٧١) جاء هذا التعليق :

في الأصل : يلي هذا البيت آخر في نفس المعنى ويقاربه في اللفظ وهو :

جسّ الطبيب يدي وقال مخبراً　　　قد أتلفت هذا الفتى الصفراء

معجم الأدباء :

جسّ الطبيب يدي وقال مخبّراً　　　هذا الفتى أودت به الصفراء

الصفراء : المرّة ، وهي أحد الأخلاط الاربعة : الدم ، والبلغم والمرة الصفراء ، والمرة السوداء (انظر هامش (٣) من النشوار) .

٢— النشوار : ٨/٢٦٤ : (ومعنى ما أراد خطاء) .

—٣—

وقال :　　　　(الكامل)

١— بَيني وبينَكَ في الهوَى أسبابُ　　　والى المحبّةِ ترَجِعُ الأنسابُ

٢— بَيني وبينَ الدّهرِ فيكَ عِتابُ　　　سَيطولُ إنْ لم يمحُهُ الإعتابُ

٣— يا غائباً بِوصالِه وكتابِـه　　　هَلْ يُرتَجَى مِن غَيبتِكَ إيابُ؟

٤— ما غابَ مَن لم ينأَ صَفوُ ودادِهِ　　　والحاضرونَ ، وإن دنوا غُيّابُ

٥— لولا التّعَلّلُ بالرَّجاء تَقطّعَتْ　　　نَفْسٌ عَليكَ شِعارُها الأوصابُ

٦— لا يأسَ مِن رَوْحِ الإلهِ فرُبّما　　　يَصِلُ القَطوعُ ويَحضُرُ الغيّابُ

٧— فإذا دَنَوْتَ مُواصلاً فهو المنَى　　　سَعدَ المُحبُّ وساعَدَ الأحبابُ

٨— وإذا نأيْتَ فليسَ لي مُتَعَلّلٌ　　　إلاّ رَسولٌ بالرّضا وكِتابُ

التخريج :

الابيات ما عدا الاول في : نشوار المحاضرة ٣-٢٠٣ ، وما عدا (١ ، ٤) في يتيمة الدهر ٣-١٢١ ، ومعجم الأدباء ١٥-١٤١ – ١١٥ ، والابيات (٢، ٣، ٥-٦) في الفرج بعد الشدة ٥-٢٧ ، وما عدا (٤، ٧، ٨) في : وفيات الأعيان ٣-٥٧ ، وما عدا (١، ٤، ٧ – ٨) في : الاعجاز والايجاز ٢٤١ ، وخاص الخاص ١٧٧ ، والمنتحل ٢٢٩ ، ومرآة الجنان ٢-٣٥٠ ، وانوار الربيع ٤/١٠٥ .

جاء في النشوار : (أنشدني ابو الحسن ، علي بن هارون بن يحيى بن المنجم لنفسه ، وكتب بها الى عليّ بن هارون بن خلف بن طناب ، في غيبة كان غابها ، وتأخرت عنه كتبه ، وفيه صنعة لابي الحسن بن طرخان) .

٢- مرآة الجنان :

بيني وبين الدهر فيك يمجه سيطول ان يجبه اعتاب

تحريف . انوار الربيع : (لم يغنه الاعتاب) .

٣- الوفيات ـ (بكتابه ووصاله) .

٤- الفرج : (بمزاره وكتابه من غيبتك) ، والأخيرة خطأ .

الاعجاز : (يا نائماً بمرارة وكآبة) . خاص الخاص والمنتحل : (يا غائباً بمزاره وكتابه) . مرآة الجنان : (لوصاله وكتابه) .

٥- الوفيات : (بالرجا لتقطعت) . المرآة : (بالرجاء لتقطعت) ولا يستقيم الوزن .

٦- النشوار : (فانه يصل فيقدم) . اليتيمة : (فربما وتحضر) ، المنتحل : (فربما يصل ويقدم) ، الاعجاز :
لا بأس من فرج الاله فربما يصل ويقدم) وفيه تحريف .
خاص الخاص : (لا تأس من فربما يصل ويقدم) .
معجم الادباء (والوفيات : (فربما ويحضر) . المرآة :

(لا بأس فربما يصل القطيع) وفيه تحريف . انوار الربيع :
(من فرج فربما يصل ويقدم) .

٧ــ اليتيمة : (وإذا دعوت مساعداً فهو المنى) . معجم الادباء : (وإذا دنوت)

٨ــ اليتيمة : (وإذا بعدت فليس بالرضا وعتاب)

ــ٤ــ

وقال : (الطويل)

١ــ لئِنْ غِبتَ عن عَينيَّ بالبُعدِ والنَوَى
لَما غِبتَ عَنْ فِكْرِي وعنْ ناظرِ القَلبِ

٢ــ أراكَ على بُعْدِ المَسافة بينَنَــا
كَما تُبصرُ العَينانِ مِنّي على القُرْبِ

التخريج :

الصداقة والصديق (٢٣١) .

ــ ٥ ــ

وقال : (الطويل)

١ــ إذا ما غَدَتْ طلاّبَةُ العلمِ مالَهــا
مِن العِلمِ إلاّ ما يُخلّدُ في الكُتُبِ

٢ــ غَدوْتُ بِتَشميرٍ وجِدٌ عَليهِــمُ ومِحبرتي سَمعي ودفترُها قلبي

التخريج :

المحاسن والمساوئ وفيه بعد الرقم (٦) : (وقال في الذهن) . والبيتان منسوبان لأبي عليّ البصير او غيره (انظر : مجلة المورد المجلد الاول ــ العددان الثالث والرابع ص ١٧٠ للوقوف على تخريج البيتين) .

ــ ٦ ــ

وقال (المتقارب)

١ــ إذا ما خلوتُ مِن المُؤنسينَ جَعَلْتُ المُحدّثَ لي دَفتري

٢– فلمْ أخْلُ من شاعرٍ مُحسنٍ ومِن مُضحِكٍ طيِّبٍ مُنْدِرِ
٣– ومِن حِكَمٍ بينَ أثنائِها فوائدُ للناظرِ المُفكِّرِ
٤– وإنْ ضاقَ صدري بأسرارِهِ وأودعتُهُ السرَّ لم يَظهرِ
٥– وإنْ صرَّحَ الحُبُّ باسمِ الحبيبِ لَما احتَشَيْتُ ولم أحصرِ
٦– وإنْ عُذْتُ من ضجرةٍ بالهجاءِ ولو في الخليفةِ لمْ أحذَرِ
٧– فنادَيتُ منهُ كريمَ المَغيبِ لِندمانِه طيِّبَ المَحضرِ
٨– فلستُ أرى مُؤثِراً ما حَيِيتُ عليهِ نَديماً الى المَحشرِ

التخريج :

المحاسن والمساوئ ١٦ – ١٧ وفيه : (قال : وأنشدنا ابو الحسن عليّ بن هارون بن يحيى المنجم ، رحمه الله) .

– ٧ –

وقال : (الطويل)

١– كَريمٌ نَهتْهُ النَّفسُ عن شَهواتِها
وَوَفَتْهُ أقساطَ المَعالي بِلا بَخْسِ
٢– إذا لم تكُنْ نَفسُ ابنِ آدمَ حُرَّةً
تَحِنُّ الى العليا فلا خيرَ في النَّفسِ

التخريج :

الإبانة عن سرقات المتنبي ٦٣ ، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ٢٢٥
١– في الصبح : (ووافته) .

– ٨ –

وقال : (الطويل)

١– وما خَضَبَ النّاسُ البَياضَ لِقُبحه
فأقبحُ منهُ – حينَ يَظهرُ – ناصلُه

٢– ولكنّهُ ماتَ الشّبابُ فسوّدتْ
على الرَّسمِ من حزُنٍ عليهِ منازلُه

التخريج :
مرآة الجنان ٣-٤٦٥ .

١– في الاصل : (ناضله) تصحيف . نصل الشعر : زال عنه الخضاب ، ولحية ناصل .

– ٩ –

وقال : (الطويل)

١– واني لأثني النّفسَ عمّا يَريبُها وأنزِلُ عن دارِ الهوانِ بِمَعْزِلِ
٢– بِهِمّةِ نُبْلٍ لا يُرامُ مكانُها تحُلُّ من العَلياءِ أشرفَ مَنزِلِ
٣– ولي مَنطِقٌ إنْ لجلجَ القولُ صائبٌ بِتكشيفِ الباسِ وتَطبيقِ مفصَلِ

التخريج :
معجم الشعراء ١٥٦ ، معجم الادباء ١٥-١١٨ ، أعيان الشيعة ٤٢ - ٢٠٠

١– معجم الأدباء : (في دار) .

– ١٠ –

وقال : (الرجز)

١– وقدحٍ مورّسِ السِّربالِ من نقشهِ قبلَ المُدام حالِ
٢– تحسبُهُ ملآنَ وهو خالِ

التخريج :
تيمة الدهر ٣-١٢٢

–١١–

وقال في مدح الامام عليّ بن أبي طالب : (الطويل)

١– وهَلْ خصلةٌ من سُؤددٍ لم يكنْ لها
أبو حسنٍ من بينهم ناهضاً قِدْما

٢– فَما فَاتَهُمْ مِنها بهِ سَلَّموا لَـهُ
وما شاركوهُ كانَ أوفرَهمْ قِسْماً

التخريج :

معجم الشعراء ١٥٦ ، معجم الادباء ١٥-١١٨ ، أعيان الشيعة ٤٢-٢٠٠

– ١٣ –

وقال من قصيدة كتب بها الى ابن ابي الحواري وقد وثئت رجله من عثرة لحقته :

(الخفيف)

١– كيفَ نالَ العثارُ مَن لم يزَلْ منـ ـهُ مُقيلاً من كلِّ خَطْبٍ جسيم
٢– أو ترَقّى الأذَى الى قَدَمٍ لمْ تَخطُ إلاّ الى مَقامٍ كَريمِ
٣– لمقامِ النبيِّ أحمدَ أو مثـ ـلِ مقامِ الخليلِ إبراهيـمِ

التخريج :

ثمار القلوب ٤٢ – ٤٣ ، والاول والثاني في : يتيمة الدهر ٣-١٢٢ ، والاعجاز والايجاز ٢٤٢ ، وخاص الخاص ١٧٨ ، والتذكرة الحمدونية ٥ ـ الورقة ٧٨ و ، ظ ، ووفيات الاعيان ٣-٥٧ .

١– ثمار القلوب : (مفيداً في كل) . الاعجاز : (مقيل) .
٢– الاعجاز : (أفيرقى) . الوفيات : (او ترقى الردى) .

٢ – النثر :

–١–

قال : علي بن هارون المنجم :

(الشّربُ على غير الدّسم سمّ ، وعلى غيرِ النّغم ِ غَمّ)

التخريج :

برد الاكباد (١٠٨) ، ضمن خمس رسائل .

— ٢ —

وقال :

(أنا والله أجنّ على جدري الوجه المليح ، ويسير الحول في العين الساحرة ، ونخوة الخلق الطيب) .

التخريج :

خاص الخاص ص ٥٥

— ٣ —

ومن كلامه :

(إذا أراق الربيع ورقّ النسيم ، وامتدت سماء النّدّ على ارض الورد ، وحضرت الراح والأوجه الملاح ، وتجاوبت الأطيار والاوتار ، خفت أيدي الطرب على الجيوب ، وهتكت استار القلوب) .

التخريج : خاص الخاص (٦٠)

— ٤ —

ومن كلامه :

(أمتعَ الله الأمير بما خوّله ، واستقبل به من العمر أسرّه وأطوله ، وملاّه [1] من العزّ أمدّه وأكمله ، وألبسه من الانعام أسبغه وأجزله ، ومهد له من العيش أرغده وأفضله ، وجمع له من الخير آخره واوله) .

التخريج :

ديوان المعاني (١-٩٦) .

— ٥ —

ومن كلامه :

(وسمعت (المتكلم ابو حيان) عليّ بن المنجم يقول ، وكان محذقاً حلــو

١ – في الأصل (ملأه) ، خطأ . ملاه : متعه .

الحديث ، وقد سئل : لم غلب البخلُ على كل متفلسف ؟ فقال :

وجدنا الغالبَ على الناظرينَ في حقائق الأمور ، والباحثين عن أسرار الدّهور ، وهم الموسومون بطلب الحكمة التي هي الفلسفة ، التمسكَ بكل عرَض يملكونه حتّى إنهم لا يُفرجون عن شيءٍ إلاّ بمشقة شديدة ، ولا يجدون ألمَ الشّحّ والبخل ، ولا يأنفون من عارهما ؛ وطلبنا العلّة في ذلك مع ما يقتضيه مذهبهم من الزهد والبذل والإيثار والتكرم ، فوجدناها في آثار النجوم والنظر في دلالتها ، وذلك ان الذي يدلّ على علم الحقائق والغوص فيها ، واستيفاء الفكر فيها زحلُ وعطارد بالاشتراك . وزحلُ يوجب مع شهادته الاولى الحصرَ والحسدَ والضيق والبخل ؛ لان البخل يكون من جهة الخوف من الفقر ، وزحل يوجف عجز النفس وخضوعاً عند الحاجات ، وإشفاقاً على الفائت لعسر آثار زحل وكثرة تغيّر أحوال عطارد .

قال :

وهذه الدلالة موافقة لما في الطبيعيات ، وذلك لأن البرد واليبس ، من آثار زحل ، يوجبان عوارض السوداء ؛ وأخلاق النفس تابعةٌ بالنظر الاول لمزاج البدن فلذلك يستحيل إليه ، وكذلك حال عطارد في خصوصيته باليبس ، ولان الحرارة معدومة في زحل وعطارد ، والسخاء من جنس الشجاعة المشاكلة لقوة الحرارة ، والبخل من جنس الجبن المشاكل لقوة اليبس الذي يوجب العجز وضيق الصدر والخوف في الحاجات .

قال :

ولان الزُّهرة لها في الأمور الالهية والدلالة على الوحي وطهارة الأخلاق مع ما توجبه من الشهود والنعمة والبذل والقوة الانفعالية بسبب الرطوبة الغالبة عليها ؛ فهي إذا أعطت الحقائق بغير تكلف ، بل على سبيل الوحي ، تميل النفس الى طهارة الأخلاق والتهاون بالمال للمباينة الواقعة بين الأمور الالهية والأمور الطبيعية

التي بها يطلب المال ويتمسك به ، فالذي يشرك في تدبيره بين العلوم الخلق الزُهرةُ ويكون صاحبها مصادقاً للحقائق عفواً مُبغضاً للمال طبعاً .

والذي يغلب على تدبيره في العلم والخلق زحل ، وعطارد يتكلف العلم ويحب المال ، ويكون مغلوباً بالبخل) .

التخريج :

أخلاق الوزيرين ٣٧٧ ــ ٣٧٩

ــ ٦ ــ

ومن كلامه :

(استدعاني (المتكلم الصاحب بن عباد حين ورد بغداد) الاستاذ ابو محمد ، فحضرت وابنا المنجم في مجاسه وقد أعدّا قصيدتين في مدحه ، فمنعهما من النشيد لأحضره ، فأنشدا قعوداً وجوّدا بعد تشبيب طويل وحديث كثير ؛ فان لابي الحسن رسماً أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته ، وعتابه إن طويته ، ولان أحصل عنده في صورة متزيد ، أحبُ اليّ من أن أحصل عنده في رتبة مقصّر ، يبتدئ فيقول ببحّة عجيبة بعد إرسال دموعه ، وتردد الزفرات في حلقه ، واستدعائه من جؤذر غلامه منديل عبراته ، والله والله ، وإلاّ فأيمان البيعة تلزمه بحلها وحرامها ، وطلاقها وعتاقها ، وما ينقلب اليه حرام ، وعبيده أحرار لوجه الله تعالى ، إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله ، او اتفق من عهد أبي دؤاد الإيادي الى زمان ابن الرومي لأحد شكاه ، بل عيبه ان محاسنه تتابعت ، وبدائعه ترادفت ، فقد كان في الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يحمله ويسود به شاعره ثم ينشد ، فاذا بلغ بيتاً يعجب ويتعجب من نفسه فيه قال : أيّها الوزير مَن يستطيع هذا إلاّ عبدك عليّ بن هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم جليسُ الخلفاء وأنيس الوزراء ، ثم ينشد الابن والاب يعوّذه ويهتز له ، ويقول : ابو عبدالله : استودعه الله وليّ عهدي وخليفتي من بعدي ولو اشتجر اثنان من

مصر وخراسان لما رضيت لفصْل ما بينهما سواه ، أمتعنا الله به ورعاه ، وحديثه عجب ، وان استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته) .

التخريج :

يتيمة الدهر ٣-١١٩ — ١٢١ ، معجم الأدباء ١٥-١١٢ — ١١٤

(١) في اليتيمة (يجمله) .

—٧—

ومن كلامه :

(حدثني (المتكلم التنوخي) ابو الفتح احمد بن علي بن هارون المنجم ، قال : حدثني أبي ، قال :

كان أبو بكر بن رائق ، شديد الاعجاب بغناء ابي القاسم بن طرخان ، وكان أهلاً لذلك ، وكان أطيب الناس حلقاً ، وأحسنهم صنعة ، وكان يجسّ الطنبور جساً أطيب من الضرب ، تكاد القلوب إذا سمعته ، أن تخرج من أضلاعها ، استطابة له . وكان اذا ابتدأ يجسّ ، ابتدأ ابن رائق يشرب أقداحاً الى أن يجيْ الغناء .

فقال يوماً : يا ابا الحسن، ما ترى هذا الجسّ الذي ليس على وجه الارض أطيب منه ، أيّ شيْ يشبه عندك ؟ فقلت : أيّها الأمير ، يشبه رسول الحبيب ، يستأذن لزيارته ، فأعجبه ذلك) .

التخريج :

نشوار المحاضرة ٣-٢٨٤ .

الهوامش

(١) انظر : معجم الشعراء ١٥٦ ، الفهرست ٢١٢ ، تاريخ بغداد ١١٩/١٢ .
(٢) الفهرست ٢١٢ .
(٣) إضافة من المصادر الأخرى .
(٤) تاريخ بغداد ١٢٠/١٢ ، وانظر : معجم الادباء ١١٢/١٥ حيث نقل مثل هذا عن ثابت وانظر : وفيات الاعيان ٥٨/٣ .
(٥) ١٨٣/٥ .
(٦) الفهرست ٢١٢ وانظر : معجم الأدباء ١١٢/١٥ .
(٧) يتيمة الدهر ١١٩/٣ وانظر : وفيات الأعيان ٥٧/٣ .
(٨) الأنساب ٥٤٣ .
(٩) أخبار الراضي (٩).
(١٠) نفسه ٥٥
(١١) نفسه ٢١
(١٢) يتيمة الدهر ١٢٠/٣
(١٣) انظر : نشوار المحاضرة ٢٨٤/٣ وانظر النثر الرقم (٧) .
(١٤) أخبار الراضي ٩٠
(١٥) نشوار المحاضرة ٦٤/٢ — ٦٥
(١٦) وفيات الأعيان ١٩٩/٤
(١٧) انظر : ديوان الصاحب بن عباد ص ٧
(١٨) معجم الأدباء ١١٦/١٥ وانظر : خاص الخاص ٥٣ حيث ذكر شيئاً عن صلة الصاحب بابن المنجم هذا .
(١٩) نشوار المحاضرة ٢٤٥/٨
(٢٠) بدائع البدائع ٣٤٧ — ٣٤٨
(٢١) يتيمة الدهر ١٢٠/٣
(٢٢) جمع الجواهر ٢١٨
(٢٣) الموشح ٤٣
(٢٤) نور القبس ١٧٥ وحلية المحاضرة ٣٧/٢ (طبعة الكتاني) .
(٢٥) نور القبس ١٩٦ .
(٢٦) الموشح ٤٥٤
(٢٧) نفسه ٥٥٨
(٢٨) نفسه ٥٦٨
(٢٩) تاريخ بغداد ٣٠٥/٩
(٣٠) حلية المحاضرة ٢٣٨/٢ ، أمالي المرتضى ١٣٨/٢ ، ١٣٩

(٣١) حلية المحاضرة ١٧٨/٢
(٣٢) تاريخ بغداد ١٣١/١٢
(٣٣) أمالي المرتضى ٤٤٩/١
(٣٤) تاريخ بغداد ٣٥٩/١١
(٣٥) نفسه ٣٤٢/٢
(٣٦) حلية المحاضرة ٣٨ (طبعة هلال ناجي) ، وانظر الكتاني ١٣٨/١ ، والأغاني ٢٨٢/٩
(٣٧) الأغاني ١٢٠/١٠ ، ١٣٩ تاريخ بغداد ٣٠٢/٤
(٣٨) حلية المحاضرة ٤٣ (هلال) ، ١٤٦/١ (كتاني) ، زهر الآداب ٣١٦/٣ .
(٣٩) أشعار النساء ١٤٢
(٤٠) حلية المحاضرة ٥٠/٢ (كتاني)
(٤١) أمالي المرتضى ١٣٤/١
(٤٢) أشعار النساء ١٤٢
(٤٣) الموشح ٣٩٣ — ٣٩٤
(٤٤) نفسه ٢٤
(٤٥) أمالي المرتضى ١٤٢/١
(٤٦) الموشح ٥٠٢
(٤٧) معجم الشعراء ٣٨٦
(٤٨) الأغاني ٣٠٧/١٩
(٤٩) الإبانة عن سرقات المتنبي ٢٢٥ ، وانظر حلية المحاضرة ٥٠ (هلال) ، ١٥٢/١ (كتاني)
(٥٠) الأغاني ١٣٨/١٠ — ١٣٩
(٥١) الموشح ٣٢٠
(٥٢) نفسه ٤٩٣
(٥٣) نفسه ٤٦٤
(٥٤) ٥١٠
(٥٥) نفسه ٥١٠
(٥٦) نفسه ٢٢٨
(٥٧) الأغاني ٢٨٢/٥
(٥٨) نفسه ١٤٠/١٠
(٥٩) نفسه ٢٧٨/١٠
(٦٠) حلية المحاضرة ٣٩/٢ — ٤٠ (كتاني)
(٦١) تاريخ بغداد ٢٢٦/١٣ .
(٦٢) معجم الأدباء ١١٦/١٥ — ١١٧ .
(٦٣) تاريخ بغداد ١١٩/١٢ .
(٦٤) نفسه
(٦٥) الرسالة الموضحة ١٢١ — ١٢٣ .
(٦٦) ص ٥٨ .
(٦٧) حلية المحاضرة ٤٣ — ٤٥ (هلال) ، ١٤٦/١ (كتاني) والنص في الثاني ناقص .
(٦٨) نفسه ٤٥ (هلال) ، ١٤٧/١ (كتاني) والنص في الثاني مضطرب ، وانظر : المنصف في الدلالات على سرقات المتنبي ١٠٢ — ١٠٣ .
(٦٩) حلية المحاضرة ٥١ (هلال) ، ١٥٢/١ — ١٥٣ (كتاني) ، وانظر : المنصف في الدلالات ١٠٥ والعمدة ٣١/٢ .
(٧٠) الموشح ٥٠٥
(٧١) نفسه ٤٦١
(٧٢) نفسه ٥١٧
(٧٣) الموشح ٤٩
(٧٤) دلائل الاعجاز ٣١٤ (أدميت) في الأصل (أدمت) تحريف

(٧٥) الأغاني ٣٦٤/٥ .
(٧٦) نشوار المحاضرة ٢٨٥/٣ ابو الفتح : هو ابن علي بن هارون.
(٧٧) تاريخ بغداد ٢٠٢/٤ .
(٧٨) أمالي المرتضى ١٣٨/٢ .
(٧٩) تاريخ بغداد ١١٩/١٢
(٨٠) نفسه ٣٤٨/١٠ .
(٨١) انظر : ص ٤ ، ٥ ، ١٠ .
(٨٢) الفهرست ٢١٢ .
(٨٣) انظر : انظر ثقافته .
(٨٤) انظر : انظر ثقافته .
(٨٥) انظر الفرج بعد الشدة ٣٩/٥
(٨٦) الصداقة والصديق ٢٤٤
(٨٧) معجم الشعراء ٤٦٥
(٨٨) ديوان البحتري ٢١٠٦/٤
(٨٩) تاريخ بغداد ١١٩/١٢ ، معجم الأدباء ١١٥/٥
(٩٠) يتيمة الدهر ١٢٠/٣ ، معجم الأدباء ١١٣/١٥
(٩١) الفهرست ٢١٢
(٩٢) نفسه ٢١٢ .
(٩٣) معجم الأدباء ١١٦/١٥ – ١١٧ .
(٩٤) يتيمة الدهر ١٢٠/٣ ، معجم الادباء ١١٢/١١٥
(٩٥) وفيات الأعيان ١٩٩/٤ .
(٩٦) خاص الخاص ٥٣ . الكشكية . وهي نوع من الحساء يعمل من الكشك ، والكشك : طعام يتخذ من نقيع البرغل باللبن بعد اختماره فيفت ويطبخ (ديوان الوزير محمد بن عبدالملك الزيات) ص٦٨ هامش (٤) .
(٩٧) معجم الشعراء ١٥٦
(٩٨) يتيمة الدهر ١٢٠/٣ – ١٢١ ، ومعجم الادباء ١١٣/١٥ – ١١٤ .
(٦٩) جمع الجواهر ٢١٨ – ٢١٩
(١٠٠) الأغاني ١٤٠/٣
(١٠١) البحتري في سامراء حتى نهاية عصر المتوكل ١٨٠ – ١٨١
(١٠٢) يتيمة الدهر ١٢٠/٣
(١٠٣) نشوار المحاضرة ٦٤/٢
(١٠٤) وفيات الاعيان ٥٧/٣ . من الجدير بالذكر أن أبا حيان التوحيدي يشير الى أحد أبناء المنجم الذي كان متصلا بالصاحب بن عباد في كتابه (أخلاق الوزيرين) يقول فيه : (وهل تجد

= فيمن تقدم عنده ونفق عليه غير ابن المنجم وهو يعبث بلحيته وهامته ، ويسخر منه ويضحك به ، ويعمل له الشعر في النوروز والمهرجان وغيرهما ، ويسمعه في هيئته يوم المحفل ويطرب على إنشاده . ويقول : ما أحسن شعرك ، وما أسلس طبعك ! ويعطيه على ذاك ، ويتقدم اليه بالقيادة وبكل ما لا يجيزه الدين والمروءة) . (اخلاق الوزيرين ١٦٠ – ١٦١ .

وعلق محقق الكتاب على (ابن المنجم) الوارد في النص : (ابو الحسن على بن هارون كبير بني المنجم . . .) .

ان المقصود بابن المنجم في هذا النص لا يمكن ان يكون علياًصاحب الترجمة وذلك لسببين :

الأول : ان صلة علي هذا بالصاحب كانت في بغداد يوم زارها الصاحب في سنة ٣٤٧ ه وان ابن المنجم على ما نرجح لم يزر الصاحب في بلاد فارس ، لان الصاحب ما يزال كاتباً (أنظر : ديوان الصاحب بن عباد ص ٧) .

والثاني ان ابا حيان ألف كتابه بعد اتصاله بالصاحب وهو وزير ، وان استيزاره كان سنة ٣٦٤ (راجع الديوان) ، في حين ان وفاة ابن المنجم كانت في سنة ٣٥٢ ه .

ويبدو ان المقصود بقول ابي حيان احد أبناء على الذين اتصلوا بالصاحب بعد استيزاره.

(١٠٥) انظر الشعر الرقم (٣)

(١٠٦) انظر الشعر الرقم (١٣)

(١٠٧) انظر : اخبار الراضي ٥٥ – ٥٦

(١٠٨) الفهرست ٢١٢ ، وانظر : معجم الأدباء ١١٢/١٥حيث جعل وفاته في هذه السنة عن ست وسبعين سنة ، وجعل ولادته سنة ٢٧٦ .

(١٠٩) تاريخ بغداد ١٢٠/١٢ ، وانظر : وفيات الأعيان ٥٨/٣ حيث نقل ما ذكره الخطيب .

(١١٠) مرآة الجنان ٣٥٠/٢ .

(١١١) الصداقة والصديق ٢٤٤ .

(١١٢) الفهرست ٢١٢ .

(١١٣) وفيات الأعيان ٥٧/٣ .

(١١٤) هدية العارفين ٦٨٠/٥ .

(١١٥) الفهرست ٢١٢

(١١٦) معجم الأدباء ١١٢/١٥

(١١٧) وفيات الأعيان ٥٧/٣ .

(١١٨) كشف الظنون ١٤٦٨/٢ .

(١١٩) هدية العارفين ٨٦٠/٥

(١٢٠) الفهرست ٢١٢

(١٢١) معجم الأدباء ١١٢/١٥

(١٢٢) وفيات الأعيان ٥٧/٣

(١٢٣) هدية العارفين ٦٨٠/٥

(١٢٤) الفهرست ٢١٢

(١٢٥) معجم الأدباء ١١٢/١٥

(١٢٦) وفيات الأعيان ٥٧/٣

(١٢٧) الفهرست ٢١٢

(١٢٨) معجم الأدباء ١١٢/١٥
(١٢٩) وفيات الاعيان ٥٧/٣
(١٣٠) الفهرست ٢١٢
(١٣١) نفسه ١٧٣ .
(١٣٢) معجم الأدباء ٩٩/١٣ – ١٠٠
(١٣٣) نفسه ١١٢/١٥ وانظر : معجم المؤلفين ٢٥٦/٧ حيث وقع في الخطأ نفسه .
(١٣٤) وفيات الأعيان ٥٧/٣
(١٣٥) كشف الظنون ١٢٥٦/٢ وانظر ص ١٥٥٩ حيث كرر هذا في ترجمته علي بن هارون .
(١٣٦) هدية العارفين ٦٨٠/٥ .
(١٣٧) معجم الأدباء ١١٢/١٥
(١٣٨) هدية العارفين ٦٨٠/٥
(١٣٩) انظر ص ١ ، ٢ من البحث
(١٤٠) وفيات الأعيان ٥٧/٣ .
(١٤١) معجم الشعراء ١٥٦
(١٤٢) يتيمة الدهر ١٢٠/٣
(١٤٣) انظر النثر الرقم (٣) منالجدير بالذكر ان الثعالبيجعل هذا النص لابي الحسن المنجم ولم يشر الى اسمه ، ومعلوم ان أحد ابنائه وهو هارون كان يكنى بابي الحسن ايضاً .
(١٤٤) انظر : النثر الرقم (٤)
(١٤٥) انظر : النثر الرقم (٥)
(١٤٦) يتيمة الدهر ١٢٠/٣ وانظر معجم الادباء ١١٧/١٥ والشعر الرقم (١) .
(١٤٧) اخبار الراضي ٢١
(١٤٨) يتيمة الدهر ١٢١/٣
(١٤٩) انظر الشعر الرقم (١٣)
(١٥٠) مرآة الجنان ٣٥٠/٢ .
(١٥١) ص ٤٢ – ٤٣
(١٥٢) مرآة الجنان ٤٦٥/٣
(١٥٣) انظر : نشوار المحاضرة ٢٠٣/٣ والشعر الرقم (٣) .
(١٥٤) ٦٣ وانظر الصبح المنبى عن حيثية المتنبي ص ٢٢٥

التذكير والتأنيث في العربية

بين العلامة والاستعمال

الدكتور محمد ضاري حمادي

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

يتفق علماء العربية على أن التذكير أصل والتأنيث فرع ، وهم يستدلون على ذلك باستدلالات منطقية دقيقة تعتمد على المقارنات بالظواهر اللغوية الأخرى . فقد ربطوا هذا الأمر ، وهو أصالة التذكير وفرعية التأنيث ، بصور أخرى ، أشهرها أصالة التنكير وفرعية التعريف ، لأن الأسماء نكرات في الأصل ثمّ تعرّف . وتعليل ذلك « أن الأشياء كلها أصلها التذكير ، ثم تختصّ بعدُ . فكل مؤنث شيءٌ ، والشيءُ يذكّر ؛ فالتذكير أول ، وهو أشد تمكناً ، كما أن النكرة هي أشد تمكناً من المعرفة لأن الأشياء إنما تكون نكرة ثم تعرّف . »[1] . وكان لهــذه النظرة أثرها في تحديد الظاهرة وتحليلها ، وبيان الجوانب المختلفــة المرتبطــة بها ، ولا سيما الكشف عن العلــة التي تمكن وراء تذكير الأسماء المطلقة على اشياء مجهولة النوع : أمذكرة هي أم مؤنثة ؟ إذ حُكم بتذكيرها على الأصل . قال أبو العباس المبرد (٢٨٦ هـ ـ ٨٩٩ م) : « وكل ما لا يُعرف أمذكر هو أم مؤنث ، فحقه أن يكون مذكراً » . [2] وضرب على ذلك أمثلة من أسماء

---

(١) كتاب سيبويه ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ تح : عبدالسلام محمد هارون ٣ / ٢٤١ وانظر : الواضح في علم العربية لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، ص ٢٤١ . والخصائص لابن جني (القاهرة ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢م) تح : محمد علي النجار ٤١٥/٢. وتسهيل الفوائد ، وتكميل المقاصد (القاهرة ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م تح : محمد كامل بركات لابن مالك ، ص ٢٥٣ . وشرح التصريح عــلى التوضيح : الأزهري ٢٨٥/٢ . القاهرة (د. ت) .

(٢) المذكر والمؤنث للمبرد ، : (القاهرة ١٣٩٠هـ — ١٩٧٠م) تح : د. رمضان عبدالتواب وصلاح الدين الهادي ص ١٠٨ .

الملائكة ، كجبريل وميكال ، مبيّناً وجوب تذكيرهما ، وهــو الأصل ». (٣) وكذا فسرت في ضوء تلك النظرة ، خاصة أخرى من خواصّ المذكر على المؤنث ، وهي التغليب . وهي أنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث في كلام للغائب أو المخاطب أو المتكلم ، فالغلبة للمذكر غلبة تلزم الناطق أو الكاتب إعطاء المؤنث حكــم المذكر كيما يتحقق له تعبير وافٍ منسجم بعيد عن الالتواء . قال أبو بكر بن الأنباري (٣٢٨ هـ - ٩٤٠ م) : « إعلم أن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غلّب المذكر على المؤنث . تقول من ذلك : الرجل والمرأة قاما وقعدا وجلسا ، ولا يجوز : قامتا وقعدتا وجلستا . » (٤) . وهذا ما كان يعنيه سيبويه (١٨٠ هـ - ٧٩٧ م) حين أخضع العدد المركب للحالة التي يكون فيها مع المعدود المذكر ، على الرغم من كون المعدود كلمتين إحداهما مذكر ، والأخرى مؤنث ، قائلاً : « وتقول : أعطاه خمسة عشر من بين عبد وجارية ، لا يكون في هذا الا هــذا . » (٥) ومما يحقق أصالة التذكير وتغليبه في الكلام العربي الاكتفاء بلفظ المذكر في مخاطبة الذكران والإناث مجتمعين ، بلا فصل لخطاب المذكر من خطاب المؤنث . قال أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ - ١٠٠٥ م) : « اذا جــاء الخطاب بلفظ مذكر ، ولم ينص فيه على ذكر الرجال ، فان ذلك الخطاب شاملٌ للذكران والإناث ، كقوله جلّ ثناؤه : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله) (٦) . » وكل أولئك إنما يبيــن مذهباً من مذاهب العربية وأسرار تركيبها بما ينطوي عليه من دقائق وخصائص . وقد يظهر في متسع هذه اللغة العريقة ما يبدو وكأنه مخالف لهذا المنهج العام .

---

(٣) المذكر والمؤنث للمبرد . وقال سيبويه (الكتاب ٢٢/١) : « إن (الشيء) يقع على كل ما أخبر عنه ، من قبل أن يعلم أذكر هو أو أنثى ، والشيء ذكر » .

(٤) المذكر والمؤنث : ابن الانباري (بغداد ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م) تحـ : د. طارق عبد عون الجنابي ص ٦٧٦ .

(٥) الكتاب ٥٦٤/٣ . وذكر محمد العدناني في « معجم الاخطاء الشائعة » (بيروت ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م) : أن اللغة الفرنسية تحذو حذو اللغة العربية في هذا الشأن .

(٦) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس (بيروت ١٣٨٣هـ –١٩٦٤م) تحـ : د. مصطفى الشويمي ص ١٨٨ .

إن خالف ، فلا يعدو كونه حالة خاصة محدودة . بيد أن النظر العلمي الفاحص والتأمل في حقيقة التركيب أو المضمون قمين بإزالة الإشكال أو الغموض . قال تعالى : (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر . لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهنّ) [٧]. وقد عقب خلف الأحمر (١٨٠ هـ - ٧٩٧م) على ذلك بقوله : « فجمع ها هنا بين المذكر والمؤنث ، فجعل المخاطبة للمؤنث . وهذا غير ما أملاه النحويون» [٨] ثم قال : « إن الليل والنهار مذكران ،وكان ينبغي أن يقول : واسجدوا لله الذي خلقهم . » [٩]. ولم ينصرف خلف عن هذا ، بل أنعم النظر في النص القرآني ، وجعل يحاول الوقوف على علة هذا التأنيث ، فاهتدى الى أن الضمير في « خلقهن » لا يعود الى تغليب المؤنث على المذكر في حال الجمع بينهما ، وانما هو عائد الى كلمة « آياته » في مطلع النص قائلاً : « نظرنا ، فاذا به جلت قدرته أراد بذلك : الآيات » [١٠] وكان من نتائج النظر في المؤنث والمذكر والمعرَّف والمنكر أن أعطى بعض النحاة ما رآه من خصائص وصفات في التذكير والتعريف للتذكير والتأنيث .

قال سيبويه يقرر أن النكرة أخف من المعرفة ؛ لأن النكرة هي الأصل ثم يدخل عليها ما ينقلها الى وضع آخر : « واعلم أن النكرة أخف عليهم من المعرفة ، وهي أشد تمكناً ؛ لأن النكرة أول ، ثم يدخل عليها ما تعرف به » [١١] ثم قال مقرراً هذا الوصف نفسه في التذكير والتأنيث : « واعلم أن المذكر أخف عليهم

(٧) سورة فصلت ، الآية ٣٧ .

(٨) مقدمة في النحو : الاحمر (خلف بن حيان – ١٨٠ هـ / ٧٩٧ م) . ص ٩٥ . (دمشق ١٣٨٢ هـ – ١٩٦١ م) تحـ : عزالدين التنوخي .

(٩) مقدمة في النحو ، (٩٥ – ٩٦) . كان ينبغي أن يكون التقدير بلفظ ـ(خلقهما)ـ لا (خلقهم)ـ ؛ لتستقيم عبارة خلف الأحمر : « إن الليل والنهار مذكران » .

(١٠) مقدمة في النحو ، ص ٩٦ : علق عزالدين التنوخي على ما ذهب اليه خلف الأحمر بقوله : « المصدر السابق – الهامش الأول » : « أما الزمخشري ، فقد علل ذلك بأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الإناث ، يقال : الاقلام بريتها وبريتهن. وتعليله صحيح، ولعل ما ذهب إليه خلف الاحمر ، ولم يحتج فيه الى تعليل ، هو أقرب وأصوب » .

(١١) الكتاب ٢٢/١ .

من المؤنث ، لأن المذكر أول ، وهو أشد تمكناً ، وإنما يخرج التأنيث من التذكير[١٢] والحق أن هـذا استنتاج نظري إن صح القـول به في التنكير والتعريف ، لأن المعـرفة تشتمل عـلى ما لا تشتمل عليه النكـرة ، فانه يعسر قبـول ذلك الرأي في التذكير والتأنيث ، وآية ذلك أن المذكر يتفق في أحوال كثيرة مع المؤنث اتفاقاً تاماً ، لفظاً ودلالةً ، نحو : غفور وجريح ومفضال وغيرها ، مثلما يتفق معه في أحوال أخرى من حيث التجرد من علامات التأنيث نحو : هنـد وسعاد ودعد ، بل قد يشتمل المذكر على علامات التأنيث ، نحو : طلحة وحمزة وأسامة ، على ما سيأتي به البيان مفصلاً في هذا البحث[١٣] ولـذا حقّ لأبي القاسم السهيلي (٥٨١ هـ - ١١٨٦ م) أن يقف عند هذا الحكم متأنياً مدققـاً متأملاً ليخرج من ذلك الى الرد على سيبويه بهذا الرأي ، نافياً عن المؤنث صفة الثقل سواء أكان ثقلاً حسياً أم ثقلاً عقلياً ، قائلاً : « لا ثقل في زُناب ورباب عقلاً ولا حساً ، ولا خفة في فرزدق ودردبيس عقـلاً ولا حساً أيضاً . »[١٤] ولا يرمي السهيلي هنا الى نسبة الثقل الى المذكر ، بعد أن نفاها عن المؤنث ، ولكنه يريد أن يبين أن ما يصيب الأول يصيب الثاني ، وأن وصف أحدهما بالخفة أو الثقل دون الآخر شيءٌ يجانب الصواب .

إن الذي لا بد من الخوض فيه واستجلاء أمره ، إنما يكمن في حقيقة الألفاظ المذكرة والمؤنثة ، والاساس الذي بني عليه تصنيفها والقول بأن هذا اللفظ مذكر وذاك مؤنث : ما المذكر ؟ وما المؤنث ؟ وما سمات كل منهما ؟ وهل ثمة حاجز ثابت واضح يفصل ويقطع ؛ بحيث لا يهم أحد في التمييز بينهما ، ولا يقع في الخطأ في استعمالهما ؟ ولكي تكون الاجابة عن هذه الاسئلة وغيرها إجابة علمية متأنيّة يتحتّم النظر فيما جاء عن العرب الفصحاء من ألفاظ المذكر والمؤنث ،

(١٢) الكتاب .

(١٣) ينظر ص (٣١٢ – فما بعدها) من هذا البحث .

(١٤) أمالي السهيلي في النحو واللغة والحديث والفقه (٢٢–٢٣) . (القاهرة ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م) تح : محمد ابراهيم البنا .

وكيفية استعمالهم إياها في النصوص العالية حين ذكّروا بعضاً ، وأنّثوا بعضاً ، وأجاز العلماء بعضاً على الوجهين . فمما لا ريب فيه أن أولئك الفصحاء نظروا الى الموجودات في هذا العالم ، فرأوها على نوعين : نوع فيه حياة ، ونوع لا حياة فيه . ثم التفتوا الى النوع الأول ذي الحياة ووقفوا عند الانسان والحيوان منه — دون النبات — وكان جلياً أمامهم أن يعينوا المذكر والمؤنث في تلك الدائرة من عالم الأشياء باتفاق تام ، إذ لا يختلف اثنان في أن المذكر هو ما كان له أنثى من جنسه نحو رجل وزيد وأسد ، والمؤنث هو ما كان له ذكر من جنسه ، نحو : امرأة وسعاد ولبؤة ، [15] وهذا هو الذي اتفق النحاة من ثم على تسميته : المـــذكر الحقيقي ، والمؤنث الحقيقي ، لأنه مما يتصل بالحقيقة والطبيعة ، ولا جدال في ذلك . أما سائر الأشياء ، فلم يروا في تذكيره أو تأنيثه ما كانوا رأوه في الانسان أو الحيوان من صفة طبيعية حقيقية قاطعة ، فكان تذكيراً وتأنيثاً على المجاز ، نحو : قلم وكتاب وحجر وعنب ، ونحو : نخلة وسماء وبشرى وعين ، فالمذكر من هذه الأشياء لا أنثى له من نوعه ، والمؤنث منها لا مذكر له من نوعه ، [16].

بعد هذا التحديد ، كان مـــن شأن العربية أن أوجدت رموزاً أو علامات شكلية في آخر الكلمة المؤنثة ، دلالةً على تأنيثها وتمييزها من المـــذكر [17] ،

---

(١٥) تنظر ألفاظ كثيرة لذكور ما شهر منه الاناث في المزهر في علوم اللغة وانواعها للسيوطي، القاهرة (د . ت) . تح : محمد أحمد جاد المولى وآخرين — ٢/٢٢١ . وألفاظ أخـرى لإناث ما شهر منه الذكور في المصدر السابق — ٢/٢٢٠ .

(١٦) ينظر كتاب : القواعد الاساسية للغة العربية ، (لأحمد بن ابراهيم الهاشمي) . بيروت (د.ت) — ص (٣٥٨ — ٣٥٩) .

(١٧) استثنى ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٥٠٦ (القاهرة ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م) تح : محمد محيي الدين عبدالحميد كلمة (كلتا) من هذه القاعدة وقال : « وعلامات المؤنث تكون آخراً بعد كال الاسم إلا (كلتا) ، فان التاء ، وهي علامة التأنيث ، جعلت قبل آخر الحرف » . لكن ابن السيد البطليوسي نسب هذا الى الجرمي (أبي عمر صالح بن اسحق — ٢٢٥هـ / ٨٤٠م) وبين أنه خطأ عند البصريين والكوفيين ، وأن لكل منهما رأياً آخر في « كلتا » واستدلالات عليه . ينظر كتابه : « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » (بيروت ١٣١٨ هـ—١٩٠١م) تح : عبدالله البستاني ص (٢٨٣ — ٢٨٥) .

وأولها هو التاء ، نحو : امرأة وشجرة وطويلة . وقد لوحظ أن هذه التاء تتخذ صورة أخرى هي الهاء ، وذلك في حال الوقف [18] . وهـذا رأي البصريين عامةً والفَرّاء (٢٠٧ هـ - ٨٢٣ م) من الكوفيين [19] ، وفي ذلك يقول سيبويه : « وأمـا الهاء ، فتكون بدلاً من التاء التي يؤنث بها الاسم في الوقف ، كقولك : هذه طلحة » [20] ويقول موضحاً ومفصلاً في باب الوقف : « ومثل هذا في الإختـلاف الحرف الذي فيه هاء التأنيث ، فعلامة التأنيث اذا وصلته التاء ، واذا وقفت ألحقت الهاء ، أرادوا أن يفرقوا بين هذه التاء والتاء التي هي من نفس الحرف ، نحو تاء « القَتّ » ، وما هو بمنزلة ما هو من نفس الحرف ، نحو تاء « سنتة » وتاء « عفريت » ؛ لأنهم أرادوا أن يلحقوهما ببناء قحطبة وقنديل . » [21] . وقـال المبرد : « وأما التاء ، فتزاد علامة للتأنيث في قائمة وقاعدة . وهذه التاء تبدل منها الهاء في الوقف . » [22] وقال : « إنما الأصل التاء ، والهاء بدل منها في الوقف » [23]

أما الكوفيون ، فذهبوا الى أن الأصل هو الهاء ، وأن الحالة الطارئة هي التاء .

(١٨) لا ينقض هذه القاعدة ما روي من أن بعض العرب يبقي التاء على حالها عند الوقف . قال سيبويه (الكتاب ١٦٧/٤) : « وزعم أبو الخطاب أن ناساً من العرب يقولون في الوقف : طلحت ، كما قالوا في تاء الجميع «قولا واحداً في الوقف والوصل» . وانظر : المذكر والمؤنث لابن الانباري (ص ١٨٠) حيث ينقل الفراء ذلك عن الطائيين . وهذا ، كما قلت ، لا ينقض القاعدة ، وانما هو شذوذ عنها ، يقابل شذوذ الوقف على التاء التي من نفس الكلمة بالهاء . قال أبو محمد عبدالله بن بري (٥٨٢ هـ / ١١٨٧ م) معلقاً على كلمة « التابوت » : « إن تاءه أصلية و وزنه فاعول مثل : عاقول وحاطوم ، والوقف عليها بالتاء في أكثر اللغات ، ومن وقف عليها بالهاء ، فانه أبدلها من التاء ، كما أبدلها في (الفرات) حين وقف عليها بالهاء ، وليست التاء في (الفرات) بتاء تأنيث ، وإنما هي أصلية من نفس الكلمة . » عن مادة (ت و ب) في : لسان العرب لابن منظور (بيروت ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)، وتاج العروس . منجواهر القاموس للزبيدي (القاهرة ١٣٠٦هـ - ١٨٨٨م) .

(١٩) ينظر : أ- شرح شافية ابن الحاجب : لرضي الدين الاستراباذي ٢٨٨/٢ ، ط . بيروت (١٣٩٥ هـ / ١٩٧٦ م) تح : محمـد نور الحسن وآخرين . ومغني اللبيب عـن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ط . بيروت (١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) . ص ٣٨٥ .

(٢٠) الكتاب ٢٣٨/٤ .

(٢١) الكتاب ١٦٦/٤ .

(٢٢) المقتضب ، المبرد ٦٠/١ (القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) تح ، محمد عبدالخالق عضيمة .

(٢٣) المقتضب ٦٣/١ ، و ٣٦٦/٣ .

قال ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ - ١٣٦٠م) : « هاء التأنيث ، نحو : «رحمه» في الوقف ، وهو قول الكوفيين ؛ زعموا أنها الأصل ، وأن التاء في الوصل بدل منها ، وعكس ذلك البصريون . »[٢٤] وقد تكلم أبو العباس ثعلب الكوفي (٢٩١ هـ - ٩٠٤ م) في هذا ، وأراد بيان الأساس الذي بني عليه الرأي الكوفي ، والحجة التي اعتمدت ، فقال : « إن الهاء في تأنيث الاسم هو الأصل ، وانما قلبت تاءً في الوصل ، إذ لو خليت بحالها هاءً ، لقيل : رأيت شجرهاً ، بالتنوين ، وكان التنوين يقلب في الوقف ألفاً ، كما في « زيداً » فيلتبس في الوقف بهاء المؤنث ، فقلبت في الوصل تاءً لذلك ، ثم لما جيء الى الوقف رجعت الى أصلها ، وهو الهاء . »[٢٥] .

ذانك رأيان متباينان رآهما أهل الشأن في هذه العلامة ، وقد دفع هذا الخلاف الى محاجّات واسعة وتأمل طويل . وكان ابن جني (٣٩٢ هـ) عالم التصريف المقدم أفاض في ذلك إفاضة مقنعة ، انتهت بالمسألة الى وضعها الأول ، وهو أصلية التاء وطروء الهاء ، وقال فيما قال : « إن الوصل من المواضع التي تجري فيها الأشياء على أصولها ، وإن الوقف من مواضع التغيير والبدل . ألا ترى أن منهم من يقول في الوصل : « هذه أفعى يا فتى » بالألف كما يجب ، فاذا وقف قال : « هذه أفعيْ » فيبدل الألف ياء ، ومنهم من يقول « أفعوْ » فيبدلها واواً . »[٢٦] الى أن قال : « فلما رأينا هاء التأنيث في الوصل تاءً ، علمنا أن أصلها التاء ، وأن

---

(٢٤) مغني اللبيب ، ص ٣٨٥ .

(٢٥) شرح شافية ابن الحاجب ٢/٢٨٩ . وأكد هذا أبو بكر بن الانباري في (المذكر والمؤنث) « ص ١٧٩ » بقوله : « وأما الهاء فانها فاصلة بين المذكر والمؤنث ، كقولك : قائم وقائمة ، وقاعد وقاعدة ، وطلحة وحمزة وتمرة . وتكون في الوقف عليها وفي الخط هاء ، وفي الدرج تاء . » فابن الانباري ، وهو يقول بالمذهب النحوي الكوفي ، أطلق على العلامة مصطلح (الهاء) مع قوله إنها في الدرج (تاء) ، ولم يطلق مصطلح (التاء) الا على تلك التي تبقى تاء في الدرج وفي الوقف . قال : « وأما تاء التأنيث في الاسماء فهي التي تكون في الوصل والوقف تاء كقولك : بنت وأخت . » — المصدر السابق .

(٢٦) المنصف (شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني ، ١ / ١٦٠ . ابن جني (القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) تحـ : ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين .

الهاء في الوقف بدل من التاء في الوصل . » (٢٧) . علـى أن ما يقتضي الذكـر هنا ، بعد ما تقدم من إختلاف الرأي والانتهاء به الى ما انتهى اليه ابن جني ، أن التعبير عن هذه العلامة لم يكن مستقراً أو واضح عند سيبويه ، وأن ما حمله « الكتاب » في مواطن متناثرة منه يكشف عن اضطراب أو ترجّح ! فعـلى الرغم من إعلانه أن التاء أصل والهاء فرع ، وأن التاء لن تكون هاءً إلا في حال الوقف (على ما هو موضح في هذا البحث قبل قليل) (٢٨) ، كقـوله : « إنما هن كتاء التأنيث ، وهاء التأنيث في الوقف » (٢٩) نجـده يطلق التسمية على العلامة بأنها «هاء» غير مقتصر في ذلك على الوقف أو مشير إليه ! لننظر في هذا النص : « إن كل هاء كانت في اسم التأنيث . . . » (٣٠) وهـذا النص : « وقد يجمعون المؤنث الذي ليست فيه هاء التأنيث بالتاء كمـا يجمعون ما فيه الهاء . » (٣١) . . . ونصوص غيرها (٣٢) . فكان ينبغي إذن أن يظلّ على تسمية العـلامة تاءً ، ولا يحيد الى تسميتها هاءً إلا في الوقف .

وللتأنيث في العربية علامة أخرى هي الألف ، وهي قسمان : المقصورة والممدودة. ولم يكن خلاف في أن المقصورة علامة للتأنيث ، ولكن خلافاً وقع في أن تكون الممدودة علامة له وفي هذا صرّح أبو عثمان المازني (٢٤٩هـ ــ ٨٦٤م) : أن الهمزة هي العلامة ، وأيده ابن جنّي بقوله : « اعلم أنه [أي المازني] قد صرّح في هذا الموضع بأن علامة التأنيث هي الهمزة في الحقيقة ، وهو الصواب ، وليس كما يقول من

(٢٧) المنصف ١٦١/١ . وعلل ابن جني ابدال التاء هاء فقال في الموضع المشار اليه : « وانما ابدلت هاء لانفتاح ما قبلها ، وأنها من الحروف المهموسة ؛ والهاء مهموسة وقريبة من الالف . ولم تبدل ألفاً لانفتاح ما قبلها لئلا يلتبس بالالف المقصورة في (حبلى) و (بشرى) والهاء قريبة من الالف فأبدلت هاء . فأما التاء في (مسلمات) ونحوها فليس يحتاج فيها الى دلالة ، لانها تاء على كل حال . » .

(٢٨) ص (٣٠٦) .

(٢٩) الكتاب ٣١٨/٤ – ٣١٩ .

(٣٠) الكتاب ٢٢٠/٣ .

(٣١) الكتاب ٦٠٠/٢ .

(٣٢) كقوله : « وإنما هي كهاء التأنيث في طلحة » (الكتاب ٣٨/٢) ، وقوله : « وألحقوه الهاء للتأنيث فقالوا : ابنة » (الكتاب ١٤٩/٤) .

يزعم أن المدة علامة التأنيث ، لأن هذا كلام غير مُحصّل ، وذلك أن المدة إنما هي الألف التي قبل الهمزة ، وعلامة التأنيث لا تكون في وسط الكلمة ، إنما تكون آخرها ، نحو : حمدة وحُبْلى »[٣٣] . وأياً ما كان ، فان ما استقر عليه الأمر في مصادر العربية ومراجعها : أن الألف علامة للتأنيث ؛ وأنها تأتي على ضربين مقصورة وممدودة . على أن من الأهمية الالتفات الى أن الاسم المختوم بأحد صورتي تلك الألف لا يعني بالضرورة أنه مؤنث ، فان « الألف تزاد آخراً على ثلاثة أضرب : أحدها — أن تكون للتأنيث . والثاني — أن تكون ملحقة . والثالث — أن تكون لغير تأنيث ولا إلحاق ، بل لتكسير الكلمة وتوفير لفظها »[٣٤] .

وقد جاء المؤنث المختوم بالألف على أوزان معينة ، أحصى الصرفيون معظمها ، على النحو الآتي :

أولاً — المؤنث المختوم بالألف المقصورة :

١ — فِعْلى ، نحو : ذِكْرى . ٢ — فُعْلى ، نحو : بُشْرَى .
٣ — فَعْلى ، نحو : دَعْوَى . ٤ — فُعَلى ، نحو : شُعَبى .
٥ — فَعَلى ، نحو : بَرَدَى . ٦ — فُعّالى ، نحو : سُمّهى .
٧ — فِعَلّى ، نحو : سِبَطْرَى . ٨ — فُعُلّى ، نحو : كُفُرَّى .
٩ — فَعَالى ، نحو : سَكارَى . ١٠ — فُعَالى ، نحو : خُضَارَى ؛
وغيرها من الصيغ .[٣٥]

ثانياً — المؤنث المختوم بالألف الممدودة :

١ — فَعْلاء ، نحو : خَضْراء .[٣٦] ٢ — فِعَلاء ، نحو : سِيَراء .

(٣٣) المنصف ١/١٥٤ .

(٣٤) شرح المفصل : لموفق الدين يعيش بن علي ٥/١٠٧ القاهرة (د. ت) . وينظر : الكتاب ٣/٢١٠ — ٢١١ ، ٢١٤ — ٢١٥ ، ٤١٧ .

(٣٥) ينظر في أوزان المؤنث المختوم بالألف المقصورة : الكتاب ٣/٢١٠ — ٢١٣ ، ٥٩٦ ، ٤/٢٦١ . والتسهيل : ص (٢٥٥ — ٢٥٦) . والنحو الوافي : عباس حسن (القاهرة ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م) ٤/٥٥٣ — ٥٥٥ .

(٣٦) الغالب أن يكون المذكر من هذه الصيغة على وزن (أفعل) نحو: أخضر — خضراء . ولا=

٣ – فُعَلاء ، نحو : خُيَلاء .   ٤ – فَعَلاء ، نحو : جَنَفاء .
٥ – فَعْلَلاء ، نحو : عَقْرَباء .   ٦ – فُعْلُلاء ، نحو : قُرْفُصاء .
٧ – فِعْلِلاء ، نحو : هِنْدِباء .   ٨ – فِعَالاء ، نحو : قِصاصاء .
٩ – فَعالاء ، نحو : بَراكاء .   ١٠ – فِعْلياء ، نحو : كِبْرِياء .
١١– أفْعَُلاء ، نحو : أَربَعاء . وغيرها من الصيغ (٣٧) .

تلك علامات التأنيث في الأسماء : التاء ، والالف بلونَيْها . بَيْدَ أن من العلماء من ذكر علامة أخرى ، هي الياء في نحو كلمة : هذي ، وكان الزمخشري (٥٣٨ هـ - ١١٤٤ م) من القائلين بهذا . وقد ردَّ عليه ابن يعيش (٦٤٣ هـ - ١٢٤٦ م) مبيناً أن الياء في تلك اللفظة أصلية ، هي عين الكلمة ، قائلاً : « فأما الياء في (هذي) ، فليست علامة للتأنيث كما ظن ، وانما هي عين الكلمة ، والتأنيث مستفاد من نفس الصيغة . وعلى قياس مذهب الكوفيين تكون الياء للتأنيث ، لأن الاسم عندهم الذال وحدها ، والألف من (ذا) مزيدة ، وكذلك الياء مزيدة للتأنيث » . (٣٨) وأوضح ابن يعيش أن الياء يمكن أن تكون من دلائل التأنيث في الافعال ، لا في الاسماء ، مع كونها ضميراً ، فقال : « وأما الياء ، فقد تكون علامة للتأنيث ، في نحو : اضربي وتضربين ونحوهما ، فان الياء فيهما عنـد سيبويه ضمير الفاعل ، وتفيد التأنيث » . (٣٩) ومعروف

= يكون ذلك مطلقاً . جاء في « أدب الكاتب » لابن قتيبة ص (٥٠٥) : « قالوا للفرس الخفيف الناصية (أسفى) ، ولم يقولوا للأنثى (سفواء) . وقالوا للبغلة (سفواء) ولم يقولوا للبغل (أسفى) . » ومن ذلك أمثلة أخرى شتى أشار اليها أحمد تيمور (١٣٤٨ هـ / ١٩٣٠م) والى مصادرها الأصلية في رسالته : (السماع والقياس) ص (٢٦ – ٢٧) .

(٣٧) ينظر في أوزان المؤنث المختوم بالألف الممدودة : الكتاب ٢١٣/٣ – ٢١٥، ٥٩٦، ٢٥٧/٤ – والتسهيل : ص ٢٥٦ ، – والنحو الوافي : ٥٥٥/٤ .

(٣٨) (٣٩) شرح المفصل ٩١/٥ . وقد جعل بعضهم الكسرة في (فعلت) علامة للتأنيث في الاسماء . ينظر شرح المفصل ٨٩/٥ .

أن تاء التأنيث الساكنة هي العلامة الخاصة بالدلالة على المؤنث في الأفعال دون أن تؤدي وظيفة أخرى هناك .

إن استخدام العربية لعلامات التأنيث إنما هو حالة من حالات غير قليلة استخدمت فيها هذه اللغة – كغيرها من اللغات – الرموز أو العلامات سوابق ولواحق لأداء وظائف لغوية معينة ، وهو ما بيّنته بتفصيل وافٍ المباحثُ المتخصصة بحروف المعاني في العربية[٤٠] واذا ما ألقيت نظرة على علامات التأنيث في تلك المباحث ، ظهر أن لها وظائفَ لغوية أخرى غير الدلالة على التأنيث ؛ فعلامة التاء مثلاً – التي يسميها بعض العلماء هاءً على ما تقدم – تأتي على ثمانية عشر وجهاً ، على ما أبرزه الهروي (٤١٥ هـ - ١٠٢٤ م) في باب مواضع هاء التأنيث »[٤١]، كأن يؤتى بها للفرق بين المذكر والمؤنث أو بين المؤنث والمذكر أو بين الواحد والجمع (وتكون الهاء علامة للواحد) ، أو بين الواحد والجمع (وتكون الهاء علامة للجمع) ، أو لتوكيد التأنيث في الجمع ، أو للنسب في الجمع ، أو للعجمة في الجمع ، أو للتعويض عن حرف محذوف في المصدر . . . الخ . أما الألف فانه مرّ أنها تأتي للتأنيث ، أو للالحاق ، أو للتكسير .[٤٢] .

---

(٤٠) من المصنفات الخاصة بحروف المعاني . معاني الحروف (لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني ، (القاهرة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م) تح: عبدالفتاح اسماعيل شلبي، والأزهية في علم الحروف، لعلي بن محمد الهروي (دمشق ١٣٩١هـ – ١٩٧١م) تح : عبدالمعين الملوحي ، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: لأحمد بن عبد النور المالقي ، (دمشق ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م) تح : أحمد محمد الخراط،والجنى الداني في حروف المعاني : لحسن بن قاسم المرادي ط ١ : حلب (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) تح : د. فخرالدين قباوة ومحمد نديم فاضل ط ٢ : جامعة الموصل (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) تح : طه محسن عبدالرحمن والباب الأول من كتاب « مغني اللبيب » ص ٥-٤١٤ ،وجواهر الادب في معرفة كلام العرب : لعلاء الدين بن علي الإربلي – النجف (١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠م) تقديم : محمد مهدي حسن الموسوي الخراساني والقسم الاول من كتاب « دراسات لإسلوب القرآن الكريم » لمحمد عبدالخالق عضيمة ؛ وهو الخاص بدراسة (الحروف والأدوات) في القرآن الكريم . (القاهرة ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م).

(٤١) الأزهية في علم الحروف : ص (٢٥٨ – ٣٦٧) .

(٤٢) في ص (٣٠٦) من هذا البحث .

وبعد أن كانت المؤنث في اللغة العربية أمارة أو علامة خاصة ، وُجِد أن هذه العلامة واحدة ، وأنه لا يدخل تأنيث على تأنيث ، فلا تجتمع علامتان للتأنيث في كلمة واحدة . وعلى هذا امتنع الحاق التاء مثلاً بما هو منته بألف التأنيث ، مقصورةً أو ممدودةً ؛ فقيل : عَطْشَى وغَضْبَى ، ولم يقل : عطشاة ولا غضباة[43]، وقيل : حمراء وصفراء ، ولم يقل : حمراءة ولا صفراءة .[44] ولكن لا يمتنع ادخال تاء التأنيث على الألف التي لغير التأنيث ، كإدخالها على « فتى » - حيث الألف من نفس الكلمة - فيقال : « فتاة » ، وكإدخالها على « أرْطَى » - حيث الألف للالحاق - فيقال : « أرطاة » . قال المبرد في هذا : « فمن ذلك « حبنطي » إنما هو من : حبط بطنه ؛ فالنون والألف زائدتان لتبلغ بهما بناء « سَفَرْجَل » . وعلى هذا تقول : « حبنطاة » . ولو كانت الألف للتأنيث ، لم تدخل عليها الهاء ؛ لأنه لا يدخل تأنيث على تأنيث . وكذلك «أرْطَى» ملحق بجعفر ، ووزنه « فعلى » ملحق بفعلل . وعلى ذلك تقول في الواحدة : أرطاة » . [45] وفي ضوء هذا فسر علماء العربية ظواهر أخرى كتأنيث أحد جزأي العدد المركب في حال كون المعدود مذكراً ، فلا يشمل التأنيث الجزء الآخر منه . جاء في « المقتضب » : « فأما تغييرهم « عشر » عن قولك « عشرة » ، فانما ذلك لصرفها عن وجهها ، ولكنك أثبتَّ الهاءات للمذكر ، كما كنت مثبتها في ثلاثة وأربعة ، فتقول : ثلاثة عشر رجلاً ، وأربعة عشر رجلاً ، وخمسة عشر

---

(٤٣) أشار ابن قتيبة في أدب الكاتب ٥٠٦ الى ما قد يخالف القاعدة القاضية بعدم دخول التأنيث على التأنيث فقال « وقالوا : بهماة ؛ فأدخلوا الهاء التي هي علامة التأنيث على ألف (فعلى) وهي علم للتأنيث و (فعلى) لا تكون الا للمؤنث » وهذا من النادر الذي لا يقاس عليه . ومما يخالف أيضاً قولهم - على لغة بني أسد - : عطشانة وغضبانة بالتاء . وذلك لان النون في (فعلان) كعلامة التأنيث فلا يجمع بين النون والتاء . قال المبرد في المقتضب (٦٤/١) : « والنون تكون بدلا من ألف التأنيث في قولك : غضبان وعطشان ، إنما النون والالف في موضع ألفي حمراء يا فتى ، ولذلك لم تقل : غضبانة ولا سكرانة ؛ لأن حرف تأنيث لا يدخل على حرف تأنيث ، فكذلك لا تدخل على ما تكون بدلا منه . »

(٤٤) المقتضب ٣٣٥/٣ . (٤٥) المقتضب ٣٣٨/٣ .

إنساناً . ولم تثبت في « عشر » هاءً وهي للمذكر ؛ لأنك قد أثبتَّ الهاء في الاسم الاول ، وهما اسم واحد ، فلا تدخل تأنيثاً على تأنيث ، كما لا تقول : حمراءة ولا صفراءة » . وعلى [٤٦] ذلك الأساس أيضاً فسروا حذف التاء من المفرد المؤنث عند جمعه جمعَ مؤنث سالماً . قال ابن جني : « ومن ذلك امتناعهم من الحاق علم التأنيث لما فيه علمـه ؛ حتى دعاهم ذلك الى أن قالـوا : مسلمات ، ولم يقولوا : مسلمتات ، لئلا يلحقوا علامة تأنيث مثلها » . [٤٧] واسترسل ابن جني ، فجعل يحلل المسألة تحليلاً أعمق ، كاشفاً عن العلة أو الحكمة في هذا التأصيل ، وهو امتناع دخول العلامة على مثلها ، فقال : « وذلك أن إلحاق علامة التأنيث إنما هو ليخرج المذكر قبله إليه ، وينقله الى حكمه ؛ فهذا أمر يجب عنه ، وله أن يكون ما نقل الى التأنيث قبل نقله إليه مذكراً ، كقائم من قائمة ، وظريف من ظريفة . فلو ذهبت تُلحق العلامة ، لنقضت الغرض » . [٤٨] .

ولقد أجمعت كلمة النحاة على أن الأصل في استخدام العلامة إنما هو تحديد المؤنث وتمييزه من المذكر ، حتى صار مألوفاً أن يعلق تعريف المؤنث أو المذكر بوجود هذه العلامة أو عدمه ، كقول الزمخشري معرِّفاً : [٤٩] « المذكر : ما خـلا عن العلامات الثـلاث . . . والمؤنث ما وجدت فيه إحداهن » . وهـذا قول لا يؤخذ على إطلاقه ؛ فقد بقيت العلامة رمزاً شكلياً في كثير من ألفاظ العربية لا أثر له في تحديد المؤنث وتشخيصه ؛ فلا يكون غيابها دليلاً على التذكير ، ولا يكون وجودها دليلاً على التأنيث . فالمؤنثات الحقيقية مثلاً ، لا تحتاج الـى العلامة كي تُعرَّف وتميز ، إذ لا يختلف اثنان في هذا ، ما دام المذكر الحقيقي المقابل لذلك المؤنث واضحاً معروفاً ، نحو : عنز ، ويقابلها المذكر تيس ،

---

(٤٦) المقتضب ١٦٢/٢ - ١٦٣ .

(٤٧) ، (٤٨) الخصائص ٢٣٥/٣ . وانظر : المقتضب ٦/١ ، ٧/٤ .

(٤٩) المفصل في علم العربية للزمخشري بعناية محمد بدرالدين النعساني ص (١٩٨) . وانظر في بيان أن الغرض من استخدام العلامة هو التدليل على المؤنث : كتاب سيبويه ٤ / ٢٣٦ ، والمذكر والمؤنث للمبرد ، ص ٨٣ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ص ٨٨ . . .

وأتان ويقابلها . المذكر حمار ، وعَناق ، ويقابلها المذكر جَدْي ؛ ورَخْل ، ويقابلها المذكر حَمَل . قال ابن الأنباري معقباً على : تيس وعنز : « وقالوا : تيس وعنز ، فلزموا القياس ، ولم يحتاجوا الى الهاء ، اذ كان لفظ الأنثى مخالفاً لفظ الذكر » . (٥٠) وبذلك كان وضوح هذه المؤنثات مغنياً لها عن العلامة ، ولو أُلحقت بها ما تغيّر في الأمر شيءٌ ، وهو ما حدث في ألفاظ أخرى كثيرة من هذا الضرب لزمتها العلامة دون ما أيّ احتياج ، نحو : ناقة ويقابلها المذكر جمل ؛ ولَبُؤة ، ويقابلها المذكر أسد ؛ وجارية ، ويقابلها المذكر غلام ؛ ونعجة ، ويقابلها المذكر من الضأن والظباء والبقر الوحشي والشاء الجبلي (٥١) .

إن الحاجة الى العلامة إنما تقوم حين إرادة صنع المؤنث من اللفظ المذكر نفسه ، صفةً كان نحو : طويلة ، من طويل ، وقصيرة من قصير ، وقائمة من قائم ، وقاعدة من قاعد ، وجميلة من جميل وقبيحة من قبيح . . . أو اسماً نحو ما روى من ألفاظ نادرة أمثال : إنسانة من إنسان ، وغلامة من غلام ، ورجلة من رجل) ، وأسدة من أسد ، وخروفة من خروف (٥٢) . . .

فاللجوء الى العلامة هنا أمر لازم ، مما دفع علماء العربية من قبل الى محاولة تعليل لحوق العلامة التأنيثية لتلك المؤنثات الحقيقية التي يقابلها مذكر لا يشترك معها في اللفظ . ومن ذلك ما قال به ابن الانباري من أن ذلك لا يعدو كونه وسيلة من وسائل التوكيد والاستيثاق فقال : « وربما مالوا الى الاستيثاق ، وازالة الشك عن السامع ، فأدخلوا الهاء في المؤنث الذي لفظه مخالفٌ ذكره ، فمن ذلك قولهم : شيخ وعجوزة ، أدخلوا الهاء على جهة الاستيثاق » . (٥٣) أما ابن

---

(٥٠) المذكر والمؤنث لابن الانباري ، ص ٩٠ .

(٥١) في « لسان العرب » (ن ع ج) : « النعجة : الانثى من الضأن والظباء والبقر الوحشي والشاء الجبلي . » .

(٥٢) للوقوف على هذه الألفاظ يراجع : لسان العرب ، وتاج العروس ، والمذكر والمؤنث : للفراء ، (حلب ١٣٤٥هـ – ١٩٢٧م) بعناية مصطفى أحمد الزرقا ص ٤٤ . والمذكر والمؤنث : للمبرد ص ٨٤ . والمذكر والمؤنث : لابن الانباري ض ٩٠ .

(٥٣) المذكر والمؤنث : لابن الانباري – ص ٨٩ .

جني فعقد باباً في « الخصائص » ، هو « باب في الاحتياط » ، ابتدأه بقوله : « إعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنّته واحتاطت له » [54] . وقال فيه : « ومن ذلك الإحتياط في التأنيث كقولهم : فرسة وعجوزة ، ومنه ناقة ؛ لانهم اكتفوا بخلاف مذكرها لها – وهو جمل – لغنوا بذلك » [55] . ومع ما يحمله هذا التعليل القائل بالاستيثاق والتوكيد من وجاهة ، وما يحظى به من قبول ، يبرز سؤال في هذا الشأن ، هو : لماذا خُصّ بعض هذه الألفاظ المؤنثة تأنيثاً حقيقياً بذلك التوكيد والتحوط دون بعضها الآخر ؟ لماذا كان الاستيثاق في « عجوزة » و « فرسة » و « ناقة » ، وهي التي لا تلتبس بمذكراتها ذوات الألفاظ الخاصة بها « شيخ وحصان وجمل » . . . ولم يكن مثل ذلك الاستيثاق في « عنز » و « عنَاق » و « أتان » . . . وحكمها واحد وحالتها واحدة في أنها لا تلتبس بمذكراتها (تيس وجدي وحمار) ؟ إن ذلك التوجيه قد يصلح مع الألفاظ التي يجوز فيها اثبات العلامة وحذفها كعجوزة وفرسة وهي باقية من بعد للتأنيث، ولكنه لا يصلح مع الألفاظ التي يجب فيها اثبات التاء كناقة ونعجة وغيرهما . ذلك أن الالفاظ المؤنثة التي تقبل اثبات العلامة وحذفها هي التي تكشف عن وظيفة تلك العلامة والداعي الى استخدامها ؛ فعجوز كلمة للمؤنث وعجوزة هي للمؤنث كذلك استخدمت فيها التاء لغرض التوكيد والاحتياط . يدل على ذلك أن من الصفات الأنثوية الخاصة ما يأتي بالعلامة وبغيرها ، نحو : حائض وطامث ومرضع وحامل ومطفل ومتئم وطالق . . . [56] ولكن العلامة لا تستخدم فيها الا اذا كانت الصفة من هذه الصفات طارئة حادثة ،

(٥٤) الخصائص ١٠١/٣ . (٥٥) الخصائص ١٠٤/٣ .

(٥٦) وهي كثيرة شغل ايرادها صفحات من كتاب المزهر (٢٠٦/٢ – ٢١٧) منها ما هو خاص بالنساء ، نحو : كاعب وناهد ومعصر ، ومنها ما هو خاص بالظباء نحو : مطفل ومشدن ومغزل ، ومنها ما هو خاص بالظباء ، نحو : صارف وناثر وداحن ، ومنها ما هو خاص بالنوق ، نحو : عيهل ودلاث وهرجاب ، ومنها ما هو خاص بالخيل ، نحو : مركض وضامر وكيت ...

أما اذا كان المراد ثبوتها في الأنثى ، والاشارة الى الصفة الطبيعية نفسها ، فان حذف التاء واجب وعليه ، استخدمت العلامة مع لفظ قابل للتجرد عنها ، وكان استخدامها للتفريق بين شيئين مختلفين ، أو حالتين لكل منهما وضعها الخاص وحدودها المعينة ، لا يمكن تبيُّنها الا بتلك العلامة الفارقة . قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ - ٧٩٢ م) : « إنهم إذا قالوا حائض ، فانه لم يخرجه على الفعل كما أنه حين قال : دارع لم يخرجه على (فَعَل) وكأنه قال : درعيّ ، فانما أراد ذات حيض ، ولم يجئ على الفعل . وكذلك قولهم : مرضع ، إذا أراد ذات رضاع ، ولم يجرها على أرضعت ولا ترضع ، فاذا أراد ذلك قال : مرضعة . وتقول : هي حائضة غداً . لا يكون الا ذلك ؛ لأنك إنما أجريتها على الفعل ، على : هي تحيض غداً »[٥٧] . على أن من الدارسين المحدثين من قال إن « دخول التاء وعدمه سيان ، والأمران قياسيان . . . ولكن الحذف أحسن »[٥٨] . في الصفة الثابتة لا الطارئة ، وليس ذلك كذلك على ما بيّن الخليل في قوله المذكور آنفاً ، الذي جعل ظهور العلامة في حالٍ واختفاءها في حالٍ غيرها .

ولئن كان لحوق العلامة للمؤنثات الحقيقية يؤدي في حالات غرضاً لغوياً أو دلالياً ، لقد كان ذلك اللحوق في حالات أخرى مسألة شكلية ، ليس لها من أثر يقدم أو يؤخر في هذا الباب ، كالذي تقدم في ألفاظ الناقة واللبؤة والنعجة وغيرها ، وكالذي يتمثل في دخول العلامة على الألفاظ المذكرة من الأعلام الكثيرة المبثوثة في مصادر العربية وآدابها ، التي منها : أذينة ، وأسامة ، وأمية ، وثعلبة ، وجَبَلَة ، وجَدِيلة ، وحارثة ، وحذيفة ، وحرملة ، وحلزة ، وحمزة ،

(٥٧) الكتاب ٣/٣٨٣ – ٣٨٤. لا ينقض هذه القاعدة ما يرد من ألفاظ نادرة تحمل العلامة ولا يقصد بها الحالة الطارئة ، وهي التي قال فيها أبو بكر الزبيدي « ربما أدخلوا في هذا الهاء . ، وان لم يريدوا به الفعل . قالوا : امرأة مغيب ومنيبة ، وكلبة مجر ومجرية » . الواضح ص ٢٤٣ .

(٥٨) هذا القول لعباس حسن في (النحو الوافي ٤/٥٤٨) ، وقد أكده ثانية بقوله في الحاشية (٢) من الصفحة المذكورة : « إنما يجوز الأمران ، والحذف أحسن اذا كان معنى الاسم المشتق خاصاً بالأنثى يلائم طبيعتهما وحدها ، ووصفاً ثابتاً لها – كما قلنا – وليس مقيداً بحالة طارئة » .

وحنظلة ، وخزيمة ، ورؤبة ، وربيعة ، ورواحة ، وزرعة ، وسُراقة ، وسَلامة ، وسلمة ، وصمة ، وطَرَفَة ، وطلحة ، وعبادة ، وعبيدة ، وعُروة ، وعقبة ، وعِكْرِمة ، وعلقمة ، وعَنْبَسَة ، وعنترة ، وقُتَيْبة ، وقُدامة ، وكِنانة ، ومُعاوية ، ونابغة ، ونويرة ، وورقة . . .[٥٩] وأما الصفات المختومة بالعلامة الشكلية التي تطلق على المذكر ، فكثير كذلك ، ومن يُلْقِ نظرة على « باب ما تدخله الهاء من نعوت المذكر والمصادر ومن نعوت المؤنث التي لم تبن على الفعل » من كتاب « المذكر والمؤنث » لابن الأنباري ، يَلْقَ من أقوال العرب الفصحاء ما يصفون به المذكر بنحو الأوصاف الآتية :

نُوَمة ، وشُرْفة ، وخلَّة ، وعُمـدة ، وربْعة ، وغُضُبّة ، وصغْـرة ، وعيِنة ، ولُقّاعة ، وداهية ، وحامّة ، وهَمَجَة ، وشَداة ، ونقوالة ، وفُحّاشة ، وعلاّمة ، ومِسَبّة ، ودِنمّة ، وخزرافة ، ودحيدحة ، ودِحَنّة ، ودَحونة ، وحِنْزَقْرة ، وقصقصة ، وجحنبارة ، وشرطِئة ، وإمّعة ، وعزهاة ، وقاذورة ، وعفرية ، وعلاقية ، وهجاجة ، وتنبالة ، وقعدية ، وزُمَيْلة ، ومَطْيَبة ، ومصابة[٦٠] . . .

ومن الحالات التي تظهر شكلية العلامة ، وعدمَ مجيئها فاصلاً بين المذكر والمؤنث ، لحوقها لأسماءٍ كثيرة ، يطلق كل منها على المذكر ، مثلما يطلق هو نفسه على المؤنث : فالسخلة ، والبهمة ، والجداية ، والعسبارة « ولد الضبع من الذئب » ، والحية ، والشاة ، والبطة ، والحمامة ، والنعامة ، والقبجة ، والنحلة ، والدراجة ، والجرادة ، والبومة ، والبقرة ، والحبارى ، . . . وحتى الدجاجة ، كلها للمذكر والمؤنث على حد سواء[٦١] . وعلى العكس من هذا وما سبقه من دخول العلامة على المذكر

(٥٩) هذه نماذج مرتبة على حروف المعجم . ويمكن الوقوف عليها وعلى أمثالها في كتب التراجم والسير ، مثل كتاب الاعلام : للزركلي . (بيروت ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م) .

(٦٠) هذه الالفاظ ذكرت حسب تسلسل ورودها في كتاب المذكروالمؤنث لابن الانباري ص (٥٦٧ — ٥٩) . وانظر المزهر ٢/٢٠٤ — ٢٠٦ .

(٦١) ينظر في ذلك : أدب الكاتب : ص ٢٢٦ ، وتثقيف اللسان وتلقيح الجنان : لعمربن خلف الصقلي ص ٢١٠ (القاهرة ١٣٨٦هـ — ١٩٦٦م) تح : د. عبدالعزيز مطر. والمزهر ٢/٢٢٢.

أسماءً وصفات ، ومن دخولها على المؤنث الحقيقي المستغني عنها بدلالة مذكره الحقيقي ذي اللفظ المخصص . . . ألفاظ مؤنثة تأنيثاً مجازياً ، وليس لها علامة تأنيثية ولا مذكر متابل ، بل إن سبيل معرفتهـــا ومعرفة تأنيثها إنما يكون فـــي التتبع والتقصي لما ورد منها في مظانّ اللغة ومعاجمها الواسعة . وهو ما حثّ أفراداً من علماء هذه اللغة العريقة الى جمعها وتيسيرها ، كابن قتيبة (٢٧٦ هـ - ٨٨٩م) في « باب الأسماء المؤنثة التي لا أعلام فيها »[٦٢] ، وأبي بكر الزبيـــديّ (٣٧٩ هـ - ٩٨٩ م) في « باب ما استعمل مؤنثاً مما لا علامة للتأنيث فيـــه »[٦٣] ، والسيوطي (٩١١هـ - ١٥٠٥ م) في « ذكر الأسماء المؤنثة التي لا علامة فيهـــا للتأنيث » . . .[٦٤] ومن أولئك اللغويين من عمـــد الى ترتيبها على حروف المعجم ، تيسيراً لطالبيها ، كالذي تراه في الرسالة الموسومة بـ « رسالة في المؤنثات السماعية » المنشورة ضمن كتاب « البلغة في شذور اللغة » ، التي نشرها الدكتور اوغست هفنر وقال إنه يظن أنها لنور الدين الجزائري (١١٥٨هـ - ١٧٤٥ م)[٦٥] وكالذي يتمثل في الرســـالة المسماة « الامتاع بما يتوقف تأنيثـــه على السماع » لمحمد الخضر حسين (١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م)[٦٦] ومنهم من نظم تلك الألفـــاظ بأبيات ، وأشهر من صنع ذلك ابن الحاجب (٦٤٦ هـ - ١٢٤٩ م) في قصيدته الخاصة بالمؤنثات السماعية،[٦٧] وقد لاحظ النحاة أن تصغير اللفظ الثـــلاثي

(٦٢) أدب الكاتب – ص ٢٢٥ . (٦٣) الواضح : ص (٢٤٨ – ٢٥٠).

(٦٤) المزهر ٢/٢٢١ – ٢٢٢ .

(٦٥) البلغة في شذور اللغة (مجموعة لغوية ، نشرهـــا الدكتور أوغست هفنـــر ، في بيروت) ١٣٣٢هـ – ١٩١٤م ص (١٥٤ – ١٥٧) . وانظر الحاشية (٦٧) في أدناه .

(٦٦) دراسات في العربية وتاريخها: لمحمد الخضر حسين ص ٢٥٩–٢٧٧. تح: أسدالله الاسماعيليان.

(٦٧) أوردها نور الدين الجزائري في كتابه « فروق اللغات » ص ٢٠٧ ط . النجف (١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م) (دمشق ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م) بعناية علي الرضا التونسي ويلاحظ أن الكتاب قد خلا من الرسالة المشار اليها في الحاشية (٦٥) في أعلاه ، والتي ظن الدكتور اوغست هفنر أنها للجزائري، على الرغم من أن الجزائري عقد مباحث في كتابه ذلك في المذكر والمؤنث، ومنها « فصل في ذكر المؤنثات السماعية» اكتفى فيه بذكر قصيدة ابن الحاجب دون العرض لتلك الرسالة أو لشيء منها ، مما قد يضعف نسبة الرسالة اليـــه . وانظر في ايراد قصيدة =

من هذه الكلمات ، يحتم ظهور العلامة فيه ، نحو : عين « عيينة » ، وأذن « أذينة » ، ودار « دويرة » ، مثلما وجدوا لزوم عود الضمير الى ذلك اللفظ مؤنثاً عند الاسناد ، نحو : العين كحلتها ، وبما أشبه ذلك كوصفه بالمؤنث ، نحو : قوله تعالى : (فيها عين جارية) [٦٨] وعليه ، قرروا أن هذا وما اليه أدلة يستدل بها على تأنيث تلك الاسماء المجردة عن العلامة . غير أن ذلك لا يكفل المرء إدراك المؤنث وتمييزه إذا هو لم يكن على معرفة سابقة للتصغير أو الاسناد بأن تلك اللفظة مؤنثة في كلام العرب .

ومما تقدم يبدو أن علامة التأنيث لا تطّرد في هذا الباب ، وأنها قد تلحق ألفاظاً غير محتاجة اليها كالمؤنث الحقيقي ذي المذكر المقابل المختص بكلمة لا علاقة لها بلفظ المؤنث ، وكالمذكر اسماً أو صفةً الذي يعكس الحال ، ويخرج العلامة من ميدانها ، وهو التأنيث ، الى النقيض ، وهو التذكير . على حين تخلفت العلامة عن مؤنثات أخرى ، هي المؤنثات السماعية التي لم يعرف تأنيثها إلا بعد ورودها في الاستعمال الفصيح . وعلى هذا لم يكن التأنيث بالعلامة قياسياً ، اذا استثنينا تأنيث الصفات الخاصة بالمذكر للوصول الى المؤنث منها ، نحو : كريم وكريمة . وهذا يعني أنه في غير تلك الحالة لا يمكن الاعتداد بالعلامة والاعتماد عليها في إدراك المؤنث وتمييزه من جهة ، ولا في صنع المؤنث من المذكر من جهة أخرى . وهذا ما يفسر الجواب عن سؤال لمحمد الأنطاكي ، إذ يقول : « هل نستطيع في العربية أن نؤنث كلمات : صقر ، نسر ، غراب . . . فنقول : صقرة ، نسرة ، غرابة . . . ؟ لا » . [٦٩] وقد أشار الأنطاكي الى أن ذلك ليس مما يقع في العربية دون غيرها من اللغات قائلاً ..

= ابن الحاجب أيضاً : البلغة في شذور اللغة : ص (١٥٧ – ١٥٨) .

(٦٨) الغاشية (١٢) . وانظر شرح الألفية لابن عقيل ٩١/٤ ، ط . محمد محيي الدين .

(٦٩) الوجيز في فقه اللغة : محمد الأنطاكي . حلب (تاريخ المقدمة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م) ، ص ٣٣٤ .

« وكذا الأمر في الفرنسية فأنت لا تستطيع أن تؤنث كلمة professeur = أستاذ ، فتقول : professeuse = أستاذة » [٧٠] .

وإذْ كان الامر كذلك ، وكان وجود العلامة لا يسعف دائماً في معرفة المؤنث والحكم على الالفاظ من حيث التذكير والتأنيث ، فقد بات الالتفات الى دلالات الألفاظ نفسها ، والوقوف على طرائق استعمالها في النصوص الفصيحة العالية نثراً ونظماً ، هو المسلك الممكن المفضي الى تحديد الالفاظ وتمييزها . على أن ألفاظاً كثيرة لا تتطلب شيئاً من هذا الجهد أو المتابعة ، وهي ألفاظ المؤنث الحقيقي من الانسان أو الحيوان ، حيث المذكر بيِّن والمؤنث بيِّن ، وليس هناك ما يدعو الى احضار النصوص ، أو تقديم البراهين . أما سائر الكلمات فهو ما يكون فيه الاختلاف في تأنيث بعض الالفاظ هنا وتذكيرها هناك بسبب من اختلاف النظر الى الاشياء والموجودات في مختلف اللغات البشرية ، وحسبي أمثلة الأنطاكي في هذا ، إذْ يقول : « فنحن في العربية نعدّ كلاًّ من « الباب » و « القمر » مذكرين ، في حين تنظر الفرنسية اليهما على أنهما مؤنثان : « la porte la lune » ، و « الشمس » في العربية مؤنثة ، ولكنها في الفرنسية مذكرة « le soleil » . ولو أمسكت بمعجم فرنسي عربي ، أو فرنسي ألماني ، أو ألماني عربي ، ثم رحت تتبع هذا التناقض في مقولة الجنس بين هذه الألسن ، لما انقضى عجبك » [٧١] وقد استغرب الأنطاكي أن تلجأ اللغة الواحدة الى الألفاظ الدالة على معنى واحد

---

(٧٠) الوجيز . وزاد محمد علي النجار (١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) كلمات فرنسية أخرى ، وقال في كتاب (لغويات – ص ٣٠) : « إن اللغة الفرنسية فيها بضعة ألفاظ لا تتغير فيها صيغة المذكر اذا أجريت على المؤنث لكثرتها في الرجال ، ومن ذلك ما يقابل كلمة (أستاذ) في بعض معانيها وهو برفسور (Professeur) ، ودكتور (Docteur) وما يقابل كلمة مؤلف (Auteur) وعاشق (Amateur) ولابدع أن تتوافق المدارك اللغوية في اللغات المختلفة . »

(٧١) الوجيز ٣٣٠ .

« الانفاظ المترادفة » ، فتذكر أحدها ، وتؤنث الآخر ، قائلاً : « وأغرب من كل هذا وذاك أن يطلق لسان واحد على شيٌ واحد اسمين مختلفين في الجنس ، فهل نستطيع أن نفسر لِمَ كان « الشباك » مذكراً ، و « النافذة » مؤنثة ، مع أن الاثنين لا يعنيان الا شيئاً واحداً ؟ »[٧٢] والذي يراه هـذا البحث أنّ الأنطاكي هنا قد ذهب بعيداً ، وأن ما مثل به لا يقدم دليلاً على ما أراد . ذلك أن « الشباك» غير « النافذة » وأن الإثنين لا يعنيان شيئاً واحداً في حقيقة الوضع اللغوي : فالنافذة هي : « الخرق في الحائط ينفذ منه الضـوء وغيره الى الحجرة »[٧٣] وأما الشباك فهو « ما وُضـع في النوافذ من القصب ونحوه على صنعة البواري ، فكل طائفة منه شبّاكة »[٧٤] . وكان الأولى أن يشير الأنطاكي الى أن في العربية الفاظاً كثيرةً استقر لها الجواز على الوجهين ، وأن ذلك كان في اللفظة الواحدة نفسها ، لا في اللفظين المختلفين ، كالشباك والنافذة . ومن ذلك ما أوردته كتب اللغة من أن أسماء قسم من أعضاء الإنسان يجوز فيها التذكير كما يجوز فيها التأنيث ، نحو : العنق والعضد واللسان والعاتق والقفا والمعى والذراع والكراع والابهام والإبط وغيرها[٧٥] ، وأن مـن سائر الأشياء عشرات من الألفاظ هذا شأنها نحو : السلم والسكين والسبيل والعنكبوت والموسى والحانوت والدلو والقمطر والخمر والطريق[٧٦] . وليس هذا في أسماء الأشياء حَسْبُ ، بل إن ألفـاظ الصفات

(٧٢) ، الوجيز ٣٣٠ .
(٧٣) ، (٧٤) الافصاح في فقه اللغة (القاهرة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م) حسين يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي ٥٧٤/١ ، ولسان العرب » و « تاج العروس » : (شبك) و (ن ف ذ) .
(٧٥) المذكر والمؤنث : ابن الأنباري (٢٩٢ – ٣٠٨) .
(٧٦) نفسه : ص (٣٠٩ – ٣٨٧) . وهكذا شأن أبواب أخرى في الكتاب المذكور تنظر في ص (٤٣٣ – ٤٤١) وص (٤٦٤ – ٤٨٥) . وص (٥٣٥ – ٥٤٦) . وقد عرض كثير من مصادر العربية ومراجعها لهذا اللون من الألفاظ ، وضربت على ذلك الامثلة الكثيرة . ينظر مثلا ما جاء في « المقتضب » للمبرد في الكلمات الآتية :
الانسان (١٩١/٢) ، اللسان (٢٠٤/٢) ، النفس (١٨٦/٢) ، النار (٦٣/٢) ، القفا (٣٢٠/٣) ، البعير (١٩١/٢) ، الفرس (١٨٧/٢ ، ١٩٠ ، ١٩٩ ، ٢٤١)، الشاه (١٨٦/٢) ، الربعة (٢ / ١٩٠) – وانظر كتاب « الواضح » للزبيدي ، ص (٢٤٦ – ٢٤٨) .

كذلك ، وفي مقدمتها تلك الصيغ المشهورة التي يستوي فيها وصف المذكر وهي : فعول بمعنى فاعل نحو صبور ، وفعيل بمعنى مفعول نحو جريح ، وفِعْل بمعنى مفعول نحو ذِبْح ، وفَعَل بمعنى مفعول نحو سلَب ومفعيل نحو معطير ، ومفعل نحو معشم ، ومفعال نحو مفضال ، وفُعْلة نحو هُزْأة ، وفعّالة نحو علاّمة . (٧٧) .

وقد أرجع علماء العربية هذه الظاهرة الى اختلاف اللهجات العربية في النظر الى بعض المسميات والصفات وتقرير تذكيرها أو تأنيثها . يقول الفراء : « أهل الحجاز يقولون هي النخل ، وهي البسر والتمر والشعير . فأهل الحجاز يؤنثونه ، وربما ذكروا ، والأغلب عليهم التأنيث . وأهل نجد يذكّرون ذلك ، وربما أنّثوا ، والأغلب عليهم التذكير (٧٨) » . وقد تنفرد إحدى القبائل بتذكير لفظ أو تأنيثه ، وفي مثل ذلك يقول الفرّاء : « الهدى : مذكر ، إلا أن بني أسد يؤنثونه ويقولون : هذه هدى حسنة » (٧٩) وعليه ، قرر علماء العربية من قديم عدم تخطئة الناطق على إحدى طرائق العرب في عصور الاحتجاج اللغوي ؛ فمن ذكّر تلك الألفاظ أصاب ، ومن أنثها أصاب كذلك .

---

(٧٧) ينظر : الواضح ، (ص ٢٤٦) ، والمفصل : ص (٢٠٠) . وشرح ابن عقيل : ٩٣/٤ — ٩٤. ولا يقتصر ذلك على الصيغ الوصفية المشهورة ، بل جاءت الفاظ أخرى يوصف بها المذكر والمؤنث على حد سواء : خلق ، وأملود ، وبازل ، وعانس ، ونازع ، وعروس . ينظر : المزهر ٢١٨/٢ — ٢٢٠ . ومن الأوصاف ما يستوى فيه المفرد والجمع بعد استواء التذكير والتأنيث . وكان ابن دريد قد خص هذا بباب في (جمهرة اللغة) (٣ / ٤٢٨ — ٤٢٩) كقوله : « رجل زور ، وقوم زور ، كذلك امرأة زور ونساء زور » . وانظر : السماع والقياس : لأحمد تيمور (٢٥ — ٢٦) حيث ذكر ألفاظاً من هذا القبيل ، جمعها من : القاموس المحيط وشرح الالفية للأشموني ، وشرح شواهد الشافية للبغدادي . لكنه لم يشر الى ذلك الباب من جمهرة اللغة لابن دريد ، والذي نقل عنه السيوطي في المزهر ٢١٩/٢ — ٢٢٠ .

(٧٨) المذكر والمؤنث : الفراء ، ٣٠ . وقال أيضاً (ص ٢١) : « الطريق يؤنثه أهل الحجاز ، ويذكره أهل نجد » . يراجع في كلمات أخرى اختلفت فيها الحجاز ونجد مبحث الدكتور أحمد علم الدين الجندي في كتابه (اللهجات العربية في التراث) ، (ص ٥٠١ — فما بعدها). طبع القاهرة (د. ت) .

(٧٩) المذكر والمؤنث ، للفراء ٢١ .

وكما تكون معرفة كلام العرب ، والوقوف على المروي اللغوي ، الوسيلة المثلى لمعرفة المذكر والمؤنث مما بابه السماع والنصوص ، يكون هذا المسلك نفسه الكفيل بوقف المرء على ما في العربية من مرونة عجيبة في هذا الميدان تتمثل فيما يطرأ على الاستعمال الأصليّ من تغيير أو تبادل بين المذكر والمؤنث ، وقد كشف الواقع اللغويّ أن الاستعمال لم يقف عند تصنيف الألفاظ الى مذكر ومؤنث ، بل عمد الفصحاء في مناسبات الكلام الى احلال احدهما محل الآخر ، ومنحه أحكامه وآثاره . والذي سوغ لهم هذا أنهم إنما يراعون مضمون اللفظ لا ظاهره ، ويحملونه على معناه لا على شكله . قال تعـالى : « وأحيينا به بلدة ميتاً) [٨٠] فعقب الثعالبي (٤٣٠ هـ - ١٠٣٩ م) على ذلك بقوله : « ولم يقل (ميتة) لأنه حمله على المكان » [٨١] . وكان ابن جني قد عرض من قبل لهذا ، وقـدم الشواهد الكثيرة في « فصل في الحمل على المعنى » ، ومنها قوله تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة قال : : هذا ربي) [٨٢] ، فقدّر ابن جني ذلك بقوله : « أي : هذا الشخص ، أو هذا المرئي ونحوه »[٧٣]. وكل أولئك آيات قرآنيـة عاملت المؤنث معاملة المذكر . ووقع مثل هذا في الحديث النبوي ، نحو قوله ، صلى الله عليه وسلم : « يرى مخ ساقها من وراء لحومهم أو دمائهم أو حللهم»[٨٤] قال العكبري (٦١٦ هـ - ١٢١٩) في توجيهه تذكير ضمير الجمع ، وهو للمؤنث في هذا الحديث : « إنه نزّل المؤنث منزلة المذكر على ما جرت به العادة في صيانة المؤنث » . [٨٥] فقوله : « على ما جرت به العـادة » ، يؤيد أن ذلك معروف في

(٨٠) سورة (ق) الآية ١١ .

(٨١) فقه اللغـة وسر العربية للثعالبي ص ٣٣٣ ، ط . القاهرة (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) تح : مصطفى السقا وآخرين وورد النص في هذا الموضع بلفظ : « فأحيينا » توهماً ، والصواب : « وأحيينا » . وكذلك عقب الثعالبي على قوله تعالى (المزمل ١٨) «السماء منفطر به»؛ قائلا: « فذكر السماء وهي مؤنثة ؛ لأنه حل الكلام على السقف وكل ما علاك وأظلك فهو سمـاء . والله أعلم » .

(٨٢) الأنعام الآية ٧٨ . (٨٣) الخصائص ٤١٢/٢ .

(٨٤) ، (٨٥) إعراب الحديث التنبوي، لأبي البقاء العكبري، ٩٦. (دمشق ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) تح : عبدالآله نبهان .

كلام العرب ، مألوف في استعمالاتهم . قال الأعشى (٧ هـ - ٦٢٩ م) :

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضم الى كَشْحَيْه كفاً مخضّبا[٨٦]

فاستعمل « الكف » ، وهي مؤنثة ، استعمالَ المذكر . وقال منظور بن مرثد :

هل تعرف الدارَ يعفّيها المُورْ والدَّجْنُ يوماً والعجاج المهمورْ

لكل ريح فيه ذيل مسفورْ[٨٧]

قال سيبويه : « فقال (فيه) ؛ لأن الدار مكان ، فحمله على ذلك »[٨٨] . ولذا صحّ أن يسمى هذا اللون من المؤنث « المؤنث التأويلي » .[٨٩] لأنه يـؤول بالمذكر . ولكنه يصطدم أحياناً بما لا يمكن التعويل عليه ، أو الإطمئنان إليه ، من أوجه التأويل المحتملة . وعند ذاك يختلف النحاة وأهل الشأن في تأويلهم ، ويذهبون في ذلك كل مذهب . وقد يستبد بالمرء العجب اذا هو اطلع على اثني عشر تأويلاً أو تخريجاً لاستعمال قرآني أخبر فيه عن المؤنث بالمذكر ، وهو قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين)[٩٠] ، ومن تلك الأوجـه أن ذلك تأويل للمؤنث بالمذكر ؛ حيث « تؤول الرحمة ، وهي مؤنثة ، بالاحسان »[٩١].

ومن الأحوال التي يعامل فيها المؤنث معاملة المذكر ، أن تحذف تاء التأنيث الساكنة من الفعل الذي فاعله — أو النائب عنه — مؤنث ؛ فيقال مع الفاعل المؤنث تأنيثاً حقيقياً : قدم أمس هند ، وكذا : نعم الفتاة . ويقال مع الفاعل المؤنث تأنيثاً مجازياً : طلع الشمس . وكل ذلك جائز لا واجب ، ولكنه يغدو واجباً في نحو قولهم : ما قدم الا هند ، وما طلع الا الشمس ، حيث وقع الفصـل بين الفعل والفاعل بـ « الا » والتقدير : « ما قدم أحد الا هند » و « ما طلع شيْ

(٨٦) فقه اللغة ٣٣٢ وقال آخر :

خليلي أمـا أم عمرو فواحـد وأمـا عن الاخرى فـلا تسلاني

فكان بقوله (واحد) قد « حمل المعنى على الانسان أو على الشخص » . (المصدر السابق) .

(٨٧) ، (٨٨) الكتاب ١٧٩/٢ — ١٨٠ .

(٨٩) النحو الوافي ٥٤٥/٤ . (٩٠) الاعراف الآية ٥٦ .

(٩١) بدائع الفوائد : لابن قيم الجوزية (١٨/٣ — ٣٥) . القاهرة (د. ت) تصحيح محمد منير الأزهري .

الا الشمس »[٩٢] . ويتسع هذا المظهر من مظاهر العربية مع نوعين من الجمع ، هما جمع المؤنث السالم وجمع التكسير ؛ إذْ أُعطيا حكم المؤنث المجازي ، وهو جواز أن تحذف تاء التأنيث الساكنة من الفعل معهما ، وأن تثبت ، نحو : قال الشاعرات وقالت الشاعرات ، وقال النسوة وقالت النسوة . ويرى النحاة ، وهم يعللون هذا المسلك ، أن « تأنيث الجمع ليس بحقيقي ، ولذلك اتسع فيما أسند اليه إلحاق العلامة وتركها »[٩٣] . وحين وقف ابن يعيش عند هذه المسألة شرحها بايفاء ، ساعياً للبرهنة على صحة هذا التعليل قائلاً : « وذلك التأنيث ليس بحقيقي ، لأنه تأنيث الاسم لا تأنيث المعنى ، فهو بمنزلة الدار والنعل ونحوهما ، فلذلك إذا أسند إليه فعل جاز في فعله التذكير والتأنيث »[٩٤] ، وأضاف : « ويؤيد عندك أن تأنيث الجمع ليس بحقيقي أنك لو سميت رجلاً كلاباً أو كعاباً أو فلوساً أو عنوقاً لصرفته ، ولو كان تأنيثه حقيقياً لكان حكمه حكم عقرب اذا سمّي به وسعاد في الصرف »[٩٥] وبعد أن دعم ابن يعيش مسألة الجواز هذه بما قدّم من توجيه وتسبيب ، أعلن ، وهو المفصِّل الشارح ، أنّ الجمع هنا لا يخضع لحكم واحد ، فان كان جمع تكسير « فأنت مخيّر في تذكير فعله وتأنيثه »[٩٦] ، وإن كان جمع مؤنث سالماً « كان الوجه تأنيث الفعل »[٩٧] . أما تذكيره فقليل ، حاول أن يجد له من الشواهد ، فلم يأت بشاهد الاّ القراءة القرآنية : (قبل أن ينفد كلمات ربي)[٩٨] ، وقول أحدهم :

---

(٩٢) ينظر في تفصيلات هذا الموضوع : المذكر والمؤنث لابن الأنباري ، (٦١٦ – ٦٢٣) ، والانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : الانباري ١٧٤/١ . ومما رواه الرواة حالة فريدة ، وهي أن يكون الفاعل مؤنثاً حقيقياً ، لا يفصل بينه وبين الفعل فاصل ؛ كالذي جاء في كتاب سيبويه (٣٨/٢) : « وقال بعض العرب : (قال فلانة) »

(٩٣) المفصل في علم العربية : ص ٢٠٠ .

(٩٤) ، (٩٥) ، (٩٦) شرح المفصل : ١٠٣/٥ .

(٩٧) شرح المفصل ١٠٤/٥ .

(٩٨) القراءة المشهورة هي : (قبل أن تنفد كلمات ربي) « الكهف ١٠٩ » . وأما قراءة التذكير « ينفد » فقرأ بها الزيات (أبو عمارة حمزة بن حبيب – ٥٦ ١٥/٧٧٣م)، والكسائي=

وقام إليَّ العاذلات يلمنني   يقلن : ألا تنفكّ ترحل مرحلا ؟ [٩٩]

وفاته الرجوع الى آيات القرآن الشاهدة على التذكير في القراءة المشهورة كقوله تعالى : (إذا جاءك المؤمنات) [١٠٠]، وقوله تعـالى : (وجاءهم البينات) [١٠١] مما يثير التساؤل في الحكم على هذا الأسلوب بالقلة ، ويدل على أنه لم يك مستنداً الى استقراء كافٍ للنصوص المعتمدة .

إن تذكير المؤنث ، عامةً ، واسـع في كلام العرب ؛ « لأنه ردّ فرع الى أصل » [١٠٢] على ما يقول ابن جني . غير أن ما يقـابل ذلك وهو تأنيث المذكر ، لا يتسم بالسعة والانتشار ، وهو « أذهب في التناكر والإغـراب » [١٠٣] ، لأن ذلك خلاف للأصل وخروج عنه . وإن الذي سوغ تذكير المؤنث على ما تقدم به الحديث — وهو الحمل على المعنى وترك الالتفات الى الصورة أو الشكل — هو الذي يسوغ تأنيث المذكر . قال ابن جني : « إن العرب اذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ » [١٠٤] وهـذا ييسر النظر في تلك الشواهد اللغوية المصوّرة لهذا الضرب من التصرف . قال تعالى : (وأعْتَدْنا لمن كَذَّب بالساعـة سعيراً . إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظـاً وزفيراً) [١٠٥] و« السعير »

— (أبو الحسن علي بن حمزة — ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م) . ينظر :
الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب دمشق (١٣٤٨هـ — ١٩٣٠م) تح : محي الدين رمضان ٨١/٢ — ٨٢ . والتيسير في القراءات السبع ، (لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني) استانبول (١٣٤٨—١٩٣٠م) تح : اوتو برتزل ص ١٤٦ .وكان ابن يعيش ذكر في (شرح المفصل ١٠٣/٥) قارئاً آخر ،هو ابن عامر (أبو عمران عبدالله بن عامر — ١١٨ هـ / ٧٣٦ م) . ويبدو أنه وهم . ذلك أن كتب القراءات التي وقفت عليها لم تذكرهذه القراءة لغير حمزة (الزيات) والكسائي ، وأن بعضها قد نص على أن ابن عامر إنما كان يقرأ القراءة المشهورة (تنفد) بالتأنيث . ينظر مثلا كتاب السبعة في القراءات : ابن مجاهد (أبو بكر أحمد بن موسى) القاهـرة (١٣٩٢هـ — ١٩٧٢ م) تح: د. شوقي ضيف . ص ٤٠٢ .

(٩٩) شرح المفصل ١٠٤/٥ .

(١٠٠) الرعد الآية ٣٧ .

(١٠١) آل عمران ٨٦ .

(١٠٢) ، (١٠٣) الخصائص ٤١٥/٢ . ومن وسائل تذكير المؤنث أو تأنيث المذكر اكتساب التذكير أو التأنيث بالاضافة . وسيأتي ذلك في هذا البحث .

(١٠٤) الخصائص ٤٢٠/٢ .

(١٠٥) الفرقان الآية ١٢ .

مذكر ، ولكن حمله على « النار » يسوغ التأنيث ويفسره [١٠٦]. وفي الحديث النبوي . « خير يوم تحتجمون فيه : سبع عشرة ، وتسع عشرة ، واحدى وعشرين » [١٠٧] قال العكبري في بيان معاملة المذكر معاملة المؤنث في هذا الحديث : « وقوله (سبع عشرة) وما بعده جعله مؤنثاً ، والظاهر يعطي أن يكون مذكراً لأنه خبر عن (يوم) ، والوجه في تأنيثه أنه حمله على الليل ؛ لأن التأريخ به يقع ، واليوم يتبع له ، ولهذا قال « إحدى » على معنى الليلة » [١٠٨] أما كلام العرب منثوره ومنظومه ، فقد جاء بالكثير من الشواهد والأدلة على هذا الاستعمال . ومن ذلك قول لبيد (٤١ هـ - ٦٦١ م) :

فمضى وقدّمها وكانت عادةً   منه إذا هي عرّدتْ إقدامُها

فحمل « الإقدام » ، وهو للتذكير ، على « التقدمة » وهي للتأنيث [١٠٩] .
وقول النابغة الذبياني (نحو ١٨ ق . هـ - نحو ٦٠٤ م) :

أتهجر بيتاً بالحجاز تلفعت   به الخوف والأعداء من كل جانب

فحمل (الخوف) على (المخافة) [١١٠] .

---

(١٠٦) ينظر فقه اللغة للثعالبي ، ص ٣٢٣ .
ومن هذا أيضاً قوله تعالى « يونس ٩٠ » : لا آله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل ؛ فقد عوملت (بنو) - وهي للمذكر - معاملة المؤنث حملا على معنى (الجماعة) . ينظر : جواهر الادب للاربلي ، ص (٥٦) .

(١٠٧) اعراب الحديث النبوي للعكبري ، ١١٤ . ويلاحظ في النص (إحدى وعشرين) مع أنه في موضع العطف على الخبر ، قال العكبري في وجه من الاوجه التي خرج بها الحديث ص (١١٥) : « وفيه وجه ثالث : وهو أن يكون أراد : يوم سبع عشرة ، ويوم تسع عشرة ، فحذف المضاف . ومثله قوله صلى الله عليه وسلم : (من صام رمضان وأتبعه بست) أي : بأيام ست ليال . وأما قوله (إحدى وعشرين) ففي هذه الرواية (عشرين) بالنصب ، والجيد أن يكون مرفوعاً . » وللحديث رواية أخرى هي قوله صلى الله عليه وسلم : « من احتجم بسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين كان شفاء له من كل داء . » (سنن أبي داوود بحاشية عون المعبود لمحمد أشرف عظيم آبادي : الهند - ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م - ٣/٤) . وليس في هذه الرواية إشكال .

(١٠٨) اعراب الحديث النبوي ، ١١٥ .

(١٠٩) ، (١١٠) الخصائص ٤١٥/٢ .

وقول النواح الكلابي :

فان كلاباً هذه عشر أبطن   وأنت بريء من قبائلها العشر

فحمل « البطن » على « القبيلة » ، [111] وغير هذا وذاك [112] .

ومن أحوال تأنيث المذكر وصفه ، أو الأخبار عنه بالمؤنث ؛ كأن يقال « هذا رجلٌ ربعةٌ » ، وغلام يَفَعَة » [113] . وفي هذا دلت الشواهد على أن مما يجوز في كلام العرب الإخبار عن اسم (كان) المذكر بالمؤنث اذا تقدم الخبر على الاسم . وكان ابن الأنباري عقد باباً في كتابه « المذكر والمؤنث » دعاه : « باب المذكر الذي يجعل اسم (كان) ويجعل خبره مؤنثاً مقدماً عليه » [114]

(١١١) الخصائص ٤١٧/٢ . وينظر الكتاب ٥٦٥/٣ .

(١١٢) كقول رويشد بن كثير الطائي :

يأيها الراكب المزجي مطيته   سائل بني أسد : ما هذه الصوت ؟

[لسان العرب (ص / و / ت)] . فقد حمل (الصوت) على (الجلبة) . ينظر في هذا الشاهد وفي شاهدين آخرين أحدهما للأعشى والآخر لعمر بن أبي ربيعة (٩٣ هـ / ٧١٢ م) الخصائص ٤١٦/٢ ، وفقه اللغة ٣٣٢) . ولم يكن هذا اللون من التعبير لينحصر في الشعر ؛ فقد « حكي عن الأصمعي عن أبي عمرو أنه سمع رجلا من أهل اليمن يقول : (فلان لغوب جاءته كتابي فاحتقرها) ! . » ولكن مثل هذا التعبير عن المراد لا يخلو من الإغراب أو الاخذ بهذا الاسلوب الى أبعد مما هو مألوف ، لذلك سأله أبو عمرو : « أتقول : (جاءته كتابي) ؟! فقال : نعم ؛ أليس بصحيفة ؟!. » ثم سأله ثانية : « فا اللغوب ؟ قال : الأحمق . » الخصائص ٤١٦/٢ . وانظر :

نزهة الالباء في طبقات الأدباء (ص ٣٥) الانباري ، بغداد (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) تح : د. ابراهيم السامرائي ومجلة « الرسالة » القاهرية: ٧ (١٣٥٧ هـ / ١٩٣٩ م): (ص ١١٣٢) .

ومن هذا الباب أن يعمد الى جمع اللفظة المذكرة جمع تكسير على أحد الأوزان الخاصة بجمع الألفاظ المؤنثة ، كوزن (أفعل) نحو أن يجمع (رسول) المذكر على (أرسل) في مثل قول الشاعر :

لو كان في قلبي كقدر قلامة   حباً لغيرك قد أتاها أرسلي.

قال ابن جني (الخصائص ٤١٦/٢ -٤١٧) بأن الرسول هنا « إنما يراد به المرأة ؛ لأنها في غالب الأمر مما يستخدم في هذا الباب » وأضاف : « وكذلك ما جاء عنهم من جناح وأجنح . وقالوا : ذهب في التأنيث الى الريشة » .

(١١٣) الكتاب ٢١٢/٢ . وانظر ٢٣٧/٣ منه ، وكذا « المذكر والمؤنث » للمبرد (ص ١٠٢) .

(١١٤) يقع الباب في ص (٦٠٧ - ٦١٠) من الكتاب .

ابتداَه بقوله : « اعلم أن اسم (كان) اذا كان مذكراً ، والخبر مؤنثاً مقدماً عليه ، كان لك في (كان) وجهان : التذكير والتأنيث . تقول من ذلك : « كان رحمةً المطرُ الذي أصابنا البارحة ، وكانت رحمةً » . [115] ثم استشهد ابن الأنباري ببيت لبيد السابق ذكره قبل قليل ، وببيتين آخرين هما :

أزيد بن مصبوح فلو غيركم صبا غفرنا وكانت من سجيتنا الغفرُ
أجـرت عليهمُ فأبَوْا وكـانت بديعاً أن يكـون وليَّ أمرِ [116]

وواضح من هذا كله أن المدار على المعنى ، وأن تأنيث المذكر أو تذكير المؤنث قد جرت به ألسنة الفصحاء والبلغاء أصحاب هذه اللغة ؛ فتكلموا لهذا ، غير مترددين فيما انتهجوا من طريق ، وما أبدعوا من تركيب . وإذا كان النهج سليماً ، والأساس متيناً ، جاءت العربية بأسلوب أرحب في هذا الشأن ، يصحّ الأخذ به والسير عليه اذا ألتُزِم شرطُه . ذلك هو اكتساب المضاف المذكر التأنيث من المضاف إليه على أن يصح حذف المضاف وأن يستقيم المعنى بوجود المضاف إليه وحده . وضرب ابن الأنباري على ذلك مثلاً إيضاحياً مبيناً أنه يقال في العربية « قطع أنف هند ، ولا يجوز : قطعت أنف هند ، لأنك لا تقول : قطعت هند ، وأنت تريد : قطع أنفها » [117] . أما سيبويه ، فعرض للمسألة بإشارة الى أمر آخر لا يصحح تأنيث المضاف الا به ، وهو أن يكون هذا المضاف بعضاً من المضاف اليه ، فقال : « وربما قالوا في بعض الكلام : ذهبت بعض أصابعه . وانما أنث البعض ؛ لأنه أضافه الى مؤنث هو منه ، ولو لم يكن منه لم يؤنثه ؛ لأنه لو قال : ذهبتْ عبد أمك لم يحسن » [118] . بل يجب التذكير هنا .

(١١٥) المذكر والمؤنث : ابن الانباري ، ٦٠٧ .
(١١٦) الشواهد الثلاثة في المصدر السابق ، ٦٠٨ .
(١١٧) المصدر السابق ، ٥٩٣ .
(١١٨) الكتاب ٥١/١ . وانظر ٤٠٢/١ منه . وكذا : النحو الوافي ٦٢/٣ حيث تلخيص الشرطين وترتيبها على هذا النحو : « أولهما – أن يكون المضاف جزءاً من المضاف إليه ، أو مثل جزئه ، أو كلا له . وثانيهما – أن يكون المضاف صالحاً للحذف ، وإقامة المضاف إليه مقامه من غير أن يتغير المعنى » .

أما عكس هذه الصورة ، أي تذكير المضاف المؤنث ، بسبب اضافته الى المذكر ، فلا يصح الا بما صحَّ به الصنيع الأول ، وهو تأنيث المذكر من اشتراط ، ومثاله قول بعضهم :

إنارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراً[١١٩]

بيد أن صحة هذا التركيب ، لا تبيح القياس عليه ، لقلته في المنصوص الفصيح من كلام العرب [١٢٠] ، خلافاً للصورة الأولى المدعومة بشواهدها الكافية لعدّها أصلاً صالحاً للنسج على منواله . ولو نظر المرء في النص القرآني للفت نظره هذا التركيب الإضافي : «كل نفس»، الذي ورد في آيات كثيرة من القرآن معاملاً معاملة المؤنث ؛ مثل :

« وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » [١٢١] « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » [١١٢] « كل نفس ذائقة الموت » [١٢٣] « إن كل نفس لما عليها حافظ» [١٢٤] « ووفيت كل نفس ما عملت» [١٢٥] . وآيات أخرى [١٢٦] .

(١١٩) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمدمحيي الدين عبدالحميد القاهرة(د.ت)(ص ٣٨٧) . وقد ذكر ابن هشام صدر البيت. أما العجز فذكره محقق الكتاب في هامش الصفحة نفسها ، وقال : « لم أجد أحداً نسب هذا الشاهد الى قائل معين ، ورأيت من يذكر أنه مصنوع ، وأنه لبعض المولدين . »

(١٢٠) احتج ابن هشام في البيت المجهول القائل والمشار إليه في الحاشية السابقة ، ثم قال (أوضح المسالك ٣٨٨) : « ويحتمله : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) » - الاعراف ٥٦ . وانظر شرح ابن عقيل ٥٠/٣ - ٥١ ، وبدائع الفوائد ٢٩/٣ - ٣٠ ؛ حيث ذكر ابن القيم ما احتج به أصحاب هذا الرأي من أن القياس يقضي باجازة تذكير المؤنث بالإضافة ؛ لأنه حمل للفرع على الأصل ؛ فهو أولى من تأنيث المذكر الذي يحمل الاصل على الفرع . غير أن هذا أمر نظري ، وأن واقع اللغة يشهد بكثرة المسموع من تأنيث المذكر اذا قيس بالمسموع من تذكير المؤنث .

(١٢١) سورة ق الآية ٢١ .

(١٢٢) سورة النحل الآية ١١١ .

(١٢٣) سورة آل عمران الآية ١٨٥ ، الأنبياء الآية ٣٥ ، العنكبوت الآية ٣٧ .

(١٢٤) سورة الطارق الآية ٤ .

(١٢٥) سورة آل عمران الآية ٢٥ ، الزمر الآية ٧٠ .

(١٢٦) كما في : البقرة الآية ٢٨١ ، آل عمران الآية ٣٠ ، الرعد الآية ٣٣، ٤٢، إبراهيم =

أما في الشعر ، فللنحاة شواهدهم الكثيرة ، ومنها قول الأعشى (٧هـ - ٦٢٩) :

وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شَرِقت صدرُ القناة من الدم [١٢٧]

وقول جرير (١١٠ هـ - ٧٢٨ م) :

لما أتى خبر « الزبير » تواضعت ... سور المدينة والجبال الخشع [١٢٨]

وقوله أيضاً :

أرى مر السنين أخذن مني ... كما أخذ السِرار من الهـــلال [١٢٩]

وقول ذي الرمة (١١٧ هـ - ٧٣٥ م) :

مشين كما اهتزت رماح تسفهت ... أعاليَها مرّ الرياح النواسم [١٣٠]

وغير ذلك من شواهد الشعر [١٣١] . وكذلك احتج النحاة بأقوال نثرية من عصور الاحتجاج اللغوي ، كأن يقول أحدهم : « من كانت أمك ؟ ؛ « حيث أوقع

= الآية ٥١ ، طه الآية ١٥ ، السجدة الآية ١٣ ، غافر الآية ١٧ ...
ومما احتج به النحاة على اكتساب المذكر تأنيثه بالاضافة القراءة القرآنية : (تلتقطه بعض السيارة) . « ينظر : الخصائص ٤١٥/٢ » . والقراءة المشهورة هي : « يلتقطه » (يوسف ١٠) . أما قراءة التأنيث تلك فقرأ بها الحسن البصري (١١٠ هـ / ٧٢٨ م) وآخرون . جاء في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٧٤٥ هـ / ١٣٤٥م) : « وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة وأبو رجاء : تلتقطه ، بتاء التأنيث . أنث على المعنى » وينظر : المذكر والمؤنث لابن الأنباري (ص ٥٩٢ . . واحتمل ابن هشام أن يكون من هذا الباب قوله تعالى « الاعراف ٦٠ » : (فله عشر أمثالها) ، وقوله تعالى « آل عمران ١٠٣ » : (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) ينظر : مغني اللبيب ص ٥٦٧ ».

(١٢٧) الكتاب ٥٢/١ ، والمذكر والمؤنث لابن الانباري ٥٩٣ .

(١٢٨) الكتاب ٥٢/١ ، والمذكر والمؤنث لابن الانباري ٥٩٥ .

(١٢٩) المذكر والمؤنث لابن الانباري ٥٩٥ .

(١٣٠) الكتاب ٥٢/١ ، والمذكر والمؤنث لابن الانباري ٥٩٦ .

(١٣١) لشعراء مشهورين أيضاً أمثال عنترة بن شداد (نحو ٢٢ ق . هـ / نحو ٦٠٠ م) ، والنابغة الذبياني (نحو ١٨ ق . هـ / نحو ٦٠٤ م) والطفيل الغنوي (نحو ١٣ ق . هـ / نحو ٦١٠ م) . ينظر في ذلك : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، والمنصف لابن جني ١٩٩/٢ ، والمغني لابن هشام ٢١٧ .

(مَنْ) على مؤنث »[132] ، وقـول الآخر : « اجتمعت أهل اليمامة » ، وفيه يقول سيبويه : « لأنه يقول في كلامه : اجتمعت اليمامة ، يعني أهل اليمامة ، فأنث الفعل في اللفظ ؛ إذ جعله في اللفظ لليمامة ، فترك اللفظ يكون على ما يكون عليه في سَعَة الكلام »[133] . وهكـذا يكون إحلال المذكر محل المؤنث ، أو إحلال المؤنث محل المذكر ضرباً من التصرف اللغوي تقتضيه المناسبة الكلامية ، حاملاً الدلالة على براعة المتكلم ، وحسن قدرته على انتقاء الصورة التعبيرية ، وتفضيلها على غيرها في مواضع الاقتضاء .

إن هذا البحث ، وقد سار هذا الشوط ، ينتهي الى أن العربية سلكت في إيجاد ألفاظ التذكير والتأنيث المسالك المناسبة لطبيعة الوضع اللغوي . فقد خصت المذكر بألفاظ موضوعة وضعاً ، كما يُبدع أيّ لفظ آخر إبداعاً لإطلاقه على أحد المسميات ، ثم خصت المؤنث بلفظ خاص به لا علاقة له بلفظ المذكر ، بل أطلقته بطريقة الوضع اللغوي أيضاً . فان لم تستخدم هذا الأسلوب ، لجأت الى أسلوب آخر يقوم على الاعتماد على اللفظ المذكر في صنع اللفظ المؤنث . وذلك بإلحاق علامة التأنيث باللفظ المذكر ، وهو كثير شائع في الصفات ، قليل نادر في الأسماء . بيد أن ألفاظاً أخرى ، مما لا يطلق على المذكر الحقيقي أو المؤنث الحقيقي ، اختلفت اللهجات العربية الفصيحة في تذكيرها وتأنيثها ، فذكِّرت اللفظة في لهجة ، وأنِّثتْ في غيرها ، فلم يكن أمام علماء العربية الا إجازة الوجهين معاً ، والإقرار بصحتها ؛ لأن الناطق على قياس لهجة فصيحة مصيب غير مخطىء ، ولأن هذه الألفاظ المشتركة بين المذكر والمؤنث مجلودة مبينة في المصادر وأما العلامة فالاصل فيها أنها فارقة بين المذكر والمؤنث .

(١٣٢) الكتاب ٥١/١ .
(١٣٣) الكتاب ٥٣/١ .

بيد أنها لم تبقَ على أصلها في كثير من الألفاظ ؛ فقد جاءت مع المؤنثات الحقيقية التي لا يلتبس أمرها على أحد ، لوجود المذكر المقابل ، بل جاءت مع كثير من الألفاظ المذكرة التي لا تطلق الا على المذكر ! ! في حين تخلت عن بعض المؤنثات المجازية التي لا مذكر يقابلها ، فيسعف في الفصل والتمييز . ووقع مثل ذلك في بعض الكلمات المشتركة بين المذكر والمؤنث ؛ إذ وردت العلامة مع قسم منها دون القسم الآخر ، ولم تكن في الحالتين بالفاصلة الفارقة . وهكذا يبدو جلياً أن العلامة ليست هي الكافية دائماً في التشخيص والتحديد ، وأن التوجه نحو الاستعمال العربي الفصيح نفسه هو الكفيل بتجلية الأمر والإحاطة به ، مع المعرفة التامة بما قرره علماء العربية وما حددوه من مسير العلامة وأوضاعها ، ولا سيما اطرادها في صنع الصفات المؤنثة المشتقة من الوصف المذكر ، ثم تحديد الصفات المشتركة بين المذكر والمؤنث في صيغ صرفية ثابتة مطردة ، وحصر المؤنثات السماعية بألفاظ أفردوها بالتأليف والترتيب تيسيراً .

ذلك في شأن الوضع . أما في الاستعمال فإن التذكير أصل في كلام العرب ، والتأنيث فرع يعود إليه ، وذلك رتّب آثاراً في تكوين الجمل والعبارات وتوجيهها من حيث النوع (التذكير والتأنيث) حيث تقوم الجملة العربية على مراعاة ركنين ثابتين : النوع والعدد . وكان من تلك الآثار التغليب ؛ إذ يُغلّب المذكر على المؤنث في حال اجتماعهما في كلام ، ويُحكم على الشيء المجهول نوعه بأنه مذكر دائماً . ولقد دل الاستعمال العربي كذلك على ظاهرة أخرى ، هي أن من سنن العربية وطرائقها اللاحبة أن المتكلم بها قد يحمل على المعنى ، لا على الصورة ، وأنه لا يلتفت آنئذٍ الى ما عُرف عن الكلمة من تأنيث أو تذكير ؛ فهو يُحلّ المذكر محل المؤنث ، مثلما يُحلّ المؤنث محل المذكر ، في مناسبات شتى يجد فيها مسوغاً لهذا التصرف الدلالي الدقيق المنفلت من دائرة الجنس

الشكلي أو العلامة الخارجية . ومن هنا الشواهد اللغوية المبرهنة على أن تذكير المؤنث في العربية كثير (عدا التذكير بالإضافة) ، وأن تأنيث المذكر فيها كثير بالإضافة (قليل بغيرها) ، وأنه ، بالاستناد الى هذه الحصيلة ، يمكن القياس على ما كان كثيراً من هذا اللون ، وانتهاج الطريق نفسها ، فنؤنث المذكر بوساطة الاضافة ، ونذكر المؤنث حملاً على المعنى في غير حالة الاضافة . . . وكل اولئك مشروط بما وُجِد عليه الاستعمال الفصيح في أزمنة الاحتجاج اللغوي من مراعاة دقيقة للمناسبة الكلامية ، والقدرة على حفظ موسيقى التراكيب ، والعبارات وتماسك بنائها وسلامته .



حول العلاقة العضوية المتينة

بين علم الوراثة والمجتمع البشري

عباس احمد الصالح

كلية العلوم ـــ جامعة بغداد

قسم علوم الحياة

من المعروف ان كل عصر من العصور يتميز بسمات معينة تؤطرها وتحصرها صفات وخصائص حتمية تمليها وترسمها ظروف ومقاييس لا يمكن التهرب منها او التخلص من تأثيراتها .

ويواجه مجتمعنا في الوقت الحاضر مشاكله الخاصة انطلاقاً من تلك السمات والخصائص حيث تتعلق مشاكل المجتمع في الوقت الحاضر بمقدار القلق الذي يسيطر على مشاعر الانسان وبمقدار الحيرة التي يواجهها بما يتعلق بالتغيرات المستمرة على نطاق البيئة الاجتماعية وتأثير ذلك في طبيعة الحياة وتسهيلات امور العيش والتطلع الى معرفة العوامل المؤثرة في ذلك ومحاولة ايجاد الحلول المناسبة لها .

ونحن في الوقت الحاضر اكثر اكتراثاً وقلقاً تجاه القضايا الاجتماعية الحرجة من أي وقت مضى وقد زادت التطورات في شبكة النقل العالمية وارتفاع مستويات الثقافة والعلوم من حدة هذا القلق . وفي الحقيقة نحن نواجه في الوقت الحاضر من المشاكل وتعددها وكثرتها ما لم يواجه الانسان مثله في اي عصر من العصور الماضية . ذلك أننا أضفنا إلى الكوارث الماضية المسببة عن الحروب المحلية والأمراض

الفتاكة وغيرها من الكوارث الطبيعية ، أضفنا في عصرنا الحاضر إمكانية إفناء الجنس البشري عن طريق احتمال حدوث حرب نووية أو حرب كيمياوية ـ بايولوجية أو عن طريق تلوث الغذاء الذي تعتمد عليه الحياة . وبالاضافة الى هذا وذاك عدم التأكد من الخط التطوري الذي سيصير اليه الانسان في المستقبل .

هذا وإن كثيراً من معضلاتنا الحرجة في العصر الحاضر تتعلق بشكل أو بآخر في تنامي تطور التقنية Technology وبذلك فانها تتعلق بالعلم نفسه ذلك أن التقدم التقني في الطب Medicine وفي الزراعة Agriculture والنقل Transportation وغيرها قد أدت إلى تزايد هائل في عدد السكان Population والى زيادة كبيرة في معدل عمر الفرد مما سيؤدي حتما الى استهلاك هائل للموارد الطبيعية . وعلى الرغم من أن التقنية الحالية تستطيع ان تعالج في الوقت الحاضر مشاكل تزايد السكان وما يرتبط بها من علل التلوث وسوء استعمال الموارد الطبيعية فان ما ستصير اليه الحال في المستقبل تؤلف مشكلة جديرة بالاهتمام والدراسة على الرغم من أن اغلبنا تحدوه رغبة في تركها إلى الاجيال القادمة آملين أن تتوفر لنا الامكانات لتكشيف القضايا المطروحة آنياً بكل ما نستطيع أو نتمكن من التعقل والتريث

وعلى هذا الاساس زاد اهتمام الانسان في الوقت الحاضر بدراسة الوراثـــة وما تتضمنه من امكانات في حل قضايا الانسان والكائنات الأخرى التي لهـــا علاقة بشكل أو بآخر بقضايا الانسان ومستقبله على النطاقين الطبيعي والاجتماعي وقد زادت تلك الدراسات على النطاقين العمودي والافقي وهذا ما يجعلنا نؤكد أن علماً جديداً متكونا من تركيب عدة علوم سينبثق في وقت قريب ومن المحتمل أنه سيسمى علم البشرية Science of Mankind

ويتطلب التعرف على العلاقة بين المجتمع البشري وعلم الوراثة وما يمكن أن يسديه هذا العلم من أسس ومعالم تساهم في إحداث نقلات نوعية في طبيعة المجتمع

ودفعه صعداً في سلم الارتقاء والتطور إضافة إلى الأخذ بيد المجتمع ومحاولــة تخليصه من المعاناة والمتاعب في الوقت الحاضر وما يحتمل أن يواجهه مستقبلا على نطاق التخلص أو المعالجة للأمراض الموروثة المسببة عن تأثير البيئة والوصول بالمجتمع إلى نوع من التنسيق والتجانس مع ظروفه الحاضرة والمقبلة بشكل يؤدي به إلى نوع من الرفاء والرفاه والاطمئنان والأمان . . يتطلب هذا وذاك استغلال علم الوراثة باعتباره علم استمرارية الحياة على أساس أن أهم ما يرثه الانسان هــو الحياة وأن علم الوراثة لايمكن أن يكون شيئاً من دون وجود الحياة . يتطلب هذا استغلال علم الوراثة بكل ما يمت بصلة الى حياة الانسان كعلاقة علم الوراثــة بالزراعة وتحسين النبات والحيوان وعلاقة علم الوراثة بمخاطر البيئة والوراثة وسلوك الانسان والوراثة والشيخوخة والوراثة ومشاكل عدد السكان وعلم الوراثة الطبية والاستشارة الوراثية وعلم الوراثة والتطور البشري والمعالجة الجينية ومستقبل الانسان وسنحاول أن نوضح هذه النقاط وبايجاز شديد على الشكل التالي :

أولا – علم الوراثة والزراعة : Genetics and Agriculture

نظراً لكون العامل الغذائي يؤلف أساساً صلدا لا يمكن أن يستغنى عنه في توفير الصحة الجيدة للبشر وتحقيق الرفاه والسعادة من وراء ذلك نرى أن الإنسان قد كرس كثيرا من جهوده في استغلال ما توفر لديه من وسائل ومعلومات وراثية كرافد مــن روافد تحسين النبــات Plant Breeding وتحسين الحيوان Animal Breeding حيث تمكن باستغلال هذا العلم من تكوين سلالات جديدة تختلف عن السلالات القديمة من ناحية كمية الإنتاج اومقاومة الامراض أو قابلية التواؤم مع البيئة مما أدى إلى زيادة عمودية ملحوظة في كمية الانتاج النباتي والحيواني على حد سواء .

وخير أمثلة على ما ذكرناه ماحققه الإنسان من زيادة في إنتاج الذُرة على النطاقين الكمي والنوعي باستغلال الاسس الوراثية والتوصل الى ما يسمى بالذُرة الهجين Hybrid Corn واستغلال نشاط الهجين هذا لصالح الانسان فــي

تغذيته ورفاهه . وكما قيل عن الذرة الهجين يمكن ان يقال عن الثورة الخضراء Green Revolution التـــي حدثت فـــي تطوير انتاجية الحنطة والشعير وغيرها من الحبوب إضافة الى البقوليات ومختلف أنواع النباتات .

ومما لاشك فيه أن الدور الذي لعبه علم الوراثة في زيادة الانتاج النباتي قد مكن الانسان من التغلب على مجاعات محتملة نتيجة للتزايد المضطرد في عدد السكان Population وزيادة معدل عمر الانسان Longevity من جهة ثانية . كما أدى كذلك بالتعاون مع استغلال الأسس الوراثية إلى زيادة كبيرة جارية في الوقت الحاضر لاستنباط أسس وطرق جديدة لما يسمى الهندسة الوراثية Genetic Engineering للوصول إلى مجال أبعد فـــي تحسين النبات والحيوان عـــن طريق مـــا يسمى المزارع النسيجية Tissue Culture .

إن الغذاء المتنوع الكامل إذا ما توفر للانسان فان أثره سيكون بالغا على الهيئة الاجتماعية وذلك بنقلها نقلة نوعية مهمة حيث سيتميز أفراد المجتمع عند ذاك بقدرات وامكانات لا يمكن أن تتوفر في الافراد الذين يعانون من سوء التغذية . وعلى هذا الأساس يكون علم الوراثة قد خدم البشرية خدمة كبيرة بدفعها خطوة واسعة نحو الرقي والتقدم .

ثانياً ــ الخصائص الوراثية ومخاطر البئية .

Genetic Aspects & Environmental Hazard

لقد كـــان اكتشاف ملر H.J. Muller وستادلر L.J. Stadler سنة ١٩٢٧ م كلا على انفراد في أن الأشعة السينية X–Radiation تحفز حدوث الطفرات ، يعتبر الإشارة الأولى في أن العوامل البيئية تتمكن مـــن زيادة حمل النقائص الوراثية في المجتمع البشري . وقد أعلن ملر بعد التأكد من تجاربه بأن استعمال الإشعاع من دون تمييز أو تمحيص في الطب والصناعة يؤلف خطراً كامنا على الصحة العامة .

هذا وقد حفز هذا الاكتشاف كثيرا من الوراثيين لدراسة تأثير عوامل بيئوية

مختانفة على إحداث الطفرات في الإنسان والمخاطر التي قد يتعرض الانسان لها من جراء استعمالها أو التعامل معها . ومن الامثلة على ذلك العوامل البيثوية للسرطان كدخان السكاير وأصباغ الشعر ومادة السايكلاميت Cyclamates المستعملة كمُحلٍ صناعي (روح الشكر) والتي منع استعمالها في كثير من الاقطار سنة ١٩٧٠ م لكن الشركات الصناعية المسؤولة عن انتاجها مازالت تضغط وتستعمل أساليبها في سبيل اعادة السماح باستعمالها . وما قيل عن السايكلا ميت يمكن أن يقال عن مادة الساكارين Saccharin التي تستعمل من قبل المصابين بمرض البول السكري Diabetes .

كذلك أثبتت الدراسات أن مادة حامض لايسرجك (LSD) Lysergic Acid المستعملة كدواء نفساني ومادة كلوريد الفنيل Vinyl chloride الغاز المستعمل لصناعة البلاستك الخاص باسطوانات الفونوغراف وصناعة البلاستك الخاص بتغطية أرضية وجدران بعض الأبنية ، وجد أن هذه المواد تكون كعامل بيثوي حافز لإحداث الطفرات Mutagen

والجدير بالذكر أن عدد العوامل البيثوية ذات الامكانية في احداث الطفرات قد تضاعف مرات لا يمكن حسابها نتيجة للتقدم التقني في عصرنا الحاضر . فنحن في مجتمعنا الصناعي النامي نتعرض الى ما يقرب من (٥٠٠ر٠٠٠) خمسمائة الف مادة مختلفة لم يدرس أو يحلل أغلبها فيما يتعلق بالتأثيرات الفلسجية والوراثية . وقد زاد هذه المسألة تعقيداً قبول الاشعاع والمواد الكيمياوية المختلفة كأسلحة للحروب . وعلى هذا الاساس فاننا نستطيع القول بأن قابلية الطفور وزيادة أو تسريع حدوثها بالعوامل البيثوية المختلفة يعتبر خطرا هائلا وكامنا على الصحة لا على مستوى الفرد أو مستوى قطر من الأقطار بل على مستوى عالمي .

ونحن عندما نتحدث عن هذه الناحية فانما نتحدث عن تأثير عوامل بيثوية محدودة على احداث الطفرات في أفراد الجنس البشري . مع علمنا مقدما أننا

لسنا بمستوى معرفة أي من تلك العوامل التي تكون أكثر خطرا إضافة إلى جهلنا الكبير بمكنيـــة Mechanism التأثير كمسبب لإحداث التغيير الوراثي . ولنحاول أن نضرب على ذلك بعض الأمثلة . إن ما نشر حول اعتبار (LSD) كعامل من عوامل إحداث الطفرات ، لكن جميع ما نشر لا يشير بصورة أكيدة الى أن هذه المادة تسبب تكسيرا في الكروموسومات Chromosomes Breaks ومع هذا فقد منع استخدام هذه المادة باعتبارها قد تؤدي الى تغيرات وراثية .

والمارجوانا Marijuna مثال آخر لعدم التأكد اذ يلاحظ عـــلى مـــا نشر لحد الآن أن هناك فريقين أحدهما يؤيد كون هذه المادة خطرة بسبب كونها عاملا من عوامل إحداث الطفرات ، أما الفريق الآخر فينفي مثل هـــذا الافتراض ويؤكد على صحة نفيه . وبالاضافة الى ذلك هناك مواد كيمياوية عديدة تبدو غير مؤذية للمادة الوراثية ولكنها تصبح مؤذية عندما تتأيض داخل الجسم إلى مركبات أخرى . أما اعتبار أن بعض الفايروسات البشرية كمسبب لانكسارات كروموسومية معينة فما زالت بحاجة الى تأكيد . ولأننا وبكل تأكيد على جهل كبير بتأثير التلوث Pollution على المادة الوراثية فان الأمثلة التي أوردناها كانت قليلة ومحدودة ولا تمثل بالضرورة أمثلة مثلى لايضاح تأثير العوامل البيئوية على قابلية الطفور .

والحقيقة إن ما يهمنا في الوقت الحاضر هو أن المواد الجديدة والمواد التي صارت تستعمل في الوقت الحاضر على نطاق أوسع يجب أن تدرس دراسة مضبوطة ومعمقة من ناحية احتمال تأثيرها على التركيب الوراثي للانسان واضعين نصب أعيننا أن تأثير هذه المواد أو العوامل لا يشترط أن يظهر تأثيره في الجيل الحالي ، بل قد يمتد تأثيره ليظهر في الأجيال القابلة . وبالاضافة إلى ذلك فإن التأثير المنخفض أو الواطيء يجب أن لا يستهان به عـــلى اعتبار أن التأثير يكون تجمعياً Additive or Cumulative في كثير من الأحيان . فالكافئين Caffeine

الموجود في القهوة والشاي وانواع الكولا Cola يستعمل كثيرا وعلى نطاق عالمي واسع . ولهذا فان دراسة تأثيره أصبحت ضرورة حتمية حتى ولو ثبت أن تأثيره بسيط أو واطئ . ذلك أن المادة التي تستعمل بكثرة والتي تكون بسيطة التأثير قد ينجم عنها ضرر أكبر من المادة ذات التأثير العالي والتي تستعمل على نطاق محدود .

ثالثاً — الجينات والسلوك : Genes and Behaviour

إن كل شئ في الطبيعة يتميز بحركة دائمة مستمرة وإن حركة الأشياء هذه لا يمكن أن تكون مستقلة أو عشوائية ، بل هي على العكس محكومة بقوانين واسس معينة لا يمكن أن تجري إلا بموجبها . ولذا فان الأشياء بموجب ما ذكرنا تتداخل فيما بينها فتتأثر بما يحيطها وتؤثر في ما يحيطها ، أي أنها تكون منفعلة وفاعلة في وقت واحد فتتغير بتأثير ما يحيط فيها وتغيّر بتأثيرها فيما يحيطها .

ولاشك في أن عالمَ الأحياء يمثل جزءاً صغيراً من عالم كوكبنا ينطبق عليه من الخصائص والصفات التي تتميز بها الاشياء مع وجوب عدم إهمال نقطة مهمة بهذا الصدد وهي أن جسم الكائن الحي بلغ مستوى من التعقيد في تركيبه يمثل درجة هائلة من التنظيم Organization والتنسيق Coordination والتواصل Transport بين أجزائه بشكل تصبح مقارنته بأعقد الأدوات والآلات الصناعية غير ذات معنى . والكائن الحي لهذا السبب توفرت له امكانية التكون الذاتي Self - Reproduction والمحافظة المستمرة على حالته Labile Steady State بامكانية تجهيز نفسه وعبر تراكيبه المعقدة بطاقة عالية الدرجة High Grade Energy تحافظ على كينونته وتمنعها من الانحلال والتدهور Entropy

وعلى هذا الأساس فإن الكائن الحي إذا ما قورن ببقية الأشياء الموجودة على كوكبنا يتميز بخصوصية معينة تنبع من النقاط المذكورة أعلاه فيكون فعله في الاشياء واستجاباته عن فعل الاشياء فيه مختلفة الى حدّ ما عن علاقة الاشياء غير الحية بعضها ببعض .

ويطلق على فعل Action الكائنات الحية الناجم عن دوافع معينة كالتفتيش عن الماء والغذاء والجنس والمنافسة والابتعاد عن ظروف وعوامل ضارة يطلق على مثل هـــذه الافعال السلوك Behaviour وإذا علمنا أن الكائنات الحـــية ليست على شكل واحد من النواحي الوراثية والتركيبية والوظيفية ، فإن نوعية سلوك الكائنات الحية ستتحدد بدرجة التكامل العضوي بين الإمكانات الوراثية والتركيبية والوظيفية من جهة ، والظروف والعوامل البيئوية المختلفة من جهة ثانية .

وليس من قبيل المصادفات ما نلاحظ من تعقيد وصعوبة تفسير ومعالجة سلوك الانسان . فالإنسان الذي تربع على عرش قمة التطور بالنسبة للكائنات الحية الأخرى لم يكن وصوله الى هذه القمة اعتباطيا ، فامكاناته الوراثية ومن بعد ذلك امكاناته المورفولوجية والتركيبية والفسلجية هي التي أهلته للوصول إلى تلك القمة باعتبار أنها زودته بإمكانات مواءمة مع الظروف البيئوية لا تتوفر في بقية الأحياء . وللسبب ذاته فان مدى التفاعل Norm of Reaction يفعل فعله في خلق متغايرات سلوكية واسعة ومعقدة يعسر تشخيصها أو إرجاع سبب حدوثها إلى عوامل وراثية أو بيئوية محددة معينة بالذات ذلك أنها في الغالب تحدث نتيجة لتأثير عوامل متعددة Multifactors متشابكة ومتداخلة .

والهيئة الاجتماعية بطبيعة الحال تحاول أن تعرف أسباب سلوك الانسان بهذا الاتجاه أو بذاك لكي ترده إلى أصوله وتحاول أن تجعله منسجما ومصلحة الفرد من جهة ، ولمصلحة المجموع من جهه ثانية . وبغية الوصول الى هـــذا الهدف استغلت بعض الأمراض الوراثية المسببة عن الشذوذ الكروموسومي Chromosomal Aberation كعرض داون Down's Syndrome وكلاينفلتر Klinefelter وترنر Turner وغيرها كما استغلت بعض الأمراض الوراثية المسببة عن طفرة جينية والتي تؤدي إلى اختلال فسلجي معين كمرض الكالاكتوسيميا Galactosemia ومـــرض بـــول الفنيـــل كيتـــون

(Pku) Phenyl Ketoneuria ومرض البول السكري Diabetes وغيرها . كما استغلت أمراض نفسية يعتقد أن لها علاقة بالوراثة كمرض الفصام Schizophrenia ومرض المواقف العدائية Aggression والكحولية Alcoholism

ويشير الاتجاه الحديث في دراسة المجتمع البشري ومحاولة دفعه قدما إلى الأمام بتخليصه بعض المعوقات السلوكية للافراد ، يشير هذا الاتجاه بصورة واضحة إلى تعاون جدي وعميق بين علماء الوراثة Geneticists وعلماء البيئة Ecologists وعلماء النفس Psychologists نظرا لما وجد من إمكانيات تفاعل وتداخل علم الوراثة وعلم البيئة وعلم النفس وما يمكن أن يؤدي إليه تعاون هذه العلوم لتلافي نتائج بعض الأمراض الوراثية والبيئوية . فاذا استطاع علماء الوراثة مثلا التعرف على الخلل الوراثي وما يؤدي إليه من نقص في إحدى المواد فان المريض بتلك المادة سيمكنه من العيش كفرد طبيعي الى حد ما وبذلك سيكون سلوكه وتفاعله مع المجتمع سلوكا طبيعيا ومنتجا ونافعا للمجتمع كما يحدث الان عندما يزود الافراد المصابون بالبول السكري بمادة الانسولين Insulin وتزويد المصابين بمرض الكالاكتوسيميا بانزيم تحليل سكر الكالاكتوز .

وما قيل عن معالجة سلوك الافراد المصابين بأمراض وراثية فسلجية يقال عن الافراد المصابين بالتخلف العقلي اذ يمكن عند دراسة سلوكهم التوصل إلى قياس إمكانياتهم في القيام بأعمال أو أشغال تتناسب وقابلياتهم مما يخلق منهم أفراداً نافعين للمجتمع بدلا من أن يكونوا وبالا عليه . كذلك توضح الدراسات أن بعض الأفراد الذين لا يكون سلوكهم وحياتهم مفيدا ومجديا في بيئة معينة قد يكون على العكس في بيئة أخرى . فالأفراد المصابون بمرض فقر الدم المسبب عن الخلايا الحمر المنجلية Sickle cell Anemia من الممكن أن يعيشوا بصورة طبيعية في الأماكن غير المرتفعة عن سطح البحر أو تقديم النصيحة

لهم بعدم ركوب الطيارات التي ترتفع عاليا في الجو . وبالاضافة إلى هذا وذلك فان دراسة سلوك الانسان بالارتكاز على الدراسات الوراثية والبيئوية قد يجعلنا ننصح بعض الافراد في تغيير البيئة وتوفير ما هو ملائم لتلك الشخصيات وعند ذلك وفي البيئة الجديدة يتغير سلوك الفرد ويصبح منسجماً والهيئة الاجتماعية بعدما كان شاذاً .

ونود أن نؤكد هنا أن الأمثلة المذكورة أعلاه لا تعني بأي حال من الاحوال أن الوصول إلى مفهوم تعاون الوراثة والبيئة وعلم النفس قد استطاع أن يحل جميع مشاكل الفرد والمجتمع ، أو أنه بالأحرى صار بامكاننا أن نوجه سلوك الفرد بالاتجاه الذي نريد ، ذلك أن هذه المسألة هي أعقد بكثير مما قد نتصور وأن علم الوراثة الفسلجية والبايو كيميائية مازال في أول الطريق ولذا فإن الوصول إلى غايتنا المنشودة يحتاج الى عمل جدى معين ود ؤوب بالإضافة إلى حاجة فهم واستيعاب وقبول لنتائج التعاون بين علم الوراثة وعلم البيئة وعلم النفس .

رابعا — الوراثة وشيخوخة الانسان : Heredity and human Aging

تتكون الشيخوخة من التغيرات التدريجية التصاعدية Progressive Changes التي تحدث على مستوى الخلية أو العضو أو الفرد الكامل بتأثير العامل الزمني على فترة التكامل والنضوج Maturity ، الفترة التي تمثل طوراً من أطوار دورة حياة الانسان كطور الرضاعة Infancy والطفولة Childhood والمراهقة Adolescence . ويعـنى عـلم الشيخوخة Gerontology بدراسة الشيخوخة أو بالتغيرات التي تطرأ على الانسان في الفترة الواقعة بين طور النضوج وطور الموت . ويهدف هذا العلم الى تشخيص العوامل التي تؤثر في هذه التغيرات وتطبيق هذه المعرفة من أجل تشخيص العوامل التي تؤثر في هذه التغيرات وتطبيق هذه المعرفة من أجل التقليل من هبوط الكفاءة التي تصاحب ظاهرة الشيخوخة . وللشيخوخة خصائص وصفات متعددة من الممكن حصرها في ثلاثة أقسام أومجاميع

تتعلق الأولى بالخصائص البايولوجية–الفسلجية Biological – Physiological
وتتعلق الثانية بالخصائص النفسية–السلوكية Psychological – Behavioural
بينما تتعلق الثالثة بالخصائص الاجتماعية – الاقتصادية Social – Economic
وسنحاول ان نوضح كلا من الخصائص المذكورة بشيء من الايجاز وعلى الصورة التالية : –

اولا : الخصائص البايولوجية – الفسلجية :

تتضمن هذه الناحية العوامل البايولوجية الأساسية التي تؤدي إلى الشيخوخة من جهة والحالة الصحية العامة من جهة ثانية . وعلى اعتبار أن احتمال الموت يتزايد بسرعة كلما تقدم الانسان بالعمر ، يصبح واضحاً أن التغيرات التي تطرأ على الفرد في هذه المرحلة تجعله اكثر تعرضا لامكانية الاصابة بالامراض ، فالشاب مثلا من الممكن أن يشفى بسرعة من التهاب الرئة Pneumonia لكن هذا المرض قد يؤدي بالشيخ إلى الموت .

وقد وجد علماء الفسلجة أن فعاليات كثير من الاعضاء كالقلب والكليتين Kidneys والرئتين Lungs تظهر هبوطا تدريجيا في فعالياتها عبر مدى حياة Life – Span الانسان . وان قسما من هذا الهبوط ينجم عن فقدان خلايا من هذه الاجهزة حيث تكون محصلتها انخفاضا في الامكانات الكافية للفرد . وبالاضافة الى ذلك فان الخلايا الباقية في تلك الاعضاء تفقد كثيرا من امكاناتها بمقارنتها عندما كانت فتية . وزيادة على ما ذكر فان بعض الانزيمات الخلوية تصبح اقل فعالية مما يؤدي الى بطء في بعض التفاعلات الكيمياوية الضرورية مما يؤدي بمرور الزمن إلى هلاك الخلية .

وهناك نظريات متعددة تتعلق بتفسير ظاهرة مرحلة الشيخوخة وبعض هذه النظريات وراثية وبعضها الآخر غير وراثي . وسنوجز هذه النظريات على الشكل التالي : –

أ – النظريات الوراثية Genetic Theories

وهي نظريات تحاول تأطير ظاهرة الشيخوخة باطار وراثي معلوم . ومن هذه النظريات ما يلي : –

١– نظرية مدى العمر Life Span

وتفترض هذه النظرية أن مدى عمر أوحياة أية خلية أو أي كائن حيOrganism يتعين بعوامل وراثية معينة ؛ أي أن جينات أي كائن حي تحتوي على برنامج Program معين يكون هو المســؤول عن تعيين طول عمر ذلك الكائن الحي . وبعبارة أخرى تعين جينات برنامج الحياة مدى عمر الكائن الحي تماماً كما يكون جين تلون العيون مسؤولا عن لون معين للعين . وعلى الرغم من اختلاف العوائل ضمن النوع الواحد فيما يتعلق بمدى العمر والحياة إلا أننا نستطيع أن نظهر بعملية الانتخاب اختلافات في طول العمر ضمن النوع الواحد . وعلى هذا الاساس فإن ظروفاً اخرى كالظروف البيئوية قد تتفاعل مع الطراز الوراثي لتؤدي إلى اختلافات بهذا الصدد . ومع هذا فان هذا لا يستطيع أن ينفي هذه النظرية أو يدحضها .

٢– نظرية الخطأ الوراثي : Genetic Error

تفترض هذه النظرية أن موت الخلية ينجم عن الخطأ في تكوين البروتينات الأساسية كالانزيمات مثلا . فاذا ما حصل اختلاف يسير في نقل المعلومات الوراثية من حامض الرايبوز النووي المختزل DNA الى حامض الرايبوز النووي المرسل m RNA فان هذه الظاهرة قد تؤدي الى تكوين انزيمات مختلفة قد تكون غير فاعلة في مسار تفاعلي معين ، مما يؤدي الى خلل في نتائج هذه التفاعلات . هذا وإن هذه النظرية لم تثبت بصورة قطعية في الوقت الحاضر ولكن الدراسات جارية في سبيل التوصل لاثباتها .

٣– نظرية الطفرة الجسمية : Somatic Mutation

تفترض هذه النظرية أن جزء يسيراً من الخلية قد يعاني طفرة جسمية أثناء نمو الخلية وانقسامها ، ولهذا فان هذه الخلية تصبح مختلفة عن الأصل في تركيبها الوراثي وهي تحافظ على التغير الجديد عند انقسامها وتكوين أجيال جديدة من الخلايا . وبمرور الزمن يزداد عدد الطفرات الجسمية فيزداد عدد الخلايا المختلفة مما يؤدي إلى عدم تمكن الانسان من القيام بفعالياته الحيوية على الشكل الاعتيادي وبالتالي قد يقود ذلك الى الشيخوخة ومن ثم موت الانسان .

ب ــ النظريات غير الوراثية : Non – Genetic Theories

تركز هذه النظريات على الشيخوخة الناجمة عن عوامل أخرى تكون ذات تأثير في تعبير البرمجة الوراثية وسنحاول أن نوجز بعض هذه النظريات على الشكل التالي :

١ ــ نظرية « إلبس حتى التمزق » Wear–and–Tear

تفترض هذه النظرية أن خلايا الكائنات الحية تشبه المكائن Machines ولهذا فهي تستهلك نتيجة لطول استعمالها ولهذا فان الخلايا الحية تصل الى مرحلة الشيخوخة فالموت نتيجة لاستهلاكها بالاستعمال . وتأتي الثغرة في هذه النظرية من اختلاف النظام الحي عن النظم غير الحية باعتبار أن للكائن الحي امكانية تصليح الذات Self Repairing هذه الامكانية التي لا تتوفر في الكائنات غير الحية .

٢ــ نظرية تجمع النفايات Waste Product Accumulation

قد ينجم عن قيام الخلايا الحية بفعالياتها الحيوية بعض النواتج وبمرور الزمن تتراكم هذه النواتج مما يؤدي الى خلل في وظائف الخلايا . وقد وجدت نواتج على هيئة دقائق غير ذائبة في عضلات القلب تعرف الان بصبغات الشيخوخة Age Pigments كما وجدت مثل هذه الصبغات في الخلايا العصبية للانسان وحيوانات أخرى .

٣ــ نظرية الروابط العرضية Cross – Linking

تفقـد الالياف العصبية Tendons والجلد والاوعية الدموية كثيرا مـن مطاطيتها نتيجة لتقدم الانسان بالعمر . وقد وجد أن هذه الظاهرة ناجمة عن تكوين روابط عرضية بين أو ضمن خلايا الكولاجين Collagen (بروتين ليفي) المسؤولة عن اختفاء المطاطية Elasticity عـلى هـذه الانسجة .

وتفترض نظرية الروابط العرضية أن الروابط العرضية قد تتكون في جزيئات أخرى وذات اهمية بايولوجية كبيرة . فهي قد تتكون في الانزيمات وإذا ما تكونت الروابط العرضية هذه في الانزيمات فانها ستغير من شكل وتركيب جزيئات الانزيمات بحيث تفقدها إمكانياتها في العمل بصورة طبيعية .

٤ ـ نظرية المناعة الذاتية : Auto - Immune

من المعلوم ان للكائنات الحية قابلية مناعة ضد الأمراض أو المواد الطارئة على الجسم . وتتأتى مثل هذه المناعة من قابلية الكائن الحي في إفراز أجسام مضادة ضد ما هو طارئ على جسمها حيث تمنعه من إحداث التأثير وذلك بتحليله وطرده.

وقد وجد طبياً أن الكائن الحي عندما يصل إلى دور الشيخوخة تضعف لديه قابلية التمييز بين ما يملكه ذاتيا وبين ما هو طارئ أو غريب وعلى هذا الأساس فإن الأجسام المضادة التي يفرزها قد تهاجم بروتينه الخاص وكأنها تهاجم أجساماً غريبة . وهذا بالطبع يؤدي إلى هلاك الكائن الحي .

نشاهد مما تقدم أن جميع النظريات المذكورة سابقاً تحاول أن تفسر الشيخوخة وعوامل حدوثها على مستوى التغيرات الجزيئية الخلوية . والحقيقة إن تغيرات العمر والشيخوخة تحدث على نطاق الكائن الحي ككل وليس على مستوى العمليات الخلوية التي يمكن قياسها فنقصان قابلية الانسان لانجاز الفعاليات الحيوية على مستوى العمل العضوي يكون أكثر بكثير من التغيرات الا نزيمية التي يمكن الكشف عنها في الخلايا التي تنجز مثل هذا العامل .

وعلى هذا الأساس فهناك احتمال بأن شيخوخة الفرد ناجمة في الحقيقة عن هدم مكنية السيطرة المطلوبة على إنجاز عمل غاية في التعقيد . وإضافة الى ذلك فان الشيخوخة ذات وجوه متعددة وإن أي نظرية من النظريات المذكورة لا تستطيع أن تستوعب الوجوه المتعددة المختلفة .

٢ـ الخصائص النفسية ـ السلوكية للشيخوخة

Psychological Behavioural As pects of Aging

إن أهم ما تتميز به الحالة النفسية ـ السلوكية للشيخوخة هو ما يعتري الانسان من ضعف في الذاكرة Memory من جهة وتطاول الوقت اللازم للرد على الحوافز Stimuli ولكل من هذين العاملين أثره في انخفاض درجة الذكاء التي يحصل عليها الشيوخ في اختبارات الذكاء الاعتيادية .

وقد أثبتت الدراسات التجريبية المتعلقة بالتعلم أنه على الرغم من أن الأشخاص المسنين يتعلمون بصورة أبطأ من الشبان فإنهم بإمكانهم أن يتعاموا الأشياء الجديدة ويتذكرونها كالشباب . ومع هذا فان الاختلافات الناجمة عن عامل العمر تزداد بزيادة صعوبة المادة المراد تعلمها . وهذا بالطبع يمكن التغلب عليه باستنباط أصول تدريس جديدة خاصة بالكبار. وقد وجد مثلا أن زيادة الوقت اللازم لتعليم المادة يقلص الفروق بين الكبار والشباب في التعلم .

وقد وجد كذلك أن الشيخوخة لا تؤلف عقبة تجاه الإبداع والخلق . ذلك أن كثيراً من المنجزات الفنية والعلمية المبدعة كان قد أنجزها رجال مسنون . ولكن مع هذا فقد وجد أن كثيراً من المنجزات الفذة خصوصا في حقول الرياضيات والفيزياء والبايولوجي كانت قد أنجزت من قبل افراد في سن الثلاثين وليس في سن الخامسة والستين .

أما المنجزات التي لها علاقة بالخبرة Experience كما في حقول السياسة Politics والادارة Admintration والدين Religion فهي في الغالب يقوم بهاافراد مسنون .

هذا وقد دلت الدراسات على أن للشيخوخة أثرا كبيراً على سلوك الفرد . فالفرد المسن يكون أكثر حذرا وصلابة في سلوكه من الفرد الشاب ، وهو بالإضافة إلى ذلك يميل إلى العزلة والانسحاب من النشاطات الاجتماعية . ومع هذا فلا يمكن اعتبار هذه الظاهرة عامة لدى جميع الافراد . فقد وجد أن بعض الافـــراد الواعين لهذه الناحية والذين يشيخون بنجاح يستطيعون أن يتغلبوا عـــلى هذه الناحية بالمواظبة على التعلم والاستمرار في الوصل الاجتماعي خصوصاً مع جيل الشباب . وقد دلت الدراسات على أن مثل هؤلاء الأفراد هم الذين استطاعوا أن يغرسوا في نفوسهم الولع في مجالات واسعة متعددة ويستمروا في تغذية وترصين تلك الأولاع في نفوسهم . ومع هـــذا فقد دلت الدراسات عـــلى أن مـــثل هذه الناحية لايمكن أن تتوفر للفرد إلا بتوفر عاملين هما عامل الصحة العامةمن ناحية وعامل الناحية الاقتصادية من جهة اخرى .

٣ـ الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للشيخوخة

Social and Economic Aspects of Aging

إن مشاكل الشيخوخة الاجتماعية والاقتصادية في البلدان المتقدمة صناعياً تنجم بصورة رئيسية عن الزيادة المضطردة لعدد الشيوخ بالنسبة لعدد السكان بالاضافة إلى التغير الذي طرأ على طبيعة الهيئة الاجتماعية حيث تغير المجتمع في هذه البلدان من حالته الريفية Rural إلى حالة مدنية Urban وفي الحقيقة لم تكن الشيخوخة لتؤلف مشكلة اجتماعية عندما كان المجتمع البشري ريفيا أو شبه ريفي ، فالابناء في مثل هذا المجتمع بامكانهم العيش في بيت واحد مع آبائهم واجدادهم . لكن الثورة الصناعية التي بدأت في أوروبا وزحفت إلى بقية أنحاء العالم قد فعلت فعلها في تغيير معالم المجتمع حيث أحدثت نقلة فيه تغيرت بنتيجتها معالمه الريفية القديمة وتكونت له معالم مدنية . وقد تميزت معالم المجتمع الجديد بارتفاع في تكاليف المعيشة وتكاليف الأرض والبناء . إضافة إلى سرعة

الحركة والتفاعل بين الأفراد . وقد أدى هذا بالطبع إلى تكوين مفاهيم جديدة سادت طبيعة المجتمع الجديد .

إن ازدياد تكاليف المعيشة في المجتمع المدني وصعوبة الحصول على دور سكن واسعة وكافية وتغير المفاهيم الاجتماعية ، قد ألف مشكلة اجتماعية جديدة تجاه الشيوخ والشيخوخة ، فقد أصبحت عوائل المدينة غير قادرة ولا راغبة في استيعاب الأفراد المسنين غير المنتجين . واذا وضعنا في الحساب ان عدد هؤلاء المسنين صار يتزايد بصورة طردية مع تقدم المجتمع فان مسألة الشيخوخة ستكون من المسائل الاجتماعية الشائكة التي تفرض نفسها وتطالب الحل المناسب لها .

وليس بخاف أن تقدم الانسان بالعمر يزيد من حاجته للرعاية الطبية والسكن المناسب والغذاء المناسب . وهذا يعني أن تكاليف المعيشة تزداد في وقت الشيخوخة . فاذا اقترنت زيادة تكاليف العيش بانخفاض في إيراد المسن ، وهذا شيء طبيعي ، فان مشكلة الشيخوخة ستزداد تعقيداً . ولهذا فإن البحوث والدراسات الوراثية المتعلقة بمسببات الشيخوخة ومحاولة معالجة تلك المسببات وتخفيف الوهن والضعف الذي يصيب الشيوخ قد يساهم بشكل من الأشكال في حل جزء على الاقل من هذه المعضلة .

خامساً ـ الوراثة ومشاكل عدد السكان :

Population Problems & Genetics

لقد كشفت الدراسات والبحوث أن المبادئ الاساسية لديناميكية السكان تسري إلى درجة كبيرة على الإنسان بنفس الطريقة التي تنطبق فيها على بقية الاحياء . لكن المشكلة بالنسبة للمجتمع البشري هي اختلافه عن بقية الأحياء في نقطة جوهرية فرضتها طبيعة وتطور الانسان بالنسبة لبقية الاحياء . فعدد السكان في الانواع المختلفة من الاحياء يتميز بالثبوت Stability على الرغم مما قد يعتريه من تفاوت وتذبذب زيادة أو نقصاً حسب تأثير العوامل البيولوجية والبيئوية الاخرى اما في الانسان فان عدد السكان يتميز بعدم الثبوت Instability وذلك

بسبب تدخل عوامل عقلانية وعاطفية واخلاقية تحول دون حدوث هذا الثبوت ، بل هي تسير بعدد السكان نحو الزيادة المضطردة كلما تقدم الانسان في سلم التطور وتمكن من استغلال موارد الطبيعة لصالحه ، وهنا تكمن المشكلة ، فماذا سيفعل الإنسان إذا استهلكت الموارد الطبيعية واستنفدت ؟ وللجواب على هذا السؤال اقترح بعض الدارسين استغلال بعض الغابات كغابات الأمازون واستغلال البحار لتوفير المادة الغذائية . كما اقترح آخرون اللجوء الى تحسين المحاصيل النباتية والمنتجات الحيوانية لكي توفر غذاء أكثر للانسان . لكن هذا لا يعتبر حلا بالنسبة لهذه المشكلة حسب رأي كثير من المشتغلين في هذا الحقل . ذلك أن توفير الغذاء الكافي سيقترن دائماً بزيادة بعدد السكان ، ولذا فان المشكلة سوف تبقى قائمة ، ما لم تقترن باجراءات أخرى توقف أو تحدد من زيادة عدد السكان . فمن المعروف أن عدد سكان النوع يكون ثابتا نتيجة لتساوى عدد الولادات مع عدد الوفيات أما في المجتمع البشري فان المشكلة تنبثق من محاولاتنا الدؤوبة في منع الوفيات وتأجيلها على الأقل وهذا بالطبع يؤدي إلى زيادة عدد الولادات على عدد الوفيات بصورة مستمرة مما يؤدي بالنتيجة إلى زيادة عدد السكان .

وتدل الدراسات الحديثة على أن المجتمع البشري يزيد بسرعة ٢٪ في كل سنة . وهذا يعني أن عدد السكان الذي كان سنة ١٩٧٠ يساوي ٣ر٥ بليون فرد سوف يصل الى ٧ر٨ بليون في سنة ٢٠٠٠ م . وان المدة اللازمة لتضاعف عدد السكان تتطلب (٣٥) سنة أو أقل من ذلك . وكانت أكثر الدراسات التي أجريت لمجابهة مثل هذه الكارثة تتعلق بالدراسات البيئوية والنفسية . أما الدراسات الوراثية فلم تكن محط أنظار الرأي العام بدرجة كبيرة . فنحن إن لم يكن بامكاننا إيقاف التزايد بعدد السكان على النطاق العالمي فان ما تتضمنه الدراسات الوراثية يكون قليل الأهمية . . ولكن اذا ما استطاع الجنس البشري أن ينجح في إيقاف نمو عدد السكان واستطاع أن يستمر في الحياة بصورة جيدة إلى القرن الحادي

والعشرين فان ديناميكية الجينات ووراثتها على مستوى عدد السكان (او العشيرة) تكون قضية جديرة بالاهتمام .

هذا وان انخفاض عدد الولادات في المجتمع الياباني في الوقت الحالي يشكل دليلا واضحاً على إمكانية الإنسان في إيقاف التزايد المتواصل في عدد السكان . وقد وجد أن نظام العائلة الصغيرة في اليابان ذو فائدة وراثية كبيرة . فقد لوحظ مثلا أن هذا النظام قدخفّض تكرار عرض داورن Down's Syndrome بنسبة الثلث واختزل مرض تفتت الكريات الحمر Rh-Erythroblastosis بنسبة النصف واختزل نقائص وراثية اخرى مختلفة بنسبة العشر . وأمكن التوصل إلى نفس النتائج تقريبا بدراسة نظام العائلة الصغير في الولايات المتحدة الاميريكية .

هذا وبالإضافة إلى ما ذكر فان نظام العائلة الصغير قد قلل من احتمالات زواج الاقارب وبذلك قلل من حدوث النقائص الوراثية الناجمة عن الوصول الى النقاوة Homozygosity الناجمة عن تلاقي أو اجتماع الجينات المتنحية المتماثلة .

وقد قلل نظام العائلة الصغير من احتمال حدوث النقائص الوراثية الناجمة عن الشذوذ الكرموسومي Chromosome Aberration المسببةعن زيادة عمر الام .

ومع ذلك فان نظام العائلة الصغير لا يخلو من مخاطر ذلك لانه يقلل الفرص تجاه الانتخاب الطبيعي Natural Selection لكي يفعل فعله في غربلة الصفات والقضاء على الصفات الاقل مواءمة مع البيئة . وإن تقليل هذا النظام من زواج الاقارب قد يؤدي إلى زيادة العبء الوراثي Genetic Load الذي قد يتضمن جينات ضارة في السكان .

واذا سارت اعمال أخرى جنبا الى جنب مع نظام العائلة الصغير فان الأمل في معالجة معضلة زيادة عدد السكان سيزداد ويقترن في نفس الوقت بالتخلص

من كثير من الامراض الوراثية . ومن القضايا التي تسير في نفس هذا الاتجاه استعمال الاجهاض الاختياري المستحث Induced Abortion أو مانعات الحمل Inhibilors of Conception وتطبيق الفنون الطبية التي صار بإمكانها معرفة إذا كان الجنين Fetus مصابا بمرض وراثي والتخلص منه عن طريق الاجهاض .

سادسا ـ الوراثة الطبية والاستشارة الوراثية :

Medical Genetics and Counsellng

لقد شهدت العلوم الطبية خلال العقود الأخيرة من هذا القرن تقدما هائلا ومذهلا في كل من مجالي النظرية والتطبيق وقد كان لاكتشاف البنسلين والمضادات الحيوية الاخرى اثر كبير في مكافحة اغلب الامراض الجرثومية والقضاء على بعضها قضاء مبرما والتعامل مع بعضها الاخر بيسر وسهولة . ولهذا فان الامراض الجرثومية لم تعد تؤلف مشكلة انسانية واجتماعية صعبة الحل كما كانت عليه في العهود الغابرة .

وانطلاقاً من نفس الاساس واقترانا بالتطورات الحديثة في التكنولوجيا الطبية ، فقد خطا علم التشريح والجراحة خطوات واسعة عملاقة مكنت الجراحين من القيام باعمال في الوقت الحاضر كانت تعتبر في العهود السابقة في عداد المستحيل.

ومن هنا بدأ الناس يتطلعون نحو وسائل واساليب يتخلصون بواسطتها من مشاكل نفسية واجتماعية ناجمة عن امراض فسلجية يتسم قسم كبير منها بكونه فطرياً او ولادياً يصيب الطفل وهو ما يزال جنيناً في رحم امه احيانا كما قد يصيبه بعد الولادة في فترات تختلف من مرض الى مرض . وقد ولد احساس الناس بضرورة معالجة مثل هذه المشاكل، ضغوطاً على الاطباء وألجأتهم في النهاية للاستعانة بعالم وعلماء الوراثة .

وخلال فترة وجيزة جدا من عمر الزمن وعبر العمل الشاق الدؤوب انبثق علم جديد دعي بعلم الوراثة الطبية Medical Genetics تكاتف في ارساء

دعائمه كبار الاطباء وعلماء الوراثة – ويعتبر هـــذا العلم الآن أحد الفروع المهمة للوراثة البشرية Human Genetics وهو يتعامل مع الجانب الوراثي والخلوي لكثير من الامراض البشرية كأمراض التخلف العقلي MentalRetardation وتشوه الخلقه وخلل عمليات الابدال الحيوي على نطاق البروتينات والدهون والسكريات والاحماض النووية وغيرها .

وكانت حصيلة التقدم في مجال هذا العلم وانكشاف معالم واسس ومسببات كثير من الامراض الوراثية البشرية وقلق الناس من احتمالات انجاب اطفال مصابين بمرض وراثي او بآخر او من احتمالات تكرر الظاهرة في اطفال آخرين اضافة الى الذين ولدوا مصابين بعاهة من العاهات وقلق المجتمع البشري من تزايد مثل هذه العاهات وانتشارها والتي قد تؤدي بالتالي الى احداث تأثيرات سلبية على مسيرة التقدم البشري والاسئلة المتكررة والمراجعات المتزايدة لعيادات الاطباء ودوائر ومختبرات علماء الوراثة من قبل اناس يتطلعون الى معرفة الحقيقة عن التوقعات الخاصة بصحة الاطفال الذين يرغبون في انجابهم . كان كل هذا وغير هذا قد دفع الى التفكير بانشاء محلات معينة على غرار العيادات الطبية يتواجد فيها اناس يتميزون بدرجة عالية من التخصص والخبرة في الامراض الوراثية البشرية ينحصر عملهم في تأدية خدمة للناس بارشادهم الى الحل المناسب والمقبول عند استشارتهم بما يتعلق بالامكانات او الاحتمالات او المخاطر التي يتوقعونها في اطفال المستقبل وقد ارتؤى ان تسمى مثل هذه المحلات باسم الاستشارة الوراثية .

وعلى الرغم من المحاولات الجادة المتتابعة فان قضية الاستشارة الوراثية لم تستطع الانتقال الى حيز التطبيق والممارسة وذلك بسبب الصعوبات والمشاكل الكثيرة التي تواجهها كالمصاعب العلمية من جهة والمؤثرات الاجتماعية والنفسية من جهة اخرى ، اي ان منها ما يتعلق بالشخص المرشد او المستشار ومنها ما يتعلق بمن يطلب الارشاد والاستشارة .

فمن المعلوم الآن ان بعض الامراض الوراثية البشرية تورث وراثة مندلية بسيطة ويتحكم بها عدد محدود من الجينات، لهذا فان المستشار الوراثي يتمكن بحسابات رياضية بسيطة ان يعطي نسبة احتمالات الاصابة بصورة مضبوطة ويترك امر التنفيذ الى الشخص المعني نفسه الذي يتعين عليه الاختيار باعتباره المتحمل المباشر لنتائج اختياره . لكن الدراسات قد اثبتت ان كثيراً من الامراض الوراثية لا تورث بطريقة مندلية بسيطة بل يكون نظام وراثتها معقداً أو غير مفهوم في الوقت الحاضر وان بعضها الاخر لا تكون فيه نفادية تعبير الجينات بصورة كاملة ولهذا فان البث بنسبة الاحتمال بصورة مضبوطة ودقيقة لا يمكن ان يتوفر للمستشار في بعض الحالات . ومع هذا فان المسألة لا تخلو من الفائدة خصوصا بعد التأكد من كون الصفة موروثة . ويعتبر حل مثل هذه المشاكل مقترنا بمقدار التعمق والاستزادة من التعرف على طبيعة ونظام بعض الامراض الوراثية البشرية ومدى علاقة التأثيرات البيئوية على ذلك .

وبالاضافة على ما ذكر اعلاه فان المستشار الوراثي قد يلاقي بعض المصاعب يتعلق قسم كبير منها بالمعلومات الضرورية الصحيحة الخاصة بصاحب الطلب كسجلات النسب المضبوطة المقترنة بمعلومات دقيقة خصوصاً ما يتعلق منها بالامراض الوراثية . يضاف الى ذلك المعلومات الدقيقة التي يدلي بها صاحب الطلب دون خجل او مواربة وبعيدا عن الخوف من الضغط الاجتماعي .

وعلى اية حال فان المقصود بالاستشارة الوراثية عملية اخبار او ابلاغ تتعامل مع مشاكل الانسان المتعلقة بحدوث او احتمال مخاطر حدوث شذوذ وراثي على النطاق العائلي . وتتضمن هذه العماية محاولة مختص او عدد من المختصين المدربين تدريبا جيدا ، ابداء المساعدة لفرد من الافراد او عائلة من العوائل في النقاط التالية :

١- تفهم الحقائق الطبية المتضمنة تشخيص المرض Diagnosis والاتجاه المحتمل للخلل الوراثي وامكانات العمل المتواجدة .

٢- تقدير الكيفية التي تساهم فيها الوراثة باحداث ذلك الخلل ومخاطر امكانية حدوثها في اقارب معينين .

٣- تفهم حق الاختيار للتعامل مع مخاطر تكرار او عودة حدوث تلك الامراض .

٤- اختيار طريق العمل الملائم لهم فيما يتعلق بالمخاطر من جهة وبأهداف العائلة من جهة اخرى ، ومن ثم التصرف حسب ذلك الاختيار .

٥- بذل الجهود لتنظيم وملافاة الخلل جهد الامكان سواء لما كان واقعا ضمن العائلة او لما هو متوقع الحدوث .

المراجع

1. Baer, A.S., Heredity and Society. Macmillan Publishing Co. Inc., 1977.
2. ————, The Genetics Perspectives. (Philadelphia:) Saunders, 1977.
٤. Brown, M. the Social Responsibility of the Scientist. New Youk : Free Press, 1971.
4. Farnsworth, M.W., Geneties. Harper and Row, Publishers, Inc., 1978.
5. Fuller, W. , the Biological Revolution : Social Good or Social Evil ? Garden City, N.Y. : Doubleday Anchor, 1972.
6. Lerner, I.M., and W.J. Libby. Heredity, Evolution, and Society . San Francisco : Freeman, 1976
7. Strickberger, M.W., Geneties , New York : Macemillan, 1976 .
8. Sutton, H.E., An Introduction to Human Geneties, New York : Holt Rinehart and Winston, 1975.

قراءة في قصيدة «بانت سعاد»

الدكتور عبدالعزيز ناصر المانع

كلية الآداب – جامعة الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أولى العلماء والباحثون في مُخْتَلَف العصور الإسلامية ، الشعرَ والشعراءَ عنايةً فائقة ، لا يمكن أنْ يجادل فيها مجادل ، غيرَ أن عنايتهم تلك تتفاوت من شاعر الى شاعر ، ولكن لا أظنُّ أنَّ باحثاً معاصراً لا يتفق معي على أنَّ قصيدةَ كَعْب ابن زُهَيْر : «بانت سعاد» ، تُعَدُّ واحدةً من القصائد القليلة التي نالت من عناية العلماء ما لم ينله كثير من شعر الشعراء . فالمستقري لفهارس المكتبات والمخطوطات قلَّ أن يفرغ من تصفحها دون أنْ يَمُرَّ به نص أو شرح أو تعليق أو معارضة لهذه القصيدة . فما سر هذا الاهتمام ؟ . هل هو لمعانيها الإسلامية ؟ هل هو لاهتمام الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، بها ؟ . هل هو تقديس ديني لها ، لأنها ألقيت أمام الرسول ، عليه الصلاة والسلام . وفي مسجده ؟ .

ثم : هل كانت حقاً قصيدةً إسلامية ؟ وهل كانت حقاً جديرة بهذا الاهتمام ؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة ، وقبل الحديث عن القصيدة أو استقرائها ، لا بد من العودة الى المصادر ، لنرى السبب الذي دفع كعباً الى نظم قصيدته ، والى إلقائها أمام الرسول .

لعل أوثق الروايات هي تلك الرواية التي يصل السند فيها الى الحجّاج بن ذي الرُّقَيْبَة بن عبدالرحمن بن مُضَرِّب بن كعب بن زهير . وهي رواية أوردها

ثِقات كالأصبهاني ، وثَعْلَبَ ، وابن بِشْران ، وابن الأنباري ، والخطيب التبريزي ، [1] مع اختلا ف يسير في النَّصّ ، أو عدد الأبيات ، يقول الخبر : « خرج كعبٌ وبُجَيْرٌ ابنْا زُهَيْر ، حتى أتيَا (أَبْرَقَ العزَّاف) ، فقال بُجَيْر لكعب : أثبُتْ في غنمنا في هذا المكان حتى آتيَ هذا الرَّجُل ، يعني : رسولَ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، فأسمع منه ، فثبت كعب ، وخرج بُجَيْر ، فجاء رسولَ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، فعرض عليه الإسلام ، فأسلم ، وبلغ ذلك كعبا فقال :

ألا أبلغا عنّي بُجَيْراً رسالةً ... على أيِّ شيءٍ وَيْبَ غيْرِكَ ، دَلّكا
على خُلُقٍ لم تُلْفِ أمّاً ولاأباً ... عليهِ ولم تُدْرِكْ عليه أخاً لكا
سقاك أبو بكرٍ بكأسٍ رَوِيَّةٍ ... وأنْهَلَكَ المأمور مِنْها وعَلّكا

فلما بلَغ رسولَ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، غضِب ، فأهدر دمه ، وقال : « مَنْ لَقِيَ كَعْباً فَلْيَقْتُلْهُ » .

ويروي عُمَرُ بن شَبّة بيتاً آخرَ : [2] .

فخالَفْتَ أسبابَ الهُدَى وتَبِعْتَهُ ... فهل لك فيما قلتَ بالخيْفِ هل لكا ؟

فكَتَب بذلك بُجَيْر إلى أخيهِ ، يذكر له أنَّ رسولَ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، قد أهدر دمه ويقول له : النجاءَ ! وما أرَى أنْ تنفلت . ثم كتب إليه بعد ذلك : إعلَمَنْ أنَّ رسولَ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، لا يأتيه أحد يشهد أنْ « لا إله إلّا اللهُ ، وأنَّ محمّداً رسولُ الله » إلّا قبِل منه فإذا جاءك كتابي هذا ، فأسْلِمْ وأقْبِلْ . فأسْلَمَ كعب ، وقال القصيدةَ الّتي يمدح فيها رسولَ الله ، صلّى الله عليه وسلم ، ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب المسجد ، ورسول الله مع أصحابه مكان المائدة من القوم . . .

(١) الأصبهاني ، الأغاني ١٧ : ٤١ - ٤٥ ، ابن الأنباري ، شرح قصيدة كعب ٩٨/أ - ب ، ابن بشران ، إسلام كعب ١/ب - ٢ب ومنه نقلت النص ، التبريزي ، شرح قصيدة كعب ١٠ - ١١ ، ثعلب ، مجالس ٢ : ٣٤٠ - ٣٤٢ .

(٢) الأصبهاني ١٧ : ٤٤ ، كعب ، ديوانه : ٤ .

قال كعب : فأنَخْتُ راحلتي بباب المسجد فعَرفْتُ رسولَ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، بالصِّفَة فتَخَطّيتُ حتى جلست إليه ، فأسلمت ، فقلت : « أشهَدُ أنْ لا إله إلّا الله ، وأنّكَ رسولُ الله ، الأمان يا رسولَ الله ؟ ! » قال: « من أنتَ ؟ » قلتُ : كَعْبُ بنُ زُهَيْر قال : « الّذي يقولُ . . . » . ثم التفت إلى أبي بكر فقال: كيفَ قال يا أبا بكر؟ فأنشده أبو بكر (الأبيات الثلاثة المتقدمة) .

فقلتُ : يا رسولَ الله ، ما قلتُ هكذا ، فقالَ : « فكيف قلتَ ؟ » قُلْتُ : إنما قلتُ :

سقاك أبو بكر بكأس رَوية ... وأنهَلك المأمونُ منها وعلّكا

فقال : « مأمونٌ والله ! » .

ثم أنشده القصيدة كُلّها ، حتى أتى على آخرها » ، ومطلعها :

بانَتْ (سعادُ) فقلبي اليومَ متبولُ ... مُتَيَّمٌ إثرَها لم يُفْدَ مكبولُ .

ومن أبيات كعب لأخيه بُجَيْرُ نخرج بحقيقة لا تقبل جدلاً ولا نقاشاً ، وهي أنّ كعباً – حين أسلم أخوه بُجَيْر – لم يَكن يفكر للحظة واحدة في الدخول في الإسلام ، بل على العكس كان يرى أنّ دين أهله هو « الهُدى » . ولعل الأبيات في هجاء أخيه ، (لتَخَلّيه عن دين هؤلاء الأهل والانضواء تحت راية الدعوة الجديدة التي لم تكن دينه ولا دين أُمّه ولا أبيه) توحي بهجاء غير مباشر للرسول عليه الصلاة والسلام .

أعتقد أنّ من المهم جداً – قبلَ المُضيّ في البحث – تحديدَ التاريخ لهذا الحدث الذي نظم فيه كعب أبياته هذه .

إنّ خبر إسلام كعب يشير إشارةً واضحةً الى أنّ بُجَيْراً ترك أخاه عند (أبْرَق العَزّاف) ، واتّجه الى المدينة لتَتَقصّي أمر الرسول . لكنّه بعد وصوله ومقابلة الرّسول ، عليه الصلاة والسلامُ ، أسْلم ، وأقام هناك [٢] . وما من شك

(٢) الأصبهاني ١٧ : ٤٣ . تقول رواية وحيدة لعمر بن شبة إن بجيراً « أسلم ثم رجع إلى بلاد قومه =

في أنّ إنكار كعب على أخيه في أبياته المذكورة جاء ردّ فعلٍ مباشراً على هـذا الإسلام غير المتوقّع ، وهو انفعال طبيعي من قبل كعب نتيجةَ نقضِ بُجَيْر ما اتّفقا عليه ، وهو اللقاءُ ثانيةً عند (أبْرَق العزّاف) . وقد ردّ بجير على هجاء أخيه بما يناسبه مُبيّناً بطلان دينه ودين آبائه [٤] . فمتى كان ذلك ؟

أكاد أجزم بأنّ هذا حدثَ في أوائل السنة الثامنة للهجرة إنْ لم يكن قبل ذلك ، كما سنرى [٥] .

بعد هذا الشعر المتبادَل بينهما حدث انقطاع دامَ بضعة أشهر ،عادا بعدها الى المكاتبة .

فأين ذهب بُجَيْر في تلك المدة ؟ ومتى عاودَ الكتابة لأخيه ؟

يذكر ابن سَلاّم الجُمَحِي : أنّ بُجَيراً شَهِد مع الرّسول ، صلّى الله عليه وسلّم ، فتحَ مكّة ، وحُنَيْناً [٦] ، كما يذكر ابن قتيبة أنه شهد فتح مكّة [٧] والفتحُ كان في شهر رَمَضَانَ من السّنة الثامنة للهجرة [٨] . وغزوةُ حُنَين كانت في شوّال من السّنة الثامنة للهجرة [٩] .

ويوردُ ابنُ هشام شعراً لبُجَيْر في فتح مكّة ، يقول فيه :

نَفَى أهْلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ   مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وبنـوخُفافِ

= فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بجبير بالمدينة » .
ويدل هذا على أنه أسلم قبل الهجرة .

(٤) ابن هشام ، سيرة ٢ : ٥٠٢ .

(٥) الأصبهاني ١٧ : ٤٣ . تقول رواية عمر بن شبة ، أيضاً ، حول بجير : « وشهد يوم الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوم خيبر ويوم حنين » . وخيبر كانت في السنة السابعة ، والفتح وحنين في السنة الثامنة . وقد رجحت أوائل السنة الثامنة لأن الأخذ برواية عمر بن شبة – وهي رواية وحيدة – أخذ بالمرجوح فلم يرو غيره مشاركة بجير في غزوة خيبر . ثم إن الأخذ برواية عمر بن شبة يعني أن بجيراً أسلم قبل الهجرة بينما تقول الرواية الراجحة والواردة في المصادر الأخرى أنهما افترقا عند « أبرق العزاف » وهو – كما يقول ياقوت ١ : ٦٨ « في طريق القاصد إلى المدينة » .

(٦) ابن سلام ، طبقات ٩٩ .

(٧) ابن قتيبة ، الشعر ، ١٥٤ .

(٨) الواقدي ، المغازي ٦ .

(٩) المرجع نفسه ، ٦ .

ضربناهُم بمكّةَ يومَ فتح النّبـ ـيّ الخَيْـر بالبيض الخِفَافِ
فَرُحْنَا بالجيادِ تجودُ فيهِمْ بأرْماح مُقَوّمَةِ الثّقافِ
فأبْنـا غانِمينَ بما اشتهينا وآبُوا نادِمينَ على الخِلافِ
وأعطينا رسولَ الله مِنّـا مَواثِقَنا على حسنِ التصافي (١٠)

ويورِدُ له شعراً في يوم حُنَيْن ، يقول فيه :

لولا الإلَهُ وعَبْدُهُ وَلّيْتُمْ حين اسْتَخَفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جبانِ
بالجزْعِ يوم حبالنا أقرانُنـا وسوابِحٌ يَكْبُونَ للأذْقـانِ
والله أكرمنا وأظهر ديننـا وأعزَّنا بعِبادَةِ الرَّحْمنِ
والله أهلكهم وفرّق جمعَهُمْ وأذَلّهُمْ بعبادةِ الشّيْطانِ (١١)

ويوردُ له شعراً في حصار الطائف ، يقول فيه :

كانت علالَةَ يوم بَطْنِ حُنَيْنٍ وغَداةَ أوْطاسٍ ويوم الأبْرَقِ
جَمَعَتْ بإغْواءِ هَوازِنُ جَمْعَها فتبدَّدُوا كالطائر المُتَمَزِّقِ
لم يَمْنَعُوا مِنّا مَقاماً واحداً إلاّ جِدارَهُمُ وبطْنَ الخَنْدَقِ
ولقد تَعَرَّضْنا لِكيما يَخرُجُوا فَتَحَصَّنُوا مِنّا بباب مُغْلَقِ (١٢)

إذَنْ فقد شهِد بُجَيْر مع الرّسول فتح مكّة ، وغزوةَ حُنَيْن ، وحصارَ الطّائف . وبعد الحصار عاد رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلم ، واعتمر ، ثم رجع الى المدينة في أواخر ذي القَعْدة من السّنة الثّامنة ورجع بُجَيْر معه (١٣) يقول ابن إسحاق :

« فلمّا قدِمَ رسولُ الله من مُنْصَرفه من الطّائف ، كتب بُجَيْر الى أخيه : أنَّ النبيَّ ، صلّى الله عليه وسلّم يَهُمّ بقتل كُلّ من يُؤذيه من شعراء المشركين . . . » (١٤) .

(١٠) ابن هشام ٢ : ٤٢٥ . (١١) المرجع نفسه ٢ : ٤٥٩ .
(١٢) المرجع نفسه ٢ : ٤٨٧ . (١٣) الواقدي ٩٥٨ . ابن هشام ٢ : ٥٠٠ .
(١٤) كعب ، ديوان ٤ ، ابن هشام ٢ : ٥٠١ ، ابن حجر ، الإصابة ٥ : ٥٦٦ .

وإذا كانت عودةُ الرّسول من الطّائف في أواخر ذي القَعْدة ، فإن بُجَيْراً — على هذا — قد كتب لأخيه كعب بعد انقطاع دام أربعة أشهر في أقلّ التقديرات .

فما الذي حمل بُجَيْراً على الكتابة ؟ ولِمَ اختار هذا الوقت نفسه ليُراسِلَ أخاه ويُحَذِّرَهُ ؟ .

التعليل الأرجح لهذا ، هو أنّ الرسول عاد من فوره الى المدينة ، بعد أن حقق انتصارات عسكرية عظيمة ، لعلّ أهمها وأعظمها على الإطلاق فتح مكة أقوى مراكز المعارضة للدعوة الجديدة في الجزيرة العربية ، وبعد هذا النجاح الديني السياسي الكبير ، بَدَأَتْ قُوَى المعارضة تتلاشى ، والشعراءُ من بين هذه هذه القُوَى ، بل هم صداها ، إذْ كانوا يمثلون أقوى وسائل الحرب الإعلامية ضِدَّ الرسول ، هذا بُجَيْر يقول في رسالته لأخيه : « إن النّبيَ صلّى الله عليه وسلّم ، يَهُمُّ بقتل كلّ من يؤذيه من شعراء المشركين ، وابن الزِّبَعْرَى وهُبَيْرةُ بن أبي وهْب قَدْ هَرَبا . . . » [١٥] .

لا أظُنُ أنّ الدّافع الذي دَفَع بُجَيْراً أن يكتب لأخيه — وهو يرى هذا المصير لشعراء مكة — كان دافعاً دينياً بحتاً ، لكنها وشائج القربى والأخوة ثارت في نفس بُجَيْر ، فكتب إليه يحثّه على القدوم ، لأنّ الرسول « لا يقتل أحداً جاء تائباً » .

كيف كان موقف كعب بعد وصول الرسالة ؟

ينبغي أنْ أُشير الى شيْ مهم هنا ، وهو أنّ الشاعر الجاهلي ، بل الرجل الجاهلي بصفة عامة ، يعتمد اعتماداً رئيساً على قبيلته في حالة إحساسه بالخطر وإذا كان الرسول — كما يقول بُجَيْر — « يَهُمُّ بقتل كلّ من يؤذيه من شعراء المشركين » [١٦] ، وإذا كانَ دم كعب « قد أُهْدِر » ، [١٧] فإنّه — والحالُ

(١٥) ديوان كعب ٤ — ٥. (١٦) المرجع نفسه ٤ — ٥. (١٧) المرجع نفسه ٤ — ٥.

هذه – لا بدَّ أن يفزَعَ إلى قبيلته طلباً للاجارة ، إحدى المبادئ الرئيسة في نظام القبيلة الجاهلية .

فأين هي مُزَينة من كَعْب ؟

من أبيات قصيدة بُجَيْر في فتح مكة ، التي أوردها ابن هشام ، يتبيَّن لنا أن مُزَيْنةَ قد دخلت في الإسلام ، وحاربت مع الرَّسول ، صلّى الله عليه وسلّم ، يوم الفتح . هذا بجير يقول :

نفى أهْلَ الحَبَلَّقِ كُلَّ فَجٍّ ... مُزَيْنَةُ غُدْوَةً وبنو خُفافِ
ضربنـاهم بمكـةَ يومَ فتح الـ ... نَّبِيِّ الخَيْر بالبيض الخِفافِ
صبحناهُمْ بسبعٍ من سُلَيْمٍ ... وألْفٍ من بني عُثْمان وافي[18]

وبنو عُثْمان : هُمْ مُزَيْنَة .

ويؤيد هذا ما رواه ابن سعد في طبقاته عن وفادة مُزَيْنة على رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، في النِّصف الثاني من السّنة الخامسة للهجرة في أربع مئة ، ومشاركتهم في فتح مكة بألف رجل تحت لواء خُزاعيَ بن عبدِ نَهْم[19]

إذنْ فمزينة – عندما احتاجها كعب – كانت قبيلة مسلمة .

وموقف كعب – والرَّسولُ في المدينة مستقر بعد الفتح ، وقد ازداد قوة بعد ضعف ، ومزينةُ قد دخلت في الإسلام كابنها بُجَيْر – وإنْ كانت أسبق – موقفٌ لا يُحْسَد عليه ، فقد سُدَّت كل السبل في وجهه .

لا بد أنّه – والحالة هذه – وجد نفسه مضطراً الى شد الرِّحال الى المدينة والدّخول في الإسلام ، إن لم يكن عن قناعة فليكن طلباً للأمان .

يقول السُكَّري في رواية عن ابن إسحاق :

« . . . فلمّا أتاه كتاب بُجَيْر ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره ، وقالوا : هو مقتول وأبَتْ مُزَيْنَة أن تُؤْوِيَهُ . . . »[20]

(١٨) ابن هشام ٢ : ٤٢٥ – ٤٢٦ .
(١٩) ابن سعد ، طبقات ١ : ٢٩١ – ٢٩٢ .
(٢٠) ديوان كعب ٥ .

لعل هذا ما قَصَدَهُ كَعْب حين قال :

وقال كلُّ خليلٍ كنْتُ آمُلُهُ   لا أُلْفِيَنَّكَ إنّي عنكَ مشغول

فقلتُ : خلُّوا سَبيلي لا أبا لكُمُ   فكُلُّ ما قدَّر الرَّحمن مفعولُ[21]

وفي المدينة قصد كعب – بحسب رواية ابن سَلاَّم – أبا بكر ، فلما صلّى الصبح أُتِيَ به ، وهو متلثِّم بعمامته ، فقالَ : يا رسول الله رجل يبايعك على الإسلام ، وبسطَ يده وحَسَرَ عن وجهه ، وقال : بأبي أنتَ وأُمّي ! هذا مكانُ العائذ بك ، أنا كعب بن زُهَيْر . . . فأمّنهُ رسول الله ، فأنشد مِدحته التي يقول فيها :

« بانت (سعادُ) فقلبي اليومَ متبولُ » [22] .

ينبغي – بعد هذا كله – أن لا نتعجّل في الحكم على مدى صدق الشّاعر كعبٍ في مجيئه وإسلامه وقصيدته .

وقبل استقراء القصيدة ، لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار أمرين :

١– أنّ القصيدة قد نُظِمت في مدة قلقلة جداً من حياة كعب .

٢– أن الروح التي كانت تجري في دمه عند إلقاء القصيدة كانت روح شاعر جاهلي يقف بين يَدَيْ رسولِ الله ليلقي قصيدة اعتذار وطلب عفو عن حكم قتلٍ صادر .

وعلى هذا فنظم القصيدة كان في حياته الجاهلية ، وإلقاؤها كان في لحظة انتقال من الشرك الى الإسلام . وعليه أيضاً لا ننتظر أن يحدثنا كعب حديث الشاعر المسلم ، لأنه شاعر لم تتشبع روحه بعدُ بأبسط قواعد الدين الحنيف وأصوله.

لعل هذا يتضح من استقراء القصيدة ، التي يبلغ مجموع أبياتها خمسةً وخمسين بيتاً بحسب رواية الديوان [23] .

الموضوعات الرئيسة للقصيدة :

١– وصف المحبوبة ، أو : المقدمة الغزلية . ويشمل الأبيات من مطلع القصيدة حتى البيت الرابع عشر .

(٢١) المرجع نفسه ١٩.   (٢٢) ابن سلام ٩٩ – ١٠٠.   (٢٣) ديوان كعب ٦ – ٢٥ .

٢- وصف الناقة ورحلتها. ويبدأ من البيت الرابع عشر الى البيت الثاني والثلاثين.

٣- الاعتذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ويبدأ من البيت الثاني والثلاثين الى البيت الثاني والأربعين .

٤- وصف الأسد . ويبدأ من البيت الثاني والأربعين حتى الثامن والأربعين .

٥- مديح الرسول ، صلّى الله عليه وسلم والمهاجرين . ويبدأ من البيت الثامن والأربعين إلى آخر القصيدة .

تلك موضوعات القصيدة العامة ، وسأقف عند كل موضوع كي تتضح مدى الرابطة بين موضوعات القصيدة المختلفة وبين الموضوع الرئيس الذي وصفت به ، وهو أنها مديح للرسول ، أو أنها قصيدة إسلامية . ومن هذا المنطلق نالت عناية خاصة لم تتميز بها قصيدة إسلامية غيرها .

١- يتحدث كعب في مقدمته الغزلية عن (سعاد) حديثَ المُحبِّ المَشُوق ، ويصفها وصفاً لا يتفق مع الموقف الذي تُلْقَى من أجله القصيدة : (٢٤) .

بانت (سُعادُ) فقلبي اليومَ متبولُ
مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مكبولُ

وما (سعادُ) غَداةَ البَيْنِ إذْ رَحَلُوا
إلاّ أغَنّ غَضيضُ الطَرْفِ مكحولُ

تَجْلُو عَوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ
كأنّهُ مُنْهَلٌ بالرّاح معلولُ

شُجّتْ بذي شَبَمٍ من ماء مَحْنِيةٍ
صافٍ بأبطح أضحى وهْوَ مشمولُ

كَعْبٌ في بيته الأول يتحدث عن فراق من أحَبَّ ، ولا غضاضَة في هذا الى حَدّ ما . لكنه في أبياته الثلاثة الأخرى يتحدّثُ عنها حديث من عرف (سعادَ)

(٢٤) المرجع نفسه ٦ - ٧ .

وعاشرها معاشرة حقيقية ، فصوتها فيه هذه الغُنّة ، وطرفُها غَضيض ، ورائحةُ ثَغْرها تشبه رائحة الفم المعلول بالخمر ، ولا يدرك هذا – في الغالب – إلا من قارب الفم وقَبّل ! وبالرغم من قناعتي أنّ هذه الأبيات ليست تجربة حُبٍ حقيقية ، فإني أتساءل : كيف يقول كعب بن زهير شعراً فيه هذه الصراحة في الغزل وذكر الخمر ، يُنشده أمامَ رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وهما موضوعان لا يرى الإسلام طَرْقهما لِما في الأول من إساءة لأعراض نساء المسلمين ، ولِما في الثاني من إشارة الى شيءٌ محرّم هو الخمر ؟ .

ما موقف الرسول عليه الصلاة والسلام من الغزل ؟ وما موقف شعرائه منه ؟ وهل كان موضوعاً يطرقه الشعراء المسلمون ؟ .

إن المستقصي لدواوين شعراء الرسول الثلاثة ؛ حَسّان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رَواحة يخرج – فيما أظنُّ – بالحقائق الآتية (٥) :

أ – أن قصائد حسان بن ثابت ، التي قالها في الإسلام وتبدأ بمقدمات غزلية ، لا تزيد على ست قصائد ، واحدة منها ذكر فيها الخمر (٢٦) لكن هذا الغزل في رأيي لا يمكن القياس عليه أو الاعتداد به لعدة أسباب :

السبب الأول : أن معظم هذه القصائد قيلت في وقت مبكر جداً من حياة حسّان الإسلامية وفي مدة لم تكتمل فيها – بعدُ – الرسالة السماوية ، إذْ نُظِمَتْ بعض

---

(٢٥) قد يحتج بسماع الرسول عليه الصلاة والسلام لقصيدة حسان بن ثابت الهمزية :

عفت ذات الأصابع فالجِواء … إلى عذراء منزلها خلاء

وفي مقدمتها حديث عن الغزل والخمر .

ويرد على هذا بما أورده السهيلي من أن حسان مر بفتية يشربون الخمر في الإسلام فناهم فقالوا: والله لقد أردنا تركها فزينها لنا قولك :

ونشربها فتتركنا ملوكاً … وأسداً ما ينهنهنا اللقاء

فقال : والله لقد قلتها في الجاهلية .

وكذلك قيل : إن بعض هذه القصيدة قالها في الجاهلية ، وقال آخرها في الإسلام » ، انظر السهيلي ، الروض ، ٧ : ١٥١ .

(٢٦) ديوان حسان : ١ ؛ ١٧ ، ٢٩ ، ٤٠ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٢٦٥ .

هذه القصائد في مناسبات رثاء أو مديح لمن شاركوا في غَزْوَتي بدر وأُحُد ، والغزوتان – كما هو معلوم – كانتا في السنتين الثانية والثالثة للهجرة ، وهو وقت كانت الحاجة فيها الى الشعراء ماسّة مهما كانت فواتح قصائدهم .

السبب الثاني : أن من الروايات ما يقول إنَّ (شعثاء) التي تَغَزَّل بها حسّان ابن ثابت هي زوجته : شعثاء بنت كاهن الأسلمية أم فراس ولده [٢٧] . وعلى هذا يخرج هذا الغزل من نطاق الغزل الذي لا يقبله الإسلام .

السبب الثالث : أن غزله هذا ، على قِلّته وعفافه ، قد قيل في وقت أوفى فيه حسان على الستين ، فلا خوف عليه في غزله ولا منه ، سواء كان قد قصد غزلاً حقيقياً أو طَلَلِياً .

السبب الرابع : أننا لا نجد له في ديوانه قصيدة غزل مستقلة بعد إسلامه .

ب – وإذا راجعنا ديوان كعب بن مالك الأنصاري فإننا لا نجد له مقدمة غزلية واحدة بعد إسلامه ، إلا مقدمة واحدة في ثلاثة أبيات يصف فيها « الهــوى » بأنه « تمادى في الغَوَاية » [٢٨] .

ج – وموقف عبدالله بن رواحة موقف مماثل لموقف كعب بن مالك ، إذ لا نجد له أيضاً قصيدة واحدة ، بل لا نجد له بيتاً واحداً في الغزل أو وصف الخمر بعد إسلامه ، بل كل شعره في مديح الرسول عليه الصلاة والسلام والذّب عنه وعن دَعْوته الجديدة ولعل هذا ما دفع رسول الله الى أن يثني عليه ، بعد إلقائه قصيدةً في مديحه ، ويقول فيه – كما ورد في صحيح البخاري : « إنَّ أخاً لكم لا يقول الرَّفَثَ ، يَعْني بذلك ابن رَوَاحة . » [٢٩]

---

(٢٧) المرجع نفسه ٢ : ٦ .

(٢٨) ديوان كعب بن مالك ١٨٩ تقول الأبيات :

طرقت همومك فالرقاد مسهد ... وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد
ودعت فؤادك الهوى ضمرية ... فهواك غوري وصحبك منجد
فدع التمادي في الغواية سادراً ... قد كنت في طلب الغواية تفند

(٢٩) البخاري ، صحيح ٧ : ١٠٨ .

د – من الأسباب التي علّلت المصادر بها قتلَ الرسول لكعب بن الأشرف : شاعر المدينة ، أنه كان يشبب بنساء المسلمين [٣٠] . وعلى أن القتل كان لأسباب سياسية بحتة منها خروجُهُ الى مكة وتحريضُهُ المكيين على الرسول ، فإن في اختيار التشبيب ليكون أحد الأسباب ، بل السبب الرئيس عند بعض المصادر ، دليلاً على مكانة الغزل الصريح وموقف الرسول عليه الصلاة والسلام منه .

أما ذكر كعب للخمر ، فما من شك في أن كعب بن زهير قد ذكرها في شعره في وقت إنْ لم يكن التحريم النهائي قد نزل بشأنها ، فهو وقت كانت مكروهة فيه شرباً وذِكْراً . ومع هذا ذكر ابن العربي أن الخمر حُرِّمَتْ قبل إنشاد كَعْب بن زهير لقصيدته [٣١] .

بعد هذا كلـه :

أَلَمْ يَنْهَ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، عن التَّشْبيب بالنِّساء ؟

هذا الأصبهاني يروي خبراً عن إبراهيم بن المنذر الحزامي يقول فيه :

« تَقَدَّمَ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه الى الشعراء ألاَّ يُشَبِّبَ أحد بامرأة إلاَّ جلَده ، فقال حُمَيْد بن ثَوْر :

أَبَى الله إلاَّ أنَّ سَرْحَةَ مالك ... على كُل أفنانِ العضاه تروقُ

فقد ذهبت عَرْضاً وما فَوْقَ طُولِها ... من السَّرْحِ إلاَّ عَشَّةٌ وسحوقُ

فلا الظِّلُّ من بَرْدِ الضُّحَى تستطيعُهُ

ولا الفَيْءُ من بَرْدِ العَشِيِّ تذوقُ

فهل أنا إن عَلَّلْتُ نفسي بسرْحَة

من السَّرْحِ موجودٌ عَلَيَّ طريقُ ؟[٣٢]

(٣٠) الأصبهاني ٢٢ : ١٢٥ – ١٢٧ . ابن سلام ٢٨٢ – ٢٨٣ .

(٣١) ابن عربي ، أحكام ١٤٣٥ .   (٣٢) الأصبهاني : ٣٥٨ .

ابن عبدالبر ، الاستيعاب ، ٣٧٨ . وإبراهيم بن المنذر الحزامي هو راوي خبر إسلام كعب وقصيدته ، راجع المصادر في الهامش رقم ١ .

لقد اضطرَّ الشاعر إلى الرَّمز لمّا منَع عمر رضي الله عنه، التصريح بالتشبيب ! ألم يعزلْ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، واليَهُ على (مَيْسانَ) من أرض (البصرة) : النُّعمان بن عَديّ ، لأنّهُ ذكر الخمر في شعره ، عند ما قال مخاطباً زوجتَه لمّا أبَتْ الخروجَ معه الى (مَيْسان) :

من مُبْلِغُ الحسناء أنَّ حليلَهـا
بمَيْسانَ يُسْقَى في زُجاجٍ وحِنْتَمِ ؟
إذا شِئْتُ غنّتني دَهاقينُ قريـةٍ
وصَنّاجَةٌ تجثو على كُلِّ مَنْسِمِ
إذا كُنْتَ نَدْماني فبالأكبرِ اسْقِني
ولا تَسْقِني بالأصغر المُتَثَلِّمِ
لعَـلَّ أميـرَ المؤمنينَ يسـوؤهُ
تنادمنا في الجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ !

فقال عمر : والله إنه ليَسُوؤني ! وعزَلَهُ . فلمّا قدِمَ النُّعمان عليه سأله فقال : والله ما كان من ذلك شيءٌ ، وما كان إلاّ فضلَ شعر وجدته ، وما شربْتُها قطُّ ، فقال عمر : أظُنُّ ذلك ، ولكن لا تعمل لي على عمل أبداً [٣٣] . وكان عمر ولاّه « لِما كان في نفسه من صلاحه » [٣٤] .

أعود الى كعب ، فأقول : لقد سمَح لنفسه بالحديث عن الغزل والخمر ، لأن ثقافته الإسلامية كانت محدودة جداً ، لا تتعدى نطق الشهادتين ساعة إلقائه القصيدة . أما سماع الرسول ، صلّى الله عليه وسلّم ، لهذا النوع من الشِّعر ، فليس سَماعَ الرّاضي به ، ولا المُوافق عليه . لكنّهُ عليه الصلاة والسلام ، بُعث مبشِّراً ولم يُبْعث مُنفِّراً ، وسَماعُه لهذا المطلع الغزلي — الخمري الصَّريح

(٣٣) ابن حجر ٦ : ٤٤٧ ، ابن دريد ، الاشتقاق ١٣٩ ، ابن عبدالبر ، ١٥٠٢ — ١٥٠٣ ، المصعب الزبيري ، نسب قريش ٣٨٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ٥ : ٢٤٣ .

(٣٤) ياقوت ٥ : ٢٤٣ .

مرحلة أولى تتبعها مراحل أخرى من التوجيه والتهذيب حين تستقِرُّ نفس الشاعر، ويبدأ في استيعاب الأصول الاسلامية .

وشيءٌ آخر أهم ، وهو أن الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، حين يسمع من كعب هذا النوع من الشعر ، فهو سماع قُصِد منه غرض آخر ، هو استمالة الشعراء الى جانب الدعوة الجديدة ، فَلأَنْ يعود كعب — من عند رسول الله ، وقد رضي عنه، خيرٌ للاسلام من عودته غاضباً هاجياً ، ومعلومٌ — كما تقدَّم — أن الشعراء هم وسائل الإعلام الأولى في ذلك العصر . بل لو عاد الشاعر ولم يمدَحْ ولم يَهْجُ وظلَّ صامتاً — كما فعل كعب — فإنَّ هذا يُعَدّ كسباً كبيراً ، فَلأَنْ يصمُتَ خيرٌ من أنْ يهجُوَ ، وخيرٌ منهما — بطبيعة الحال — أنْ يمدح .

إذن فمعاملة الرسول ، صلّى الله عليه وسلّم ، للقصيدة وللشعراء عموماً هي معاملة خاصة قُصِد منها استقطاب الشعراء الى جانب الدعوة ، وهي بعدُ فَتيّة .

ولعلَّ مما يؤكد شدة إحساس النبي ، عليه الصلاة والسلام ، بمكانة الشعر ، وكراهيته للهجاء خاصَّةً ، وشدة وقعه في نفسه ، وتأثيره في نفوس العرب عموماً ، وحديثي الإسلام منهم على وجه الخصوص — ما رُوِي عنه : « اللّهم ! من هجاني، فالْعَنْهُ مكانَ كُلِّ هجاءٍ هجانيه لعنةً » (٣٥) .

وكذلك ما أورده ابن سلاّم في حديثه عن الشاعر أبي عَزّة الجُمَحيّ لمّا أُسِر يومَ بدْر ، فقال : « يا رسول الله ! إنّي ذو عيال وحاجة قد عرَفْتَها، فامنُن عليَّ ، صلّى الله عليك » . فقال (الرسول) : « على أنْ لا تُعين عَلَيَّ — يُريدُ شعْرَهُ — » ، فقال : نعم ، فعاهَدَهُ وأطْلَقَهُ ، فقال :

ألا أَبْلغا عَنّي النّبيَّ (مُحَمّداً) ... بأنّكَ حَقٌّ والمليكُ حَميدُ
وأنتَ امرؤٌ تدعو الى الرُّشْدِ والتُّقى ... عليك من الله الكريم شَهيدُ (٣٦)

(٣٥) القرشي ، جمهرة أشعار العرب ٢٩ .

(٣٦) ابن سلام ٢٥٣ — ٢٥٥ .

لكنه عاد الى هجاء الرسول ، وأسر يوم أحُد ، وقال : « يا رسول الله ! مُنَّ عليّ » ، فقال النبي ، صلّى الله عليه وسلّم : لا يُلسَعُ المُؤمِنُ من جُحْرٍ مرّتين . . . » فقتله [٣٦] .

ذلك شعور الرسول تجاه الشعراء ، ولا أظن كعباً مستثنى من هذا الشعور .

٢- الموضوع الثاني من موضوعات القصيدة ، لا أظنه يحتاج الى طويل وقوف لإثبات جاهليته ذلك هو موضوع وصف كعب لناقته ورحلتها ، الذي استغرق أكبر عدد من مجموع أبيات القصيدة . صحيح أن الإسلام لا ينهى عن وصف الناقة أو الرحلة ، لكن المستقصي للقصائد التي أُلقيت أمام الرسول ، أو قيلت في مديحه أو هجاءِ المشركين ، يجد أنّ الشاعر في جُلّ هذه القصائد لا يقف هذه الوقفة عند وصف ناقته ، أو رحلته ، أو عند أطلال محبوبته ، [٣٧] هـذا حسّان بن ثابت يردّ على عبدالله بن الزِّبَعْرَى ، فيبدأ قصيدته بقوله :

ذهبتْ بابنِ الزِبَعْرَى وقعـةٌ　　　كان منّا الفضلُ فيها لو عَدَلْ [٣٨]

ويلقي قصيدته أمام الرسول في الرّد على شاعر وَفْد تميم ، فيقول :

إنّ الذّوائبَ من فِهْرٍ وإخوَتِهِمْ

قد بيّنُوا سُنَناً للنّاسِ تُتّبَعُ [٣٩]

وهذا كعب نفسه بعدَ إعلان إسلامه وإقامته في المدينة ، يَمْدَحُ الأنصار ، فيبدأ قصيدته :

---

(٣٧) أخذت حسان بن ثابت مثالا فوجد أنه لا يتغزل أو يقف على الأطلال أو يصف راحلة أو رحلتها في معظم قصائده الإسلامية . ، أنظر – في ديوانه – مثلا الصفحات : ٨٦ ، ٩٨ ، ١٠٩ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٥٣ ، ١٨٥ ، ٢٢٤ ، ٢٤٣ ، ٢٦٩ ، ٢٨٤ ، ٣٢٥ ، ٣٣٧ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٣ ، ٤٢٩ ، ٤٣٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥٥ ، ٤٨٧ ، ٥٠٢ .

(٣٨) ديوان حسان ١ : ٦٧ .　　(٣٩) المرجع نفسه ١ : ١٠٢ .

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الحياةِ فلا يزَلْ   في مِقْنَبٍ من صالحِي الأنصار[٤٠]

أكادُ أجزم بأن بَدْءَ كعبٍ لهذه القصيدة ، دون مقدمة طَلَليّة ، جاء نتيجة توجيه جديد ، إنْ لم يكن من الرسول فمنْ أصحابه .

٣ــ بعد وقفته الطويلة عند وصف ناقته ومقدرتها على أشَقِّ المصاعب والطرق في رحلتها الى (سعاد) ، يتنبه كعب فجأة الى « الرشاة » بجَنْبَيْ ناقته ، وهم يقولون له : إنه مقتول ، وإن الرسول قد تهدَّدَهُ . وكأني به يغيّر مسار راحلته المتجهة الى (سعاد) ، ويتجه الى رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، ليواجه هذا القدر المحتوم ، وهنا يدخل كعب في أحد الموضوعين الرئيسين ، وهو الاعتذار عما قيل عنه :

يسعى الوشاةُ بجَنْبَيْها وقولُهم   إنّكَ يا ابْنَ أبي سُلْمَى لمقتولُ
وقال كُلُّ خليلٍ كنْتُ آملُهُ   لا أُلْفيَنَّكَ إني عنك مشغولُ
فقلتُ : خلّوا طريقي لا أبا لكُمُ   فكلُّ ما قَدّرَ الرّحمنُ مفعول
كُلُّ ابنِ أُنْثَى وإنْ طالتْ سلامته   يوماً على آلةٍ حدباءَ محمـولُ
أُنبِئْتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني   والعفْوُ عند رسولِ الله مأمـولُ
مَهْلاً هداكَ الذي أعْطَاكَ نافلَةَ الـ   قرآنِ فيهـا مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخُذَنّي بأقْوالِ الوُشاةِ ولم   أُذنِبْ ، ولو كَثُرَتْ عني الأقاويل[٤١]

لقد أشرت في أول هذا البحث الى موقف قبيلةُ مزَيْنة من كعْب ورفضها إجارته ، وها هو ذا يَجِدُ نفسه ــ بعدَ أن تخلّى عنه كل خليل ــ وحيداً مستسلماً للقدر الإلهي ، مؤمناً بأنه لا ضَيْرَ في هذا ما دامت نهاية الإنسان ــ مهما طالت سلامته ــ أن يُحْمَلَ على تلك الآلة الحدْباء الى مثواه الأخير .

لقد صوّر كعب في هذه الأبيات الصراع النفسي العنيف الذي عاناه بعد عزلتــه ، وقبل مجيئــه ، تصويرَ من أعْيَتْهُ الحلول لِما ألَمَّ به فلَجأ

(٤٠) ديوان كعب ٢٥ .   (٤١) المرجع نفسه ١٩ — ٢٠ .

الى القدر يؤمن به ! ويستمر في رسم صورة ذلك الوضع قبل مبايعته الرسول، فيقول :

لقَدْ أقوُم مَقَاماً لو يقوم بــه ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيــلُ

لظَلَّ يُرْعَدَ إلاَّ أنْ يكونَ لــه ... من الرَّسولِ بإذْنِ الله تنويــلُ

حتّى وَضَعْتُ يميني لا أُنازعهُ ... في كفّ ذي نَقِماتٍ قِيلُهُ القِيلُ

لذاك أهْيَبُ مِنّي إذْ أُكَلِّمُهُ ... وقيلَ : إنّكَ مسـبورٌ ومسؤولُ

من ضَيْغَمٍ من ضِراءِ الأُسْدِ مُخْدَرُهُ
ببَطْنِ (عثَّر) غِيلٌ دونَهُ غِيلُ (٤٢)

لوحةٌ رائعة في التعبير عن المعاناة ، سَخّر لها كَعْبُ كلَّ مَقْدرتِه الشّعرية، ووضَعها بين يَدَيْ رسولِ الله ، طلباً للعفو !

ومع هذه الروعة أفمنْ حقّنا أنْ نصف أبياته في الاعتذار بأنها أبيات ذات روح إسلامية ؟ أو نقول إنها امتداد لبيئة الشاعر الجاهلية ؟

أميل الى الخيار الثاني، وذلك لأن هذه المعاني محدودة في أبياتٍ ثلاثة، هي:

فقلت : خلّوا سبيلي لا أبالكــمُ ... فكلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمن مفعولُ

أُنبِئْتُ أنَّ رسولَ الله أوعدني ... والعفوُ عندَ رسول الله مأمولُ

مَهْلاً ! هَداكَ الذي أعطاكَ نافِلَةَ القُرْآن فيها مواعيظٌ وتفصيــلُ

أقول : أو ليس من بديهيات الأمور أن يستعد شاعر مثل كعب ، يستخدم إعلانَ إسلامه ، في سبيل الحُصول على عفو من حكم قتل ، ببعض العُدَّة اللفظية بما يناسب المقام الذي سيلقي فيه قصيدته ؟ كيف سيعتذر إنْ هو لم يَسْتخدم لغة دينية هي أقرب وأفضل عند الرسول ؟

على الرغم من هذا فإنَّ بعض المعاني الواردة ليست جديدة على كعب ، بل كانت مستخدمة في بيئته الجاهلية .

(٤٢) المرجع نفسه ٢٠ - ٢١ .

يقول الإمام ابن جرير الطبري :

« . . . ولذلك قال المشركون للنبي ، صلّى الله عليه وسلّم : (وما الرَّحْمن أنَسْجُدُ لما تَأْمُرُنا » إنكاراً منهم لهذا الاسم . كأنه كان مُحالاً عنده أنْ يُنكِر أهل الشرك ما كانوا عالمين بصحته ، أو : لا ، وكأنه لم يَتْلُ من كتاب الله قوله تعالى « الّذينَ آتيناهُم الكِتابَ يَعْرِفُونَه » – يعني محمداً – « كما يَعْرِفُونَ أبناءهُمْ » – وهم مع ذلك به مُكَذّبون ، ولنبوته جاحدون ! فيعلم بذلك أنّهم كانوا يدافعون حقيقةَ ما قد ثَبَتَ عندهم صحته ، واستحكمت لديهم معرفته . وقد أُنْشِد لبعض الجاهلية الجهلاء :

ألا ضَرَبَتْ تلك الفتاةُ هَجِينَهَا ألا قَضَبَ الرَّحْمنُ رَبِّي يمينَها

وقال سَلامةُ بن جَنْدَل السّعدي :

عجِلْتُمْ علينا عَجْلَتَيْنا عليكُمُ
ومَنْ يَشَأ الرَّحمنُ يَعْقِدْ ويُطْلِقِ (٤٣)

إذنْ فهذا الايمان بقدرِ الرحمن ، وإرادته عند كعب ، ليس شيئاً جديداً ، ولا جاء نتيجة إسلامه ، ولكنه من معين ثقافته ومعتقده الجاهليَّيْن ، استخدمه في قصيدته كما استخدمه من قبله سلامةُ بن جَنْدَل السّعدي الشاعر « الجاهلي »(٤٤)

وكذلك حديث كعب عن العفوُ وإن كان سِمةً من السِّمات البارزة في الآداب الاسلامية السمحة كما نص القرآن « خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عن الجاهلينَ » (٤٥) . إلاّ أنه كان من المعاني والصفات الخلقية التي كانت معروفة عند الجاهليين . يقول كعب في بيتٍ من قصيدة له :

وبالعفوِ وَصَّانِي أبي وعشيرتي وبالدَّفْع عنها في أُمورٍ تَريبُها

وعلى احتمال أنه ربما قال هذا البيت بعد إسلامه – وهذا غير وارد – فمبدأ

(٤٣) الطبري ، تفسير ١ : ١٣١ .

(٤٤) ابن قتيبة ٢٧٢ . (٤٥) الأعراف ١٩٩ .

العفو أخَذَهُ عن أبيه وصيةً ، ووالدُه زهير بن أبي سُلْمى تُوُفّي قبل ظهور الاسلام [٤٦] .

أما أن يذكر كعب القرآن الكريم في بيته الثالث ، فلا ينبغي أن يؤخذ على أنه دليل تأثر ديني ، فانّ كعباً — كما مرّ — قد أعَدّ العُدّة لهذا الموقف ، واختار له ما يناسبه من الكلمات ، وماذا غيرُ القرآن — وأكْرِمْ به — يُمكن أن يشفعَ كعب به قصيدته في محاولة مستميتة لاستمالة قلب النبي ، عليه الصلاة والسلام ، طلباً للصفح والعفو .

قد يتحدث أي شاعر عن القرآن أو النبيّ عليه الصلاة والسلام ، حين يكون في وضع مثل وضع كعب ، وموقف كموقفه ،وليس ضرورياً أن يكون هذا الشاعر مسلماً . لعل خير مثال على هذا أبيات أبي عزة الجُمَحي الّتي قالها بعد إطلاق النبي ، عايه الصلاة السلام ، له — عندما أُسِر في غزوة بَدْر — وهو على كُفْرِه ، فقال :

ألا أبْلغا عنّي النّبيَّ (محمداً) بأنّكَ حَقٌّ — والمَليكَ — حَميدُ
وأنت امرؤ تدعو الى الرُّشْدِ والتُّقَى
عليك من اللهِ الكريم شَهيدُ [٤٧]

ومع ورود هذه المعاني الإسلامية في هذا الشِّعر ، فما كانَ أبو عَزّةَ مسلماً بل كان مشركا ، ولكنه شعرُ الشّاعر المحتاج الى العفو وقد أُسِر ، فاختار في بَيْتَيْه — وقد عرَفَ من يخاطب — كلمةَ النّبي وما آمن بِنُبُوّتِه ، ووصَفَهُ بأنه يَدْعُو الى « الرشدِ والتُّقَى » ، وما آمن بدعوتِه ، بل قُتِلَ على شركه ، وقتله الرسول ، عليه الصلاة والسلام.

لا غرابة اذنْ أنْ يستخدم كعب في بيته : « نافلة القُرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ » ، فأبو عزّةَ وكعبٌ سمِعا ، وضَمّنا ما سمِعاه في شعرهما .

(٤٦) ابن قتيبة ١٤١ ، ديوان كعب ٢٠٩ (٤٧) ابن سلام ٢٥٣ — ٢٥٥ .

وكعب عُفِيَ عنه ، فما عاد الى الهجاء ، وأبو عزّة هجا فعُفِيَ عنه ، وعاد الى الهجاء فقُتِل .

٤– ثم ينتقل كعب من اعتذاره للرسول ، عليه الصلاة والسلام ، الى وصف الأسد في أبيات ستة من أبيات القصيدة (٤٣ – ٤٨) . ولا شيءٌ في هذا يمكن الوقوف عنده ، فقد دفعه وصف هيبته من رسول الله الى القول بأن خوفه من رسول الله أشد عنده من خوفه من أسد ضارٍ له صفات ذكَرها في أبياته الستة :

لذاك أهيبُ عندي إذْ أُكلّمُهُ
وقيلَ : إنّكَ مسبورٌ ومسؤول
مِنْ ضَيْغَم من ضَراءِ الأسْدِ مُخْدَرُهُ
ببطْنِ (عثّرَ) غيلٌ دونَهُ غِيلُ[48]

الى آخر الأبيات .

٥– البقية الباقية من أبيات القصيدة – وهي ثمانية أبيات خصّ كَعْب بها المهاجرين وعلى رأسهم رسولُ الله عليه الصلاة والسلام :

إنّ الرسولَ لَسيفٌ يُستضاء بِه
مُهَنّدٌ من سُيُوف الله مسلولُ
في عُصْبَةٍ من قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُمْ
ببطن مَكّةَ لمّا أسلَموا: زُولُوا
زالُوا ، فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ
عِنْدَ اللّقاء ، ولا مِيلٌ معازيلُ
شُمٌ العَرانينِ أبطالٌ لَبُوسهُمُ
من نَسْجِ (داوود) في الهَيْجا سَرابيلُ
بِيضٌ سَوابِغُ قد شُكّتْ لها حَلَقٌ
كأنّها حَلَقُ القَفْعاءِ مجدولُ

(٤٨) ديوان كعب ٢١ – ٢٢ .

يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ
ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابِيلُ
لا يَفْرَحُونَ إذا نالَتْ رِماحُهُمُ
قَوْماً ، وليسُوا مجازيعاً إذا نِيلُوا
لا يَقَعُ الطَّعْنُ إلاّ في نُحُورِهِمِ
ما إنْ لهُمْ عن حِياضِ الموت تهليلُ [٤٩]

وإذا استبْعَدْنَا البيتَ الأول ، وهو بيتٌ يتيم في مديح الرسول ، عليه الصلاة والسّلام ، والبيت الثّاني وهو خاصّ بذكر معنى الهِجْرة ، فإنّ بقية الأبيات لا يختلف اثنان في أنها مديح جاهلي يحمل في معانيه وصوره كلّ صور المبالغة في وصف لباس الحرب والشّجاعة واستحالة الانهزام .

وما قيل من قبلُ عن استخدام كعب للفظة « القرآن » يمكن أنْ يقال هنا عن تضمينه لمعنى « الهجرة » .

• • •

ولعل من كمال البحث ــ وخاصة أني قد أشرت في مكان آخر منه الى أن الشاعر عموماً يُعِدُّ العدة اللفظية التي تناسب مقام الرسول ، عليه الصلاة والسلام ــ أن اعطي مثالا أكثر وضوحاً على هذا .

ولعلنا لا نجد مثالاً أفضل من قصيدة الأعشى في مدح الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، وهي قصيدة أعدّها ليلقيها أمام الرسول مقدمة لإسلامه ، لكنه لم يفعل ، لإقناع قُريش له بعدم الدخول في الإسلام ، فمات مشركا .

والقصيدة تفيض بالمعاني الإسلامية :

له صدقاتٌ مـا تَغِبُّ ونائِلُ وليس عطاءُ اليوم مانِعَهُ غـدا
أجِدَّكَ لم تسمعْ وصاةَ (مُحَمَّدٍ) نَبِيِّ الإلَهِ حينَ أوصى وأشهدا

(٤٩) المرجع نفسه ٢٣ ــ ٢٥ .

إذا أنتَ لم ترحَلْ بزادٍ من التُّقى ... ولاقيتَ بعدَ الموتِ من قد تزوّدا
ندِمتَ على أنْ لا تكونَ كمثله ... وأنّكَ لم ترصُدْ لِما كان أرصدا
فإيّاكَ والميْتاتِ لا تقربَنّها ... ولا تأخذنْ سهماً حديداً لتفصِدا
وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تنسُكنّهُ ... ولا تعبُدِ الأوثانَ واللهَ فاعبُدا
وصلِّ على حينِ العشيّاتِ والضُّحى ... ولا تحمَدِ الشيْطانَ واللهَ فاحمَدا
ولا السائلَ المحرومَ لا تترُكنّهُ ... لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المقيّدا
ولا تسخَرَنْ من بائسٍ ذي ضرارةٍ ... ولا تحسَبَنَّ المرءَ يوماً مخلّدا
ولا تقربَنْ جارةً إنَّ سرَّها ... عليك حرامٌ فانكِحنْ ، أوْ تأبّدا(٥٠)

لا أظن القارئ يشك في وجود بعض المفاهيم الإسلامية في قصيدة الأعشى هذه ، ولعل مقارنتها ببعض الآيات القرآنية يوضح المراد :

فالبيتان الثالث والرابع ، متأثران بقوله تعالى : « وَتَزَوَّدُوا فإنَّ خيرَ الزّادِ التّقوَى » (٥١) .

والبيتان الخامس والسادس ، فيهما معنى قوله تعالى : « حُرِّمَتْ عليكم المَيْتَةُ والدَّمُ ولَحمُ الخنزيرِ وما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بهِ » (٥٢) .

والبيت السابع ، فيه معنى قوله تعالى : « واذْكُرْ رَبَّكَ كثيراً ، وسَبِّح بالعَشِيِّ والإبْكَار » (٥٣) .

والبيت الثامن ، فيه معنى قوله تعالى : « وفي أموالهم حقٌّ للسّائلِ والمَحرُومِ »(٥٤)

والبيت التاسع ، فيه معنى قوله تعالى : « يَا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أنْ يكونُوا خَيْرًا مِنهُمْ » (٥٥) .

---

(٥٠) ديوان الأعشى ١٨٤ ، ١٨٧ .
(٥١) البقرة ١٩٧ .
(٥٢) المائدة ٣ .
(٥٣) آل عمران ٤٢ .
(٥٤) الذاريات ١٩ .
(٥٥) الحجرات ١١ .

والبيت العاشر ، فيه معنى قوله تعالى : « ولا تَقْرَبُوا الزِّنَى إنَّهُ كانَ فاحِشَةً وساءَ سَبِيلا » (٥٦) .

تلك صورة من صور إعداد الشّاعر لقصيدته ، مثّلها لنا الأعشى .

ولعل كعباً لا يبعد من ذلك كثيراً . ومما يؤيد هذا أنه ، بعد إلقائه قصيدتَهُ وإعلانه إسلامه وحصوله على العفو ، يختفي من عالم المدينة ، فلا نسمع له قصائد في مديح الرسول ، أو الدفاع عن الإسلام ، كما فعل أخوه بُجَيْر ، أو غير بُجَير من شعراء الرسول .

والمُسْتَقْصي لديوان كعب – إذا استبعد قصيدته في مديح الأنصار – لا يجد شيئاً من هذا ، إلاّ قصيدة واحدة في ثلاثة عشر بيتاً ، قال الأصمعي : « إنها لأوس بن حجر » (٥٧) .

ولو تتبعنا الأبيات في ديوان كعب ، لخرجنا بثلاثة أبيات من قصيدة يُشَكُّ في إسلاميتها (٥٨) ، وبيت من قصيدة أخرى (٥٩) ، وبيت من ثالثة (٦٠) . ذلك كل ما نجده في الديوان .

يقول ابن عبدالبر ، بعد ذكره خبر إسلام كعب وقصيدته : « ولا أعلم له في صحبته وروايته غيرَ هذا الخبر (٦١) .

(٥٦) الإسراء ٣٢ .
أشير هنا الى أن هذه المقارنة من عمل محقق ديوان الأعشى : د . محمد محمد حسين .

(٥٧) ديوان كعب ١١١ .

(٥٨) المرجع نفسه ٥٦ مع العلم أن مطلع القصيدة حديث عن الخمر إذ يقول (ص ٤٢ – ٤٥)

وقد أشهد الكأس الروية لاهياً ... أعل قبيل الصبح منها وأنهل
ينازعنيها لين غير فاحش ... مبادر غايات التجار معذل
نشاوى ، نديم الكأس منا مرنح ... وعيس مناخات عليهن أرحل
وجحل سليم قد كشفنا جلاله ... وآخر في أنضاء مسح مسربل

(٥٩) المرجع نفسه ٢٢٧ .
(٦٠) المرجع نفسه ٢٢٨ .
(٦١) ابن عبدالبر ١٣١٣

بقي موضوعان مهمان :

١- لماذا خصّ كعب بن زهير المهاجرين بمديحه ، وأغفل الأنصار ؟

٢- هل أعطى الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، بُرْدَتَهُ كعباً ؛ ؟

١- لقد علّلت المصادر مديحَ كعب للمهاجرين ، وإغفاله للأنصار ، بأنّ رجلاً من الأنصار ، عندما دخل كعب مسجدَ رسولِ الله ليعلن إسلامه ، وثب وقال : « دَعْني أضرِبْ عُنُقَهُ ! فكفّهُ النبي ، عليه الصلاة والسلام ، عنه »[٦٢]

قال السُّكّري : « فبلغَنا أنّ عاصمَ بن عمر بن قتادة قال : إنما قال كعب (إذا عَرَّدَ السُّودُ التَّنابيلُ) يريد الأنصار ، لأنّ رجلاً منهم وثَبَ عليه ، فكَفَّهُ النّبي ، ، صلّى الله عليه وسلّم ، وخصّ المهاجرين من قُرَيش بالمدح مع مدح رسولِ الله ، صلّى الله عليه وسلّم »[٦٢] .

وقال عمر بن شبّة : « إنّ كَعباً نزل برجل من جُهَيْنة (بالمدينة) فلمّا أصبح أتى النّبيّ ، عليه الصلاة والسلام ، فقال : يا رسول الله ! أرأيْتَ إن أتيتكَ بكعب بن زهير مُسْلِماً ، أتُؤمِّنَهُ ؟ قال : نعم ، قال : فأنا كعب بن زهير ، فتواثبتِ الأنصارُ ، تقول : يا رسول الله : إئذَنْ لنا فيه ، فقال : وكيف وقد أتاني ! وكفّ عنه المهاجرون ، ولم يقولوا شيئاً . . . وعرّضَ بالأنصار في قصيدته في عِدّة مواضع ، منها قولُهُ :

كانت مَواعيدُ (عرْقوبٍ) مَثَلاً وما مواعيدُها إلاّ الأباطيلُ[٦٤]

ومع إمكانية قبول هذا التّعليل لإغفال كَعْب للأنصار ، لا أميل اليه ولا أرجّحه ، وذلك لسببين :

الأول : أن ارتجال كعب لقصيدته أمر مستبعد ، ولا بُدّ أنه أعد قصيدته قبل مجيئه للرسول ، خاصةً وأنّ كعباً أحدُ تلاميذ المدرسة الأوسيّة التي اشتهرت بتنقيح

---

(٦٢) ديوان كعب ٥ وانظر : ابن سلام ١٠٠ – ١٠٢ ، ابن قتيبة ١٥٤ – ١٥٥ .

(٦٣) ديوان كعب ٥ – ٦.

(٦٤) ابن قتيبة ١ : ٨٧ ، ١٤٤ .

الشعر قبل إخراجه ، وحولياتُ زهير ، والد كعب ، خيرُ مثال [٦٥] .

الثاني : أكاد اجزم بان السبب الحقيقي لهذا الإغفال يعود الى ضغائن قبلية جاهلية بين كعب والأنصار ، أو على الأصح بين مُزَيْنة والخزرج [٦٦] .

يقول السُّكَّري : « كانت الأوْسُ من الأنصار حلفاء مُزَيْنة ، فمرَّ رجل من مُزَيْنة يقال له جُؤَيّ على الأوْسِ والخزرج وهم يقتتلون ، فدخل في حلفائه ، فأصيب ، فمرَّ به ثابتُ بن المُنذر بن حرام ، أبو حسّان بن ثابت الشاعر فقال : يا أخا مُزَيْنة ! ما طرحك هذا المَطْرَح ؟ فوالله إنّك من قوم ما يحمونك ! فقال جُؤَيّ ، وهو يَجُود بنفسه : أُعْطِي الله عهداً لَيُقْتَلَنَّ بي منكم خمسون ليس فيهم أعْوَرُ ولا أعْرَجُ ، فقال : فسارت كلمتُهُ حتى أتت (عَمْق) وهي بلادُ مزينة ، فثاروا يريدون الخزرج بدم جُؤَيّ قال : فلقيَتْهُمْ مُزَينة ببعاثَ ، وهي بيثْرب ، ورئيسهُم مُقَرَّن بن عائذ . . فاقتتلوا ، فقُتِلَ من الخزرج عدَّة وأُسِر ثابت بن المُنذر . . . فأنشأ كعب (بن زهير) عند ذلك يقول :

لقد وَلّي أَلِيّتَهُ جُؤَيٌّ ... معاشرَ غير مطلولٍ أخوها
لِنَذْرِكَ والنُّذُورَ لها وفاءٌ ... إذا بلَغَ الخزايةَ بالغُوها
صَبَحْنا الخَزْرَجيّةَ مُرْهَفاتٍ ... أَبادَ ذَوي أَرُومَتِها ذَوُوها
فما عثَرَ الظِّباءُ بِحَيِّ كَعْبٍ ... ولا الخمسونَ قَصَّرَ طالبُوها [٦٧]

وهي قصيدةٌ في عشرة أبيات .

إذنْ فالضغائن بين مزينة والخزرج كانت قائمة في الجاهلية ، وكعب كان طرفاً مباشراً فيها كما تدل القصيدة .

ويبدو أنَّ الإسلام لم يَمْحُ هذه الضَّغائن من نفوس بعض الخزرج إذْ نرى حسّان بن ثابت الخزرجيّ شاعر الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، يقول :

(٦٥) الأصبهاني ١٧ : ٤٤ . (٦٦) ديوان كعب ٢٠٠ ، ٢٠٩ – ٢١٢ .
(٦٧) المرجع نفسه ٢٠٩ – ١١٢ ، وانظر : ابن سلام ٢١٦ .

جاءت (مُزَيْنة) من (عَمْقٍ) لتُخْرِجَني
إخسَيْ (مُزَيْنَ) وفي أعناقكم قَدَدِي
يَرْمُونَ بالقول سِراً في مهادنة
يُهْدَى إليَّ كأنّي لستُ من أَحَدِ [٦٨]

والقصيدة – كما تقول مناسبتها – نظمها حسّان في هجاء بلال بن الحارث المُزَنيّ، وهو ممن تهدَّدُوا حسان بن ثابت للكلام الذي تَكَلّم به في حديث عائشةَ » . وقد وقعت قصة الإفك في السنة السادسة للهجرة .

وتعميم حسّان في هجائه لمُزَيْنة ، بالرغم من أنَّ المهجُوَّ واحد ، يشير الى أن المُزَنيين كانوا وراء بلال بن الحارث ، الذي يقول فيه ابن حجر إنه « . . . كان يحمل لواءَ مُزَيْنة في فتح مكة » [٦٩] . كما أن قبيلة حسّان هي أيضاً وراءه ، وهذا واضح من عجز بيته الثاني : (. . . . كأنيَّ لستُ من أحَدِ)

كأنه أراد أن يقول : الخزرج من ورائي .

إذن فكعب بن زهير قد جاء الى المدينة حاملاً معه تركة خلافات وحروب وضغائن بين قبيلته والأنصار ، ولا بد – على هذا – أنه تعمد أن لا يمدحهم ، بل أن يُعَرِّض بهم في بيتهِ : (. . . إذا عرَّدَ السُّود التَّنابيلُ) [٧٠] .
ولعله أيضاً قَصَدَهم في بيته :

لا تأخُذَنّي بأقوال الوُشاةِ ولم
أذْنِبْ ولو كَثُرَتْ عنّي الأقاويلُ [٧١]

صحيح أنه مدح الأنصار بقصيدته :

من سَرَّهُ كَرَمُ الحياةِ فلا يَزَلْ في مِقْنَبٍ من صالحي (الأنْصارِ) [٧٢]

لكنه مديح جاء بعد أن « أهدت إليه (الانصار) وكلموا النبّي » [٧٣] وقال :

(٦٨) ديوان حسان ١ : ٢٨٤ .
(٦٩) ابن حجر ١ : ٣٢٦ .
(٧٠) ديوان كعب ٢٤ .
(٧١) المرجع نفسه ٢٠ .
(٧٢) المرجع نفسه ٢٥ .
(٧٣) المرجع نفسه ٢٥ .

« لولا ذكَرْتَ الأنصار بخير فإنّهم لذلك أهلٌ » [٧٤] . فليس اذن مديحاً عن طيبة خاطر

وكأني به قد حدّد عدد ممدوحيه من الأنصار : « قال أبو عمرو : المِقْنَبُ : ألفٌ وأقلّ ، ولم نسمع ثلاثين وأربعين » ، وقال الأصمعي : هم الجماعة من الفوارس نحو الثلاثين أو أكثر أو أقلّ » . وقال ابن منظور : « المِقْنَبُ من الخيل ما بين الثلاثين الى الأربعين ، وقيل : زُهَاء ثلاث مئة . . . وقيل : دون المئة » [٧٥] .

هل فصد كعب في مديحه للأنصار أن يخص الأوس ، حلفاءَ قبيلته في الجاهلية ، دون الخزرج ؟ رُبّمَا .

٢– بقي موضوع إهداء النبي، عليه الصلاة والسلام ، بُرْدَتَهُ لكعب .

المتتبع للروايات المتفرقة في المصادر التي وصلت إلينا ، يجد أن خبر إهداء النبّي ، عليه الصلاة والسلام ، بردَتَهُ لكعب يرد في المصادر المتأخرة . لم أعثر على رواية واحدة – فيما ألف قبل المئة الرابعة للهجرة فيما وصل الينا من مصادر تقـول – بجزم وبرواية موثقة – إن الرسول أهدى بردته لكعب .

ولعل المصدرين الوحيدين اللذين أوردا خبر (البردة) في مصادر المئة الثالثة ، هما : طبقات فحول الشعراء لابن سَلاّم (المتوفّى سنة ٢٣١هـ) ، والشعر والشعراء لابن قُتَيبة (المتوفّى سنة ٢٧٦ هـ) .

تقول رواية ابن سَلاّم ، بعد أن أورد خبر إسلام كعب ، عن طريق سعيد ابن المُسَيّب (المتوفّى سنة ٩٤ هـ) : « فكسَاه بُردةً اشتراها معاوية من آل كعب بن زهير بمال كثير ، قد سُمِّي ، فهي (البردة) التي تلبسها الخلفاء في العيدين. زعم ذلك أبان » [٧٦] . فمن هو أبان هذا مصدر خبر البردة ؟

لقد روى ابن سلام في طبقاته أن أبان بن عثمان البجلي (المتوفّى سنة ٢٠٠هـ) والمعاصر لابن سلام ، في اثني عشر موضعاً ، فهل هو المــراد هنا ؟ ويكون

(٧٤) ابن هشام ٢ : ٥١٥ . (٧٥) ديوان كعب ٢٦ ، ابن منظور ، ولسان ، مادة : « قنب ».

ابن سلام قد روى خبر (البردة) عنه ، منفصلاً عن خبر إسلام كعب ذلك المروي عن طريق سعيد بن المسيب ؟

- قد يكون المراد به عند ابن سلام : أبان بن عثمان بن عفّان (المتوفى سنة ١٠٥هـ) وهذا ما ترجحه رواية ابن قتيبة إذْ تقول : « فكساه النبي ، صلى الله عليه وسلم بردة اشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم ، وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدَيْن . زعم ذلك أبان بن عثمان بن عفّان » (٧٦) .

وعلى خلاف ابن سلاّم ، روى ابن قُتَيبة خبر إسلام كعب دون أن يذكر سند روايته . لكنّ نص الخبر عنده يكاد يكون نص خبر ابن سلاّم ، مع زيادة في الأبيات عند ابن قتيبة (٧٧) .

والسؤال الآن : هل رواية ابن قتيبة الخالية من السند هي أيضاً عن طريق سعيد ابن المسيب ؟ أكاد أعتقد ذلك .

وعليه فاننا أمام احتمالات ثلاثة :

١- أن يكون راوي خبر (البُردة) ، عند ابن قتيبة ، هو سعيد بن المسيب (المتوفّى سنة ٩٤ هـ) عن معاصره أبان بن عثمان بن عفّان (المتوفّى سنة ١٠٥هـ) بالرغم من عدم ورود اسم سعيد بن المسيب ، ولكنه احتمال يؤيده تطابق النصين عند ابن سلام وابن قتيبة .

٢- أن يكون راويه ، عند ابن سلام ، أيضاً ، سعيد بن المسيب عن أبان بن عثمان بن عفان ، بالرغم من عدم ورود اسمه كاملا عند ابن سلام والاقتصار على « أبان » . وهذا احتمال تؤيده رواية ابن قتيبة .

٣- أن يكون راويه عند ابن سلام هو ابن سلام نفسه، ويكون رواه عن أبان ابن عثمان البَجَليّ (المتوفّى سنة ٢٠٠هـ) .

وهذا احتمال يؤيده كون أبان البَجَليّ أحد مصادر ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء .

(٧٦) ابن سلام ١ : ١٠٢ . (٧٧) ابن قتيبة ١٥٦ .

ليس بين هذه الاحتمالات واحد يمكن فيه الجزم بطرفيه، الراوي والمروي عنه، لكن هذه الروايات تدل ، بطريق غير مباشر ، على أن سعيد بن المسيب، روى الخبر عن أبان بن عثمان بن عفان، بالرغم مما يقود اليه هذا الاستنتاج من تشكك في رواية خبر اسلام كعب كله مع خبر البردة ، نظراً لأن خبر الاسلام هذا وخبر البردة رويا عند ابن سلام وابن قتيبة بسند واحد ، ثم ذكر بعدهما : « زعم ذلك أبان » .

ولا يمكن الفصل بين الخبرين إلا على تقدير أن حرف الفاء الوارد في خبر (البردة) في قوله : « فكساه . . . » حرف استئناف وليس عاطفا .

أنتقل — بعد هذه الاحتمالات — الى نص الخبر وطريقة صياغته حيث استعمل « الزعم » في الرواية عن أبان . وهذا من غير ريب يدل على التشكك في روايته سواء عند سعيد بن المسيب ، أو ابن سلام ، أو ابن قتيبة .

يقول ابن فارس : « زعم : القولُ من غير صحة ولا يقين . قال الله جلّ ثناؤه : « زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا » ، وقال الشاعر :

زَعَمَتْ غدانة أنّ فيها سيِّداً ضَخْماً يُواريه جناحُ الجُنْدَبِ [78]

وقال ابن منظور (مادة زعم) : « قال الليث : سمعت أهل العربية يقولون : إذا قيل : ذكر فلان كذا وكذا ، فانما يقال ذلك لأمر يُسْتَيْقَنُ أنه حق ، وإذا شُكّ فيه فلم يُدْرَ لعله كذب أو باطل قيل : زعم فلان . وقيل : الزعم : الظن ، وقيل : الكذب .

وقال ابن السِّكِّيت : ويقال للأمر الذي لا يوثق : به مزعم ، أي : يزعم هذا أنه كذا ، ويزعم هذا أنه كذا . » [79] .

واما مدح الأعشى قيس بن معدي كرب الكندي فقال :

ونُبِّئْتُ قيساً ولم آتِهِ وقد زَعَمُوا سادَ أهلَ اليَمَنْ

(٧٨) ابن فارس ، مقاييس ٣ : ١٠ . (٧٩) ابن منظور : مادة (زعم) .

« عابوه بهذا الشك . وقيل : إنّ قيساً أنكر ذلك عليه فجعل مكان : قد (زَعَمُوا) ، على نَأيهِ » (٨٠) فجاء البيت :

ونُبِّئْتُ قَيْساً ولم آتِــهِ   على نَأيهِ ساد أهْلَ اليَمَنْ

وقال جَرير :

زَعَمَ الفَرَزْدُق أنْ سَيَقْتُلُ مَرْبَعاً

أبشِرْ بِطُولِ سلامةٍ يا مَرْبَعُ (٨١)

وهذا رسول الله – كما ورد في سنن أبي داوود – يقول : « بئس مطية القوم : زَعَمُوا » (٨٢) .

أخلُص من هذا الى أن رواية سعيد بن المُسَيّب أو ابن سلاّم أو ابن قُتَيبة ، لا يمكن الركون اليها ، ولا الاحتجاج بها ما داموا وهم العلماء الأفاضل ، أوردوا خبر (البردة) عن أبان بتلك الطريقة المتشككة : « زعم أبان » .

واذا تركنا ابن سلام وابن قتيبة ، وتتبعنا المصادر الأخرى التي أوردت خبر إسلام كعب عامة ، نجد من أورد خبر إهداء الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، بردته لكعب قليلاً جداً . فثعلب في المجالس ، والأصبهاني في الأغاني ، وابن بِشْران في خبر إسلام كعب ، وابن هشام في السيرة ، وابن عبدالبر في الاستيعاب ، والسهيلي في الروض الأُنُف ، وابن الأنباري في شرح قصيدة كعب ، والخطيب التبريزي في شرحه أيضاً لقصيدة كعب ، ذكروا خبر إسلام كعب لكنهم أغفلوا خبر هذا الإهداء .

واذا راجعنا كتب الحديث المعتبرة ، كصحيح الإمام البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن الدارمي ، وموطأ الإمام مالك ، وسنن النّسائي ، والترمذي ، وابن ماجة ،

---

(٨٠) المرزباني ، الموشح ٥٠ – ٥١ .

(٨١) ديوان جرير ٩١٦ .

(٨٢) أبو داود ، سنن ٤ : ٢٩٤ .

ومسند الإمام أحمد [٨٣] ، لا نجد ايضاً ذكراً اخبر إهداء الرسول بردته لكعب .

على أن ممن ذكر الخبر ابن رشيق (ت٤٥٦هـ) في عمدته ، وهو خبر لا يعتمد الى سند بل يقول : « . . . وهب له بردته ، فاشتراها معاوية بثلاثين ألف درهم ، وقال العُتبي : بعشرين ألفا ، وهي التي يتوارثها الخلفاء ، يلبسونها في الجمع والأعياد تبركاً بها . وذكر جماعة منهم عبدالكريم بن ابراهيم النهشلي الشاعر انه أعطاه مئة من الابل » ! [٨٤] .

فالخبر كما نرى عار من السند ، وإهداء مئة ناقة مبالغة لا نجدها عند غيره .

ولعل من الأخبار التي يمكن ـ عادة ـ الاعتماد عليها نُقول ابن حَجَر العَسْقَلانيّ ، فقد ذكر في الاصابة خبر إسلام كعب فقال : « وأخرج ابن قانع عن طريق الزبير بن بكار ، عن بعض أهل المدينة ، عن يحيى بن سعد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : . . . » [٨٥] ثم ذكر الخبر ، وبيتين من قصيدته ، ثم قال : « فكساه النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بردة له اشتراها معاوية من ولده فهي التي يلبسها الخلفاء في الأعياد » [٨٦] .

وواضح هنا أن في سند الرواة من هو مجهول ، ولا يمكن الاعتماد على روايته وهو ذلك الراوي الذي عُبِّرَ عنه بأنه « بعض أهل المدينة » .

ويبدو لي ــ مع هذا ــ أن رواية الخبر عن طريق سعيد بن المسيب يوحي بأنها رواية ابن سلام نفسها التي مَرَّ ذكرها من قبل ، إلا أن اسم (أبان) لم يرد عند ابن حَجَر .

كذلك يورد السُّبْكِيّ خبر إهداء (البردة) ، ولا يزيد عن رواية ابن سَلاّم ، « زعم ذلك أبان » [٨٧]

---

(٨٣) رجعت في هذا الى ونسنك : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ؛ ولهذا لم أدخل كتب الحديث في قائمة المصادر لعدم استخدامي لها .

(٨٤) ابن رشيق ، العمدة ٢٤ .

(٨٥) ابن حجر ٥ : ٥٩٤ .

(٨٦) المرجع نفسه ٥ : ٥٩٤ .

(٨٧) السبكي ، طبقات ١ : ٢٢٩ – ٢٣١.

ويذكر البغدادي خبر كعب ثم يقول : « . . . وأجازه بردته الشريفة التي بيعت بالثمن الجزيل حتى بيعت في أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم ، وبقيت في خزائن بني العباس . . . والله أعلم بحقيقة الحال »[88] .

وشك البغدادي في القصة واضح من عبارته التي ختم بها الخبر .

أما ابن كثير فقد روى خبر (البردة) ، ثم قال : « هذا من الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك في شيء من الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه »[89] .

أكاد أعتقد بأن كل الأخبار والروايات ، التي أشارت الى إهداء الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، بردته لكعب – سواء كان ذلك في المصادر المتقدمة أو المتأخرة – تعود الى رواية « أبان » ، وهي رواية لا يمكن الاعتماد عليها أبداً .

● ● ●

(٨٨) البغدادي ، خزانة ٤ : ١٢١ .

(٨٩) ابن كثير ، البداية ٤ : ٣٧٣ .

كتاب في معرفة الضاد والظاء

جمعه الشيخ أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن أحمد
القيسي الصقلي

تحقيق
الدكتور حاتم صالح الضامن
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

خصّ الله ـ عزّ وجلّ ـ اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، بحرفين تميز بهما العرب عن سواهم ، وهذان الحرفان هما الضاد والظاء .

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي : الظاء حرف عربيّ خُصَّ به لسان العرب لا يشركهم فيه أحد من سائر الأمم (تهذيب اللغة ١٤ ـ ٤٠٣) .

وقال ابن جني : اعلم أنّ الضاد للعرب خاصة ، ولا يوجد من كلام العجم إلاّ في القليل (سر صناعة الاعراب ١ ـ ٢٢٢) .

وكان العرب الفصحاء لا يخلطون بينهما في النطق . وبعد أن اختلط العرب بالأعاجم فسدت الألسنة وشاع اللحن وصعب عليهم نطق الضاد يضاف الى ذلك الخلط بين الضاد والظاء في الكتابة أيضاً .

لكل هذا نهد علماء كثيرون لوضع ضوابط للحفاظ على اللغة العربية ونقائها وقد ذكرنا هؤلاء العلماء في مقدمة تحقيقنا لكتاب (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) لابن مالك .

أما الكتاب الذي ننشره اليوم لأول مرة فهو يعالج هذه المشكلة أيضاً . وقد قسم المؤلف هذا الكتاب على أربعة أبواب :

الأول : باب الضاد ، وتناول فيه ١٦٩ لفظة مع مشتقاتها .

الثاني : باب الظاء ، وتناول فيه ٤١ لفظة مع مشتقاتها .

الثالث : ما جاء بالضاد وله معنى بالظاء ، وتناول فيه ٦ ألفاظ .

الرابع : ما جاء بالضاد والظاء على معنى واحد ، وتناول فيه لفظتين فقط .

وكان المؤلف يستطرد في شرح قسم من الألفاظ ذاكراً ما يشتق منها ، ويترك ألفاظاً أخرى من غير ذكر لمشتقاتها .

ولا يخلو الكتاب من الاستشهاد ، فقد استشهد باثنتين وثلاثين آية كريمة وبحديثين وثلاثة أبيات من الشعر وستة أشطار من الرجز :

وكان جلُّ اعتماد المؤلف على الصحاح للجوهري إذ نقل عنه كثيراً من غير اشارة اليه ، شأنه في ذلك شأن كثير من المؤلفين . كما اعتمد على العين للخليل وأشار اليه مرة واحدة وأهمله مرات ، وقد أشرت الى ذلك في حواشي التحقيق .

ويبقى للمؤلف بعد هذا فضل جمع هذه الألفاظ من مظانها وترتيبها ليسهل على القارئ معرفة الضادات والظاءات فجزاه الله تعالى عن العربية خير الجزاء .

• • •

أمّا مؤلف الكتاب فهو أبو الحسن علي بن أبي الفرج بن أحمد القيسي الصقلي ، كما هو مثبت على الصفحة الأولى من المخطوطة :

ولم أجد له ترجمة فيما رجعت إليه ولكنني وجدت في كتاب الأنساب للسمعاني ٨-٣٢١ تحت مادة (الصقلي) إذ عدد من نسب الى صقلية وقال :

(. . . وأبو الحسن علي بن المفرج بن عبدالرحمن الصقلي ، القاضي بمكة ، أظنه ولي القضاء بها ، سمع أبا بكر محمد بن أبي سعيد الاسفراييني صاحب أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني وأبا ذر عبد بن أحمد بن محمد الهروي المالكي

الحافظ . روى عنه الحافظان أبو القاسم هبة الله بن عبدالوارث الشيرازي وأبو الفتيان عمر بن عبدالكريم بن سعدويه الرواسي ، وروى لي عنه أبو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري ببغداد ، وكانت وفاته سنة نيف وسبعين واربعمائة) .

وأعاد ابن الأثير كلام السمعاني مع حذف بعض الرواة في : اللباب في تهذيب الأنساب ٢ ـ ٢٤٥ وجاء فيه : (بن الفرح) ، بدلاً من : (المفرج) .

أقول : لعل أبا الحسن علي بن المفرج هو المؤلف نفسه ولكن حدث سهو أو تحريف عند كتابة الأسم من قبل الناسخ . ويبقى الشك قائماً ، إذ كيف غير (أحمد) الى (عبدالرحمن) ؟

وعسى أن يقف بعض الفضلاء على ترجمة له فيخدم العلم وأهله .

* * *

أمّا مخطوطة الكتاب فهي نسخة فريدة وقفت عليها في مجموع فيه كتب ومنظومات في الضاد والظاء في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم ١٠٦٣ . ويبدأ الكتاب من نهاية الصفحة ٣٦ وينتهي بالصفحة ٥١ . وعدد أسطر كل صفحة ١٥ سطراً . والكتابة واضحة وفيها بعض الشكل .

* * *

وأخيراً أرجو أن يكون عملي هذا خدمة للغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم ، (وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب) ، و (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) .

تذييل واستدراك

على تراث العرب في الضاد والظاء

كنا قد نشرنا في الجزء الثالث من المجلد الحادي والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي الغراء كتاب (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) لابن مالك . وذكرنا في مقدمته أسماء تسعة وثلاثين عالماً ممن ألفوا في الضاد والظاء . ونضيف اليوم أسماء علماء آخرين وقفت عليهم بعد نشري لكتاب ابن مالك .

ولا بد من الإشارة هنا الى أنّ الاستاذ الدكتور رمضان عبدالتواب لم يشر الى هؤلاء المؤلفين في مقدمةتحقيقه لكتاب (زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء) لأبي البركات الأنباري عند ذكره لتراث العرب في الضاد والظاء . ونُدوِّن فيما يأتي أسماء هؤلاء المؤلفين :

١ــ الجواليقي ، موهوب بن أحمد ، ت ٥٤٠ هـ . له : رسالة فيما يُقالُ بالظاء المعجمة ، وهي مخطوطة في قوغوشار باستانبول .

(نوادر المخطوطات العربية في مكتبات استانبول ١ ـ ٤١٩) .

٢ــ ابن الأثير الجزري ، ضياء الدين ، ت ٦٣٧ هـ . له رسالة في الضاد والظاء .

(كشف الظنون ٨٧٦ ، هدية العارفين ٢ ـ ٤٩٣) .

٣ــ الرسعني ، عبدالرزاق بن رزق الله الحنبلي ، ت ٦٦١ هـ .

له منظومة في ظاءات القرآن الكريم اسمها : (درة القارئ) ، وهي مخطوطة ضمن مجموع في مدرسة الحاجيات بالموصل ، وقد أنبهني عليها أخي الدكتور عبدالوهاب العدواني .

٤ــ ابن مالك ، جمال الدين ، ت ٦٧٢ هـ . له ، غير ما ذكرنا في مقدمة كتابه ، أرجوزة فيما يقال بالضاد فيدل على معنى ، ويقال بالظاء فيدل على غير ذلك المعنى . وهي مخطوطة في مكتبة فيض الله باستانبول تحت رقم ٢١٢٩ ،

وقد كتبت سنة ٧٢٥هـ . (نوادر المخطوطات العربية في مكتبات استانبول ١-١٧١).

٥- محمد بن أحمد بن سعود الأنصاري : له كتاب (الاقتضاء للفرق بين الذال والضاد والظاء). ذكره المراكشي في (الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة) ٥ - ٦٤٢ .

٦- أبو الحسن أحمد بن محمد بن علي بن ابراهيم الكاتب . له قصيدة في الفرق بين الظاء والضاد . (نوادر المخطوطات العربية في مكتبات استانبول ١ - ٢٣٢) .

٧- أبو العباس أحمد بن أبي المكارم المقري الواسطي ، له منظومة من بحر الرجز في الفرق بين الضاد والظاء . وهي مخطوطة تحت رقم ١٠ مجاميع في النجف . (الآثار المخطوطة في النجف) . وقد أنبهني عليها الأخ الدكتور محمد ضاري .

٨- ابن النجار ، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد المقرئ الشافعي . له رسالة في الفرق بين الضاد والظاء في تلاوة القرآن الكريم . منها نسخة جيدة في دار الكتب الظاهرية تحت رقم ٥٩٨٧ . (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن) ٤٤) .

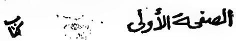
٩- الشيخ علي بن سليمان بن عبدالله المقرئ المنصوري المصري المتوفى سنة ١١٣٤ هـ . له رسالة (رد الإلحاد في النطق بالضاد) . وهي مخطوطة في دار الكتب الظاهرية . (فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ٤٠-٤١).

١٠- ساجقلي زاده ، محمد المرعشي المتوفى سنة ١١٥٠ هـ . له رسالة في الضاد . وهي في كيفية أداء الضاد المعجمة والنطق بها في تلاوة القرآن الكريم . وقد انتهينا من تحقيقها .

١١- الإزميري ، محمد بن اسماعيل. له رسالة في ابدال الضاد بالظاء، يردُّ فيها على ساجقلي زاده . وقد انتهينا من تحقيقها .

٢٧

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على محمد خاتم
النبيين. سألتني أمتع الله بك أشكال الضاد والظاء عليك وأن أعمل
مختصرا في معرفة الضادات والظاءات الواقعة في متداول الكلام
ففعلت ذلك نفعنا الله وإياك بالعلم وزيننا بالدين والحلم. باب
الضاد. يقال العرب ناضر فيه نضارة ومنه قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة
ونضّر الله وجهه والنضار الذهب والنضر اسم رجل من أجداد رسول الله
صلى الله عليه وسلم. تضعضع الرجل إذا ذل وخضع. العضّ معروف بالأسنان العضيهة
الكذب. قضاعة أبو حي من اليمن وهو قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ
وتزعم نسّاب مضر أنه قضاعة بن معد بن عدنان وقال قوم قضاعة كلبة
ماء ولم يعرفها أبو الغوث وذكر الخليل أن القضع القهر وبذلك سميت
قضاعة وقال آخرون سمي قُضاعة لأنه انقضع عن قومه أي انقطع و
انقضع عن أهله بَعُد وتقضّع التي تقطع وذكر ابن دريد تقضّع القوم
تفرقوا. الانضجاع والتضجيع معروفان ويقال عَضُدٌ وعَضْدٌ وعَضَدٌ وعُضُدٌ و
فلان يعضد فلانا أي يعينه وعضادتا الباب والعضه والتعضية بمعنى واحد
الرضاع ومنه المرضعة والمضارعة المشابهة وضرع الشاة والضريع في



الصفحة الأولى

٥١

اذا انتفرت صوفها يكتب بالضاد والظاء. والخضل كثرة الماء ومطر خضل
ودمع خضل نخضل والفعل منه خضل يخضل خضلا واخضلت السماء
اذا مطرت مطرا غزيرا كله بالضاد تمت هذه الرسالة

لابرهيم بن علي بن عقيل الخزاعي

جسمي بسقم جفونه قد اسقما ... ديم لهم لحاظه قلبي
كالريم يعتزل الغوام بهيفه ... من الحقا لكنه عذب اللما
ورشا احل دمي الحرام وقد ابى ... في شرعه وصلي الحلال محرما
من ورد وجنته واس عذاره ... ونسيمه بحجاحظه الساجي حما
ما ابته نقصا وبت بغاني ... في تبر فناء بكيت تبسما
حكمته في مهجتي وحشاشتي ... فجنى وجار على حشى تحكما
يا ذا الذي عذل العيون بهيفه ... ونساطلعته على قمر السما
وفقا بي لولا جمالك لم يكن ... عشق الصبابة والغرام متيما

لمحي الدين بن قرناص

يا من ابدت وصال المتفاني ... ذا الهجر محمود على اجلالي
يا غصن مالك ما عطفت بنظرة ... والعطف معروف من الاغصان

[illegible]

الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

(٣٧) – الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وصلى الله على محمد خاتم النبيين .

سألتني أمْتَعَ اللهُ بكَ إشكالَ الضادِ والظاءِ عليكَ وأنْ أعملَ لكَ مختصراً في معرفةِ الضاداتِ والظاءاتِ الواقعةِ في متداولِ الكلامِ فَفَعَلْتُ ذلكَ. نَفَعَنا اللهُ وإياكَ بالعلمِ وزيّننا بالدينِ والحلم .

(باب الضاد)

يُقال : وَرَقٌ ناضِرٌ فيه نَضَارَةٌ ، ومنه قوله تعالى : «وجوهٌ يومئذ ناضِرَةٌ »[1] . ونَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ . والنضارُ : الذهبُ . والنَّضْرُ[2] : اسمُ رجلٍ من أجداد رسولِ اللهِ عليه السلام .

تَضَعْضَعَ الرجلُ : إذا ذَلَّ وخَضَعَ .

العَضُّ : معروف بالأسنان .

العُضَيْهَةُ : الزورُ .

قُضَاعَةُ : أبو حَيٍّ من اليمن[3] ، وهو قُضاعةُ بن مالكِ بن حِمير بن سبأ . وتزعم نُسّابُ مُضَرَ أنّهُ قُضاعة بن معدّ بن عدنان[4] . وقالَ قومٌ : قضاعةُ كلبةُ الماءِ . ولم يَعْرِفْهُ أبو الغَوْثِ[5].

(١) القيامة ٢٢ .
(٢) هو النضر بن كنانة (ينظر ؛ السيرة النبوية ١ / ٩٣ – ٩٤ ، المعارف ١١٧) .
(٣) في الأصل ؛ اليمين . وهو تحريف . ونقل المؤلف هذا القول عن العين ١ / ١٤٤ .
(٤) ينظر : قلائد الجمان ٤١ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٤٠٠ .
(٥) لم أقف على ترجمته .

وذكر الخليل [٦] أنّ القَضْعَ القَهْرُ ، وبذلك سُميت قضاعة .

وقال آخرون : سُمِيَ قُضاعةً لأنّه انقَضَعَ عن قومِهِ ، أي انقطع . وانقَضَعَ عن أهله : بَعُدَ . وتَقَضَّعَ الشيْ : تَقَطّعَ . وذكر ابن دريد [٧] : تَقَضَّعَ القومُ : تَفَرَّقُوا .

الاضطجاعُ والضجيعُ : معروفان .

ويُقال : عَضُدٌ و عُضُدٌ . وفلانٌ يَعْضُدُ فلاناً ، أي يعينه . وعضادتا الباب .

والضَّرَعُ والتَضَرُّعُ بمعنى واحد [٨] .

الرِّضاعُ ، ومنه المُرْضِعَةُ ، والمضارعةُ : المشابهةُ .

وضَرْعُ الشاةِ . والضَّرِيعُ في (٣٨) ـ كتابِ الله [٩] : يَبِيسُ الشِّبْرِق .

العَرْضُ : خِلافُ الطولِ . وعَرَضَ الجيش وعَرَضَ السِّلْعَةَ على البيع . والمعارَضَةُ في الكلام والحديث . والتعرضُ للناس . والمَعَارِيضُ في القــولِ [١٠] وعَروض الشعر . وعُرْض الحائط . والعَرَض الذي يستعمله المتكلمون . وعارِضُ الوَجْهِ .

وعَضَلَةُ الساقِ . وداءٌ عُضالٌ . وأمْرٌ مُعْضِلٌ . وعَضَلُ النساءِ : مَنْعَهُنَّ من التزويج ، قال الله تعالى : « ولا تَعْضُلُوهُنَّ » [١١] .

---

(٦) العين ١ / ١٤٤ . والخليل بن أحمد الفراهيدي مبتكر أول معجم في العربية وواضع علم العروض توفي نحو سنة ١٧٠ هـ . (أخبار النحو يين البصريين ٣٠ ، طبقات النحويين واللغويين ٤٧ ، نور القبس ٥٦ ، وفيات الأعيان ٢ / ٢٤٤) .

(٧) جمهرة اللغة ٣ / ٩٣ . وابن دريد هو أبو بكر محمد بن الحسن ، توفي سنة ٣٢١ هـ . (تاريخ بغداد ٢ / ١٩٥ ، معجم الأدباء ١٨ / ١٢٧ ، المحمدون من الشعراء ٢٧٩ ، طبقات الشافعية ١ / ٨٥) .

(٨) أي التذلل (العين ١ / ٣١٤) .

(٩) في الآية ٦ من الغاشية : « ليس لهم طعام إلا من ضريع » . ينظر : النبات ٢٢ .

(١٠) أي التورية عن الشيء بالشيء . (اللسان التاج : عرض) .

(١١) النساء ١٩ .

وضِلعُ الانسانِ . وفرسٌ ضَلِيعٌ : أي واسعُ الجنبين . وفلانٌ يَضْطَلِعُ بهذا الشيءِ من الأمرِ . وأَكَلَ حتى تَضَلَّعَ .

وضَعْفُ الانسانِ . وضِعْفُ الشيءِ : من المضاعفة ، منه قوله تعالى : « يُضاعِفُ لِمَنْ يشاءُ » [١٢] .

وضَبْعُ الإنسانِ : وسطُ عَضُدِهِ . والضَّبُعُ : معروفٌ ، وهو للذكر والانثى [١٣] ، بغير هاء .

بَضَعْتُ الشيءَ : قطعته . والبَضْعَةُ : القِطْعَةُ . والمُباضَعَةُ : الجِماعُ . والبِضاعَةُ : معروفةٌ .

وقولهم : بِضْعٌ ، في العدد ، بكسر الباء ، وبعض العرب يفتحها : وهو ما بين الثلاث الى التسع ، قال الله تعالى : « في بِضْعِ سِنِين » [١٤] . وبِضْعَةَ عَشَرَ رجلاً وبِضْعَ [١٥] عَشَرَةَ امرأةً . فإذا جاوزت لفظ العشر ذهب البِضع ، لا تقولُ : بِضْعٌ وعشرون [١٦] .

العضبُ : السيفُ القاطع . وشاةٌ عَضْباء : مكسورةُ القرن .

امتعَضَ فلانٌ من الشيءِ : إذا تَوَجَّعَ منه .

العِوَضُ : معروفٌ ، يُقال : عَوَّضْتُهُ تَعْوِيضاً .

وعياض : اسمُ رجلٍ .

وتَضَوَّعُ ريحٍ طيبةٍ .

(١٢) البقرة ٢٦١

(١٣) في الأصل : هو الذكر من الأنثى . وهو تحريف . قال المفضل بن سلمة في كتابه (المذكر والمؤنث) ٦٠ : « والضبع أنثى ، وهذا الاسم للذكر والأنثى ، فإذا أرادوا الذكر بعينه قالوا : ضبعان » . وينظر أيضاً : المذكر والمؤنث للفراء ٨٨ والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٩٣ والمذكر والمؤنث لابن فارس ٧٤ والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ٧٤ .

(١٤) الروم ٤

(١٥) في الأصل : بضعة .

(١٦) ينظر : العين ١ / ٣٣٣ ، الزاهر ٢ / ٣٥٤ ، اللسان والتاج (بضع) .

والوَضْعُ والوَضيعَةُ : معروفان .

والتواضعُ : معروفٌ (٣٩) . والوَضيعَةُ : الخُسرانُ . والموضع : معروفٌ ، وجمعهُ مواضِعُ .

وعضو الانسانِ .

والعِضَةُ : القِطعةُ من الشيء ، ويُجمع على عِضين .

الضَيْعَةُ : وجمعها ضِياع . وضاع الشيْ : إذا هلك .

والضِفدعُ : معروفٌ .

وحَضَّهُ على الأمر : أي حَثَّهُ [١٧] . والحضيض : القَرارُ من الأرض عندَ منقطعِ الجبلِ . وكتب يزيد بن المهلّب[١٨] الى الحجّاج [١٩] : (إنّا لَقينا العدوَّ واضطررناهم الى عُرْعُرَةِ الجبلِ ونحن بحَضيضِه) [٢٠].
وفي الحديث : (أنّهُ أُهدي الى رسولِ الله صلى الله عليه وآله هَدِيَّة فلم يجدْ شيئاً يضعه عليه فقال: ضَعْهُ بالحَضيضِ فإنّما أنا عبدٌ آكلُ مما يأكلُ العبدُ) [٢١] يعني : بالأرض .

الضحضاح : الماءُ القليلُ .

الضَّحْكُ : معروفٌ . ورجلٌ ضُحْكَة ، بتسكين الحاء : يُضْحَكُ منه . وبفتح الحاء : كثيرُ الضحكِ . والضحاك : ملكٌ معروفٌ . وضَحِكَتِ المرأةُ : حاضَتْ .

---

(١٧) في الأصل : بعثه . وماأثبتناه من اللسان والتاج (حضض) .

(١٨) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة من امراء الدولة الاموية وقوادها ، قتل سنة ١٠٢ هـ . (تاريخ خليفة بن خياط ٤٧١ ، مروج الذهب ٣ / ١٩٩ ، وفيات الأعيان ٦ / ٢٧٨) .

(١٩) الحجاج بن يوسف الثقفي عامل عبد الملك بن مروان على العراق وخراسان ، توفي سنة ٩٥ هـ. (مروج الذهب ٣ / ١٢٥ ، الأوائل ٢ / ٦٠ ، وفيات الأعيان ٢ / ٢٩) .

(٢٠) غريب الحديث ١٨٦/٣ ، ٤٨٩/٤ ، النهاية ٤٠٠/١

(٢١) غريب الحديث ٣ / ١٨٦ ، الفائق ١ / ٢٩٠ ، النهاية ١ / ٤٠٠

دحضت حجة فلانٍ : أي بطلت ، قال َ الله ُ تعالى : « حُجّتُهُم ْ داحِضَة ٌ عند َ ربِّهم ْ » (٢٢) .

الحُضُض ُ والحُضَض ُ : دواءٌ معروفٌ .

والحَضَر ُ : خِلاف ُ البَد ْو . وحَضْرَة ُ السلطان . وحَضَر َ القوم ُ حضوراً . واسم ُ المكان ِ المَحْضَر ُ . وفلان ٌ يحاضر ُ بما يحسن ُ : أي يورده حاضِراً . وقد حَضَرَت ِ الصلاة ُ .

وحضرموت : اسم ُ بلدٍ .

وحَرّض َ فلان ٌ فلاناً : أي حثّه ُ . والحُرُض ُ : الأشْنان (٢٣) .

والمِحْرَضَة ُ ، بالكسر : إناؤه . والحَرَض ُ : الذي أذابَه ُ الحُزْن ُ والعشق ُ ، وهو في معنى مُحْرَض . وقد حَرِض َ ، بالكسر ، وأحْرَضَه ُ الحُبُّ : أي أفْسَدَه ُ ، قال الله تعالى : « حتى تكون َ حَرَضاً أو تكون َ من الهالكين » (٢٤)

وضريح ُ الميِّت ِ : (٤٠) - قَبْرُه ُ .

والمرأة ُ حاضنة ٌ : إذا حملت ِ الصبي في حضْنِها ، وهو ما دون الابط الى الكشْح . والحمامة ُ تحضن ُ على بيضها .

والضّريك ُ : الفقير .

ونَضَح َ الرجل ُ عن نفسه : إذا دافَع َ عنها بحُجّة . وهو ينضح ُ عن فلان : أي يَذُب ُّ عنه ويدفع ُ . ورأيته ينتضح ُ مما قُرِف َ به : أي ينتفي ويتَنَصَّل ُ (٢٥) منه . والنّضُوح ُ : ضَرْب ٌ من الطيب .

والفضيحة ُ والافتضاح ُ : معروفان .

والضباح : صوت ُ الثعلب ِ .

---

(٢٢) الشورى ١٦ .

(٢٣) في الزاهر ٢ / ٢٧٥ : (قال الفراء : الحرض عند العرب الأشنان ، وقال : نحن بالكوفة نسمي سوق أصحاب الأشنان : الحراضة) . وينظر : المعرب ٧٢ ، شفاء الغليل ٣٤ .

(٢٤) يوسف ٨٥ .

وحَضَبُ جَهَنَّم : وَقودُها .

وحَمُضَ الشيءُ فهو حامضٌ بالضم . وحَمَضَ أيضاً بالفتح يحمُضُ حُموضةً وحَمْضاً أيضاً . يُقال : جاءنا بأدِلّةٍ ما تُطاقُ حَمْضاً ، أي حموضةً ، وهي اللبن الخاثر الشديد الحموضة . والحُمّاضُ : ماء يكون في جوفِ الأُتْرُجِّ

والمَحْضُ : الخالِصُ .

وضحوةُ النهارِ وضحاؤه : معروفان ، وفي القرآن : « لا تَظْمَؤا فيها ولا تَضْحَى »[٢٦] . وضحّى الرجل : إذا ذبح الأضحية . ونوم الضحى.

ودرهمٌ وَضَحٌ . والأوضاحُ : حُلِى من الدراهم الصحاح . والوضح : الضوءُ والبياضُ ، يُقال : بالفَرَس وَضَحٌ ، إذا كانت به شيةٌ . وقد يُكنّى عن البَرَص ، ومنه قيل لجَذيمة الأبرش[٢٧] : الوضّاح. وأمْرٌ واضح. والوَضَحَ : البَرَصُ .

والحوضُ وجمعه حِياض .

واضمحل الشيءُ : إذا ذَهَبَ .

والهضُّ : الكسرُ. تقول : هضضته هَضّاً .

وفلانٌ[٢٨] يضطهدُ فلاناً أي يقهره

ونهضَ الرجلُ نهوضاً .

والهَيْضَةُ ، التي تصيبُ الانسانَ : معروفةٌ ، يُقالُ : بالرجلِ هَيْضَةٌ أي : قُياء وقيامٌ جميعاً .

---

(٢٥) في الأصل : يتنضل ، وهو تصحيف .

(٢٦) طه ١١٩ .

(٢٧) هو جذيمة بن مالك بن فهم ملك الحيرة ، جاهلي ، عاش عمراً طويلا .
(العمدة ٢ / ٢٢٩ ، نهاية الأرب ١٥ / ٣١٦ ، خزانة الأدب ٤ / ٥٦٩) .

(٢٨) في الأصل : وفلاناً .

والضَّهْياءُ : التي لا تحيضُ .

والهَضبة : الجبلُ المنبسطُ على وجهِ الأرضِ ، (٤١) ـ الجمع هِضَبٌ وهِضابٌ .

الاهتضامُ : الظلمُ . والهضيمُ : المجتمع ، قال الله تعالى : « ونَخْلٍ طَلْعُها هَضِيمٌ [٢٩] » أي مجتمعٌ .

والمضاهأةُ[٣٠] : المشابهةُ ، قالَ الله تعالى : « يُضاهِئونَ قولَ الذين كفروا » [٣١] .

وغَضَّ فلانٌ من طَرْفِهِ : إذا قَصَرَهُ ، قال الله تعالى : « قُل للمؤمنين يَغُضُّوا مِن أبصارِهم » [٣٢] . وشيءٌ غَضٌّ أي طَرِيٌّ .

وضَغَطَ فلانٌ فلاناً .

و « أضْغاثُ أحلامٍ » [٣٣] : التي لا أصل لها . الضِّغْثُ من قول الله تعالى : « وخُذْ بيدِكَ ضِغْثاً [٣٤] » . أي قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس .

والغَرَضُ : الهدفُ . والغَرَضُ : قصدُ الأشياء .

وغَضارةُ العيشِ : خِصْبُهُ . والغَضَارة والنَّضارة واحدٌ وهما الجمالُ والحسنُ . والغَضارة : التي يؤكل فيها .

---

(٢٩) الشعراء ١٤٨ .

(٣٠) المضاهأة ؛ تهمز ولا تهمز ، يقال : ضاهاه يضاهيه مضاهاة ، وضاهأه يضاهئه مضاهأة (ينظر : العباب ١ / ١٢٧ (ضهأ) واللسان والتاج : ضها) .

(٣١) التوبة ٣٠ ، والقراءة بالهمز هي قراءة عاصم وحده ، وقرأ الباقون : يضاهون بلا همز . (ينظر : السبعة ٣١٤ ، الحجة في القراءات السبع ١٧٤ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٥٠٢ ، التيسير ١١٨) .

(٣٢) النور ٣٠ .

(٣٣) يوسف ٤٤ .

(٣٤) ص ٤٤ .

والضِغْنُ : الحِقْدُ .

وغضونُ الجبين : طرائق فيه .

والبغضُ : مشهورٌ . والبَغيضُ منه .

والغَضَبُ : معروفٌ . والرجلُ غَضْبان .

والضَّيْغَمُ : الأسدُ .

ومَضَغَ الرجلُ الطعامَ يمضغه : لاكه بكل الأسنانِ .

والأمرُ غامِضٌ : أي خَفِيٌّ . وغَمَضَ فلانٌ : أي أطبقَ عينيه . والغُمْضُ : النومُ .

وغاضَ الماء : إذا نَقَصَ . وكذلك غِيضَ ، قال الله تعالى : « وغِيضَ الماءُ »[٣٥] . وقال الله تعالى : « وما تَغيضُ الأرحامُ »[٣٦] .

قال الأخفشُ[٣٧] : أي وما تنقصُ[٣٨] . وغاضَ ثمنُ السلعةِ : أي نَقَصَ .

وغَرَضْتُ الاناءَ أغْرِضُهُ[٣٩] : أي ملأتُه . قال الراجز[٤٠] :

لا تأوِيا للحوضِ أنْ يَفيضا

أنْ تَغْرِضا خَيْرٌ من أنْ تَغيضا[٤١]

---

(٣٥) هود ٤٤ .

(٣٦) الرعد ٨ .

(٣٧) أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، أخذ النحو عن سيبويه ، توفي سنة ٢١٥ ﻫ .
(مراتب النحويين ٦٨ ، نزهة الألباء ١٣٣ ، إنباه الرواة ٢ / ٣٦) .

(٣٨) لم أجد قولة الأخفش في معاني القرآن ، وانما هي قولة الفراء في معاني القرآن ٢ / ٥٩ . والمؤلف نقل عن الجوهري في الصحاح (غيض) .

(٣٩) وردت في الأصل بالعين المهملة في المواضع الثلاثة ، وهو تصحيف .

(٤٠) وهو أبو ثروان العكلي . والشطران في اصلاح المنطق ٧١ ، ١٩٢ ، تهذيب اللغة ٨ / ٧ ، الصحاح واللسان والتاج (غرض ، غيض) .

(٤١) في الأصل : يغيضا . وهو تصحيف .

يقول : أنْ تملآه خيرٌ من أنْ تَنْقُصاه . والغَيْضَةُ : الأَجَمَةُ ، وهي مَغيضُ ماءٍ يجتمعُ فَيَنْبُتُ فيه الشجرُ ، والجمعُ غِياضٌ وأَغْياضٌ . وغَيَّضَ الأسدُ : أيْ أَلِفَ الغَيْضَةَ .

والإغْضَاءُ : إغْضاءُ (٤٢) - الجفونِ بعضها على بعض . ومنهقوله : أَغْضَيْتُ على هذا الأمرِ . وجَمْرُ الغَضَى [٤٢] : معروفٌ .

وضَغَا الثعلبُ والسنورُ يضغو ضَغْواً وضُغاءً : أي صاحَ . وكذلك صوتُ كلِّ ذليلٍ مقهور .

والضرْغامُ : الأسـدُ .

والخَضْخَضَةُ : تحريكُ الماء بالسويقِ وغيره . وهو أيضاً الدلك .

والخَضْدُ : نَزْعُ الشـوكِ ، قال الله تعالى : « في سِدْرٍ مَخْضُودٍ »[٤٣] أي : قد نُزِعَ شوكه [٤٤] .

والخِضْرُ : نبيٌّ الله عليه السلام [٤٥] . وموضـعٌ أخضرُ وخَضِرٌ : مـن الخُضْرةِ .

والخَفْضُ : الدَّعَةُ . والخَفْضُ في النحو : الجرُّ . والخافِضةُ : التي تختنُ النساءَ .

ضمَّخْتُ بالطيبِ : لطختُ .

والمخضُ : تحريكُ الشيء . والمخاضُ : الطلقُ . وابنُ المخاض : الفصيل الذي حملت أمُّهُ .

ورجلٌ ضَخْمٌ .

والخِضَمُّ : السيِّدُ والبحرُ . والخَضْمُ : الأكلُ بجميع الفَمِ .

---

(٤٢) في الأصل : الغضاء .

(٤٢) الواقعة ٢٨ .

(٤٤) وهو قول الفراء في معاني القرآن ٣ / ١٢٤ .

(٤٥) ينظر : الزاهر ٢ / ١٦٣ - ١٦٤ ، الإصابة ٢ / ٢٨٦ - ٣٣٥ .

والقَضْمُ : الأكلُ بأطرافِ الأسنانِ .

وانْقَضَّ البازي على الصيدِ . وجاءَ القومُ بقضِّهِم وقَضيضِهِم [٤٦] : أي كلّهم .

وأقْرَضْتُ فلاناً قَرْضاً . والقَرِيضُ : الشعرُ . وقَرَضَ الفارُ الجرابَ . والمقاريضُ : معروفةٌ .

والنَقْضُ : افسادُ الشيْ . ونَقْضُ البناء .

وانْقَضَّ النجمُ : إذا سَقَطَ .

والنُقَاضَةُ : ما نُقِضَ من حبلِ الشَعَرِ . المُناقَضَةُ في القول : أنْ يتكلمَ بما يتناقضُ معناه .

والرجلُ قَضِيفٌ : أي دقيقٌ .

والقَضْبُ : نباتٌ رطبٌ . قال اللهُ تعالى : « قَضْباً وزَيْتوناً » [٤٧] . والقَضيبُ : معروفٌ .

وتقولُ : قَبَضْتُ على الشيْ قَبْضَةً . ومَقْبِضُ السكين .

وانقبضَ الرجلُ عن الحاجةِ .

والقَضيمُ : شعير الدابة .

وقضى القاضي بكذا . وهو القضاءُ والقَدرُ . وقَضَى الموتُ : أتى عليه . والانقضاءُ : الفَناءُ .

(٤٣) ـ وقَوَّضْتُ الشيْ : إذا نقضته .

وقَيّضَ اللهُ له كذا : أي قَدَّرَهُ عليه .

والقاضِيَةُ : الموتُ ، قال الله تعالى : « يا لَيْتَها كانتِ القاضِيَةَ » [٤٨] .

---

(٤٦) وهو من أمثال العرب . (ينظر : الزاهر ١ / ٤٧٣ ، جمهرة الأمثال ١ / ٣١٥ ، فصل المقال ١٩٨ ، مجمع الأمثال ١ / ١٦١) .

(٤٧) عبس ٢٨ .

(٤٨) الحاقة ٢٧ .

ضاقَ الشيءُ يضيقُ ضِيقاً وضَيْقاً . والضَيْقُ أيضاً تخفيفُ الضَيِّق . والضَيْقُ جمعُ الضَيقَةِ ، وهي الفقرُ وسوءُ الحالِ .

والركضُ : ركضُ الدابة .

والضَّنْكُ : ضِيقُ المعيشةِ ، قال الله تعالى : « فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً »(٤٩)

وضَجَّ الرجلُ : إذا صاحَ . الضجّةُ : معروفةٌ .

ونَضِجَ اللحمُ .

و« قسمةٌ ضِيزى »(٥٠) : أي جائرة .

والضَرُّ ضدُ النفعِ . وكذلك الضرو رة والاضطرار . والضِرارُ : المُضارَّةُ . والضُرُّ ، بالضم : الهُزال سوءُ الحال .والمَضَرَّةُ : خلافُ المنفعة . وضِرار : اسمُ رجلٍ . والضَّرَّةُ في النساءِ . والضَّرَّةُ : لحمةُ الضَّرْعِ . يُقال : ضَرَّةٌ شَكْرَى ، أي مَمْلأى من اللبن . والضَّرَّةُ أيضاً : المالُ الكثيرُ . والمُضِرُّ : الذي تروحُ عليه ضَرَّةٌ من المالِ . وضَرَّةَ الإبهامِ : اللحمةُ تحتها ، وهي التي تقابلُ الأَلْيَةَ في الكفِّ . والضَّرَّتان : حجرا(٥١) الرَّحى . . وتزوجتِ المرأةُ على ضِرٍّ وضُرٍّ ، بالكسروالضم . والضرير : الأعمى(٥٢) .

ورَضَضْتُ الشيء : دَقَقْتُه . والرَضْراضُ : ما دقَّ من الحصى . والرَضْراضُ أيضاً : الأرضُ المَرْضُوضَةُ بالحِجارةِ . وامرأةٌ رَضْراضَةٌ : أي كثيرةُ اللحمِ . وكذلك رجلٌ رَضْراضٌ ، وبعيرٌ رَضْراضٌ .

وضَلَّ الرجلُ . والضلالةُ : معروفةٌ .

والضنُّ : البخلُ . والضنين : البخيلُ ، قال الله تعالى : « وما هُوَ على الغَيْبِ بضَنينٍ »(٥٣) .

---

(٤٩) طه ١٢٤ (٥٠) النجم ٢٢ .

(٥١) في الأصل : حجر .

(٥٢) نقل مادة (ضرر) بالنص من الصحاح (ضرر) .

(٥٣) التكوير ٢٤ . والقراءة بالضاد هي قراءة نافع وعاصم وابن عامر وحمزة . وقرأ ابن كثير=

ومالٌ نَضٌ : أي حاضِرٌ .

وانْفَضَّ القومُ : تفرقوا، قال الله تعالى : (٤٤) /«لانفَضُّوا من حَوْلِكَ»(٥٤).

والفِضَّةُ : معروفةٌ . والدواةُ مُفَضَّضَةٌ . وفَضَضْتُ الكتابَ والكيسَ : فتحته .

والضبُّ : دُوَيْبَةٌ . وضَبَّةُ : اسم قبيلة . وضَبَّةُ الباب . والضباب : معروفٌ

وامرأةٌ بَضَّةٌ : ناعمةٌ .

والضَمُّ : ضَمُّكَ الشيء . وضَمْضَمٌ : اسمُ قبيلةٍ (٥٥) .

والمَضْمَضَةُ في الوضوء . وأَمَضَّني هذا الأمرُ : أَقْلَقَني .

والضِّرْسُ : معروفٌ . ويُقال : أَضْرَسني هذا الشيءُ الحامضُ .

والضَرِطُ : معروفٌ . ورجلٌ ضرّاطٌ .

ورجلٌ أَضْبَطُ : أي أعْسَرُ يَسَرٌ . وكانَ عمرُ بنُ الخطابِ أعْسَرَ يَسَراً .

ونَضَدْتُ الشيءَ نَضْداً .

وضَمَدْتُ الشيء : وضعتُ عليه الضمادَ .

ووَرَقٌ فيه نَضَارَةٌ . والنُضارُ : الذهبُ . ونَضَّرَ اللهُ وَجْهَهُ : أي بَيَّضَهُ .

و «وجوهٌ يومئذٍ ناضِرَةٌ» (٥٦) من هذا . والنَضْرُ : اسمُ رجلٍ .

وضَفَرْتُ الشعر : إذا نسجته .

والرَضْفُ : الحجارةُ المحماةُ .

والمضافرةُ : المعاونةُ .

= وأبو عمرو والكسائي (بظنين) بالظاء ، أي : بمتهم ، (ينظر : السبعة ٦٧٣ ، حجة القراءات ٧٥٢ ، النشر ٢ / ٣٩٨ – ٣٩٩) .

(٥٤) آل عمران ١٥٩ .

(٥٥) ينظر : جمهرة أنساب العرب ٤٥٦ .

(٥٦) القيامة ٢٢ .

الفَرْضُ : الحزُّ . الفَرْضُ : ما يجب من الفرائض في المواريث . وبَقَرَةٌ فارِضٌ : أي مُسِنَّةٌ ، قال اللهُ تعالى : « لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ » [٥٧] . وفُرْضَةُ النهرِ : ثُلْمته التي منها يُسْتَقَى . وفُرْضَةُ البحر : محطُّ السفنِ . وفُرْضَةُ الدواةِ : موضعُ النِقْسِ منها ، والنِقسُ : المداد .

والرَفْضُ : طَرْحُكَ الشيء . ومنه الرافِضَةُ : وهم فِرْقَةٌ من الشيعة . قال الأصمعي [٥٨] : سموا بذلك لتركهم زيد بن علي [٥٩] رضي الله عنه .

والضَرْبُ : معروفٌ . والضَرَبانُ : خفقانُ العِرقِ . وأَضْرَبْتُ عن هذا الأمرِ : أي اعرضتُ عنه . والناسُ ضروبٌ : أي أَصْنافٌ . وضَرَبَ الفحلُ ضِراباً . (٤٥) ـ والاضطرابُ : معروفٌ . والضَرَبُ : العسلُ الأبيض . والمضربةُ : معروفةٌ . والمِضْرابُ : الذي يُضْرَبُ به العود . والمِضْرَبُ : الخيمةُ . والضَّرِيبةُ : واحدة الضرائب التي تُؤخَذُ في الأرصادِ والجزيةِ ونحوها . ومنه ضريبةُ العبدِ : وهي غَلَّتُهُ [٦٠] .

وأَضْبانٌ من كتب .

وكذلك اضمامةٌ .

والرُضابُ : الريقُ .

وركضت الدابة .

وتَضَرَّمَتِ النارُ .

وأَرْمَضَني هذا الأمرُ : أَقْلَقَني . وشهرُ رمضان .

---

(٥٧) البقرة ٦٨ .

(٥٨) عبد الملك بن قريب ، من اللغويين الرواة ، ت ٢١٦ هـ . (مراتب النحويين ٤٦ ، الجرح والتعديل ٢ / ٢ / ٣٦٣ ، غاية النهاية ١ / ٤٧٠) .

(٥٩) هو زيد بن علي بن الحسين ، وإليه تنسب الزيدية ، قتل سنة ١٢٣ هـ . (المحبر ٨٢ مقاتل الطالبيين ١٢٧ – ١٥١ ، الملل والنحل ١ / ١٥٤ ، فوات الوفيات ٢ / ٣٥) .

(٦٠) ضبطت في الأصل بضم الغين ، وهو خطأ .

والمرضُ : ضدُّ الصحةِ .

ومُضَر : قبيلة . والمَضيرَةُ (٦١) : معروفةٌ . وتماضر : اسمُ امرأةٍ .

وفَرَسٌ ضامِرٌ ومضمَّر : أي دقيقُ الوسط . وضمير الانسان : معروفٌ .

والضَوْمَرانُ : ضربٌ من الرياحين ، قال الشاعر :

أُحِبُّ الكَرائِنَ والضَوْمرانَ وشُرْبَ العَتيقَةِ بالسِنْجِلاطِ (٦٢)

الكرينة : المغنية والجمع كرائن . والسنجلاط : موضعٌ ويُقال : ضَرْبٌ من الرياحين . والضَمْرانُ : نَبْتٌ ، قال الراجز :

نحنُ مَنَعْنا مَنْبِتَ الحَلِيِّ
ومَنْبِتَ الضَمْرانِ والنَصِيّ (٦٣)

وضُمْرانُ (٦٤) ، بالضم ، الذي في شعر النابغة (٦٥) اسمُ كلب (٦٦) .

وفلانٌ يناضلُ عن الشيء : أي يرامي عنه . والنضالُ : المُراماةُ .

والفضلُ : معروفٌ . وكذلك التَفَضُّلُ والإفْضالُ . ورجلٌ كثيرُ الفضولِ .

والمُفَضَّلُ والفَضْلُ وفضيلٌ وفَضَالَةُ : أسماءُ الرجالِ .

والضَيْفَنُ : الطفيليُّ .

والنافِضُ : الحُمّى .

ونَضَبَ الماءُ : أي دخل في الأرضِ .

---

(٦١) المضيرة : طبيخ يتخذ من اللبن الماضر أي الذي يحذي اللسان .

(٦٢) بلا عزو في الصحاح واللسان (ضمر) .

(٦٣) بلا عزو في الصحاح واللسان (ضمر) .

(٦٤) في الأصل ؛ والضمران . وماأثبيناه من الصحاح لأن المؤلف سلخ نص الجوهري بلا عزو

(٦٥) النابغة الذبياني ، والبيت الذي أشار اليه هو في ديوانه ٩ :

فهاب ضمران منه حيث يوزعه طعن المعارك عند المحجر النجد

(٦٦) في الأصل ؛ كلبة . وهو نص الجوهري كما أنبه عليه الصاغاني في التكملة والذيل والصلة ٣ / ٨٤ : (وقال الجوهري ؛ وضمران بالضم الذي في شعر النابغة : اسم كلبة . والصواب : اسم كلب) . ولم ينبه ناشر الصحاح حين غير كلبة الى كلب .

وبَيْضُ الانسانِ : معروفٌ .

والضَّمانُ : معروفٌ . ومنه الضَّمينُ .

وفلانٌ يتَضَوَّرُ : إذا التوى (٤٦) - في الوجع .

والوضى : الوسخُ .

والرَوْضَةُ : معروفةٌ . ورُضْتُ الدابةَ أَروضُها رَوْضاً فأنا رائِضٌ .

والأرضُ : معروفةٌ . والأَرَضَةُ : دُوَيْبَةٌ تأكلُ الخشبَ .

وقد ضَرِيَ فلان بكذا : أي أَلْهَجَ [٦٧] به .

ورَضِيتُ الشيءَ رِضاً .

والضَئِيلُ : النحيفُ وقد أتعبته الأسفارُ .

والضَنَى : مَرَضٌ يدومُ .

والضَّأنُ : معروفةٌ .

والضُّبْنَةُ : ضبنةُ الإنسان ، وهو ما يحفظه في كَنَفِهِ [٦٧] .

وشعرٌ ضافٍ : كثيرٌ .

والفَضَاءُ : الواسع من الأمكنة . وأفضى اليه الأمرُ : إذا صارَ إليه.

وفَوَّضْتُ أمري الى الله .

وفاضَ الماءُ : إذا زاد. وأَفضته على يدي : أي صببته . وأفاضوا في الحديث: إذا اندفعوا فيه . وأفاضَ الناسُ من عَرفاتٍ الى مِنىً : أي دَفَعُوا ، وكلُّ دَفْعَةٍ إفاضةٌ . وفاضَ الخبرُ يفيضُ ، واستفاضَ : أي شاعَ ، وهو حديثٌ مُسْتَفِيضٌ : أي منتشرٌ في الناس . ولا تقلْ : مُسْتَفاضٌ إلاّ أنْ تقولَ : مُسْتفاضٌ فيه . وبعضهم يقولُ : استفاضوه فهو مُسْتفاضٌ [٦٩] .

(٦٧) في اللسان (لهج) : لهج بالأمر لهجاً ، ولهوج ، وألهج ، كلاهما : أولع به واعتاده .

(٦٨) في الأصل : كتفه ، وهو تصحيف .

(٦٩) نقل المؤلف نص هذه المادة من الصحاح (فيض) بلا اشارة اليه .

الضيفُ : معروفٌ . وأضفتُ كذا إلى كذا : أي الحقته به . وبابُ الإضافةِ في النحو .

وارفض الدمعُ : إذا سالَ .

والبيضُ : معروفٌ . وكذلك بَيْضَةُ الحديد . والبياض في اللون .

والإباضيّةُ : قوم من الحرورية (٧٠) .

ومَضَى الشيءُ .

والوميضُ : البرق ، يُقال : وَمَضَ البرقُ يَمِضُ وَمْضاً ووَمِيضاً وَوَمَضاناً ، أي لمع لمعاً خفيفاً ولم يعترض في نواحي الغَيْمِ .

والضَّيْمُ : الظلمُ .

والوَضَمُ : الخشبُ الذي يُقطعُ عليه اللحمُ .

والضوءُ والضياءُ : معروفان .

والضوضاءُ : جلبةُ الناسِ .

والوضوءُ : معروفٌ . (٤٧) - والمِيضَأةُ : المَطْهَرَةُ . وفلانٌ وضيءُ الوَجْهِ .

ولا أَفْعَلُ ذلك أيضاً ، أي ثانياً .

والضُبارِمُ : الأسَدُ .

(باب الظاء)

عُكاظُ : سوقٌ للعربِ معروفٌ (٧١) .

والعِظالُ : سِفادُ الكلبِ ، يُقال : عاظَلَتِ الكلابُ مُعاظَلَةً وعظالاً

---

(٧٠) وهي فرقة من الخوارج ، أصحاب عبد الله بن إباض التميمي .
(يُنظر : مقالات الاسلاميين ١ / ١٧٠ ، الفرق بين الفرق ١٠٣ ، الملل والنحل ١ / ١٣٤) .

(٧١) ذهب المؤلف الى تذكير السوق ، والتأنيث أغلب وأعرف عند الفصحاء ، لأنهم يصغرونها: سويقة . (ينظر : المذكر والمؤنث للفراء ٩٦ ولأبي حاتم السجستاني ق ١٤٨ ب وللمبرد ٩٩ وللمفضل بن سلمة ٥٧ ولابن الانباري ٣٥٤ ولابن فارس ٦٠) .
وينظر عن عكاظ : (سوق عكاظ في الجاهلية والاسلام) للدكتور سعد بن ناصر الرشيد .

وتعاظَلَتْ: إذا لزم بعضُها بعضاً في السِّفاد. وكذلك الجرادُ وكلٌّ ما يَنْشِبُ.
وجرادٌ عاظِلٌ وعَظْلَى. قالَ أبو زَحْفٍ الكليبيّ (٧٢):

تَمَشِّيَ الكلبِ دَنا للكلبــةِ
يَبْغِي العِظالَ مُصْحِراً بالسَوْأَةِ

ودابة عاظل: أي غامزٌ.
وظَعَنَ القومُ: أي ساروا، ظَعْناً وظَعَناً بالتحريك، وقُرِئَ بهما قوله تعالى: «يومَ ظَعَنِكُمْ» (٧٣). والظعينةُ: المرأةُ.
وانْعَظَ الرجلُ.
وأمْرٌ فظيعٌ.
وأمْرٌ عظيمٌ. وهذا لا يَتَعَاظَمُهُ: أي لا يَعْظُمُ عليه.
والوَعْظُ والموعِظَةُ والعِظَةُ واحدٌ. والاتعاظُ: قبولُ العِظة.
والعَظَايَةُ: دابة على خلقة سام أبرص.
والحنظبُ: ذكر الجراد.
وحَظُّ الانسانِ: نصيبُهُ.
وجَحَظَتْ عينُ الرجلِ: إذا كانت حدقتُهُ ناتئةً. وبذلك نُعِتَ الجاحِظ.
والرجل جاحِظُ العينِ، يُقال: رجلٌ جاحظٌ وجَحْظَمٌ، والميم زائدة. والجاحِظُ لقبُ عمرو بن بحر(٧٤). والجاحِظتان: حَدَقَتا العين. وجَحْظَةُ: لقبُ رجلٍ(٧٥).

(٧٢) هو ابن عم جرير الشاعر (الشعر والشعراء ٦٨٨). وفي الأصل: الكلبي، وكذا في الصحاح واللسان (عظل) وحرف في اللسان (سمهدر) الى الكليني، والصواب ماأثبت.

(٧٣) النحل ٨٠. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو؛ (ظعَنكم) بفتح العين. وقرأ عاصم وحمزه والكسائي وابن عامر؛ (ظعْنكم) ساكنة العين. (السبعة ٣٧٥، حجة القراءات ٣٧٣، الكشف ٢ / ٤٠، التيسير ١٣٨).

(٧٤) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، ت ٢٥٥ هـ. (تأريخ بغداد ١٢ / ١١٢: الأنساب ٣ / ١٦٢: نزهة الألباء ١٩٢: معجم الأدباء ٧٤/١٩).

(٧٥) وممن لقب به؛ جحظة البرمكي النديم وهو أبو الحسن أحمد بن جعفر المتوفى سنة ٣١٦ هـ. (معجم الأدباء ٢ / ٢٤١، وفيات الأعيان ١ / ١٣٣، الوافي بالوفيات ٦ / ٢٨٦).

وحَظَرْتُ على فلان كذا : إذا منعته ، قال الله تعالى : « وما كانَ عَطاءُ رَبِّكَ محظوراً » (٧٦) أي ممنوعاً . والحَظِيرةُ : من الخشب وغيرها .

ولَحَظْتُ الرجلَ بعيني لَحْظاً . فاللَّحْظُ : مُؤْخِرُ العينِ .

والحِفْظُ : حِفْظُكَ الشيء . والمحافَظَةُ تكون على العهد . والحَفِيظَةُ : الغَضَبُ . والحافِظون : الملائكةُ ، قال الله تعالى : « وإنَّ عليكم (٤٨) / لحافظين » (٧٧) . واحتفظتُ بالشيء ، من هذا .

والحُظْوَةُ من الشيء : القربةُ منه . وحظيت المرأةُ عند زوجها حُظْوَةً وحِظْوَةً ، بالضم والكسر . والحَظْوَةُ [السهمُ الصغيرُ الذي لا نَصْلَ له . وقيل : كلُّ قَضيبٍ نابت في أصل شجرة فهو حَظْوة] (٧٨) .

[والظَّهْرُ] (٧٩) خِلافُ البطنِ . والظَّهْرُ : الرِكاب التي تحمل عليها الأثقال . والظُهْرُ ، بالضم : بعد الزَوالِ ، ومنه صلاةُ الظُهْرِ . والظَهِيرةُ : الهاجرةُ ، ويقال : أتيتُهُ حَدَّ الظَهِيرة ، وحينَ قامَ قائمُ الظهيرة . والظَهِيرُ : المعينُ ، قال الله تعالى : « والملائكةُ بعدَ ذلكَ ظَهِيرٌ » (٨٠) ، وإنّما لم يجمعه لأنّ فعيلاً وفَعولاً قد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والجمع ، قال [تعالى] : « إنّا رسولُ رَبِّ العالمينَ » (٨١) والظاهرُ : خِلافُ الباطنِ . والظِهارُ : قولُ الرجلِ لامرأته : أنْتِ عليَّ كظَهْرِ أُمّي .

---

(٧٦) الاسراء ٢٠ .

(٧٧) الانفطار ١٠ .

(٧٨) جاء في الأصل ؛ والحظوة خلاف البطن. وواضح أن فيها سقطاً . ومابين القوسين المربعين يقتضيه السياق وقد أضفناه من كتب الضاد والظاء المنشورة وهي: الصاحب ٣٣ ، الأنباري ٨٥ ، الحميري ٤٨ ، ابن مالك ٣٨ ، أبو حيان ١١٥ .

(٧٩) يقتضيها السياق . ويلاحظ أن مادة (ظهر) سلخها المؤلف من الصحاح .

(٨٠) التحريم ٤ .

(٨١) الشعراء ١٦ .

وبَهَظَني الأمرُ والحِملُ : أي اثقلني ، يُقال : بَهَظَهُ الحِملُ يَبْهَظُهُ بَهْظاً ، أي أثقله وعجز عنه فهو مَبْهُوظٌ . وهذا أَمْرٌ باهِظٌ : أي شاقٌ .

وفلانٌ غَليظٌ بَيِّنُ الغِلْظة .

وغاظني الشيءُ غَيْظاً . واغتظتُ : إذا غضبتُ .

والقَيْظُ : صميمُ الصيفِ .

واليَقَظَةُ : ضدُّ النومِ . ورجلٌ يَقُظٌ ويَقِظٌ : اي مُتَيَقِّظٌ حَذِرٌ . ويَقَظَةُ : اسمُ رجلٍ ، وهو أبو مخزوم يَقَظَةُ بنُ مُرَّةَ بن كَعْب بن لؤي بن غالب بن فِهْر[٨٢] .وأيقظتُ الغبارَ : أثرتُه ، وكذلك يَقَّظْتُهُ تَيْقيظاً .

والقَرَظُ : ما يُدْبَغُ به الأديمُ . والتَقْرِيظُ : المدحُ .

والكِظَّةُ : التخمةُ ، يُقالُ : كَظَّهُ الطعامُ يَكُظُّهُ كَظّاً . وكَظَّني هذا الأمرُ : أي أجهدني .

والكظمُ : تَجَرُّعُ الغَيْظِ .

والشَّظِيَّةُ : الخَشَبُ .

وشُواظُ النارِ : قِطْعَةٌ منه .

وظَلَّ الرجلُ يَظَلُّ : إذا كانَ يفعلُ (٤٩) / بالنهارِ ، قال الله تعالى : « فظلتم تفكهونَ »[٨٣] . والظِّلُّ : معروفٌ . وأظلتني الشجرةُ ، أي مَدَّتْ عليَّ ظِلَّها . والظُّلَّةُ ، مثلُ الصُفَّة ، قال الله تعالى : « عذابُ يومِ الظُّلَّةِ »[٨٤] والمِظَلَّةُ : معروفةٌ . يُقال : ظِلٌّ ظَليلٌ[٨٥] .

والظنةُ : التهمةُ . والظنينُ : المتهم .

---

(٨٢) في الأصل : فهد بالدال ، وهو تحريف . (ينظر : جمهرة أنساب العرب ١٣ ، ١٤١ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٤١٢ ، ٤٥١) .

(٨٣) الواقعة ٦٥ .

(٨٤) الشعراء ١٨٩ .

(٨٥) أي دائم الظل .

ورجلٌ فَظٌّ : فيه غلظٌ .

والنَّظَرُ بالعين : وهو تقليبك الحدقة الى الشيء لتراه . ويُقال في التدبير : لي نَظَرٌ في كذا وكذا من الأمر . والنَّظَرُ في الدين ، من هذا . وأنا انظرُ الى فلانٍ : أي انتظرُ فَضْلَهُ . . والنظرُ : الرحمةُ ، قال الله تعالى : « ولا يَنْظُرُ إليهم يومَ القيامةِ »[٨٦] . ويُقال : فلانٌ منظورُ البلدِ : أي سيِّدُهُ . المناظرةُ : معروفةٌ .

ظَلَفُ الانسانِ وظَلَفُ الشيء : وهو أنْ يكفَّ نفسه عن الطمعِ . والظِّلْفُ : ظِلْفُ الشاةِ والبقرةِ ، وقد استُعير للأفراس .

واللَّفْظُ في الكلام .

والظلمُ : معروفٌ . والظَّليمُ : الذَكَرُ من النَعامِ . والظَلْمُ : ماءُ الأسنان وبريقُها ، وهو كالسواد داخلَ عظم السنِّ من شدَّةِ البياضِ كفرنْدِ السيف ، قال الشاعر :

الى شَنْباءَ مُشْرَبَةِ الثنايا   بماءِ الظَلْمِ طَيِّبَةِ الرُضابِ[٨٧]

والجمع ظُلُومٌ . والظُلْمَةُ : خِلافُ النورِ. والظُلامَةُ والظَليمةُ والمَظْلِمَةُ : ما تطلبه عند الظالمِ ، وهو اسمُ ما أُخِذَ منكَ .

وفَرَس ألْمَظُ : إذا كانَ في جَحْفَلَتِه بياضٌ .

والنظافةُ : معروفةٌ . واستَنْظَفْتُ المالَ : إذا أخرجته بتَمامِه .

والنَّظْمُ : نَظْمُكَ الشيء . ومنه : أمرٌ مُنْتَظَمٌ . وتعلمتُ الشِعرَ ونظمته . والنِظامُ : الخيطُ الذي يُنْظَمُ به اللؤلؤ .

والظِئْرُ ، مهموزٌ : الدايةُ المرضعةُ .

---

(٨٦) آل عمران ٧٧ .

(٨٧) بلا عزو في تهذيب اللغة ١٤ / ٣٨٥ والصحاح (ظلم) ، ويلاحظ أن هذه المادة نقلها المؤلف من الصحاح بلا إشارة اليه كعهده فما سبق .

واَلظَى : الجحيمُ .

(٥٠) - والوظيفةُ : معروفةٌ . والوَظيفُ : عَظْمُ الساقِ .

والظمآنُ : العطشانُ . وشَفَةٌ ظَمْياءُ بيِّنَةُ الظَمَى : إذا كان فيها سُمْرةٌ وذُبُولٌ . ولِثَةٌ ظمياءُ : قليلةُ الدم . وعَيْنٌ ظَمْياءُ : رقيقةُ الجَفْنِ . وساقٌ ظَمْياءُ : قليلةُ اللّحْمِ .

الظبي : معروفٌ .

(ومما جاء بالضاد وله معنى بالظاء)[88]

عَضَّ الرجل ، بالضاد : من العَضّ . وعظّته الحربُ : إذا اشتدت عليه .

والعَظْمُ : معروفٌ . والعَضْمُ : خشبةٌ تُذرّى بها الحنطةُ ، والجمعُ أعضمة . والعَضْمُ : عسيبُ ذَنَبِ البعير ، وهو منبته من الجلد . والعَضْمُ : لوحُ الفدّان الذي في رأسه الحديدة . والعَضْمُ : مَقبِضُ القوسِ .

الظّهْرُ المعروف ، بالظاء . والضّهْرُ ، بالضاد : قطعـةٌ من الجبل تخالف معظم قلبـهِ .

والحَظيرةُ ، بالظاء : معروفةٌ . والحضيرة ، بالضاد : الجماعة من الناس .

والحَنْظَلُ : معروفٌ . وحَنْظَلَةُ : قبيلةٌ ، وهي أكرم قبيلة في تميم يُقال لهم : حَنْظَلَةُ الأكرمون [89] . وأبوهم حَنْظَلَةُ بنُ مالك بن عمرو بن تميم [90] . وبالضاد ، نقرةٌ في الجبلِ يجتمعُ فيها الماءُ .

والبَيْضُ : معروفٌ ، بالضاد . والأبيضُ : السيفُ ، والجمعُ البِيضُ .

---

(٨٨) أفرد له ابن مالك كتاباً سماه (الاعتماد في نظائر الظاء والضاد) ، وقد نشرناه في مجلة المجمع العلمي العراقي (الجزء الثالث من المجلد ٣١) ، ١٩٨٠ .

(٨٩) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٢٣٨ .

(٩٠) اسمه في كتب الانساب : حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم (الاشتقاق ٦٧ ، جمهرة أنساب العرب ٢٢٢ ، اللباب ١ / ٣٩٦) .

والبِيضانُ من الناسِ خِلافُ السودان . قال ابنُ السِّكِّيت [٩١] : الأبيضان : اللبنُ والماءُ ، وأنْشَدَ :

ولكنّهُ يأتي لِيَ الحولُ كامِلاً وما لِيَ إلاّ الأبيَضَيْنِ شرابُ [٩٢]

البَيْظاء ، بالظاء : ماءُ الرجلِ ، وقد قيل : إنّه شيءٌ يكون في بدن المرأةِ .

(ومما جاء بالضاد والظاء على معنى واحد)

يقال : فاضَ الرجلُ وفاظَ : إذا مات ، يجوز بالضاد والظاء .

وحَضِلَتِ [٩٣] النخلةُ : إذا (٥١) - فَسَدَتْ أُصولها ، يُكتبُ بالضاد والظاء .

والخضلُ : كثرةُ الماءِ . ومطرٌ خَضَلٌ . ودمعٌ خَضْلٌ وخَضِلٌ ، والفعلُ منه : خَضَلَ يَخْضِلُ خَضْلاً . واخضَلَتِ السماءُ : إذا مطرت مطراً غزيراً ، كُلُّهُ بالضاد .

تمت هذه الرسالة

(٩١) اصلاح المنطق ٣٩٥ . وابن السكيت هو يعقوب بن اسحاق ، والسكيت لقب أبيه اسحاق ، توفي سنة ٢٤٤ هـ . (تاريخ بغداد ١٤ / ٢٧٣ ، معجم الأدباء ٢٠ / ٥٠ ، البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٨٨) .

(٩٢) البيت في اصلاح المنطق ٣٩٥ وجنى الجنتين ١٤ بلا عزو . وهو لهذيل الأشجعي في اللسان (بيض) .

(٩٣) في الأصل : خضلت بالخاء ، وهو تصحيف . والصواب (حضلت) بالحاء المهملة كما في كتب الضاد والظاء والمعجمات .

اجتماع إنْ واللام في لغة القرآن

الدكتور
هاشم سعيد النعيمي
كلية الآداب – جامعة بغداد

القرآن الكريم كلام الله سبحانه ، أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين ، أعجز فصحاء العرب وبلغاءهم عن أن يأتوا بسورة مـــن مثله . فأسلوبه أعلى اساليب العربية ، وبيانه اسمى بيان فيها . ومن ثم كانت دراسة أية جزئية . من جزئيات لغته كشفاً عن اسلوب في العربية هو الغاية من بين أساليبها في تلك الجزئية ، وكان القياس على اية عبارة وردت فيها ادراكاً لاسلوب عربي بليغ لا يختار عليه ، كيف والله تعالى يقول : (وكذلك انزلناه قرآناً عربياً) (طه : ١١٣) ويقول : (نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) (الشعراء : ١٩٥) ولقد وقفت يوماً عند قوله تعالى في سورة ابراهيم الآية ٤٦ « وقد مكروا مكرَهم وعندالله مكرُهم . وإن كان مكرُهم لتزولَ منه الجبال » أتأمل كسر اللام في لِتزول مع إنّ ، ورجعت الى كتب النحو والتفسير والقراءات ، فوجدت للعلماء اكثر من رأي في إنْ واللام ، وفي الآية اكثر من قراءة ، فجمعت ذلك كله وبوّبته ونسقته فكان منه هذا البحث .

إنِ المخففة

وردت لإنْ في القرآن الكريم معان عدة بحسب استعمالها في الآيات التي جاءت فيها فمن ذلك انها تكون مخففة من الثقيلة بان تحذف النون الثانية من إنّ

وهذا الحذف للتخفيف ، كما هو واضح من تسميتها المخففة من الثقيلة ، اما معناها فهو التوكيد كالثقيلة ، وان كانت المثقلة اقوى في التوكيد من المخففة إذ كما ان زيادة المبنى زيادة في المعنى [1] يكون نقصان البناء نقصاناً في المعنى.

وتجيء اللام مع المثقلة كثيراً في القرآن الكريم . وقد أحصينا ما أورده الاستاذ عضيمة لاستعمال خبر إنّ المفرد في القرآن الكريم فوجدناه جاء مفرداً في اربعة وثمانين وستمائة موضع ، اتصلت به اللام في خمسين ومائة موضع ، ومعنى ذلك أن آية من كل اربع آيات تقريباً جاءت باللام ، وليس من شك في ان الربع ليس قليلاً .

وفائدة هذه اللام مع إنّ زيادة التوكيد في الجملة ، فإنّ للتوكيد واللام للتوكيد ، [2] فإذا خففت إنّ بحذف نونها الثانية . بقي فيها معنى التوكيد على ما ذكرنا ، ولزمتها اللام ، وقد ذكر العلماء انها تلزمها للفرق بينها وبين إنِ النافية ، وفي ذلك تفصيل :

عملها ومعناها

معنى إنّ التوكيد فهي بمعنى الفعل اؤكد ، وقد ذكر العلماء انها عملت عمل الفعل من النصب والرفع (لانها اشبهته لفظاً ومعنى ووجه المشابهة بينهما من خمسة اوجه ، الاول انها على وزن الفعل والثاني انها مبنية على الفتح ...) [3] . وكأن العرب نظروا الى انها فرع على الفعل في العمل بهذا الشبه فالزموها الصورة الفرعية في عمل الفعل ، اذ الاصل في الافعال ان يتقدم المرفوع على المنصوب ، فالزمت هذه تقديم المنصوب على المرفوع اشعاراً بفرعيتها [4] .

(١) الخصائص لابن جني تحقيق محمد علي النجار ط دار الكتب ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م جـ ٣ ص٥٦٦

(٢) الكتاب لسيبويه ط مصورة بالاوفست عن ط بولاق ط ١ ١٣١٦ هـ جـ ١ ص ٤٧٣

(٣) الانصاف في سبيل مسائل الخلاف لابن الانباري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ٣ مطبعة السعادة بمصر ص ١٠٤

(٤) نفسه ص ١٠٥

وحينما خففت وآلت الى إنْ ذهب الكوفيون الى أنها فقدت الشبه اللفظي بالفعل فلم تعد على ثلاثة احرف كما لم يعد آخرها يشبه الفعل الماضي ولذا اهملت العرب ، اعمالها عمل الفعل في جل كلامها ، وخالفهم البصريون وذهبوا الى أنها تعمل مع تخفيفها (٥) .

هكذا قال اهل التعليل النحوي ، وهو تعليل قائم على النظر والمنطق ، نشك كثيراً ان يكون العرب قد لحظوه وهم يتحدثون ، اذ اللغة ظاهرة اجتماعية اكثرمنها طريقة رياضية منطقية . وسواء اكان هذا التصرف مقصوداً بالطريقة التي ذكرها اهل التعليل ام جاء عفو الخاطر من غير تصميم سابق فان واقع اللغة ان هذا الصوت (إنّ) حينما خفف فصار (إنْ) تغيرت صوره الكلام بعده ، فالاسم الذي كان منصوباً صار مرفوعا ، واللام التي رأيناها بنسبة واحد الى اربعة في كتاب الله تعالى مع الخبر المفرد ، رأيناها تلازم الخبر فلا تنفك عنه ، على ان لهذه اللام حديثا سنأتي اليه فيما بعد .

ولكن هل عدم العلماء نصا لعربي جاء بإنْ مخففة من غير ان يؤثر ذلك على نصب الاسم بعدها ؟ وهل عدموا نصاً جاءت فيه إنْ مخففة والاسم بعدها مرفوعاً وقد خلا الخبر من اللام ؟ اما في لغة القرآن الكريم فلم تأت إن المخففة ناصبة للاسم بعدها او خالية من اللام في أية آية من آياته على القراءة المشهورة المتداولة . واما في غير ذلك فقد حكى العلماء اعمالها مخففة في قراءة للآية الكريمة « وإنّ كلاً لمّا ليوفّينهم ربّك أعمالهم » (سورة هود الآية ١١١) اذ (قرأ الحرميان وأبو بكر وإنْ كلاً بتخفيف النون ساكنة) (٦) ، وذكر سيبويه انه سُمع من العرب من يقول : انْ عمراً لمنطلق قال : (وحدثنا من نثق به انه سمع من العرب من يقول انْ عمراً لمنطلق ، وأهل المدينة يقرأون « وإنْ كلّا لمّا ليوفينهم

(٥) انظر تفصيل ذلك في الانصاف ص ١١١ ومابعدها .

(٦) البحر المحيط لابي حيان مصورة بالاوفست عن ط الرياض ج ٥ ص ٢٦٦

ربك اعمالهم » يخففون وينصبون) [٧] وقد علل سيبويه هذا الإعمال بان الفعل حين يحذف منه شيءٌ لا يغير عمله فكذلك ما كان بمنزلة الفعل ونص على ان اكثر العرب على الاهمال كما فعلوا بها حين ادخلوا عليها ما ، قال : (وذلك لان الحرف بمنزلة الفعل فلما حذف من نفسه شيءٌ لم يغير عمله ، كما لم يغير عمل لم يَكُ ولم أُبَلْ حين حذف . وأما اكثرهم فادخلوها في حروف الابتداء بالحذف، كما ادخلوها في حروف الابتداء حين ضموا اليها ما) [٧] .

وقال المرادي بعد ان ذكر قراءة الآية الكريمة « وان كلاً . . . » (وهذه القراءة ونقل سيبويه حجة على من انكر الإعمال) [٨] . على انه قال (فيها بعد التخفيف لغتان الإهمال والاعمال ، والإهمال أشهر) [٨] : وقال ابن عقيل : (حكى الإعمال سيبويه والاخفش) [٩] .

فقد حكى العلماء إعمالها مخففة ، كما حكوا اهمالها وخلو الخبر بعدها من اللام اذا ظهر المقصود ولم تلتبس بالنافية ولكنهم ذكروا ان ذلك قليل . والزموا المتكلم اذا اراد ان يكون كلامه موافقاً لكلام العرب ان يهمل إنْ المخففة وان يلزم خبرها اللام . وقد ذكرنا تعليلهم اهمالها بعد التخفيف ، اما لزوم اللام فقد عللوه بمنع اللبس قالوا وتلزمها اللام فارقة بينها وبين إن النافية ، فلو قلت إن زيد مسافر كان المعنى نفي السفر عن زيد ، اما اذا جئت باللام فقلت إن زيد لمسافر فإن المعنى سيكون اثبات السفر لزيد مع التأكيد ، ومن اجل ذلك قالوا اذا جاءت عاملة لم تلزمها اللام [٩] لانها لا تلتبس والحالة هذه بالنافية لان النافية لا تعمل النصب ، ومثلوا لذلك بقولهم : إنْ زيداً قائم .

(٧) الكتاب ١ : ٢٨٣

(٨) الجنى الداني في حروف المعاني لحسن بن قاسم المرادي تحقيق طه محسن ط الموصل ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ص ٢٨٨

(٩) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط ١٤ مطبعة السعادة بمصر ط ص ٣٧٨ .

واذا امتنعت النافية لقرينة لم تكن اللام لازمة ايضاً ، من ذلك [١٠] قول الطرماح :

ونحن اباة الضيم من آل مالك وانْ مالكٌ كانت كرام المعادن

اذ لا يتصور ان يفخر الانسان بقومه ثم ينفي عنهم كرم المعدن .

حقيقة اللام :

اثير سؤال حول هذه اللام أهي لام الابتداء التي تأتي مع إنّ فتزحلق الى الخبر اقترت مع إنِ المخففة ام هي لام اخرى اجتلبت للفرق ؟

وقد ذكر ابن يعيش ان النحويين يسمون هذه اللام الفارقة ، لام الفصل « وذلك انها تفصل بين المخففة من الثقيلة وبين النافية ، وقد اختلفوا في هذه اللام .. [١١] ومعنى ذلك انهم وان اختلفوا في حقيقتها فإنهم لم يختلفوا في اسمها وفائدتها فهي اللام الفارقة او الفاصلة ، سميت بذلك لانها تفرق او تفصل بين ارادة المخففة من الثقيلة وبين التي تكون للنفي كما في قوله تعالى « إن انت الا نذير » فالاختلاف فيها اختلاف في الصناعة ، وليس اختلافاً في اللغة ، وقد اورد أدلة كل فريق ولم يرجح بينهما ، قال : (وقد اختلفوا في هذه اللام فذهب قوم الى انها اللام التي تدخل في خبر إنّ المقررة للتأكيد الا انها اذا كانت مستردة فانت في إدخالها وتركها مخيّر تقول في ذلك : إنْ زيداً قائم فإن شئت إنّ زيداً لقائم ، فإن خففت إنْ لزمت اللام وذلك قولك : إنْ زيد لقائم ، ألزموها اللام ايذاناً منها بأنها المشددة التي من شأنها ان تدخل معها اللام وليست النافية التي بمعنى ما . . ودخلت اللام لما ذكرناه من التأكيد ، وازمت للفرق بينها وبين النافية . . وذهب قوم آخرون الى أن هذه اللام ليست التي تدخل إن المشددة التي هي للابتداء لان تلك كان حكمها ان تدخل على اسم فأخرت الى الخبر لئلا يجتمع تأكيدان وساغ ذلك من حيث كان الخبر هو المبتدأ في المعنى أو ما هو واقع موقعه ، وهذه اللام لا تدخل الا على المبتدأ وعلى خبر إن اذْ كان اياه في المعنى أو متعلقاً به ، ولا

(١٠) نفسه ١ : ٣٧٩

تدخل من الفعل الا على ما كان مضارعاً واقعاً في خبر إن وكان فعلاً للحال واذ لم تدخل الا على ما ذكرناه لم يجز ان تكون اللام التي تصحب إن الخفيفة اياها ، اذ لا يجوز دخول لام الابتداء على الفعل الماضي ، وقد وقع بعد إنْ هذه الفعل الماضي نحو « إن كاد ليضلنا » ، « وإنْ وجدنا اكثرهم لفاسقين » . وأيضاً فإن لام الابتداء تعلق العامل عن عمله ، فلا يعمل ما قبلها فيما بعدها نحو قولك أعلمُ لزيدٌ منطلق وقوله : « والله يشهد إنّ المنافقين لكاذبون » وقد تجاوزت الافعال الى ما بعد هذه اللام فعملت فيها نحو : « إنْ كنا عن دراستهم لغافلين » . . . وليست هي ايضاً التي تدخل على الفعل المستقبل والماضي للقسم نحو ليفعلَنّ ولَفعلَ واو كانت تلك ازم الفعل الذي تدخل عليه اذا كان مضارعاً احدى النونين فلما لم تلزم علم انها ليست اياها ، قال الله تعالى : « ان كاد ليضلنا » و « ان كانوا ليقولون » فلم تلزم النون) [11].

ويرى جمهور الكوفيين[12] ان هذه اللام بمعنى الا هنا وان إنْ ليست مخففة من الثقيلة بل هي نافية وتكون الجملة جملة حصر ، ففي قوله تعالى مثلاً : « وان وجدنا اكثرهم لفاسقين يكون المعنى على رأيهم : وما وجدنا اكثرهم الا فاسقين ، وهكذا في قوله : « وان كانت لكبيرة » اي وما كانت الا كبيرة ، وفي قوله تعالى : « وان نظنك لمن الكاذبين » اي : وما نظنك الا من الكاذبين . وهذا القول وان بدا في ظاهره بما قدم من شواهد مستقيماً الا اننا لا نميل اليه لما يأتي :

١ — في القرآن الكريم آيات جاءت فيها الا مع إنْ كقوله تعالى : « ان كانت الا صيحة واحدة فإذا هم خامدون » ، وقوله تعالى : « إن انا الا نذير » وقوله سبحانه : (إنْ نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) ولم يوضح لنا القائلون بان اللام التي مع إنْ بمعنى الا النكتة البلاغية التي من اجلها تحول اسلوب القرآن

(١١) شرح المفصل لابن يعيش نسخة مصورة بالاوفست عن ط مصر ط ٩ ص ٢٦ — ٢٧
(١٢) انظر الانصاف ص ٣٣٦ — ٣٣٧ المسالة (٩٠)

الكريم عن الا التي استخدمها مع إن النافية الى اللام التي زعموا انها بمعناها ، ولم نهتد نحن لشي من ذلك ، فلا موجب لصرف اللام عن معناها الى معنى إلا . اما قوله :

أمسى أبان ذليلا بعد عزته   وما أبان لمن اعلاج سودان

وفيه اللام بمعنى الا وهو ما استدل به الكوفيون كما ذكر في المغني [١٣] فالضرورة واضحة فيه والشعر مطية الضرورات ، ولا مجال للضرورات في كتاب الله تعالى . والقرآن يتخير له ولا يتخير عليه كما قال ابن جني [١٤] .

٢– اذا استقام التأويل في الآيات التي أوردوها ، فإن جعل اللام بمعنى الا في مواضع اخرى لا يكون الا بتكلف ، من ذلك مثلاً قوله تعالى : « وان يكاد الذين كفروا ليز لقونك بابصارهم » وقوله تعالى : « تالله إن كدت لتردين » الى غير ذلك من الآيات التي دخلت فيها اللام على الفعل ، اذ من الواضح ان معنى الحصر ليس مراداً ، بل المراد التوكيد ، ففي قوله تعالى : « وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجونك منها » لو قلنا إن المعنى التأكيد على انهم كادوا يستفزونك كان أشبه من القول بأنهم ما كادوا الا يستفزونك ، اذ معنى الحصر مقحم في هذا اقحاماً ، ولو قلنا ان معنى الآية : لقد كادوا يستفزونك من الارض . . . لكان مستقيماً بما في اللام وقد من معنى التأكيد ، وكأنه تعويض عن التأكيد بإنْ واللام ، وهكذا في قوله تعالى : « وإنْ كانوا ليقولون لو أن عندنا . . .) المعنى لقد كانوا يقولون . . وهو اوفق من قولهم : ما كانوا الا يقولون لو ان عندنا . .

٣– ومما ينفي ان تكون اللام بمعنى الا ما ذكره ابن الانباري في الانصاف حيث قال : (قلنا إن اللام لام التأكيد لأن لها ايضاً نظيراً في كلام العرب وكون اللام للتأكيد في كلامهم مما لا ينكر لكثرته ، فحكمنا على اللام بما له نظير

(١٣) مغني اللبيب لابن هشام الانصاري ط عيس الحلبي ج ١ ص ١٩١

(١٤) المحتسب ١ / ٥٣

في كلامهم ، فأما كون اللام بمعنى الا فهو شيْ ليس له نظير في كلامهم ، والمصير الى ما له نظير في كلامهم اولى من المصير الى ما ليس له نظير . . .)[١٥].

وقد يقال : اذا كانت إنْ مخففة من الثقيلة ففيها معنى التوكيد ، وكذلك التوكيد في اللام ، فعلام إذن كان التخفيف ما دام التوكيد مراداً ؟ والجواب عن ذلك ان يقال : ان العرب قد تخفف اللفظ وتريد المعنى الاول ، الا يرى ان عندهم نون التوكيد الخفيفة كما عندهم نون التوكيد الثقيلة قال تعـــالى : « ليُسجَنَنَّ وليكونَنْ من الصاغرين » فجاءت النون في الاولى ثقيلة وفي الثانية خفيفة وكلتاهما للتوكيد .

مذهب الكسائي :

ذكر الرضي ان الكسائي يقول[١٦] بتخفيف إنْ من الثقيلة اذا كانت مع اللام في الاسماء وهو بهذا ينفرد عن الكوفيين اما في الافعال فمذهبه كمذهبهم قال : (وفرّق الكسائي بين إن مع اللام في الاسماء وبينها معها في الافعال ، فجعلها في الاسماء المخففة ، واما في الافعال فقال إن ناقية واللام بمعنى الا) وقد عال ذلك بان دخولها على الاسم يجعل القول بالتخفيف اولى لأن الاصل في المشددة ان تدخل على الاسماء ، واما دخولها على الفعل فيجعل القول بانها نافية أولى لان الاصل في النفي ان يباشر الافعال قال : (لان المخففة بالاسم اولى نظراً الى أصلها ، والنافية بالفعل أولى لان معنى النفي راجع الى الفعل . وغيره من الكوفيين قالوا انها نافية مطلقاً دخلت في الفعل او في الاسم واللام بمعنى إلا) .

مذهب الفرّاء :

للفراء مذهب في اللام الواقعة في خبر إنّ المشددة على ما اورده الزجاجي في

(١٥) الانصاف ص ٣٣٦ - ٣٣٧

(١٦) شرح الكافية للرضي الاسترابادي ط ١٢٧٥ هـ جـ ٢ ص ٣٣٤

كتاب اللامات [١٧] وقد نسبه المرادي والسيوطي لثعلب [١٨] ، فهو يرى انها ليست لام الابتداء وانما هي لام جيء بها في مقابل الباء في قولهم ما زيد بمنطلق قال : (وقال الفراء هذا كلام يقع جواباً تحقيقاً بعد نفي ، كأن قائلاً قال : ما زيد قائم فقلت إنّ زيداً قائم ، فأدخلت إنّ في كلامك تحقيقاً بازاء ما النافية في كلامه . فإن قال : ما زيد بقائم ، قلت : إنّ زيداً لقائم ، فجعلت إنّ بازاء ما ، واللام بإزاء الباء . .) [١٩]

ويمكن ان نفيد هنا من رأي الفراء فنقول : اذا اردت ان تخبر عن سفر زيد مثلا فأمامك هذه الجمل : سافر زيد ، يسافر زيد ، زيد سافر ، زيد يسافر . زيد مسافر ، إنّ زيداً مسافر ، إنّ زيداً لمسافر ، إنْ زيدٌ لمسافر .

فالجمل الاربع الأُوَل تقال لمخبَّر خالي الذهن يراد له ان يعلم سفر زيد في الماضي او في الحاضر بحسب الفعل المستعمل ، واما التقديم والتأخير فمرده الى عناية المتكلم بالذات أو بالمعنى . أو علمه بعناية السامع بأحدهما . ولا يعنينا هنا الخلاف بين العلماء في اسمية الجملة او فعليتها اذا قلنا زيد مسافر أو زيد يسافر ، لان العناية بالمتقدم في مثل هذا أوضح من قصد التوكيد باسمية الجملة ، على ان ذلك موضع خلاف بين العلماء . والجملة الخامسة كأنها جواب سؤال في ذهن السامع فأريد توكيده بالجملة الاسمية فقولنا زيد مسافر جواب أزيد مسافر ، والجملة السادسة تأتي لازالة شك في ذهن السامع يعبر عنه بما زيد مسافراً فيقال : انّ زيداً مسافر ، والسابعة تقابل ما زيد بمسافر فيقال : إنّ زيداً لمسافر. وهاتان هما اللتان اشار اليهما الفراء ، ونزيد على ذلك ان نقول : يمكن ان يعد على هذا قولنا : انْ زيدٌ لمسافر ، جواباً لليس زيد بمسافر ، على رأي الجمهور القائلين

---

(١٧) كتاب اللامات لابي القاسم الزجاجي تحقيق د . مازن المبارك ط دمشق ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م ص ٦٠ .

(١٨) انظر الجنى الداني ص ١٦٦ وهمع الهوامع للسيوطي صورته بالاوفست دار المعرفة – بيروت ج ١ ص ١٤٠

(١٩) اللامات ص ٦٠

بفعلية ليس ، ويكون تخفيف إنّ مراداً به مقابلة الجملة الفعلية . التي هي أقل توكيداً من الجملة الاسمية ، واللام مؤكدة مع إنْ لأنها جاءت بإزاء الباء في خبر ليس وما ، والباء تزاد فيهما للتوكيد (٢٠) كما هو معلوم .

وقد ذكر المرادي ان علماء المعاني يقولون (اذا القيت الجملة الى من هو خالي الذهن استغنى عن مؤكدات الحكم فيقال زيد ذاهب ، ويسمى هذا النوع من الخبر ابتدائياً ، واذا القيت الى طالب لها متردد في الحكم حسن تقوية الجملة بمؤكد وذلك بإدخال إنّ نحو إنّ زيداً ذاهب ، او اللام نحو : لزيد ذاهب ، ويسمى هذا النوع طلبياً ، واذا القيت الى منكر للحكم وجب توكيدها بحسب الافكار فتقول : إني صادق ، لمن ينكر صدقك ولا يبالغ فيه ، وإني لصادق . لمن يبالغ في انكاره ، ويسمى هذا النوع انكارياً . . . ويؤيد ذلك جواب ابي العباس للكندي عن قوله : إني أجد في كلام العرب حشواً ، يقولون : عبدالله قائم ، ثم يقولون : إن عبدالله قائم ، ثم يقولون : إن عبدالله لقائم ، والمعنى واحد ، فقال : بل المعاني مختلفة ، فعبدالله قائم ، اخبار عن قيامه ، وإنّ عبدالله قائم جواب عن سؤال سائل ، وإن عبدالله لقائم جواب عن انكار منكر قيامه) (٢١) . وهكذا نقول في إنْ زيد لقائم كما تقدم .

وما دامت هذه اللام للتوكيد لانها جاءت في مقابل الباء الزائدة في خبر ليس وهي للتوكيد ، ولام الابتداء للتوكيد فهما اذن بمعنى واحد .

وقد ذكر ابن عقيل ان فائدةالخلاف تظهر في حركة همزة إنْ بناء على تعليق الفعل أو عدمه في قوله صلى الله عليه وسلم : قد علمنا إن كنت لمؤمنا (فمن جعلها لام الابتداء أوجب كسر إنْ ، ومن جعلها لاما اخرى اجتلبت للفرق فتح أنْ ، (٢٢) وسنعرض ذلك في كلامنا على مذهب الفارسي .

---

(٢٠) الانصاف ص ٩٨

(٢١) الجنى الداني ص ١٦٦ — ١٦٧

(٢٢) شرح ابن عقيل ١ : ٣٨٠

رأي الفارسي :

ناقش ابو علي الفارسي مسألة اللام الواقعة بعد إن المخففة في كتاب البغداديات مفصلاً ، فذكر القول بانها التي تدخل على خبر إنّ المثقلة ، ونقضه ، وذكر القول بانها اللام التي تأتي مع القسم في مثل والله لَيفعلنّ ،ونقضه ، وانتهى الى أن قال : (فقد ثبت بما ذكرنا ان هذه اللام الداخلة على خبر إن المخففة ليست التي تدخل في إنّ المشددة ، ولا هي التي تدخل على الفعل المستقبل والماضي في القسم ، لكنها تلزم إن هذه لتفصل بينها وبين التي بمعنى (ما) النافية)[٢٣] . وقد بنى على ذلك انك (لو أدخلت شيئاً من الافعال المعلقة على إن المكسورة المخففة من الثقيلة وقد نصبت بها واللام في خبرها لم تعلق الفعل قبلها من اجل اللام كما تعلقه مع لام الابتداء لأن هذه اللام قد ثبت انها ليست تلك ، فإذا لم تكن تلك لم تعلق الفعل الملغى كما تعلقه لام الابتداء . فهذه حقيقة إن هذه المخففة واللام التي تلحق معها عندي)[٢٣] .

اما نقضه ان تكون اللام هي نفسها اللام التي مع إنّ فقد بناه على ما يأتي : اللام التي مع إنّ لام الابتداء التي تختص بالدخول على الاسماء وما قرب شبهه بها من الافعال وهو الفعل المضارع . والاصل فيها ان تقع في اول الكلام والدليل على ذلك أنها تعلق الفعل قبل إنّ كما تعلقه قبل المبتدأ (وذلك في مثل : علمت إنّ زيداً لينطلق ، كما تقول : علمت لعمرو منطلق ، فكما علق الفعل الذي يلغى اذا دخل على المبتدأ كذلك علقه إذْ أدخلت في خبر إنْ ، أو اسمها اذ فصل بينهما بظرف ، فهذا يدل على ان هذه اللام هي التي دخلت على الاسم المبتدأ وانها انما دخلت على هذه الافعال لمشابهتها الاسماء ، ودخلت على الخبر من حيث كانت تدخل على المبتدأ اذ كان يؤول في المعنى الى انه هو هو . .)[٢٤]

---

(٢٣) البغداديات لابي علي الفارسي تحقيق صلاح الدين السنكاوي عل الآلة الكاتبة – مكتبة الجامعة المستنصرية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ص ٨٥

(٢٤) نفسه ص ٢٤

(ومعلوم أن لام الابتداء التي تدخل في خبر إنْ الشديدة لا يعمل الفعل الذي قبلها فيما بعدها)[٢٥] .

أما هذه اللام فقد عمل ما قبلها فيما بعدها (وذلك قوله : «وإنْ كنا عن عبادتكم لغافلين » وقول القائل :

هبلتك امك إنْ قتلت لفارساً   حلت عليك عقوبة المتعمد

فلما عمل الفعل فيما بعد هذه اللام علم من ذلك انها ليست التي تدخل في خبر إنّ الشديدة)[٢٦] . كذلك لا تدخل لام الابتداء (على الفضلات وما ليس بالكلام افتقار اليه كما دخلت هذه في قوله لفارساً ونحوه .)[٢٧] فهذه اللام الداخلة على المفعول به لا يجوز ان يقال انها لام الابتداء . وهي ليست اللام التي تدخل على الفعل في القسم نحو لَيفعلنّ اذ (لو كانت تلك لزم الفعل الذي تدخل عليه احدى النونين . فلما لم يلزم علم انها ليست اياه ، قال تعالى « إنْ كاد لَيضلنا » ، و« إن كانوا ليقولون » ، فلم تلزم النون) واما ما حكاه سيبويه من انه قد لا تلزم النون الفعل المستقبل وان كان الأكثر انها تلزم ، فـلا يصح ان يحمل القرآن عليه لأن القرآن لا يحمل على القليل (فلا ينبغي ان تقول إن هذه اللام هي التي في لَيفعلنّ فتحمل الآي التي تلونا على الاقل في الكلام) .

ويؤكد لك ان هذه اللام ليست تلك ان اللام التي في القسم لا تدخل على الاسماء ، اذ هي مختصة (بالدخول على الفعل الماضي والمستقبل المقسم عليه ، أو ما يتصل بهما نحو إلى من قوله : « لإلى الله تحشرون »)[٢٨] فلما وجدنا هذه تدخل على الاسماء كقوله تعالى : « وان كنا عن عبادتكم لغافلين » دل على انها ليست تلك .

وقد نقل الفارسي رأي ابي الحسن الأخفش الصغير في وجوب كسر همزة إنْ

(٢٥) نفسه ص ٨٣
(٢٦) نفسه ص ٨٣ – ٨٤
(٢٧) نفسه ص ٨٧
(٢٨) نفسه ص ٨٤

مع هذه اللام وهو قوله : (ولا تكون في هذا الكلام إنْ مفتوحة ابداً ، إنْ وقعت على اسم او فعل لان اللام لازمة لهذا فلا تكون الا مكسورة)[٢٩] ثم قال : (فاما قول ابي الحسن في اللام : ولا تكون . . . ، فليست هذه اللام لام الابتداء التي اذا دخلت على خبر إنْ علق عنها الفعل للتقدير بها اول الكلام — لكن دخلت مع إنْ هذه لتفصل بينها وبين النافية ، وتخلّصها منها وتميّزها . واذا لم تكن اياها لم يمنع من فتح إنْ لان العلة الموجودة في لام الابتداء التي علق الفعل معدومة من هذه ، وهي ان التقدير بها وقوعها في الصدر)[٣٠] .

وهذا الذي ذكره الفارسي اشار اليه ابن عقيل على انه خلاف بين الرجلين حيث قال : (وتظهر فائدة هذا الخلاف في مسألة جرت بين ابي العافية ، وابن الأخضر وهي قوله صلى الله عليه وسلم : « قد علمنا إنْ كنت لمؤمنا » فمن جعلها لام الابتداء أوجب كسر همزة إنْ ومن جعلها لاماً اخرى اجتلبت للفرق فتح أنْ ، وجرى الخلاف في هذه المسألة قبلهما بين ابي الحسن علي بن سليمان البغدادي الأخفش الصغير وبين ابي علي الفارسي ، فقال الفارسي : هي لام غير لام الابتداء اجتلبت للفرق ، وبه قال ابن ابي العافية ، وقال الاخفش الصغير انما هي لام الابتداء أدخلت للفرق وبه قال ابن الأخضر)[٣١] .

والحق ان الفارسي لم يوجب الفتح وانما قال : (لم يمنع من فتح إنْ) والكلام منصب على إنْ بكسر الهمزة ومجيء اللام فارقة بين النافية والمؤكدة المخففة من الثقيلة ، وقد قال عنها : (ولو ادخلت شيئاً من الافعال المعلّقة على إن المكسورة المخففة من الثقيلة وقد نصبت بها واللام في خبرها لم تعلق الفعل قبلها من اجل اللام كما تعلقه مع لام الابتداء)[٣٢] ، وعلى هذا فينبغي أن يحمل كلامه في فتح همزه إنْ على الجواز لا الوجوب .

---

(٢٩) نفسه ص ٨٦
(٣٠) نفسه ص ٨٧
(٣١) شرح ابن عقيل ١ : ٣٨٠ — ٣٨١
(٣٢) البغداديات ص ٨٥

والذي اراه ان ما قاله الأخفش الصغير من لزوم الكسر اولى بالاتباع ، وذلك ان اللام اذا كانت لام الابتداء فلا مجال لفتح الهمزة معها ، واذا كانت لاماً اخرى اجتلبت للفرق فلا معنى لوجودها مع فتح همزة إنْ اذ هي حينئذ لا تلتبس بالنافية اذ النافية مكسورة الهمزة وهذه مفتوحتها فما معنى المجيء بالـــلام الفارقة ، فوجودها دليل على وجود اللبس بالنافية ولا تلتبس بالنافية الا المكسورة فلا وجـــه اذن للقول بجواز الفتح مع وجود اللام والله أعلم .

واذ قد ثبت امتناع فتح الهمزة مع وجود اللام وان كانت لاما اخرى غير لام الابتداء سقط القول بوجود فائدة من الخلاف حول حقيقة اللام ، وتبقى بالمقدور المتفق عليه بين النحويين وهي لام فارقة بين النافية والمؤكدة ، ولا يعني بعد ذلك ان تكون هي لام الابتداء ، او لام اخرى اجتلبت للفرق ، على ان الادلة القائلة بانها لام اخرى أقوى ، ولكن لا يترتب على هذا الخلاف شيءٌ في اللغة بخلاف ما ذكره ابن عقيل .

الفعل بعدها :

ذكر النحويون أن (إنْ) المخففة من الثقيلة اذا دخلت على الجملة الفعلية لم يلها من الافعال الا الافعال الناسخة للابتداء ، وكأن هذا هو الاصل في مجيء هذا الحرف في لسان العرب ، الا أنهم على طريقتهم في ايراد كل ما وصل اليهم عن العرب زادوا على ذلك ان قرروا انه (يقل ان يليها غير الناسخ . . ومنه قول بعض العرب : إنْ يزينك لنفسُك وان يشينك لهيه ، وقولهم : إنْ قنّعت كاتبك لسوطا ، وأجاز الاخفش إنْ قام لأنا ، ومنه قول الشاعر :

شلت يمينك إنْ قتلت لمسلماً   حلت عليك عقوبة المتعمد) [٣٣]

وهذا القليل الذي ورد عن العرب منع البصريون القياس عليه ووصفوه بالشذوذ[٣٤]

(٣٣) شرح ابن عقيل ١ : ٣٨٢

(٣٤) البحر المحيط ٣ : ١٠٥ .

ولم يأت الفعل بعدها في لغة القرآن الا ناسخاً ، غير أن السيوطي ذكر في الهمع [٣٥] ان ابن مسعود قرأ : إنْ لبثتم لقليلا ، فيكون هذا من القليل النادر قال : (وندر ايلاؤها غير الناسخ في قراءة ابن مسعود : إنْ لبثتم لقليلا) . وهذه الآية وردت في موضعين [٣٦] من كتاب الله تعالى في سورة الاسراء الآية ٥٢ قوله تعالى : « يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إنْ لبثتم الا قليلا) . وفي سورة المؤمنون الآية ١١٤ قوله تعالى : « قال إن لبثتم الا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون » وإنْ في الموضعين نافية وليست مخففة من الثقيلة كما هو واضح اذ لم تأت بعدها اللام الفارقة ولم أجد القراءة التي أشار السيوطي اليها فيما رجعت اليه من مظان في القراءات السبع او العشر أو الشواذ [٣٧] .

وعلى هذا نستطيع ان نقول باطمئنان انه لم يأت الفعل بعدها في لغة القرآن الا ناسخاً . قال الاستاذ عضيمة : (وليت الجملة الفعلية (إنْ) المخففة كثيراً فـي القرآن ، وكان الفعل ماضياً ناسخاً ، الا في موضعين فقد جاء مضارعاً ناسخاً [٣٨] فقد دخلت على كان في ستة عشر موضعاً [٣٩] وعلى كاد في خمسة مواضع وعلى

(٣٥) همع الهوامع ١ : ١٤٢
(٣٦) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ط مطابع الشعب بمصر ١٣٧٨ هـ ص ٦٤٥ مادة (لبثتم)
(٣٧) لم اجدها في موضعها في السورتين في الحجة في القراءات السبع لابن خالويه تحقيق د . عبد العال سالم ط بيروت ١٩٧١ م والمحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني تحقيق علي النجدي ناصف وصاحبيه ط القاهرة ١٣٨٦ هـ واملاء مامن به الرحمن للعكبري تحقيق ابراهيم عطوة ط ١٣٨٠ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ط مصطفى محمد بمصر وكذا في تقريب النشر لابن الجزري تحقيق ابراهيم عطوة ط الحلبي ١٣٨١ هـ وكذا في البحر المحيط لابي حيان وكذا في البيان في غريب اعراب القرآن لابن الانباري تحقيق د . طه عبد الحميد ط مصر ١٣٩٠ هـ وغير ذلك مما رجعت اليه من مظان .
(٣٨) دراسات لاسلوب القرآن الكريم الاستاذ محمد عبد الخالق عضيمة مطبعة السعادة بمصر ط ١ ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢ م ١ : ٥١٦
(٣٩) الاحصاء من الاستاذ عضيمة في دراسات لاسلوب القرآن الكريم ١ : ٥١٦ – ٥٢٠

وجد في موضع واحد ، ودخلت على المضارع الناسخ في موضعين . الاول على نظن والثاني على يكاد . قال الله تعالى :

١ — « فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إنْ كنّا عن عبادتكم لغافلين» ١٠:٢٩

٢ — « ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا » ١٧ : ١٠٨

٣ — « تالله إنْ كنا لفي ضلال مبين » ٢٦ : ٩٧

٤ — « وإنْ كانت لكبيرة ، الا على الذين هدى الله » ٢ : ١٤٣

٥ — « واذكروه كما هداكم وإنْ كنتم من قبله لمن الضالين » ٢ : ١٩٨

٦ — « وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ٣ : ١٦٤

٧ — « وإن كنّا عن دراستهم لغافلين » ٦ : ١٥٦

٨ — « وان كنت من قبله لمن الغافلين » ١٢ : ٣

٩ — « قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين » ١٢ : ٩١

١٠— « ان في ذلك لآية . وان كان أصحاب الأيكة لظالمين) ١٥ : ٧٧ ، ٧٨

١١— « إن في ذلك لآيات وإن كنا لـَمبتلين » ٢٣ : ٣٠

١٢— « وإن كانوا من قبل أن ينزّل عليهم من قبله لـَمُبْلـِسين »٣٠ : ٤٩

١٣— « وإن كانوا ليقولون . لو أن عندنا ذكراً من الأوّلين » ٣٧ : ١٦٧ ، ١٦٨.

١٤— « ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » ٦٢ : ٢

١٥— « يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله وإنْ كنت لمن الساخرين »٣٩ :٥٦

١٦— « وإنْ كان مكرهم لـِتـَزول َ منه الجبال » ١٤ : ٤٦

١٧— « وإنْ كاد ليضلنا عن آلهتنا » ٥ : ٤٢

١٨— « واصبح فؤاد ام موسى فارغاً ، إن كادت لتبدي به » ٢٨ : ١٠

١٩— « تالله إن كدت لتردين » ٣٧ : ٥٦

٢٠— « وإن كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك » ١٧ : ٧٣

٢١— « ان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها » ١٧ : ٧٦

٢٢— « إن وجدنا اكثرهم لفاسقين » ٧ : ١٠٢

٢٣– « وما انت الا بشر مثلنا وإن نظنّك لَمن الكاذبين » ٢٦ : ١٨٦
٢٤– « وإن يكاد الذين كفروا لَيُزلقُونَك بأبصارهم » ٦٨ : ٥١

ويلاحظ ان اللام التي جاءت مع (إنْ) في كل هذه المواضع كانت مفتوحة ، الا في موضع واحد حيث جاءت مكسورة على القراءة المشهورة وهو قوله تعالى : « وقد مكروا مكرَهم وعند الله مكرُهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » ١٤ : ٤٦

وقد رأينا النحويين يختلفون في اللام الفارقة أهي لام الابتداء ام لام اخرى اجتابت للفرق كما تقدم ، الا اننا لم نرهم يختلفون في حركة هذه اللام . وقـد نقل الاستاذ عضيمة وهو يورد هذه الآية الكريمة عن البحر قراءة عمر وعلي « وان كاد مكرهم لَتزولُ » بفتح اللام الاولى ورفع الثانية، وقراءة ابن عباس وإن كان بالنون ، وقول ابي حيان : (فعلى هاتين القراءتين تكون إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة) [٤٠].

فإذا كانت قراءة فتح اللام الاولى وضم الثانية متفقة مع ما نعرفه من حركة اللام الفارقة : فان قراءة كسر اللام الاولى وفتح الثانية لاتوجه على هذا المعنى اذ قد يقال : هي : حينئذ لام التعايل التي اطلق عليها في مثل هذا الموضوع اسم لام الجحود او الجحد وإنْ نافية بمعنى (ما) ، ذلك أن (إنْ) المخففة من الثقيلة لا تأتي اللام معها مكسورة، لأنها إن كانت لام الابتداء فقد نُصّ على انها (مفتوحة مع المظهر والمضمر)[٤١] وان كانت لاماً أخرى اجتلبت للفرق فهـي مفتوحة أيضاً في الشواهد التي بين ايدينا جميعاً ولو جاءت مكسورة عن العرب لاستدل به القائلين بأنها لام اخرى بل لكان ذلك من أقوى أدلتهم على أنها غير لام الابتداء التي لا يجوز فيها الكسر فهل اللام ههنا لام الجمود وإن نافية ؟ .

(٤٠) نفسه ١ : ٥١٩
(٤١) سر الصناعة لابن جني تحقيق احمد رشيد سعيد رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة – في الازهر ١٣٩٥ ﻫ / ١٩٧٥ م ج ٢ ص ٧٤
(٤٢) دراسات لاسلوب القرآن الكريم ٢ : ٤٥٧ – ٤٦٠

إن النافية واللام :

جاءت اللام مع الكون المنفي في القرآن الكريم في عشرين موضعاً [٤٢] وقد قال ابو حيان في النهر الماد في تفسير قوله تعالى : « ما كان الله ليذر المؤمنين » : (واللام في ليذر المؤمنين لام الجحود وهي تأتي بعد كون ماض لفظاً أو معنى بحرف نفي وهو ما أو لم » [٤٦] وقد جاءت مع مضارع كان المجزوم بلم في ثلاثة مواضع احدها للمتكلم « لم أكنْ لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون» ١٥ : ٣٣

وموضعان بلفظ الغيبة في سورة واحدة : « لم يكن الله ليغفر لهم » ٤ : ١٣٧، ١٦٨ وفي سبعة عشر موضعاً جاءت مع كان المنفية بـ (ما) من ذلك قوله تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » ٢ : ١٤٣ « ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيّب » ٣ : ١٧٩ « وما كان الله ليطلعكم على الغيب » ٣ : ١٧٩ .

اما (إن) النافية فقد دخلت على الفعل الماضي في ثمانية مواضع [٤٤] في القرآن الكريم ، قال تعالى :

١- « وليَحلفنّ إنْ أردنا الا الحسنى » ٩ : ١٠٧

٢- « وتظنون إنْ لبثتم الا قليلا » ١٧ : ٥٢

٣- إنْ لبثتم الا عشرا » ٢٠ : ١٠٣

٤- « قال إنْ لبثتم الا قليلا » ٢٣ : ١١٤

٥- « ولئن زالتا إنْ أمسكهما من أحد من بعده » ٣٥ : ٤١

٦- « إنْ كانت الا صيحة واحدة فإذا هم خامدون » ٣٦ : ٢٩

٧- إن كانت الا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون » ٣٦ : ٥٣

٨- « ولقد مكّناهم فيما إنْ مكناكم فيه » ٤٦ : ٢٦

(٤٣) النهر الماد بحاشية البحر المحيط ج ٣ ص ١٢٥
(٤٤) دراسات لاسلوب القرآن الكريم ١ : ٥٦٥

ويلاحظ انها جاءت وليس معها (إلاّ) في آيتين ، وجاءت مع كان في آيتين والمعنى حصر – ولا مجال لمجيء لام الجحود في أية آية من الآيات المذكورة . الا ان ذلك لا يمنع من القول بان إن النافية قد دخلت على كان في لغة القرآن في موضعين . ولاشكّ ان دخولها على كان يشكل الجزء الاول من اسلوب الجحد فإن جاءت اللام معها كان ذاك ، وإلاّ كان ايذاناً بامكانه .

يضاف الى هذه المواضع الثمانية اربعة تحتمل إن فيها معنى النفي والشرط . أو هكذا ذكر العلماء فيها [٤٤] وقال تعالى :

١– « فإنْ كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ١٠ : ٩٤

٢– « قل إن كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين » ٤٣ : ٨١

٣– « ولقد مكنّاهم فيما إن مكنّاكم فيه » ٤٦ : ٢٦

٤– « لو اردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنّا إنْ كنّا فاعلين » ٢١ : ١٧

ويلاحظ ان الشرط ظاهر في الآية الاولى والثانية بحيث لايدع مجالاً للقول بالنفي الا بتكلّف ، وكذلك الامر في الآية الرابعة . وكأن الذين ذهبوا الى انها نافية انما ذهبوا الى المعنى المتحصل من كل آية بعد فهم معنى الشرط . كما تقول – ولله المثل الاعلى – إن جاءك زيد في موعده فلك عليّ ما تشاء . فالاسلوب هنا اسلوب شرط وان كنت تريد به في النهاية التأكيد على نفي مجيء زيد.ولكن لا يقال إنْ ههنا نافية . او ان تقول : إن كان ابليس صالحاً ففلان صالح . فهذا اسلوب شرط وإن كان المعنى المراد به النفي فكأنك قلت ليس ابليس صالحاً وليس فلان صالحاً .

اما الآية الثالثة فالنفي فيها أظهر وكنا اوردناها تحت النافية في رقم (٨) وقد استدل [٤٥] ابو حيان على معنى النفي فيها بان القرآن يدل عليه في مواضع قال :

(٤٥) نفسه ١ : ٥٦٥ وقد استدل بقول ابي حيان وابن هشام واشار الى موضع الاستدلال .

(وكونها نافية هو الوجه لان القرآن يدل عليه في مواضع كقوله تعالى « كانوا اكثر منكم وأشد قوة وآثاراً » وقوله « هم أحسن اثاثاً ورئيا » وكذلك فعل ابن هشام حيث قال : (ويؤيد الاول قوله تعالى . :

(مكناهم في الارض ما لم نمكّن لكم) .

وقد وردت (إنْ) قراءةً في آيتين فيهما أنْ مفتوحة وجعلت نافية

١- « سبحانه أنْ يكون له ولد» ٤ : ١٧١

٢- « ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ، قل إنّ الهدى هدى الله أنْ يؤتى أحد مثل ما أوتيتم » ٣ : ٧٣

والآية الأولى على تلك القراءة فيها إنْ داخلة على مضارع كان فالكون معها ليس ماضياً ، وفي الثانية لم تدخل على كون ماض او مضارع .

ومعنى ذلك انه ورد في القرآن الكريم آيتان فيهما إن نافية لكان وليس معها لام الجحود وليس الاسلوب جحداً بل اثبات وحصر ، وآية واحدة جاءت فيها إن النافية مهيئة للام الجحود هي قوله تعالى « وان كان مكرهم لِتزول منه الجبال » على ما ذهب اليه فريق من العلماء كما سيأتي.

واسلوب لام الجحد ابلغ في النفي من غيره فقولك (ما كان زيد ليقوم ابلغ من ما كان زيد يقوم ، لأن الاول نفي للتهيئة والارادة للقيام . وهو أبلغ من نفي الفعل لأن نفي الفعل لا يستلزم نفي ارادته) [٤٦] وقد ذكر الاستاذ عضيمة ان (أبلغية اسلوب لام الجحود انما هي على مذهب البصريين ، اما على مذهب الكوفيين فاللام عندهم زائدة لتوكيد النفي) [٤٦] ولست ارى الانسياق وراء الخلاف الصناعي للمدرستين ولكني أقول انهما يلتقيان في آخر المطاف امام النص اللغوي ، فالقول بأن هذا الاسلوب ابلغ في النفي مبني على تأكيد معنى النفي الذي فيه . قال أحمد ابن فارس بعد أن أورد آيات فيها لام الجحود : (فهذه كلها لامات تعقب الجحد

(٤٦) نفسه ٢ : ٤٥٦

تأكيداً له وتحقيقاً) [٤٧] وقال الرضي : (فمعنى ما كنت لافعل : ما كنت مناسباً لفعله ولا يليق بي ذلك ، ولا شك في أنّ هذا معنى التأكيد) [٤٨] وقال في الموضع نفسه : (والتي لتأكيد النفي تختص من حيث الاستعمال بخبر كان المنفية اذا كانت ماضية لفظاً نحو « وما كان الله ليعذبهم » أو معنى نحو « لم يكن الله ليغفر لهم » وكأن هذه اللام في الاصل هي التي في نحو قولهم انت لهذه الخطة اي مناسب لها وهي تليق بك) .

وقد المح الرضي آنفاً الى أصل معنى هذه اللام ، ولكن قيود منطق النحويين جعلته يتحفظ بالتشبيه فيقول : وكأن هذه اللام . . . ، حتى لا تثور في وجهه مشكلات صناعة الاعراب ، فمن الواضح ان اللام في قولنا انت لهذا الامر لام التعليل (وهي التي يصلح موضعها من أجل كقوله تعالى « وانه لحب الخير لشديد » اي من اجل حب الخير)[٤٩] .

فقولنا : أنت لهذا الامر ، اي انت معد أو مهيأ من أجل هذا الأمر ، ويكون قولنا : ما كنت لافعل هذا بمعنى لم يكن وجودي معداً او مهيئاً من اجل فعل هذا ، ولاشك ان هذا المعنى ابلغ في النفي وآكد من مجرد نفي الفعل . وعلى هذا نقول بناء على ما اورده الرضي الاستربادي ان اسلوب لام الجحد مبني على نفي الكون من اجل ما دخلت عليه اللام لارادة التأكيد والمبالغة في النفي ، ويكون قولنا : ما كنت لامنع زيداً حقه بمعنى قولنا : ما كان وجودي وكينونتي من أجل ان امنع زيداً حقه .

حركة اللام :

حركة هذه اللام الكسر قال ابن فارس في اللامات (باب لام تعقب الجحود

(٤٧) كتاب اللامات لاحمد بن فارس تحقيق شاكر الفحام نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٤ مجلد ٤٨ رمضان ١٣٩٣ هـ / تشرين الاول ١٩٧٣ م ص ٧٨١

(٤٨) شرح الكافية ٢ : ٢٢٧

(٤٩) دراسات لاسلوب القرآن الكريم ٢ : ٤٣٥

وهي مكسورة قال الله تعالى « لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) [٥٠] وقد نقل في البحر عن ابي زيد ان من العرب من يفتح هذه اللام ووصف ذلك بانه لغة غير معروفة قال : (قال ابن عطية عن ابي زيد سمعت من العرب من يقول : « وما كان الله لَيعذبهم » بفتح اللام ، وهي لغة غير معروفة ولا مستعملة في القرآن) [٥١] وعقب ذلك بقوله : (وبفتح اللام في ليعذبهم قرأ ابو السمال) وقال في الموضع نفسه (وروى مجاهد عن ابي زيد ان من العرب من يفتح كل لام الا في نحو الحمد لله . انتهى . يعني لام الجر اذا دخلت على الظاهر او على ياء المتكلم) .

وقد كان ابن جني فصل هذا الامر واسند روايته حيث قال في سر الصناعة : (واعلم ان هذه اللام الجارة قد تفتح مع المظهر في بعض اللغات فيقال : المال لَزيد بفتح اللام . ونقلت من خط ابي بكر محمد بن السري ، وقرأته بعد ذلك على ابي علي عن ابي العباس قال : كان سعيد بن جبير رحمه الله تعالى يقرأ « وإن كان مكرهم لَتزول منه الجبال » فيفتح اللام . . وحكى ان الكسائي سمع من أبي حزام العكلي : ما كنت لَآتيك بفتح لام كي . . . وحدثني ابو علي قال : حكى ابو الحسن عن ابي عبيدة والاحمر ويونس انهم سمعوا العرب تفتح اللام الجارة مع المظهر ، قال : وقال ابو الحسن : وقد سمعته انا منهم ايضاً ، وقال ابو زيد : سمعت من يقول : « وماكان الله لَيعذبهم بفتح اللام . وهذا من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه) . [٥٢] وذكر المرادي ان فتح هذه اللام لغة عكل وبلعنبر قال (ولغة عكل وبلعنبر فتحها مع الفعل قال ابو زيد سمعت من العرب من يقول : (وما كان الله لَيعذبهم بفتح اللام ، وقرأ سعيد بن جبير فيما حكى عنه المبرد « وان كان مكرهم لَتزولَ منه الجبال بفتح الاولى ونصب الثانية) [٥٣]

(٥٠) اللامات لابن فارس ص ٧٨٠
(٥١) البحر المحيط ٤ : ٤٨٩
(٥٢) سر الصناعة – الازهر – ج ٢ ص ١١ – ١٢ وانظر المحتسب ٢ : ٣١٤
(٥٣) الجنى الداني ص ٢٠٦ – ٢٠٧

وعلى كل حال تبقى كلمة ابن جني هي الفصل في هذا ونذكر بها على قرب العهد بها وذلك قوله : وهذا من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه .

قوله تعالى : « وإن كان مكرهم لِتزول منه الجبال »

تناول المفسرون والنحويون هذه الآية بالبحث من ثلاثة وجوه : القراءات الواردة منها ، اعرابها ، معناها . فقد قرئ فيها بخمس قراءات :

الاولى : « وإن كان مكرهم لِتزول منه الجبال » بكسر اللام الاولى من اتزول وفتح الثانية . وعلى هذه القراءة اكثر القرّاء [٥٤] .

الثانية : « وان كان مكرهم لَتزولُ منه الجبال » بفتح اللام الاولى من لتزول وضم الثانية . وقد قرأ بها الكسائي . ولم أجدها تنسب لغيره ، قال الزجاجي : (واكثر القراء على كسر اللام الاولى ونصب الفعل الا الكسائي فإنه قرأ بفتح اللام ورفع الفعل [٥٥] . وقال مكي بن ابي طالب : (وقد قرأ الكسائي بفتح اللام الاولى وضم الثانية) [٥٦]وفي النشر : (اختلفوا في لتزول فقرأ الكسائي بفتح اللام الاولى ورفع الثانية وقرأ الباقون بكسر الاولى ونصب الثانية) [٥٧] .

الثالثة : « وان كان مكرهم لَتزولَ منه الجبال » بفتح اللام الاولى والثانية من لتزول ، قال ابن جني : (منهم من يفتح لام الجر مع الظاهر حكى ابو الحسن عن ابي عبيدة ان بعضهم قرأ : « وان كان مكرهم لَتزولَ منه الجبال » [٥٨] وفي موضع آخر نسب القراءة لسعيد بن جبير [٥٩] ، وذكر المــرادي [٦٠] ان المبرد حكى عن سعيد بن جبير انه قرأ « وان كان مكرهم لَتزولَ منه الجبال »

(٥٤) انظر مثلا اللامات للزجاجي ص ١٨٠ والنشر في القراءات العشر ٢ : ٣٠٠

(٥٥) اللامات للزجاجي ص ١٨٠

(٥٦) مشكل اعراب القرآن لمكي بن ابي طالب تحقيق حاتم الضامن – بغداد ١٩٧٥ م جـ ١ ص ٤٠٧

(٥٧) النشر في القراءات العشر ٢ : ٣٠٠

(٥٨) المحتسب ٢ : ٣١٤

(٥٩) انظر سر الصناعة – الازهر – ٢ : ١١ ، ١٠٥

(٦٠) الجنى الداني ص ٢٠٧

بفتح اللام الاولى ونصب الثانية . وقال العكبري : (وقرئ شاذاً بفتح اللامين — يعني من لتزول — وذلك على لغة من فتح لام كي .) [٦١] ويرى ابن جني ان فتح لام كي جاء على الاصل قال : (. . كان سعيد بن جبير رحمه الله تعالى يقرأ : « وان كان مكرهم لَتزول منه الجبال » فيفتح اللام ويردها الى أصلها وذلك ان أصل اللام الجارة الفتح)[٦٢] وعلل تحولهم الى كسرها بانه كان للتفريق بينها وبين لام الابتداء .

الرابعة : « وان كاد مكرهم لَتزولُ من الجبال » بقراءة كاد في موضع كان ، وفتح اللام الاولى من لتزول وضم الثانية . ذكرها ابن جني في القراءات الشاذة قال : (ومن ذلك قراءة علي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب وابن عباس وابن مسعود — واختلف عنه — وابي بن كعب وابي اسحاق السَّبيعي : « وان كاد — بالدال — مكرهم لَتزولُ » بفتح اللام الاولى وضم الثانية) [٦٣] ، واوردها ابن خالويه « وان كاد مكرهم » ولم يتم الآية وذكر انه قرأ بها (علي رضي الله عنه وابن مسعود وابن عباس رحمهم الله) [٦٤] .

الخامسة : « وما كان مكرهم لتزول » بقراءة ما في موضع إن ، قال ابن خالويه : (وما كان مكرهم لتزول : ابن مسعود)[٦٤] قال الزمخشري : (وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى : « وما كان الله ليضيع ايمانكم » . . وتنصره قراءة « وما كان مكرهم » .)[٦٥] .

والقراءة الاولى هي التي عليها اكثر القراء حتى ان صاحب النشر بعد ان ذكر

(٦١) املاء ما من به الرحمن ٢ ؛ ٧١
(٦٢) سر الصناعة — الازهر — ٢ ؛ ١١
(٦٣) المحتسب ١ : ٣٦٥
(٦٤) القراءات الشاذة لابن خالويه عني بنشره برجستراسير ط المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٤م ص ٦٩ .
(٦٥) الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري ط الحلبي بمصر ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ج ٢ ص ١٨٥

قراءة الكسائي قال : وقرأ الباقون . . وقد مر النص ، اذ لم يقرأ بخلافها سوى الكسائي [٦٦] ، اذا استثنينا القراءات الشاذة . وهي القراءة المشهورة المثبتة في رسم المصحف اليوم قال الله تعالى : « ومكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإنْ كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال »

وقد اورد العلماء اكثر من توجيه في معنى الآية الكريمة بناء على ما تحتمله إن واللام . فقد اورد الزجاجي توجيهين في الآية ثم أسقط أحدهما قال : (قوله تعالى : « وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » قرئ بكسر اللام ونصب الفعل على ان تكون إنْ على مذهب البصريين مخففة من الثقيلة . وتكون اللام بمعنى اكي وقال بعضهم : يجوز ان تكون (إن) نافية بمعنى (ما) التي تكون جحداً ، كأنه ما كان مكرهم لتزول منه الجبال ، وهذا جيد في المعنى الا أنه ضعيف في العربية لان اللام لا تدخل على إن اذا كانت نافية)[٦٧] ويقوي رأيه ما ذكرناه في هذا البحث في انه لم تأت إن نافية وبعدها اللام المكسورة التي للجحد في أية آية في كتاب الله تعالى : على ان ذلك غير قاطع في المنع . ويكون معنى الآية على الوجه الذي رضيه : إنّه كان مكرهم كي تزول منه الجبال . قال العكبري : (والثاني انها مخففة من الثقيلة ، والمعنى : انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال في الثبوت ، ومثل هذا المكر باطل)[٧٨] وقال البطليوسي : (وقد اجاز بعضهم في قراءة من كسر اللام ان تكون ايضاً مخففة من الثقيلة ، واللام في لتزول لام كي ، كأنه قال وانه كان مكرهم كي تزول منه الجبال)[٦٩] .

وهذا المعنى الذي رضيه الزجاجي ووافقه فيه العكبري والبطليوسي ، في النفس

---

(٦٦) انظر اللامات للزجاجي ص ١٨٠ والتيسير في القراءات السبع لابي عمرو الداني طبعة استانبول ١٩٣٠ م ص ١٣٥ والجنى الداني ص ٥٧

(٦٧) اللامات للزجاجي ص ١٧٩ .

(٦٨) املاء ما من به الرحمن ٢ : ٧٠

(٦٩) المسائل والاجوبة للبطليوسي نسخة الاستاذ خالد محسن مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية (التيمورية) المسألة ٧٢ ص ٣٢٢

منه شيءٌ إذ لا يبدو متسقاً مع اول الآية والله أعلم ، ولا أقطع في هذا بأمر ، فالآية تخبر عن وقوع مكر من المشركين ، وهو مكر عند الله أمره أو علمه أو نفاذه ، فكيف يأتي تقرير كونه معداً لازالة الجبال بعد ذلك مؤكداً بإنّ . وهل يستقيم المعنى لو قلنا في غير القرآن : ومكروا مكرهم وعند الله مكرهم إن مكرهم كان معداً كي يزيل الجبال ؟ .

القراءة الثانية : « وان كان مكرهم لَتزولُ منه الجبال » وقد قرأ بها الكسائي كما تقدم وهي من القراءات العشر الموثّقة . قال البطليوسي في توجيه هذه القراءة : (واما من فتح اللام الاولى وضم الثانية وهي قراءة الكسائي ، فاللام عنده هي لام التأكيد وإن عنده مخففة من الثقيلة [٧٠] . وهذا الذي ذكره مبني على مذهب البصريين في إن واللام لا على مذهب الكسائي نفسه ، اذ الكسائي لا يرى إن هذه مخففة من الثقيلة . ولا يرى اللام مؤكدة ، بل هي عنده نافية بمعنى ما واللام بمعنى إلا وقد مر ذكر رأيه في هذا ، ويكون المعنى على هذا : انهم مكروا مكراً عند الله امره وانه كان مكرهم تزول منه الجبال ، وفيه بيان لشدة مكرهم .

القراءة الثالثة : وان كان مكرهم لَتزولَ ، وهي من القراءات الشاذة كما تقدم وقد ذكر العلماء ان اللام الاولى فتحت على لغة من يفتح لام الجر مع الظاهر ، ومعنى ذلك ان حكمها من حيث الاعراب والمعنى حكم قراءة لِتزولَ بكسر اللام الاولى وفتح الثانية ، وقد تقدم .

القراءة الرابعة : وإن كاد مكرهم لَتزولُ ، حيث جاءت كاد مكان كان وفتحت اللام الاولى من لتزول وضمت الثانية ، وهي قراءة شاذة ايضاً كما تقدم والقول فيها كالقول في توجيهالقراءة الثانية الا بمقدار ما بين كاد وكان من فرق في المقاربة أو التقرير .

القراءة الخامسة : وما كان مكرهم لتزول منه الجبال وهي من القراءات الشاذة

(٧٠) نفسه ص ٣٢١ – ٣٢٢

ايضاً فقد اوردها ابن خالويه في شواذ القراءات ونسبها الى ابن مسعود كما تقدم ، والقول فيها كالقول في القراءة الاولى بأحد التوجيهين المذكورين .

هل تكون إن شرطية في الآية :

وجدت ابن هشام والبطليوسي ذكرا توجيهاً في القراءة المشهورة المتداولة التي عليها اكثر القراء وهي : « وان كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال » ارتاحت له نفسي ورضيته ، اما البطليوسي فقد ذكره وهو يفسر معنى قراءة الكسائي حيث قال : (واما القراءة الثانية فمعناها انهم لا ينتفعون بمكرهم وإن كان مكرهم تكاد تزول منه الجبال لعظمه ، وان كانت الجبال لا زوال لها [٧١] . وواضح ان عبارة التفسير فيها إنْ شرطية .

واما ابن هشام فقد عرض آراء العلماء فيها وخلص الى انها شرطية وليست نافية او مخففة من الثقيلة قال : (وزعم كثير من الناس في قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال في قراءة غير الكسائي بكسر اللام الاولى وفتح الثانية انها لام الجحود وفيه نظر : لأن النافي على هذا غير ما ولم ، ولاختلاف فاعلي كان وتزول ، والذي يظهر لي انها لام كي وأنّ إنْ شرطية ، أي وعند الله جزاء مكرهم وهو مكر أعظم منه وإن كان مكرهم لشدته معداً لأجل زوال الامور العظام المشبهة في عظمها بالجبال . كما تقول : أنا أشجع من فلان وان كان معداً للنوازل .)[٧٢] والله سبحانه وتعالى أعلم ونرجو ان يكون ما اخترناه في هذا من كلام السلف الصالح رحمهم الله هو الصواب والحمد لله في الاولى والآخرة .

---

(٧١) نفسه .

(٧٢) مغني اللبيب ١ : ١٧٧

جهود طاهر بن غلبون في علم القراءات

الدكتور احمد نصيف الجنابي
كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

يحتل علم القراءات مكاناً بارزاً في الدراسات القرآنية ، وفي الدراسات اللغوية والنحوية ، فموضوعات مثل الامالة والادغام ، وتخفيف الهمز وتحقيقه هي من علم الاصوات . . . وهي وما يدور حولها تتصدّر كتب القراءات ، بل تُعدّ من اصول علم القراءات .

وقد تناول موضوعات هذا العلم جمهرة من العلماء القدامى ، وبذلوا في سبيله جهوداً مضنية . . . وخلفوا لنا مؤلفات بقي قسم منها ، وهو يتحدى عوامل الفناء . .

غير أنّ الاهتمام بهذا العلم – في العصر الحديث – قليل ، ولا يكاد يوازي معشار أهميته وقيمته .

فالابحاث والدراسات المتصلة باللغة والنحو يدور معظمها في فلَكِ سيبويه ، والمفصل ، والفية ابن مالك ، وكتب ابن جني وابي علي الفارسي ، وعبدالقاهر الجرجاني . . . وكأنّ الامة العربية والاسلامية لم تنجب غير هؤلاء ، وهي أمة كريمة . . . وإن كانت هذه الجهود مشكورة .

وجانب اهمال هذا العلم حفزني الى تناول موضوع البحث ، لرفع جزء من الحيف الذي وقع على تراثنا الاصيل .

كما أن الموضوع ذو أهمية كبيرة ، ولم يتناوله أحد من المحدثين ، ولو بسطر واحد ! !

وعملي في هذا البحث يتناول بالدراسة موقع ابن غلبون في حركة القراءات منذ نشأتها الى عصره ، بشكل موجز ، يشير الى المعالم دون التفاصيل ، ويتحدث عن حياة ابن غلبون ، وعن جهوده في علم القراءات ، وما تركه من آراء ، وبيان تأثيرها . . . مع الحكم عليها (سلباً وايجاباً) ، في ضوء علم اللغة الحديث ، ولا سيما علم الاصوات .

وقد جاء بحثي في قسمين ، وخاتمة :

القسم الاول : موقع ابن غلبون في علم القراءات .

القسم الثاني : جهود ابن غلبون في علم القراءات .

أما الخاتمة فقد لخصتُ فيها أهم النتائج التي توصل اليها البحث .

ولله الحمد في الاولى والآخرة وهو حسبي ونعم الوكيـــل

• • •

القسم الأول

موقع طاهر بن غلبون في علم القراءات

(١)

ينتمي طاهر بن غلبون الى عائلة حلبية فقد نشأ في حلب ، وقرأ على أبيه وعلى جماعة من علماء حلب .

ثم رحلت الاسرة الى مصر اذ نرى والده عبدالمنعم بن غلبون (المتوفى ٣٨٩هـ) ، من علماء القراءات في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري .

وتولى ابنه « طاهر » مركز الاستاذية في القراءات ، بعده ، ورحل اليه الطلاب من البلدان الاسلامية آنذاك، ولاسيما الاندلس، واشهر من قرأ عليه عثمان بن سعيد المعروف بالداني ، اشهر القراء في عصره (المتوفى ٤٤٤ هـ) .

وقد وصف امامان من أئمة القراء طاهر بن غلبون وصفاً يجعله في اعلى مراتب العلم والفضل .

وصفه الداني — وقد رآه وقرأ عليه — بقوله : (لم نرَ في وقته مثله ، في فهمه وعلمه مع فضله وصدق لهجته ، كتبنا عنه كثيراً) [١] .

ووصفه ابن الجزري — شيخ القراء في عصره — بأنه : (استاذ عارف ، وثقة ضابط وحُجّة . . .) . (١:ب)

فماذا يقول فيه القائلون — في هذا الميدان — بعد هذا ؟ .

وألف « طاهر » كتابين لهما أهمية في الحركة العلمية المتصلة بالقراءات ، وهما : « التذكرة في القراءات الثمان » ، و « الوقف على الهمز » .

ويمثل الاول جزءاً من حركة علمية في ميدان القراءات ، تُعدُّ ردّ فعل

---

(١) غاية النهاية ١ / ٣٣٩

(١ : ب) غاية النهاية ١ / ٣٣٩

لتأليف ابن مجاهد (المتوفى ٣٢٤) ، كتابه : « السبعة في القراءات » ، فجعل كل قراءة خرجت عن السبعة ، شاذة ! !

ولكنْ . . . كيف كانت حركة القراءات قبل هذا ؟

(٢)

مرتْ حركة القراءات القرآنية ، بمراحل رئيسة حتى جاء الوقت الذي ألف فيه ابن غلبون ، كتابيه .

وأول مرحلة هي مرحلة عصر الرسالة (واسميتها مرحلة ما قبل المصحف العثمانيّ) ، ثم مرحلة التأليف في القراءات المتصلة بالخط العثمانيّ (الموافقة له) ، ثم مرحلة كتاب السبعة . ثم مرحلة ما بعد كتاب السبعة .

وأشير — هنا — باقتضاب الى كل مرحلة لانني مابسط فيها القول في بحث آخر إن شاء الله .

ولم اذكرها في هذا البحث إلاّ لأنها تعطينا فكرة واضحة عن أهمية كتاب « التذكرة في القراءات الثمان » ، وتجاوزها العدد السحري (السبعة) .

(٣)

ففي عصر الرسول عليه الصلاة والسلام كانت القراءة بأوجه كثيرة يعلّمها الصحابةَ الكرام ، رضوان الله عليهم . وقد ثبت من طرق متواترة أنهم كانوا يرجعون الى رسول الله عليه الصلاة والسلام فيأخذون عنه ، فاذا سمعوا ما يخالف مساعهم منه رجعوا اليه ، فأثبت لهم صحة هذه القراءات جميعاً لانها صدرت عنه (١:ج) وحديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم رضي الله عنهما — الذي رواه الامامان البخاري ومسلم — مشهور في كتب القراءات . وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقراءات المسموح بها في عصره ماثلة في واقع المسلمين .

(١ : ج) الايضاح في القراءات ، ورقة : ٨ أ — ٩ أ (مصورتي) .
والمرشد الوجيز / ٧٧ ، ولطائف الاشارات ١ / ٣١

ومن الثابت أنه « لم تُحفظ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قراءة مجردة على وجه واحد من أول القرآن الى آخره، لأنه كان يُقرئ بالوجوه التي أشار اليها الحديث الشريف : « أنزل القرآن على سبعة احرف فاقرأوا منه ما تيسر » (١:د)

وظل الصحابة حفاظ القرآن الكريم يُقرِئون إخوتهم في الاسلام ، بما نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وظل هذا المبدأ معمولاً به حتى خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

غير أنّ المبدأ الصحيح شيء ، واستعماله وتطبيقه شيء آخر .

فقد أباح النبي صلى الله عليه وسلم ، للصحابة ، وجوها متعددة من القراءات تيسيراً عليهم ولرفع الحرج عمّن لايستطيع القراءة بلهجة قريش أهل النبي عليه الصلاة والسلام ، بسبب عاداته اللغوية التي قد تخالف — في بعض الظواهر — هذه اللهجة ؛ كأنْ يكون من تميم او هذيل . وتبرز هذه الاختلافات في الظواهر اللغوية في موضوعين من أشهر الموضوعات في علم القراءات ، وهما : « الامالة والفتح » و « الهمز وعدمه » .

فتميم تُميل وقريش تفتح ، والاولى تهمز والاخرى لا تهمز ، إلاّ اضطراراً ، وهذيل في الامالة بين بين .

(٤)

لكنّ تمسك كل جماعة بقراءة الصحابي الذي قرأت عليه ، ورفض قراءة ما عداه ، أدىّ الى الاختلاف ، وادى الاختلاف الى الخصام والتنازع .

والفرقة والتنازع من أعظم الاخطار على حياة الجماعة المؤمنة. بل وكل جماعة .

ولهذا جعل الربّ سبحانه وتعالى رسول الاسلام بريئاً ممّن فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً ، فقال عز من قائل : « إنّ الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لستَ منهم في

(١ : د) الحديث متواتر رواه البخاري ومسلم وغيرهما وأشارت اليه مجموعة من كتب القراءات . ينظر : الابانة عن معاني القراءات / ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ومنجد المقرئين / ٧٠ .

شيء » (١ : هـ) . وجعل النزاع قرين الفشل ، فقال : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » (١ : و) .

ولما وقعت بوادر الفرقة في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان (من ٢٢–٣٥هـ) ، هرع اليه الصحابيّ المعروف : حُذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – فقال له : (أدركْ هذه الأُمة) (٢) فجمع الخليفة الراشد الصحابة ، وكتب مصحفه الامام على يد لجنة من حُفاظ الصحابة الكرام . ومن الطبيعيّ أن يكون هذا المصحف قد أبعد القراءات المتعددة لأنه كتبه على حرف واحد ، وان احتمل الرسم (أحياناً) أكثر من قراءة ؛ مثل : « مالك يوم الدين » فانه يحتمل قراءتين او اكثر . فقد قرأه عاصم والكسائي : مالكِ يومِ الدين (٣) . وقرأها بقية القراء السبعة(٤) : مَلِكِ يوم الدين .

ولا بد أن نحذر هنا من الظن القائل : إنْ هذه القراءات المحتملة اعتباطية ، فهذا ظن بعيد عن الواقع ، لأن المسلمين رفضوا أية قراءة لا تثبت بالرواية الصحيحة عن صحابي قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرف بالحفظ والاتقان .
ثم ماذا بعد ذلك ؟

(٥)

إنّ الذي حدث هو نشوء حركة متصلة الحلقات حول القراءات . كان منها الموافق للمصحف الامام ، مع توفر صحة اسناد الرواية وثباتها . ومنها الشاذ ، وهو نوعان : نوع يوافق خطّ المصحف الامام ، ولكنه لا يعتمد على رواية ثابتة مسندة ومنها ما خالف خط المصحف الامام .

(١ : هـ) سورة الانعام ، آية ١٥٩
(١ : و) سورة الانفال ، آية ٤٦
(٢) كتاب المصاحف / ١٢ ، ١٤ ، ٢٠
(٣) كتاب السبعة / ١٠٤
(٤) وهم أبو عمرو بن العلاء ، وابن كثير ، وابن عامر ، وحمزة ، ونافع .

والقراءات الاولى الموافقة للمصحف الامام مع توفر ثباتها من حيث الاسناد ، هي التي دار حولها جل مؤلفات أئمة القراءات .

وأول إمام له فضل السبق هو أبو عبيد القاسم بن سلاّم (المتوفى ٢٢٤ هـ) فقد ذكر أسماء مجموعة من الصحابة المعروفين بالقراءات ثم أسماء مجموعة من التابعين .

وقال بعد ذكر التابعين « فهؤلاء الذين سمينا من الصحابة والتابعين ، وهم الذين يحكى عنهم عظم القراءة ، وان كان الغالب عليهم الفقه والحديث » [٥] ثم قال بعد ذلك :

(ثم قام من بعدهم بالقرآن قوم ليست لهم أسنان من ذكرنا ولا قدمهم ، غير أنهم تجردوا في القراءة فاشتدت بها عنايتهم ، ولها طلبهم ، حتى صاروا بذلك أئمة ، يأخذ الناس عنهم ، ويقتدون بهم فيها ، وهم خمسة عشر رجلاً من هذه الامصار في كل مصر منهم ثلاثة [٦] . ثم ذكرهم . . .

وألف بعده الامام ابو حاتم السجستاني (سهل بن محمد بن عثمان المتوفى ٢٥٥ هـ) وقد أبعد ابن الجزري حين قال في ترجمته : (أحسبه اول من صنّف في القراءات)[٧] . وألف معاصره المقرئ احمد بن جبير الكوفي – نزيل أنطاكية (المتوفى ٢٥٨ هـ) كتاباً في القراءات اسماه (كتاب الخمسة) ، لانه تضمن قراءات خمسة قراء ، مقرئ من كل مصر [٨] من الامصار التي وجهت اليها المصاحف العثمانية [٩] .

ثم تتابع التأليف حتى جاء ابن مجاهد (احمد بن موسى بن العباس البغدادي

---

(٥) المرشد الوجيز / ١٦٣ (نقلا من كتاب القراءات لابن عبيد ، والاخير مفقود)
(٦) المرشد الوجيز / ١٦٣
(٧) غاية النهاية ١ / ٣٢٠
(٨) الامصار الخمسة : هي مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام
(٩) المرشد الوجيز / ١٥٩

والمتوفى ٣٢٤ هـ) ، فألف (كتاب السبعة) : وهذا الكتاب أحدث ضجة كبيرة ، ورد فعل عنيف ، وحركة قوية في التأليف .

ونستطيع أن نقرر باطمئنان أنه يمثل مرحلة جديدة في علم القراءات ، لأنه أحدث مفهوماً جديداً للقراءات الشاذة . . .

وكان هذا العدد (السبعة) الذي اختاره ذا حدين سلبيّ وايجابيّ .

والجانب السلبي يرتبط في أذهان عامة الناس – غير المتخصصين بعلم القراءات – بالاحرف السبعة الواردة في الحديث الشريف : (أُنزل القرآن على سبعة أحرف). فقد توهم جُلّهم ، فاعتقدوا أن هذه القراءات السبعة التي أوردها (ابن مجاهد) في كتاب السبعة تمثل الاحرف السبعة . وهو اعتقاد بعيد عن الصواب كما سيأتي . والجانب الايجابيّ تمثله تلك الحركة العلمية المباركة التي كانت ردّ فعل ضد مفهوم القراءات الشاذة عند ابن مجاهد . وفي سياق هذه الحركة يأتي كتاب « التذكرة في القراءات الثمان » ، للامام طاهر بن غلبون .

فقد جعل ابن مجاهد كل قراءة خرجت عن قراءات هؤلاء السبعة ، شاذة [١٠] وهنا وقف اكثر علماء القراءات موقفاً يخالف هذا المفهوم لأن شروط القراءة الصحيحة أن تكون موافقة لخط المصحف العثماني وان تكون ثابتة الاسناد ومن هذا المنطلق يقول أبو منصور الازهري صاحب كتاب (تهذيب اللغة) ، في كتابه « القراءات وعلل النحويين فيها » :

« فمن قرأ بحرف [١١] لا يخالف المصحف بزيادة أو نقصان ، أو تقديم مؤخر ، أو تأخير مُقَدَّم ، وقد قرأ به إمام من أئمة القُراء المشتهرين في الامصار فقد قرأ بحرف من الحروف السبعة التي نزل القرآن بها » [١٢] .

(١٠) المحتسب ، لابن جنى ١ / ٣٢

(١١) الحرف في اصطلاح علم القراءات « مااختلف فيه القراء من كلم القرآن ، سواء كان اسماً أم فعلا أم حرفاً . وقد يطلق الحرف على القراءة المخصوصة ، فيقال : حرف نافع ، أي : قراءة نافع .

(١٢) تهذيب اللغة (حرف) ٥ / ١٣

ولهذا أعلن جل القراء انكارهم لمفهوم ابن مجاهد في القراءات الشاذة ، لأنه أهدر كثيراً من القراءات الصحيحة فوق السبع .

ولعل أقدم ما وصل الينا من انكار العلماء لمفهوم ابن مجاهد وأكمله وأوضحه قول الامام المقرئ اسماعيل بن ابراهيم بن محمد القرّاب (١٣) في كتابه « الشافي » اذ قال : التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ، ليس فيه أثر ولا سُنّة ، وإنما هو من جمع بعض المتأخرين ، لم يكن قرأ باكثر من السبع ، فصنّف كتاباً وسماه السبع ، فانتشر ذلك في العامة وتوهموا أنه لا تجوز الزيادة على ما ذكر في ذلك الكتاب لاشتهار ذكر مصنفه ، وقد صنّف غيره كتباً في القراءات ، وبعده ، وذكر لكل إمام من هؤلاء الائمة روايات كثيرة وانواعاً من الاختلاف ، ولم يقل أحد إنه لا تجوز القراءة بتلك الروايات من أجل أنها غير مذكورة في كتاب ذلك المصنِّف ، ولو كانت القراءات محصورة بسبع روايات لسبعة من القُرّاء ، اوجب أن لا يؤخذ عن كل واحد الا رواية ، وهذا لا قائل به ، وينبغي ألا يتوهم متوهم في قوله صلى الله عليه وسلم « أُنزِلَ القرآن على سبعة أحرف » ، أنه منصرف الى قراءة سبعة من القراء الذين وُلدوا بعد التابعين ، لانه يؤدي أن يكون الخبر متعرياً عن الفائدة إلاّ أن يولد هؤلاء الأئمة السبعة فتؤخذ عنهم القراءة ، ويؤدي أيضاً الى أنه لا يجوز لاحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من القراء — إذا ولدوا وتعلموا — اختاروا القراءة به ، وهذا تجاهلٌ من قائله ... وانما ذكرتُ ذلك لأنّ قوماً من العامة يقولون جهلاً ، ويتعلقون بالخبر ، ويتوهمون أن معنى السبعة الاحرف المذكورة في الخبر ، اتباع هؤلاء الائمة السبعة . وليس ذلك على ما توهموه ، بل طريق أخذ القراءة أن تؤخذ عن امام ثقة لفظاً عن لفظ ؛ إماماً عن إمام ، الى أن يتصل بالنبيّ صلى الله عليه وسلم. والله اعلم بجميع ذلك(١٤).

---

(١٣) هو الامام المقرىء ابو محمد السرخسي أخو الحافظ اسحاق القراب . مقرىء امام في القراءات والفقه والادب ، توفي سنة ٤١٤ هـ (غاية النهاية ١ / ١٦٠)

(١٤) النشر في القراءات العشر ١ / ٣٤ (اما كتاب الشافي السابق ذكره ، فقد عد من كتب القراءات المفقودة . ونرجو أن يعثر عليه أحد)

ولم يكتف العلماء بالاحتجاج ، بل كان موقفهم معززاً بالمؤلفات التي تحمل مفهومهم المغاير لمفهوم ابن مجاهد صاحب كتاب السبعة .

فألّفوا في القراءات الست والثماني والعشر والاحدى عشرة والاثنتي عشرة والاربع عشرة ، فنقصوا وزادوا ليزيلوا هذا الوهم الناتج عن تأليف كتاب السبعة .

فكتب القراءات الثمان تأتي في سياق هذه الحركة المباركة .

وأول من كان له فضل السبق المقرئ : ابراهيم بن عبدالرزاق الانطاكي (المتوفى ٣٣٨ هـ) . فقد ذكر الذهبي في ترجمته ، أنه ألف كتاباً في القراءات الثمان (١٤:ب) ولم يذكر ابن الجزري ذلك فيترجمة الانطاكي(١٤:ج) .

واذا أخذنا برواية الذهبيّ فانّ « كتاب التذكرة » لابن غلبون ، يأتي بعد كتاب الانطاكي .

أما أهمية كتاب التذكرة وأثرُهُ ، فيأتي الآن في القسم الثاني : جهود ابن غلبون في علم القراءات .

القسم الثاني
جهود ابن غلبون في علم القراءات

ويقع هذا القسم في مبحثين :

المبحث الاول : جهوده في كتاب التذكرة . . .

المبحث الثاني : آراء ابن غلبون في الوقف على الهمز

المبحث الاول
جهوده في كتاب التذكرة

ويتناول هذا المبحث النقاط الآتية :

(١٤:ب) معرفة القراء الكبار ١ / ٢٣١

(١٤:ج) غاية النهاية ١ / ١٦

– مؤلف كتاب التذكرة .
– وصف كتاب التذكرة .
– منهج الكتاب . . .
– أهمية الكتاب . . .
– أثر الكتاب . . .

* * *

* مؤلف كتاب التذكرة

هو ابو الحسن طاهر بن عبدالمنعم بن عبيدالله بن غلبون الحلبيّ مولداً ونشأة ، نزيل مصر .

وقد جمع بين الرواية والدراية في علم القراءات . ونال من هذا العلم قدراً جعله إماماً في بيئته وعصره

روى بعض كتب القراءات أيضاً – ووسع معلوماته بالرحلة للاخذ من أفواه العلماء ، أرباب هذه الصناعة المتسعة الاطراف ، لأن علم القراءات لا يتقن الاّ بالمشافهة والاخذ من لفظ العلماء .

أخذ القراءة (عَرْضاً) . (والعرضُ أن يقرأ التاميذ وشيخه يسمع) ، عن:
– أبيه : عبدالمنعم بن غلبون (المتوفى ٣٨٩ هـ) [١٥] .

– وأخذها أيضاً عن المقرئ : عبدالعزيز بن علي بن أحمد المعروف بابن الامام (المتوفى ٣٧٩ هـ) ، أخذها عنه (عرضاً) ، بمصر .

ورحل الى العراق . فقرأ بالبصرة (عرضاً) ، على :
– محمد بن يوسف بن نهار الحرتكيّ [١٦] ، (المتوفى بعد ٣٧٠ هـ) .

---

(١٥) معرفة القراء الكبار ١ / ٣٨٥ وغاية النهاية ١ / ٤٧٠
(١٦) الحرتكي ؛ بكسر الحاء وسكون الراء .

وقد قال طاهر بن غلبون نفسه : (قرأتُ عليه بالبصرة وكان قيّماً بالقراءة . وكان قد أدرك الاكابر من الشيوخ) [١٧] .

— وعلى :

— عليّ بن محمد بن صالح بن أبي داود الهاشميّ (المتوفى ٣٦٨ ﻫ) ، وقد وصفه ابن الجزري بأنه (ثقة عارف مشهور) [١٨] .

روى عنه طاهر القراءات (عرضاً وسماعاً) [١٩] .

— وقرأ بها على : (عليّ بن محمد بن خُشنام المالكي البصريّ [٢٠] ، الدلال (المتوفى ٣٧٧ ﻫ) .

أما الحروف فسمعها من :

— ابراهيم بن محمد بن مروان الشاميّ الاصل ، المصريّ الدار . وكان عالماً بقراءة ورش ، وتوفى سنة بضع وستين وثلاثمائة [٢١] .

وسمع الحروف أيضاً من :

— عتيق بن ماشاء الله بن محمد المصري المعروف بالغسّال . وهو مقرئٌ معروف ، توفي في عشر الستين وثلاثمائة [٢٢] .

وأخذها أيضاً عن :

— عبدالله بن المبارك الحلبيّ ، بالشام مع والده . فيكون هذا الشيخ مشتركاً بينه وبين أبيه .

---

(١٧) غاية النهاية ٢ / ٢٨٩

(١٨ — ١٩) غاية النهاية ١ / ٥٦٨ (تحرف في معرفة القراء الكبار الى علي بن موسى)

(٢٠) معرفة القراء الكبار ١ / ٢٦٧ وغاية النهاية ١ / ٥٦٣

(٢١) معرفة القراء الكبار ١ / ٢٦٢ ، ٢٩٧

(٢٢) غاية النهاية ١ / ٥٠٠

أما الذين أخذوا عنه القراءة (عرضاً وسماعاً) ، فأشهرهم :

— ابراهيم بن ثابت الاقليشيّ ، [٢٣] نزيل مصر ، وبها توفي (سنة ٤٣٢ ﻫ)

— واحمد بن بابشاذ الجوهريّ العراقي الاصل.وقد روى عن طاهر بن غلبون، كتاب التذكرة . واخذها عنه يحيى بن عليّ بن الخشاب . وتوفى الجوهري بمصر (سنة ٤٤٥ ﻫ) .

— وابو الفضل عبدالرحمن بن احمد الرازي (المتوفى ٤٥٤ ﻫ)

— وابو عمرو عثمان بن سعيد الداني (المتوفى ٤٤٤ ﻫ) .

وقد اكثر من النقل عن استاذه ، واثنى عليه بما هو أهله .

واذا عرفنا مقدار تلميذيه ابي الفضل الرازي وابي عمرو الدانيّ، عرفنا فضله .

أما ابو الفضل الرازي فقد وصفه كثيرون بصفات قلما تجتمع في غيره . وصفوه بانه (الامام المقرئ ، الثقة الورع الكامل) [٢٤]. وبأنه (شيخ الاسلام)[٢٤]

أما الداني فقد قال فيه الامام الذهبي : (القراء خاضعون لتصانيفه ، واثقون بنقله في القراءات والرسم والتجويد والوقف والابتداء [٢٥] .

وحسب الاستاذ فضلاً أن يتخرج على يده أمثال هؤلاء الاعلام .

* وصف كتاب التذكرة

اسم الكتاب الكامل : (التذكرة في القراءات الثمان) [٢٦] .

وسماه ابن خير اختصاراً : « التذكرة في القراءات » [٢٧] .

وسماه القسطلاني : « التذكرة » [٢٨] .

(٢٣) معرفة القراء الكبار ١ / ٢٩٧ وغاية النهاية ١ / ١٠

(٢٤ غاية النهاية ١ / ٣٦١ ، ٣٦٢

(٢٥) تذكرة الحفاظ ٣ / ١١٢١

(٢٦) غاية النهاية ١ / ٣٣٨

(٢٧) فهرسة ابن خير / ٢٦

(٢٨) لطائف الاشارات لفنون القراءات ١ / ١٥٥

ويتناول قراءة ثمانية قُرّاء ، وليس سبعة . وهم حسب ترتيب التذكرة :

(١) نافع بن أبي نُعيم ، مقرئ أهل المدينة .

(٢) عبدالله بن كَثير ، مقرئ مكة .

(٣) عبدالله بن عامر ، مقرئ الشام

(٤) عاصم بن أبي النّجود ، مقرئ الكوفة .

(٥) ابو عمرو بن العلاء ، مقرئ البصرة .

(٦) حمزة بن حبيب الزيات ، مقرئ الكوفة .

(٧) عليّ بن حمزة الكسائي ، مقرئ الكوفة بعد حمزة .

(٨) يعقوب بن اسحاق الحضرميّ ، مقرئ البصرة بعد ابي عمرو بن العلاء[٢٩]

وبهذا خالف ابن غلبون ، ابن مجاهد ، ليس في العدد فحسب ، بل في الترتيب أيضاً .

فهم عند ابن مجاهد سبعة رتبهم على النسق الآتي :[٣٠]

(١) قراءة نافع .

(٢) قراءة ابن كثير .

(٣) قراءة عاصم .

(٤) قراءة حمزة .

(٥) قراءة الكسائي .

(٦) قراءة ابي عمرو بن العلاء .

(٧) قراءة عبدالله بن عامر .

وتوجد من كتاب التذكرة اربع نسخ خطية كاملة

الاولى : بمكتبة كتاهية ، وحيد باشا (بتركية)[٣١] ، ورقمها (٢٨٢٠) ، مكتوبة سنة ١١٤٣ هـ ، ضمن مجموع ، من ورقة ١٤٢ ب — ٢٣٤ ب .

(٢٩) التذكرة / ٢ — ٣

(٣٠) كتاب السبعة / ٨٨ — ١٠١

(٣١) نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركية / ١٣٨

أما الثانية والثالثة فقد ذكرهما « بروكلمان » [٣٢] ، وتابعه الدكتور فؤاد سزكين [٣٣] .

الثانية توجد بمكتبة وهبي باسطنبول (تحت رقم ١٧) .

والثالثة بمكتبة عاطف باسطنبول ايضاً (تحت رقم ٤٩) .

أما الرابعة فتوجد بالمكتبة العامة بالرباط (تحت رقم ٢٨٢ ق) ، مكتوبة في القرن السابع الهجري ، بخطّ النسخ ومحركة في مواضع كثيرة وتقع في ٣٧٣ صفحة ، وفي كل صفحة ١٧ سطراً ، وفي كل سطر ١١ — ١٢ كلمة .

وتوجد نسخة خامسة في المكتبة العامة بالرباط ايضاً ، ولكنها ناقصة اذ تحتوي على الجزء الثاني فقط ، وهي مكتوبة بخط النسخ ، ويرجح أنه من خطوط القرن الخامس الهجري .

والنسختان الرابعة والخامسة لم يعرفهما بروكلمان ،ولا الدكتور فؤاد سزكين. وهما عندي مصورتان .

وأصف في هذا البحث النسخة الرابعة . وآمل انني اول من فعل ذلك .

* **منهجُ الكتاب :**

يمكن تلخيص منهج كتاب التذكرة في النقاط الست الآتية :

اولا :الايجاز في فنون القراءات

وقد علل ابن غلبون الاختصار بدافعين :

(١) ليكون ذلك تقريباً على المتعلم ليسهل حفظه .

(٢) لان من سبقه من العلماء قد كفاه مؤونة التكثير [٣٤] .

ثانيا : ذكر الأسانيد :

وذِكرُ اسانيد رواية كل قراءة أمر له اهمية كبيرة في مثل كتاب التذكرة ،

(٣٢) GAL S, 1:330

(٣٣) تاريخ التراث العربي ١ / ١٦٧

(٣٤) التذكرة في القراءات الثمان / ٢

لان كل قراءة لا تثبت بالاسناد الصحيح تعد شاذة ، حتى عند استيفائها شرط موافقة المصحف العثماني . ولذلك ذكر في اول الكتاب اسناد كل رواية من روايات الأئمة الثمانية .

ومن امثلة ذلك قوله : (أما قراءة نافع بن عبدالرحمن بن ابي نُعيم في رواية اسماعيل بن جعفر فاخبرني بها ابو الحسن عليّ بن محمد بن اسحاق المُعَدّل قال حدثنا ابن مجاهد عن ابن عبدوس عن ابي عمر الدوريّ عن اسماعيل بن جعفر عن نافع [٣٥]) .

ثالثا : ذكر اصول القراءات :

يقسم كل كتاب متكامل من كتب القراءات قسمين :

الاول : قسم الاصول .

والاخر : قسم الفروع ويصطلح عليه (فرش الحروف) .

أما في قسم الاصول فقد ذكر المؤلف الابواب الآتية :

(١) باب الاستعاذة .

(٢) باب البسملة .

(٣) باب الادغام الكبير لابي عمرو .

(٤) اختلافهم في هاء الكناية عن الواحد المذكر .

(٥) باب اختلافهم في الميم اذا وقع قبلها تاء او كاف او هاء .

(٦) باب اختلافهم في المدّ والقصر .

(٧) باب اختلافهم في الهمزتين من كلمة واحدة .

(٨) باب اختلافهم في الهمزتين من كلمتين .

(٩) باب اختلافهم في نقل حركة الهمزة .

(١٠) باب الهمزة الساكنة التي تكون فاء الفعل .

(٣٥) نفسه / ٣ - ٤

(١١) باب مذهب « أبي عمرو » في الهمزات السواكن .
(١٢) باب مذهب « الاعشى » في الهمزة .
(١٣) باب مذهب « حمزة وهشام » في الوقف على الهمز .
(١٤) باب الادغام .
(١٥) باب اختلافهم في ستة أُصول من الاظهار والادغام .
(١٦) باب اختلافهم في التنوين والنون الساكنة في الغُنّة
(١٧) باب اختلافهم في الفتح والامالة .
(١٨) باب مذهب « ورش » في الراء المفتوحة .
(١٩) باب مذهب « الاعشى » في الامالة .
(٢٠) باب إمالة « قتيبة » .
(٢١) باب إمالة « نُصَير » .
(٢٢) باب اختلافهم في امالة ما قبل هاء التأنيث في حال الوقف عليها .
(٢٣) باب الوقف على أواخر الكلم .
(٢٤) باب مذهب « ورش » في تفخيم اللام .
(٢٥) باب مذهب حمزة في الوقف على لام المعرفة .

ويستغرق هذا القسم ثلاثاً وعشرين ومائة صفحة [٣٦] .

رابعا : فرش الحروف:

وهنا ذكر الفروع بعد أن ذكر الاصول .

فابتدأ بسورة الفاتحة ، وانتهى بسورة الناس .

أما سورة الفاتحة فقدمها في قسم الاصول متابعاً بذلك « ابن مجاهد » صاحب كتاب السبعة [٣٧] . وكان الاولى أن يلحقها بالفروع .

---

(٣٦) التذكرة / ٢١ - ١٤٣
(٣٧) كتاب السبعة / ١٠٤ والتذكرة / ٢٢

خامسا : خطوات منهجية عامة :

وقد اتبع مؤلف التذكرة خطوات منهجية عامة تتصل بالكتاب كله . وهذه الخطوات هي :

(١) اذا اتفقت الروايات عن امام من الأئمة الثمانية على حرف ، ذكره وحده ؛ فقال — مثلاً — قرأ نافع ، أو قرأ ابن كثير ، او قرأ أبو عمرو ، يريد : ابن العلاء .

(٢) واذا اختلفت الروايات عن امام من الائمة الثمانية في حرف ، ذكر ذلك الاختلاف مبسوطاً مشروحاً .

(٣) واذا تفرّد راوٍ واحد بقراءة عن امام ، ذكر تلك الرواية ، ونصّ على من تفرّد بها .

(٤) واذا اتفق « ابن كثير وابن عامر » ، قال : قرأ الاثنان .

(٥) واذا أتفق « حمزة وعاصم والكسائي » ، قال : قرأ الكوفيون .

(٦) واذا أتفق « ابو عمرو والكسائي » ، قال : قرأ النحويان .

(٧) واذا أتفق « أبو عمرو ويعقوب » ، قال : قرأ البصريان .

ومن الأمثلة الموضحة ما جاء في حديثه عن القراءات في سورة « النبأ » . قال :

قرأ الكوفيون سوى الاعشى [٣٨] : بتخفيف التاء — اي : من قوله تعالى : وفُتِحَتِ السماء [٣٩] وشدّدها الباقون .

وقرأ الكوفيون سوى أبي بكر [٤٠] : « وغسّاقاً » [٤١] ، بتشديد السين ،

(٣٨) الاعشى ؛ هو ابو حفص عمرو بن خالد . مقرىء معروف . روى القراءة عن عاصم بن أبي النجود . لكنه ضعيف عند المحدثين . (غاية النهاية ١ / ٦٠٠)

(٣٩) الآية ١٩ من سورة « النبأ » .

(٤٠) ابو بكر ؛ شعبة بن عياش . الامام المقرىء . واحد من اشهر اثنين رويا القراءة عن عاصم ، (توفى ابو بكر سنة ١٩٣ هـ) .

(٤١) الآية ٢٥ من سورة النبأ ؛ (الا حميماً وغساقاً) .

وخففها الباقون . وقرأ حمزة وَروح [٤٢] : ابثين فيها [٤٣] . وقرأ الباقون : لا بثين ، بالالف . وقرأ الكسائي : ولا كذاباً [٤٤] . وقرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم سوى المفضَّل [٤٥] : « ربِّ السموات والارض وما بينهما الرحمن » [٤٦] ، بجرِّ الرب والرحمن ، جميعاً . وقرأ حمزة والكسائي ، بجرّ الاول ورفع الثاني . وقرأ الباقون برفعهما) [٤٧] .

سادسا : الاهتمام بالقضايا النحوية :

ويهتم مؤلف التذكرة بالقضايا النحوية المتصلة بالقراءات التي تأتي في الآيات ، اهتماماً كبيراً ، ويتضح ذلك في ثلاثة امور هي :

(١) اهتمامه بالتعليل النحوي :

فعندما تحدث عن مواقف القراء الثمانية من الآية الكريمة :

(يا بني آدم قَد أنزلنا عليكم لباساً يـُواري سوءاتـِكم وريشاً ، ولباسُ التقوى ذلك خير . . .) [٤٨] قال : « قرأ نافع وابن عامر والكسائي : (ولباسَ التقوى) بالنصب . ورفعه الباقون . وعلل هذين الموقفين قائلاً : من نصب لم يبتدئْ به لأنه متعلق بقوله : « لباساً يواري » بالعطف عليه ، ولكن يقف على قوله : « ذلك خير » ، ومن رفعه ابتدأ به لأنه منقطع مما قبله وذلك أنه مرتفع بالابتداء .وقوله :

---

(٤٢) روح بن عبد المؤمن . مقرىء من جلة اصحاب يعقوب الحضرمي (توفى سنة ٢٣٥ هـ) (غاية النهاية ١ / ٢٨٥)

(٤٣) الآية ٢٣ من سورة النبأ

(٤٤) الآية ٢٨ من سورة النبأ

(٤٥) هو المفضل الضبى ، صاحب المفضليات . ويعد من القراء ممن روى عن عاصم . (توفى المفضل سنة ١٦٨ هـ) (غاية النهاية ٢ / ٣٠٧)

(٤٦) الآية ٣٧ من سورة النبأ

(٤٧) التذكرة / ٣٦٨

(٤٨) سورة الأعراف آية ٢٦ .

« ذلك » نعت له . وخبر الابتداء قوله « خير » ، والتقدير : ولباس التقوى المشار إليه خير لمن أخذ به من الكسوة والأثاث [٤٩] :

وحين تحدث عن مواقف القراء الثمانية من الآية الكريمة : (وإنْ تُبْدُوا ما في أنفسِكمْ أو تُخفُوه يحاسبْكمْ بهِ الله فيغفر لمن يشاء ويعذّبُ من يشاء) [٥٠] ، قال : « قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب : فيغفرُ لمن يشاء ويعذبُ من يشاء » برفع الراء والباء ، وجزمهما الباقون . ثم علل ذلك بقوله : : « فمن جزم لم يبتدئ به لأنه حمل الكلام على قوله : « يحاسبكم » ولم يقطعه منه فهو متصل به . واما من رفع فانه يجوز أن يبتدئ به لأنه قد قطعه مما قبله وجعله جملة معطوفة على جملة فهو استئناف واخبار من الله تعالى بذلك » [٥١] .

(٢) اهتمامه بالقطع والاستئناف :

واهتمام صاحب « التذكرة بموضوع القطع والاستئناف (او الوقف والابتداء) يلفت النظر بحيث نجده في اكثر السور ، ولاسيما السبع الطوال ، يشير الى مواضع الوقف والابتداء . كما أنّ المؤلف اعطى هذا الموضوع من الاهتمام اكثر مما اعطى غيره من الموضوعات النحوية .

ففي توجيه مواقف القراء الثمانية من الآية الكريمة : (إن تُبدوا الصدقات فنِعمّا هي ، وإن تُخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ، ويكفّر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعلمون خبير) [٥٢] ، قال :

(من جزم لم يبتدئ بقوله : « ويكفر » لانه معطوف على موضع الفـــاء من قوله « فهو خير لكم » [٥٣] ، فهو متعلق به . أما من رفع فله تقديران: أحدهما

---

(٤٩) التذكرة في القراءات الثمان ٢٠٨ (وفسر لباس التقوى بالحياء)

(٥٠) سورة البقرة آية ٢٨٤ .

(٥١) التذكرة / ١٦٦ – ١٦٦ وكذلك / ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٧١ .

(٥٢) سورة البقرة ، الآية ٢٧١ .

(٥٣) وموضع الفاء الجزم لانه جواب شرط جازم . .

أن يجعل الواو في قوله : « ويكفر » ، واو عطف للاشتراك ، فعلى هذا لا يبتدئ به[٥٤] ، لانه متعلق بما قبله من المبتدأ والخبر في قولـــه: « فهو خير لكم » ، عطفاً على تقدير : « ونحن نكفر عنكم » . والآخر : الا يجعل الواو عطفاً[٥٥] للاشتراك ، بل يجعلها لعطف جملة على جملة ، فعلى هذا يجوز أن يبتدئ به ، لانه مُستأنف منقطع مما قبله)[٥٦] .

وعندما تحدث عن مواقف القراء الثمانية من الآية الكريمة : (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم)[٥٧] . . . قال :

(قرأ نافع ويعقوب بفتح التاء[٥٨] ، واسكان اللام . وقرأ الباقون بضمهما) . اي : برفع الفعل وبنائه للمفعول ثم وجه هاتين القراءتين قائلاً :

(من جزم جاز له أن يبتدئ به ، لانه استئناف ، ولذلك كان بالواو دون الفاء ، اما من رفعه فله تقديران : أحدهما : أن يكون حالاً فيكون بمنزلة ما عطف عليه من قوله : بشيراً ونذيراً . اي غير مسؤول عن اصحاب الجحيم . والآخر : ان يكون منقطعاً مما قبله ، فعلى هذا يجوز الابتداء به لانه استئناف واخبار من الله تعالى عن نفي أن يسأل محمـــد عن أصحاب الجحيم ، المعنى : وليس تؤاخذ بهم)[٥٩] .

(٣) التفاته الى المشكلات النحوية

وهو يهتم بالمشكلات النحوية التي يحتدم النقاش حولها ، بين النحويين ، أيضاً . ولعل من اوضح الامثلة على هذا الاهتمام ، التفاته الى مسألة : (العطف على

(٥٤) اي لايجعله مستأنفاً .
(٥٥) في الأصل : « أن يجعلوا الواو عطفاً » ، والصحيح ما أثبتناه
(٥٦) التذكرة / ١٦٥
(٥٧) سورة البقرة الآية ١١٩ ، واول الآية : (إنا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ...) .
(٥٨) اي من كلمة (تسأل) .
(٥٩) التذكرة / ١٥١

الضمير المجرور من غير اعادة حرف الجر ، بالاسم الظاهر) ، وذلك عند توجيه قراءة « حمزة » بجر الارحام في الاية الكريمة : « واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام » [٦٠] ، حيث قال : (من جرّها على العطف الى الهاء في قوله « به » ، لم يبتدئ بها لتعلقها بهاء الضمير ودخولها معها في عمل الباء الجـارة) [٦١]. كما اجاز أن يكون الجرّ بالقسم .

والقراءة بجرّ الارحام مشهورة . وقد قرأ بها أئمة قُراء آخرون وهم : ابراهيم النخعيّ (المتوفى ٩٦ هـ) ، وقتادة بن دعامة السدوسيّ (المتوفى ١١٧ هـ)، وسليمان بن مهران الاعمش (المتوفى ١٤٨ هـ) .

غير أنّ جمهور النحاة رفضوا هذه القراءة .

فالفرّاء حين تحدث عن قراءة جرّ الارحام قال : (وفيه قبح لأن العرب لا تردّ مخفوضاً على مخفوض وقد كنّي عنه ، انما يجوز ذلك في الشعر لضيقه) [٦٢] .

وقد أطنب ابو جعفر النحاس (المتوفى ٣٣٨ هـ) ، في توضيح اجماع الكوفيين والبصريين على أن هذه القراءة خطأ ، وذلك في كتابه « اعراب القرآن ».

وقد عرف عن « ابن مالك » تجويزه كثيراً من المسائل التي منعها النحاة ، لاعتماده على القراءات ، إلاّ أنه مع العطف على الضمير المجرور ،بالاسم الظاهر اختار اعادة الجار [٦٣] .

وتخطئة هذه القراءة ، وهي متواترة ، ومنع العطف على الضمير بالاسم الظاهر ، أمر لا نقبله من النحويين ، لأنه ردّ لقراءة ثابتة السند الى رسول الله عليه الصلاة والسلام .

---

(٦٠) سورة النساء الآية الاولى
(٦١) التذكرة / ١٨١
(٦٢) معاني القرآن ١ / ٢٥٢
(٦٣) تسهيل الفوائد / ١٧٧

والصحيح جواز العطف على الضمير الواقع في محل جر ، بالاسم الظاهر دون اعادة حرف الجرّ . استناداً الى هذه الآية الكريمة : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل : قتال فيه كبير ، وصدّ عن سبيل الله ، وكفر به ، والمسجد الحرام » (٦٤) ، على رأي من ذهب الى أن المسجد الحـرام ، معطوف على الهاء من « به » (٦٥) . وكذلك جاء في قراءة حمزة . ولانه جـاء في الشعر كثيراً (٦٦) ولم يأت في بيت واحد ، ليعد شاذاً ! !

* **اهمية الكتاب:**

يمكن تلخيص أهمية كتاب التذكرة ، بما يأتي :

اولاً : انه اول كتاب من كتب القراءات الثمان ، يصل الينا . وإن لم يكن الاول في حيث التأليف .

ثانياً : انه أهم كتاب يصل الينا من كتب المدرسة المصرية في القراءات في القرن الرابع الهجريّ .

ثالثاً : انه مصدر مهم من مصادر القراءات . السبع والثمان وحتى العشر ، بدليل جعل ابن الجزري هذا الكتاب من مصادر كتابه « النشر في القراءات العشر » (٦٧)

* **اثر كتاب التذكرة :**

يظهر أثر كتاب التذكرة في كتب القراءات التي أُلّفتْ بعده بوضوح .

فقد أخذ عنه « ابو عمرو الدانيّ » كثيراً ، وكذلك اكثر من الأخذ من كتاب استاذه الآخر : الوقف على الهمز . وقد قال الداني عن استاذه طاهر بن

---

(٦٤) سورة البقرة ، الآية ٢١٧

(٦٥) البيان في غريب اعراب القرآن لابي البركات الانباري ١ / ١٥٣

(٦٦) معاني القرآن للفراء ١ / ٢٥٢ ، وشرح الاشموني ٢ / ١١٨ ، والعيني عليه ٣ / ١١٧ ، ١١٨؛

(٦٧) النشر ١ / ٧٣

غلبون : « لم نر في وقته مثله في فهمه وعلمه مع فضله وصدق لهجته »[68] . ولم يكتف بذلك بل قال : « كتبنا عنه كثيراً »[69] . وهــذا التصريح يغنى عن التوضيح . لأن أية عبارة قد تحيله الى الابهام .

أما ابن الجزري (المتوفى ٨٣٣ هـ) . فقد استفاد من تذكرة ابن غلبون كثيراً . ولا سيما في كتابه « النشر » . والقارئ لهذا الكتاب يجد آثار كتاب التذكرة واضحاً ، في كل أبواب الكتاب .

فقد أخذ منه ابن الجزري كثيراً من الروايات عن أئمة القراء[70] . واشــار الى مجموعة من القراءات التي ذكرها ابن غلبــون[71] . كما نقل من كتابــه نصوصاً جمّة[72] وركن الى اختياره . أي : أخذ برأيه[73] في مواضــع عدة .

فاذا عرفنا أنّ ابن الجزريّ استاذ القراء في عصره عرفنا مدى أثر كتاب التذكرة في تآليف القراء آنذاك . . .

ومن المؤلفين الذين تأثروا بكتاب التذكرة الامام القسطلاني : شهاب الدين احمد بن محمد بن ابي بكر[74] ، (المتوفى ٩٢٣ هـ) . المشهــور بكتابه : (ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري) . وبكتابه : « لطائف الاشارات لفنون القراءات » . والآخر ، من أجمع كتب القراءات . الحافلة بفنون هذا العلم المتسع الاطراف .

---

(٦٨) و (٦٩) معرفة القراء الكبار ١ / ٢٩٧

(٧٠) النشر ٢ / ٤١ ، وكذلك ٢ / ٤٩ وكذلك ٢ / ٦٨

(٧١) النشر ٢ / ٧١ ، وكذلك ٢ / ٧٨ ، وكذلك ٢ / ٨٥

(٧٢) النشر ٢ / ٦٣ ، وكذلك ٢ / ١٦٨

(٧٣) النشر ٢ / ٤٢ وكذلك ٢ / ٨٥

(٧٤) انظر ترجمته في : البدرالطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع ١ / ٦٠ رقم ١٢١٦ وشذرات الذهب ٩ / ١٢١ .

وقد تأثر بكتاب التذكرة فاعتمد على طرق رواياته اعتماداً صريحاً ، في اكثر من موضع . فقد أخذ رواية قالون [٧٥] عن نافع . من طريق القزاز : ابي الحسن على بن سعيد البغدادي (المتوفى قبل الاربعين وثلاثمائة) [٧٦] .

وكذلك اخذ منه رواية ورش [٧٧] عن نافع من طريق ابن سيف [٧٨] عن الازرق [٧٩] .

فاذا كان اكثر من كتب عن القسطلاني وعلمه قد قالوا إنه «كان اماماً، متقناً، جليل القدر ، حسن التقرير ، لطيف الترتيب والترصيف ، زينة أهل عصره ، ونقاوة ذوي دهره . . . » [٨٠] ، عرفنا قيمة كتاب التذكرة ، بحيث يعتمد عليه مثل هذا العالم الجليل .

فاذا كان كل واحد من اولئك الأئمة الثلاثة : الداني ، وابن الجزري ، والقسطلانيّ، علماً في عصره ، وقد تأثروا به جميعاً ، في مؤلفاتهم عن القراءات. فكيف بغيرهم ممن هو دونهم ؟

* * * *

غير أنّ أهمية ابن غلبون وتأثيره ، لا يقتصر على كتابه : « التذكرة » ، بل يتعداه الى كتاب آخر ، هو « الوقف على الهمز » . فقد أثر هـذا الكتاب في جملة من كتب القراءات التي جاءت بعده . واخذ منه الداني ، وتابع استاذه في بعض آرائه .

(٧٥) هو عيس بن مينا تلميذ نافع، توفى قالون سنة ٢٢٠ هـ ومعنى قالون بالرومية ؛ جيد (غاية النهاية ١ / ٦١٥)

(٧٦) لطائف الاشارات ١ / ١٠٧

(٧٧) ورش ؛ عثمان بن سعيد تلميذ نافع ، توفى سنة ١٩٧ هـ (غاية النهاية ١ / ٥٠٢)

(٧٨) انظر لطائف الاشارات ١ / ١١١ (وهذان المقرئان من مدرسة ورش)

(٧٩) نفسه

(٨٠) شذرات الذهب ٩ / ١٢١

ومما يؤسف له أن كتاب « ابن غلبون » الاخيرقد ضاع وبقيت منه شذرات نقلها ابن الجزري في كتابه « النشر » . وقد استقصيتها ووضعتها في سياق ينسجم مع تقسيمات الهمز والوقف عليه . ثم ناقشت تلك الآراء في ضوء علم اللغة الحديث ، وعلم القراءات ، وقواعد اللغة واصولها الثابتة .

وهذه القضايا يتناولها المبحث الآتي :

المبحث الثاني

آراء ابن غلبون في الوقف على الهمز

وسيكون هذا المبحث مخصصاً لاراء ابن غلبون الباقية من كتابه « الوقف على الهمز » .

وهذا المبحث يتناول النقاط الآتية :

(١) كتاب الوقف على الهمز في سياقه التاريخي .

(٢) أقسام الهمز .

(٣) آراء طاهر بن غلبون في الوقف على الهمز .

(١) كتابُ الوقف على الهمز في سياقه التاريخي

في تأريخ اللغة ، نجد أن أول من ألف في الهمز المقرئ اللغوي: عبدالله[٨١] بن أبي اسحاق (المتوفى ١١٧ هـ) . وقد برع في الهمز وفاق فيه أقرانه [٨٢] .

وبعده ألف محمد بن المستنير المعروف بقطرب (المتوفى ٢٠٦ هـ) كتاباً في الهمز ، ايضاً [٨٣] .

وألف معاصره الاصمعي (المتوفى ٢١٦ هـ) كتابين : واحداً في الهمزة المفردة وآخر في الهمزتين [٨٤] .

---

(٨١) المزهر ٢ / ٣٩٨

(٨٢) نزهة الالباء / ٨

(٨٣) معجم الادباء ١٩ / ٥٣

(٨٤) فهرسة ابن خير / ٣٧١ ، ٣٧٥

وإلى أبي زيد سعيد بن اوس الانصاري (المتوفى ٢١٥هـ) يُنسب كتابان واحد باسم الهمزة ، وهو مطبوع [٨٥] ، وآخر باسم تحقيق الهمز [٨٦] .

والشخص الوحيد الذي تجرد للقراءة وسبق طاهر بن غلبون بتأليف « الوقف على الهمز » ، هو الامام المقرئ : ابو بكر أحمـــد بن الحسين [٨٧] بن مهران (المتوفى ٣٨١ هـ) .

وألف « ابن جني (المتوفى ٣٩٢ هـ) ، بعد ذلك ، كتابه : (الالفاظ المهموزة) [٨٨] .

والراجح أنه لا يتناول ، موقف القراء واهل الأداء من الوقف على الهمز ، كما يبدو من عنوان الكتاب ، ولانّ ابن جني ليس من القراء .

وعالجت كل المعاجم العربية « مشكلة الهمزة » في مواضع متفرقة ولاشك في أن الكتب التي الفت في موضوع « الهجاء » تناولت مشكلة الهمزة من حيث الكتابة ، وما نقله « ابن مكي الصقلي » في كتابه « تثقيف اللسان » . . يؤيد هـــذا .

وكذلك فعلت كتب نقط المصاحب كالمحكم ، للداني ، وغيره .

من هذا العرض الموجز يظهر أن معظم هذه الكتب لم تعالج مشكلة الهمزة في مجال الدراسات القرآنية إلا كتاب « مذهب حمزة في الوقف على الهمز والمحكم ، للداني ، وربما عالج « عبدالله بن ابي إسحاق » العلاقة بين القراءة والهمزة ، لأنه من القراء الكبار [٨٩] .

---

(٨٥) بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة ١٩١٠ م

(٨٦) ينظر مابقى من « تحقيق الهمز » لابي زيد ، ضمن مجموع مخطوط (رقم ١٤٠٠) محفوظ بمكتبة المتحف العراقي . وبقى منه صفحة واحدة ، ونصها في « تهذيب اللغة » ١٥ / ٦٨٧ في باب الهمز وتحقيقه . وهذا يؤكد أن اسم الكتاب تحقيق الهمز ، لاتخفيفه ، كما ورد محرفاً في معجم الادباء ١١ / ٢١٦ والبغية ١ / ٥٨٣

(٨٧) طبقات القراء (غاية النهاية) ١ / ٤٩ (رقم ٢٠٨)

(٨٨) معجم الادباء ١٢ / ١٠٥

(٨٩) ترجمته في طبقات القراء ١ / ٤١٠ رقم ١٣٤٤ .

كما يظهر أنّ جُلّ هذه الدراسات قد ضاع ، ولم يبق منها سوى كتاب الهمز لأبي زيد الانصاري . ونصوص من كتابه تحقيق الهمز ، ونصوص من كتاب الهجاء للدينوري وبقي كتاب المحكم للداني .

أما كتّاب . . الوقف على الهمز « لأبي الحسن طاهر بن غلبون » فهو مفقود .

وقد نقل منه « ابن الجزري » في « النشر » في مواضع من الباب الذي خصصه للوقف على الهمز [٩٠] .

وعمل البحث يقوم على أساس جمع هذه النصوص ، ووضعها في سياق موضوعي ، لعلها تعطي فكرة تقريبية عن الكتاب ، وفي المنهج الآتي :

(٢) اقسام الهمز

نذكر أقسام الهمز أولا ، ثم نتبعها رأى « طاهر بن غلبون » . لأن آراءه مبنية على أساس هذا التقسيم .

ينقسم الهمز إلى : ساكن ومتحرك .

والساكن ينقسم إلى : متطرف ، وهو ما ينقطع عليه الصوت . وإلى متوسط ، وهو ما لم يكن كذلك : أما الساكن المتطرف فينقسم إلى : لازم لا يتغير في حاليه ، وعارض يسكن وقفاً ويتحرك بالأصالة وصلا .

والساكن اللازم يأتي قبله مفتوح مثل : (اقرأ) ، ومكسور ، مثل : (نبِّيءْ (ولم يأت في القرآن قبله مضموم) .

والساكن العارض تأتي قبله الحركات الثلاث .

فمثاله وقبله الضم : « كأمثال اللؤلؤ » و « إنِ امرؤ هَلَكَ » .

ومثاله وقبله الفتح : « بدأ » و « قال الملأ » .

وأما الساكن المتوسط فينقسم قسمين : متوسط بنفسه ، ومتوسط بغيره .

---

(٩٠) النشر ١ / ٤٢٨ ومابعدها .

فالمتوسط بنفسه يكون قبله ضم ، نحو (مؤمن) و (المؤتفكات) . وكسر نحو (البئر) و (نبئنا) وفتح ، نحو : (كأس) و (تأكل) .

والمتوسط بغيره قسمان : متوسط بحرف نحو : « فأووا إلى الكهف » ومتوسط بكلمه ، نحو : « قال الملك : ائتوني » .

الهمز المتوسط المتحرك . . . الساكن ما قبله :

وهو قسمان : متوسط بنفسه ، ومتوسط بغيره .

فالمتوسط بنفسه لا يخلو ذلك الساكن قبله من أن يكون ألفاً أو ياء زائدة (ولم يقع في القرآن منه واو زائدة) .

فإن كان الفاً فتسهيله « بين بين » ، نحو : « شركاونا » و « أوليك » ولا خايفين» .

وإن كان ياء زائدة أبدل وأدغم ، نحو : « خطيّة وخطيّاتكم » و « هنيّاً » .

وإن كان الساكن غير ذلك فهو إما أن يكون صحيحاً أو ياء او واواً أصليتين ، أو حرف مد أو حرف لين ، وتسهيله بالنقل حينئذ .

فمثال الساكن الصحيح مع الهمزة المضمومة : « مسؤولاً » و « مذؤوماً » ومع المكسورة « الأفئدة » (لا غير) ومع المفتوحة : « القرآن والظمآن وشطأه وتجأرون »

ومثال الياء الأصلية وهي حرف مدّ : « سيئت » (لا غير) . ومثالها حرف لين « كهيئة الطير » و « شيء » حيث وقع ، ومثال الواو وهي حرف مدّ : السُوأى لا غير ومثالها حرف لين «سَوءة أخيه » و « سَوآتها » .

والمتوسط بغيره من المتحرك ، الساكن ما قبله ، لا يخلو ذلك من أن يكون متصلا به رسماً أو منفصلا [91] .

(٣) آراء طاهر في الوقف على الهمز

(أ) الهمز المتوسط ، المنفصل رسماً :

مثال ذلك : « مَنْ آمنَ » و « قد أفلح » و « قُلْ إنّني » .

(٩١) الكشف عن وجوه القراءات ١ / ١٠٢ ، والكافي في القراءات السبع ورقة ٨ ؛ أو ما بعدها والنشر ١ / ٤٢٨ ومابعدها .

إختلف أهل الأداء في تسهيل هذا النوع وتحقيقه .

١– التسهيل: روى كثير من القراء –عن حمزة – تسهيل هذا النوع بالنقل، وهذا رأى أبي العزّ القلانسيّ صاحب « الإرشاد »[٩٢]، وابن شريح صاحب «الكافي في القراءات السبع»[٩٣] وهو رأى أبي عليّ البغدادي صاحب « الروضة » [٩٤] . وهؤلاء خصصوا هذا النوع وحده من المنفصل بالتسهيل .

٢– التحقيق : والتحقيق هو رأى « طاهر بن غلبون » . وحُجّته في هذا كونه مبتدأ ، أي في أول الكلمة ، ومذهب العرب جميعاً التحقيق في الهمزة المبدوء بها حتى عند أهل التخفيف منهم وهو مذهب كثير من القراء الشاميين والمصريين[٩٥]

وما دام أهل الاندلس والمغرب قد تابعوا المصريين في القراءات ولا سيما قراءة ورش وما دام طاهر بن غلبون من هذه المدرسة فإن الاندلسيين ، والمغاربة متأثرون برأيه لامحالة ومنهم : مكي بن أبي طالب وأبو عمرو الداني .

كيف لا ، وقد درس مكي بن أبي طالب على طاهر ، وعلى أبيه عبدالمنعم [٩٦] ودرس أبو عمرو الداني على طاهر [٩٧] ولذلك لم يجوز الداني غير هذا الرأي ورفض ما عداه [٩٨] ، وهو الرأي تؤيده اللغة ولا يوجد ما يدفعه من نصوصها الفصيحة .

(ب) الهمز المتوسط في مثل : « ها أنتم ويا أيُّها » .

يذهب طاهر بن غلبون إلى الوقف بالتحقيق في هذا القسم وإجرائه مجرى

---

(٩٢) ارشاد المبتدي وتذكرة المنتهي / ٢٤ مخطوط دار الكتب رقم ٥٥ قراءات) .

(٩٣) الكافي في القراءات السبع ورقة ٩ : أ ، ب (مخطوط الدار ٦١٤ قراءات) .

(٩٤) هو الحسن بن ابراهيم البغدادي نزيل مصر (ت ٤٣٨ هـ) . واسم كتابه « الروضة في القراءات الاحدى عشرة » طبقات القراء ١ / ٢٣٠

(٩٥) النشر ١ / ٤٢٩ ، ٤٣٤

(٩٦) طبقات القراء ٢ / ٣٠٩

(٩٧) الداني ؛ جامع البيان في القراءات السبع ورقة ٩ ؛ أ ، ١٥ . وطبقات القراء ١ / ٥٠٣

(٩٨) النشر ١ / ٤٣٥

المبتدأ[٩٩] . وقد تأثر بهذا الرأي كثير من القراء أمثال « مكي » [١٠٠] و«الداني » وصاحب « الكافي » وقال : (التسهيل أحسن إلا في « يا أيها وها أنتم » وشبهه ذلك لأن « يا » للنداء ، وهي منفصلة من المنادى وكذلك « ها » منفصلة مما بعدها لأنها حرف تنبيه) [١٠١] . أي : أنه اختار التحقيق موافقاً مذهب طاهر بن غلبون.

التفسير الصوتي الحديث لهذا الهمز :

من المُسَلم به أن العرب يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية ، ومن ثم لجأوا إلى اقفال بعض المقاطع [١٠٢] . وهو ما اتخذ أحياناً صورة الإسكان ، وأحياناً شكل الإدغام في الكلمة الواحدة ، او في الكلمتين .

وقياساً على هذا يبدو أنّ العرب يكرهون توالى الحركات الكثيرة ، كما كان بعض قبائلهم يكره الحركات الطوال ويعمد من اجل تخفيف طولها إلى همزها حين تكون في مواضع معينة وإنما كان توالي : الأصوات الانطلاقية مُضْعِفاً للنظام المقطعي لأنّ الحركات صوت انطلاقي يمكن أن ينتهي به المقطع في الكلام المتصل . فإذا وليها — في الكلمة نفسها — اصوات انطلاقيـة اخرى ابتداء من المقطع التالي ، لم تتكون لنا صورة مقطعية لسببين :

الاول : أنّ الأساس العضوي للتقسيم المقطعي يعتمد على عدد ما يتضمن من دفعات هوائية ، تُنتج بتأثير ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين ضغطاً يتفاوت من جزء معين من أجزاء الحديث اللغوي إلى جزء آخر ، وبدون هذا التفاوت لا يمكن معرفة بداية المقطع ونهايته .

---

(٩٩) النشر ١ / ٤٣٤

(١٠٠) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٩٦

(١٠١) الكافي في القراءات السبع ورقة ٩ ؛ ب

(١٠٢) المقطع الصوتي ، حسب التصنيف العلمي الحديث نوعان : المفتوح او المتحرك والمقفل أو الساكن والمتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير اوطريل اما المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن (الاصوات اللغوية / ١٦٠ — ١٦١) .

والآخر : أنّ المقطع مجموعة من الاصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمّة ومعلوم أنّ السواكن تمثل القواعد والحركات تمثل القمم ، من حيث كانت أقوى الاصوات إسماعاً إذهي الاصوات التي يُخْرُجُ الهواء عند النطق بها من الفم دون ان تعترضه اعضاء النطق العليا على الاطلاق ، او مع عدم اعتراضها اعتراضاً لايؤدي إلى حدوث احتكاك مسموع .فتتابع الاصوات الانطلاقية على هذه الصورة لا يشكل صورة المقطع ،وهو من ثم يضعف من تركيب عناصر الكلام(١٠٣)

وقد حدث إقفال للمقطع المفتوح في بعض الكلمات ولكن بصورة أخرى ، فبعض العرب يهمزون الألف في مثل « هذه حُبلأْ » ويهمزون ألفات أخرى بصورة مطردة فيقولون « رأيت رجلأً » فقد اجتلبت الهمزة لمجرد الوقف . وكالذي ذكره صاحب « اللسان » عن أبي زيد الانصاري أنه سمع رجلا من بني كلب يقول : « هذه دَأبّة وهذه امرأة شَأبّة » وعقب أبو زيد على ذلك قائلاً : « وذلك انه ثقل عليه إسكان الحرفين معاً » (١٠٤) يريد التقاء الساكنين .

وهذا التعليل الصوتي ينطبق تماماً على « ها أنتم ويا أيها » فكُل من هاتين الكلمتين تبدأ بمقطع مفتوح : « ها ، يا » فإذا سهلت الهمزة بعد هذا المقطع ، ضعف الصوت لانّ الهواء يخرج عند النطق بها دون أن تعترضه أعضاء النطق العليا ولأن فيه تتابع الاصوات الانطلاقية ولهذا فان الوقف عليها بالتحقيق يشكل صورة المقطع : (قاعدتان وقمة : ها انتم) .

وكأن قسماً من القراء لاحظوا الرسم وحده فلم يعيروا الناحية الصوتية أدنى اهتمام وهم الذين قالوا بالتسهيل والتخفيف .

وإن رأي طاهر بن غلبون الذي يرى فيه تحقيق هذا النوع من الهمز متفق تماماً مع التعليل الصوتي الحديث .

(١٠٣) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث / ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ .

(١٠٤) اللسان ١ / ١٠ .

(ج) الهمزة المضمونة أو المكسورة المتحرك ما قبلها :

ذهب بعض النحاة إلى إبدال الهمزة المضمونة أو المكسورة بعد ضم ، حرفاً خالصاً ، فتبدل في نحو : « سنقرؤك » و « يستهزؤن » ياء . وفي نحو « سئل » واواً ونسب هذا الرأي إلى الاخفش : سعيد . قال ابن الجزري (والذي رأيته أنا في كتاب المعاني له أنه لا يجيز ذلك إذا كانت الهمـزة لام الفعل ، نحو : « سنقريك واللؤلؤ » . اما اذا كانت عين الفعل نحو : سئل او من منفصل نحو : « يرفع ابراهيم » فإنه يسهلها « بين بين » مثل سيبويه [١٠٥] . ورأى « طاهر» هو التسهيل بين بين [١٠٦] .

فما هو مفهوم همزة بين بين عند هؤلاء ؟ وما التعليل الصوتي الحديث لمثل هذه الحالة ؟

مفهوم همزة « بينَ بين » ، في علم الاصوات الحديث .

اما مفهوم همزة « بين بين » — عند القدماء — فهو أنها بين الهمزة والالف وبين الحرف الذي منه حركتها .

فإن كانت مفتوحة فهي بين الالف والهمزة . وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو ، إلا أنها ليس لها تمكن الهمزة المحققة . وهي مع ضعفها وقلة تمكنها بزنة المحققة .

هذا هو مفهوم همزة بين بين في رأي سيبويه وابن جنى [١٠٧] ومن تابعهما .

والحقيقة أنّ هذا المفهوم غير سليم من الناحية العلمية ، ويتضح عدم صحته حين تكيف هذه الحالة تكيفاً صوتياً مع المنهـج الحديث لعلم الاصوات .

اما التكييف الصوتي لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفاً علمياً مؤكداً . كما يقول الاستاذ الدكتور إبراهيم أنيس ثم يقول : (وإذا صح النطق الذي

---

(١٠٥) النشر ١ / ٤٤٤ .
(١٠٦) النشر (في الموضع السابق) . والكشف عن وجوه القراءات السبع .
(١٠٧) الكتاب ٢ / ١٦٣ والخصائص ٢ / ١٤٤ وسر صناعة الاعراب ١ / ٥٣ .

نسمعه من أفواه المعاصرين ، من القراء فإنّ هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام، تاركة وراءها حركة فالذي نسمعه حينئذ لا يمتّ إلى الهمزة بصلة ، بل هو صوت لين قصير ، ، ويسمى عادة حركة الهمزة من فتحة أو ضمة أو كسرة ، ويترتب على هذا النطق التقاء صوتي لين قصيرين) (١٠٨)

والذي يرجــح هذا الرأي بشأن نطق همزة « بين بين » أن مثل هــذه القراءة لا تكون إلا حين تحرك الهمزة بحركة ما (١٠٩) . اما المُشَكّلة بالسكون فلا تقرأ (بين بين) ومعنى ذلك أن « بين بين » يعني في الواقع سقوط الهمزة أساساً واتصال الحركتين اللتين قبلها وبعدها مباشرة بحيث يتكون لدينا « المزدوج »(١١٠) بالمعنى الكامل. وفي هذه الصورة للمزدوج يضعف وجود الانزلاق الذي تنشأ عنه « أنصاف الحركات » « الواو والياء » .

ومن ثم فإن الهمزة تعد عند المحققين وظيفة صوتية يعمدون إليها وهم الذين يريدون أن يؤكدوا نبرهم للمقطع المنبور .

أما المحققون فلم يريدوا هذا التأكيد ، واكتفوا بهذا المزدوج الذي يعني تتابع حركتين لهما من الطول والتوتر ما يؤدي مهمة النبر و يبرز وجود المقطع المنبور .

(د) أيجوز ابدال الهمزة الزائدة من جنس حركتها من المتوسط ؟

يرى الإمام « طاهر بن غلبون» أن الهمزة في مثل خائفين وأولئك وأبناؤكم وأحباؤه » تخفف لا غير ، ويجوز إبدالها من جنس حركتها ، لانه في رأيه شاذ متروك ، وانه يخالف القياس ، ولم ترد فيه رواية صحيحة (١١١) .

---

(١٠٨) الاصوات اللغوية / ٩١ .

(١٠٩) الاصوات اللغوية / ٩٢ والقراءات القرآنية / ١٠٥ .

(١١٠) « المزدوج » يطلق على صوت اللين الذي تتغير خاصيته في سياق معين بحيث يبدأ بصائت معين وينتهي بآخر .

(١١١) النشر ١ / ٤٦٢ .

وهو في هذا يوافق جميع أئمـــة القراءات وعلماء اللغة المعمول بآرائهم . إلا أبا بكر بن مهران (ت ٣٨١ هـ) وقد رد « طاهر » رأيه لأن إبدال الواو والياء محضتين لم تجزه العربية ، بل نص عليه العلماء بأنه من اللحن الذي لم يأت في لغة العرب . وإنما الجائز هو « بين بين » لا غير ، وهو الموافق لاتباع الرسم أيضاً . أما غير ذلك فمنه ما ورد على ضعف ومنه ما لم يرد بوجه وكله غير جائز في القراءات من أجل عدم اجتماع الأركان الثلاثة فيه (١١٢) .

« فهو من الشاذ المتروك الذي لا يعمل به ولا يعتمد عليه » (١١٣) .

(هـ) الوقف بالبدل في الهمز المتطرف :

أما إذا وقفت بالبدل من الهمز المتطرف بعد الألف ، نحو : « جاء والسفهاء ومن ماء » فأما أن تحذف إحداهما للساكنين أو تبقيهما ، لأن الوقف يحتمل التقاء الساكنين . فإن حذفت إحداهما فإما أن تقدر المحذوفة الأولى او الثانية . فإن قدرتها الأولى فالقصر لا غير . . غير ان الألف تكون مبدلة من همزة ساكنة ، وما كان كذلك فلا مدّ فيه كألف « يأمر ويأتي » . وإن قدرتها الثانية جاز المدّ والقصر من أجل تغير السبب ، فهو حرف مد قبل همز ، فَغُيِّرَ . وإن أبقيتهما مددت مَدّاً طويلاً .

ونَصَّ « مكي بن أبي طالب » في « التبصرة » على حذف أحدى الألفين ، وأجاز المد على ان المحذوف الثاني . والقصر على ان المحذوف الأول (١١٤) .

وقطع طاهر بن غلبون بالجمع بينهما حيث تبدل الهمزة ألفاً في حال الوقف بأية حركة تحركت في الوصل ، لسكونها وانفتاح ما قبل الألف التي قبلها ، وتمد من أجل الألفين المجتمعين » (١١٥) .

---

(١١٢) الاركان الثلاثة التي يجب توفرها في القراءة الصحيحة هي أن توافق رسم احد المصاحف العثمانية – وأن توافق العربية ولو بوجه – وأن تسند برواية صحيحة ثابتة (النشر ١ / ٩) .

(١١٣) النشر / / ٤٤٠ .

(١١٤) التبصرة في القراءات ، لوحة ٣٩ أ .

(١١٥) جامع البيان ورقة ١٠٣ ب .

(و) كيفية تسهيل ما جاء من الهمز المتطرف مرسوماً في المصحف على نحو حركته :

وضح « الداني » في كتابه « جامع البيان في القراءات السبع » رأي أستاذه « طاهر » ، فبيّن أن الهمزة تسهل من جنس حركة ما قبلها « فتبدل الفاً ساكنة حملاً على سائر نظائره » ، وإن اختلفت صورتها فيه ، إذ ذاك هو القياس ، فيما جاء من الهمز المتطرف مرسوماً في المصحف على نحو حركته ، نحو قوله تعالى : « فقال الملأ الذين كفروا » وكذلك « تفتؤا » وما أشبهه مما صورت فيه الهمزة واواً على حركتها أو على مراد الوصل — وكذلك « من نبأ المرسلين » وشبهه مما رسمت فيه ياء على ذلك أيضاً .

ويرى أبو الفتح فارس بن أحمد (ت ٤٠١ هـ) — وهو رأي « الداني » أيضاً [١١٦] أنّ تسهيل الهمزة في ذلك أن تبدل بالحرف الذي منه حركتها موافقة على رسمها ، فتبدل واواً ساكنة في مثل قوله تعالى : « الملأ » وتبدل ياء ساكنة في مثل قوله تعالى : « من نبأ المرسلين » .

ورأي أبي الفتح : فارس هو الراجح لأنه هو التسهيل الذي يجري على سنن العربية [١١٧] وتأتي منه صور في كثير من أوجه القراءات المسهلة [١١٨] .

* * *

وبعد . . .

ألم يكن في هذه الصفحات ما يدل على أصالة ابن غلبون ، وأثره البارز في علم القراءات . . ؟ ثم أليس فيها ما يجعل البحث جديراً بالجهد . . ؟

---

(١١٦) جامع البيان ورقة ١٠٣ : ب (وقال الداني : ان ابدال الهمزة بالحرف الذي منه حركتها في الوقف خاصة لغة معروفة حكاها سيبويه وغيره من النحويين) .

(١١٧) كتاب سيبويه ٢ / ١٦٤ .

(١١٨) سراج القارىء المبتدي / ٧٥ .

خاتمة البحث ونتائجه

عالج هذا البحث موضوع : جهود ابن غابون في علم القراءات، وكان في قسمين :

الاول : موقع ابن غابون في علم القراءات .

وقد اوضَحْتُ فيه أهمية ابن غلبون في زمنه ، وبيئته .

الثاني : جهود ابن غلبون ، في علم القراءات .

وقد بينتُ فيه :

(أ) أهمية كتابه التذكرة في القراءات الثمان ، وقيمته في حركة التأليف في علم القراءات ، وشرحت بايجاز منهج الكتاب ، وتأثيره فيما جاء بعدهمن مؤلفات مماثلة .

(ب) آراء ابن غلبون في « الوقف على الهمز » ، الذي يُعدّ من الموضوعات المعقدّة في ميدان القراءات .

أما أهمّ النتائج التي توصل اليها البحث ، فهي :

أولاً : انّ ابن غلبون يعد استاذاً من أساتذة علم القراءات ، في عصره ، والمقدّم على أقرانه في بيئته .

ثانياً : وانّ كتابه « التذكرة في القراءات الثمان » ، اول كتاب وصل الينا من كتب الثمانية ، وان كان ثاني اثنين في ميدان التأليف .

ثالثاً : انّ « التذكرة » كتاب مهم ، لانه ذو منهج أصيل ، وموضوعات تتصل بالقراءات المتواترة . ومن أسباب أهميته أنه خالف فيه مفهوم « ابن مجاهد » الذي جعل القراءات السبع ، هي الصحيحة ، وما عداها شاذة ؟ ! ! وبذلك أسهم ابن غلبون ، في اصلاح الخطأ الذي وقع فيه العامة ، نتيجة لشيوع مفهوم ابن مجاهد .

رابعاً : إنّ أثر كتاب التذكرة كبير جداً ، اذ اعتمد عليه واستفاد منه ثلاثة قراء اعلام ، هم : ابو عمرو الداني ، وابن الجزريّ ، والقسطلانيّ ، فكيف بغيرهم ممن هو دونهم ؟

خامساً : لم يقتصر تأثير ابن غلبون على كتابه « التذكرة » ، بل تعداه الى كتابه الاخر : « الوقف على الهمز » ، فقد أخذ منه تلميذه « ابو عمرو الدانيّ » ، وتأثر به مكي بن أبي طالب ، وابن شريح الرعينيّ ، واكثر من الاخذ عنه الامام المقرئ : ابن الجزريّ . . .

• • •

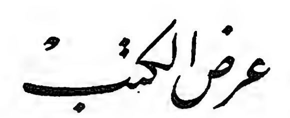
أليس في هذا ما يجعل موضوع : جهود ابن غلبون في القراءات ، جديراً بالبحث والجهد ؟

وفي الختام آمل أنني قمتُ بشيء مما يجب عليّ تجاه القرآن الكريم وقراءاته ولغته ورجاله . . .

والله وحده الهادي الى سواء السبيل

وهو حسبي ونعم الوكيل . . .

• • •


عرض الكتب

التتمة

على ما جاء في معجم شعراء لسان العرب من أوهام

الدكتور ياسين الايوبي

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب — جامعة بغداد

القسم الرابع

عندما وقفت على كتاب معجم الشعراء في لسان العرب للدكتور ياسين الأيوبي كنت أشعر بالجهد الكبير الذي بذله الباحث الكريم وهو يقدم على مثل العمل الذي طال إنتظاره ، وعرف عنه الكثيرون ممن حاولوا الإقدام عليه .. وكنت اسمع بين الفينة والفينة ان عالماً فاضلاً من علماء الهنود المسلمين قد انجز مثل هذا العمل وقد انتفع به اساتذة كثر وخاصة اساتذة قسم اللغة العربية في كليـــة الآداب بجامعة القاهرة ، وكان الدكتور خليل نامي والدكتور حسين نصار قد اطلعاني على عمل قريب من عمل الدكتور الايوبي في بداية الستينيات. وعلمت ايضاً ان نسخة من هذا العمل قد أودعت في مكتبة الدراسات الأدبية في كلية الآداب وهي مطبوعة على الآلة الكاتبة ، ولكنني لم أوفق للعثور عليها ؛ ويبدو أنها فقدت قبل هذا التاريخ وبقي المهتمون بشؤون التراث يتابعون كل خبرٍ يقال في هذا الباب ، ويستقصون كل مقولة تطرح في هذا المجال لايمانهم بان هذا العمل يقتضي جهوداً كبيرة ، ويتحمل من يقوم بأنجازه وقتاً اضافياً صعباً ، لصعوبة المتابعة ، وطول الجلد ، وتحمل المشاق ، ودقة النقل .

وكثيراً ما كنا ونحن نَصرف الى جمع شعر شاعر أونطلب شاهداً أن نتابع عَلَماً نقلب صفحات اللسان بأجزائه العشرين ونقرأ سطوره المتلاحمة ونتابع الأشطار والأسماء وقد تداخلت في ثنايا السطور ، فيستغرق منا ذلك زمناً طويلاً ، ويستنفد جهداً مضاعفاً ، وربما تذهب كل الجهود دون الوقوف على المطلوب ، أو الحصول على البغية . وساد المعنيين بشؤون التراث الفرح والاستبشار وهم يسمعون صدور هذا المعجم الجليل وهو يُقدم رسالة دكتوراه الى جامعة السوربون ، فازدادوا فرحاً لتوثيق العمل ، والرعاية العلمية التي تصاحبه وخاصة في مثل هذه المرحلة ، لاننا نعرف القيمة العلمية التي سيؤديها هذا العمل . .

ولا بد ان يصاحب هذا العمل بعض الهنات التي يقع فيها الباحث وهو يفهرس أو ينقل أو يجمع ، وقد كانت مناسبة عزيزة أن احصل على نسخة من المعجم لأبدأ بمطالعة مقدمته واتابع بعض شعرائه . وكانت دهشتي غريبة وانا اقف عند بعض الشعراء الأوائل الذين فهرس لهم الباحث وقد فاتته مواضع كثيرة واعترى الوهم بعض مواضع الشواهد وأخلّ ببعض الابيات بعضها بالآخر ، فأخذت نفسي بالمتابعة وتسجيل بعض الملاحظات ، وكلما تجاوزت شاعراً ازددت وثوقاً بان العمل يحتاج الى متابعة ، لأن السكوت على صدور المعجم وعدم متابعة ما اعتراه من وهم أو أخلال يضــع الباحثين الذين يعتمدونه في مــآزق حرجة ، ويجعل اعمالهم التي يقومون بها عرضة للنقد ، وموضعا لعدم الاهتمام . الى جانب اعداد الشعراء الذين اخلّ بهم المعجم وهم يتزايدون . .

إن هذه الحقائق دفعتني الى كتابة الملاحظات الأولى ومع ايماني بمقدار الجهد الشاق الذي ألقاه عليّ هذا العمل وانا أنهي القسم الأول فقد وجدت نفسي ملزماً بمتابعة المعجم ، والوقوف على ما وقف عليه في كل مادة ، ومطابقة ما ذكره من شواهد مع ما موجود فعلاً في اللسان ، وتحقيق ما لم أجده في المعجم من اسماء وعثرت عليه في اللسان . وهي حالات ليست هيّنة لانها ــ وكما اعتقد ــ اصعب من عمل المعجم لأن الاستدراك يقتضي التمهل ، والمتابعــة توجب الاستقصاء

والزيادة تفرض الأناة والحكمة . ولكنني اشعر وانا اتابع هذه الفصول بان المعجم يمكن ان يستكمل في ما عرضت له واعرض في بقية المتابعات ، وتبقى بعض الهفوات التي فاتتني أو اخلّ بها المعجم من عمل باحث آخر يذيّل بها العملان ليصبح المعجم جامعاً لما حاول أن يقوم به ، ومستكملاً لغايته التي حملت الباحث على الاضطلاع بهذه الرسالة ويبقى الفضل للرجل الذي أقدم على العمل اول مرة فهو صاحب الفكرة والمبدع الى الطريق ، والمتحمل لاعباء المشاق الصعبة والله اسأل الهداية والتوفيق .

* * *

* **الراعش الهذلي :**

اخــل المعجم بذكر هذا الراجز الذي أورد له صاحب اللســان ارجوزة قالها لامرأته وكانت لامته على انهزامه وقعة يوم فتح مكة وكان خالد بن الوليد قد هزم المشركين فيه والارجوزة سبعة اشطار ، وأضاف صاحب اللسان الى أنه قال قبل ذلك ثلاثة اشطار وأشــار الى حاشية ظنها بخط الشيخ الشاطبي اللغوي وقد نسب ابن السيد البطليوسي الرجز في المُثَلّث للراعش الهذلي ...

* **رافع بن هُريم :**

أخلّ المعجم بذكر بيت أورده له صاحب اللسان في [ظلم] .

* **الراهب واسمه زهرة بن سِرحان :**

أخلّ المعجم بذكره وقد أورد له صاحب اللسان رجزاً في [أطِط] . وقال عنه وسمي الراهب لأنه كان يأتي عُكاظ فيقوم الى سَرْحَة فيرجز عندها ببني سُلَيم قائماً فلا يزال ذلك دأبَهُ حتى يَصْدُر الناس عن عُكاظ ثم ذكر الرجز وقبل الخبر ذكر شطراً نسب الى الاغلب العجلي ولكن ابن بري صَحح النسبة .

* **ابو الربيس المازني :**

اختلف ورود كنيته في مواضع الاستشهاد ففي [بتر] قيل أبو الرئيس المازني وهو وهم، واختلف في ذكر اسمه فهو عُبادة بن طهفــة ، وعبّاد بن طُهْفَة وعبّاد بن عباس . ولم أجد اشارة الى هذا الاختلاف في مواضع الشاهد ، والاسم الصحيح لهذا الشاعر . وأخلّ المعجم بذكر شاهد أورده له صاحب اللسان في [جفل] .

* **الربيع بن زياد العبسي :**

١- ذكر صاحب المعجم ان صاحب اللســان استشهد له بستة ابيات ثم ذكر مادتين [مهر] و[سمل] دون أن يشير الى عدد الابيات التي وردت

في كل موضع . وعند مراجعتي مراضــع الشواهد وجدت أن ابن منظور قد استشهد له بثلاثة ابيات في [مهر] أما في [سمل] فبعد أن نسب الابيات الثلاثة الى الربيع بن زياد قال : ونسبت في المحكم الى الربيع الكامل أحد أخوال لبيد بن ربيعة يخاطب النعمان . ولم اجد صاحب المعجم قد اشار الى هذه النسبة .

٢- أخل المعجم بذكر ثلاثة شواهد في [غسل] و [جذم] و [قوا] .

* **الربيع بن ضبع الفزاري :**

أخل المعجم بذكر شطر ورد له في [ألا] .

* **ربيعة بن الجحدر الهذلي :**

وهم صاحب المعجم حين أورد بيتاً نسب الى ربيعة بن جحدل اللحياني ضمن شواهد ربيعة بن الجحدر الهذلي في [عزه] .

* **ربيعة بن جحدل اللحياني :**

أخل المعجم بذكره حيث أزرد اه صاحب اللسان شاهداً في [عزه].

* **ربيعة بن جُشم :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد اه صاحب اللسان بيتاً عن الاصمعي وقال عنه : رجل من النمر بن قاسط وهو الذي يخالط بشعره شعر امرئ القيس في مادة [ثنن] .

* **ربيعة بن مقروم الضَّبي :**

ذكر صاحب المعجم أنه اعتمد على شعر ربيعة الذي صنعته . وكان يودي أن ينتفع الباحث من ابيات أوردها صاحب اللســان لربيعة بن مقروم وهي غير منسوبة وقد اشرت اليها في تخريج ابيات الشاعر وهي ثلاثة ابيات في [تبب] وبيت في كل من [نزل] و[رحا] .

• عمرو بن نعمان بن براء :

أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [قذف] .

• رُشيد بن رُمَيض العنزي :

أخل المعجم بذكر اربعة شواهد وردت في [صبر] و[عوض] و[وضم] و[سته] .

• الرّقاص الكلبي :

أخل المعجم بذكر اربعة ابيات وردت في [حتم] .

اشار الباحث الى وجود ثلاثة ابيات في [خثرم] وعند مراجعتي موضع الشاهد وجدت بيتين فقط .

• رؤبة بن العجاج :

المعروف ان رؤبة من الرجّاز المشهورين ، وانه لم ينظم شعراً غيره . والرجز له اصوله فهو اشطار تنتهي بقواف متشابهة وهي في هذا تختلف عن الابيات التي تشكل نهاية البيت قافية في حين ان نهاية الشطر تمثل القافية . والذي وجدته في تقسيم الدكتور الايوبي هو توزيع شواهد رؤبة الى قسمين ضم القسم الأول الابيات (كما سماها الدكتور الايوبي) وقال ان مجموعها (٦٩٨) بيتاً (ينظر المعجم ص ١٧٩) اما القسم الثاني فقد ضمّ الاشطار وقد احصاها فكانت كما ذكرها (٤٢٦) شطراً (ينظر المعجم ص ٤٦٣) .

والذي نعرفه ان شعر رؤبة كلّه يدخل في اطار الاشطار وهذا ماكان يقع فيه الباحث الكريم فحين الاستشهاد بثلاثة اشطار يدخلها في اطـار البيت الواحد وهذا وهم أو الاستشهاد بأربعة اشطـار أو خمسة . وكان الأولى أن يشار الى هذه الملاحظة في بداية ذكر رؤبة ليتميز عن الشعراء من جهة، ولتحديد الاشطار الواردة في اللسان وبشكل دقيق من جهة ثانية، وما أقوله في رؤبة يمكن أن يقال في الرّجاز الأخرين الذين وقف عليهم الباحث في المعجم .

ومع هذا فهناك ملاحظات أخرى يمكن اجمالها فيما يأتي :

(١) أخل المعجم بذكر المواضع الآتية وفي كل موضع منها شطرٌ لرؤبة وهي: [صبب] و [ظرب] و [غرب] و [قسب] و [قصب]و [لبب] و [وصب] و [أبت] و [برت] و [حمت] و [قتت] و [مرت] و [نبت] و [هيت] و [حرث] و [دلث] و [رعث] و [حنبث] و [عثث] و [عبث] و [غلث] و [غيث] و [لثث] و [نـأث] و [هيث] و [ولث] و [بجج] و [بخرج] [حجج] و [حشرج] و [جملح و [عوهج] و [لحج] و [انـح] و [فنـخ] و [سـأد] و [ولـد] و [عثر] و [كسر] و [لـزز] و [رجس] و [غسس] و [قيس] و [أرش] و [خفش] و [فيش] و [ضنط] و [مقط] و [نوط] و [بزع] و [خـذع] و [خرع] و [خوع] و [سيع] و [صيع] و [فدع] و [بطغ] و [نغغ] و [كوف] و [دمق] و [سحق] و [شمق] و [صدق] و [نرمق] و [هشتق] و [حبل] و [حذل] و [طسل] و [أرم] و [رمم] و [سطم] و [قدم] و [قرم] و [كلم] و [حذن] و [زون] و [عنن] و [لخن] و [مسن] و [وثن] و [سمه] و [عجه] و [قمه] و [كمه] و [ذرا] و [فضا] و [إمالا] .

(٢) أخلّ المعجم بذكر المواضع الآتية وفي كل موضع منها شطران لرؤبة وهي: و [وجب] و [شتب] و [كبرت] و [وعث] و [جعبر] و [قهب] ونسب له رجز في [نعر]وله في [ضزز]و [عشش] و [نمش] و [محص] و [نغض] و [برشع] و [رضع] و [قطع] و [نصع] و [شغـغ] و [ذفف] و [ذرق] و [ذاق] و [عفق] و [حكل] و [نول] و [بلسم] و [جهرم] و [طرم] و [قدم] و [نوم] و [هذم] و [ذكا] و [لغا]

(٣) أخل المعجم بذكر الموضعين الآتيين وفي كل منهما ثلاثة أشطر وهما : [يدع] و [نعض]

(٤) أوهام في مواضع الاستشهاد في المعجم وتتمثل في :

(أ) ذكر مواضع لم أجد فيها شواهد للشاعر ذكرها في الابيات والاشطار وسأذكرها وفق ورودها في (الابيات) .

[جلب] و [جوب] و [حشب] و [بطــح] و [عير] و [جمر] و [يرع] و [شغشغ] و [رعش] و [لخا]

وفي الاشطار : [ضمرط] و [عيط] و [نعط] و [بذع] و [خزع] و [دعق] و [صرق] و [ندق] و [لهن]

(ب) مواضع اشار صاحب المعجم الى ان فيها بيتا (شطرين) وهي تستشهد بأكثر من شطرين . . فقد استشهد صاحب اللسان بثلاثة اشطار في المواضع الآتية :

[وغب] و [أمت] و [همد] و [سعع] و [مرع] و [رزغ] و [زحلق] و [رملك] و [قول] و [دهن] و [عين] و [غدن] و [فتن] و [كنن] و [بله] و [بهه] و [عده] و [لهله] و [رزا] و [شفي] و [عضا]

(ج) مواضع اشار صاحب المعجم الى أن فيها بيتاً (شطرين) وهي تستشهد بشطر واحد . وهي :

[سقب] و [ضبظب] و [قضب] و [هرجب] و [سلب] و [غلت] و [بيغ] و [دغغ] و [صدغ] و [صلغ] و [فدغ] و [ولغ] و [عكك] و [يكك] و [خعل] و [ظلل] و [جون] و [لبن] و [وجن] و [رده] و [مسا]

(د) مواضع اشار صاحب المعجم الى أن فيها بيتاً (شطرين) وهي تستشهد بأربعة اشطار وهي :

[كهل] و [دكن] و [سملق] و [ذرا] .

(هـ) موضع أشار صاحب المعجم الى أن فيها بيتاً (شطرين) وهي تستشهد بخمسة اشطار [جله] وموضع فيه ثمانية اشطار [جشب] وموضع فيه تسعة اشطار [فطحل] .

(٥) اوهام وقعت في الملحق الابجدي بالشعراء ذوي الاشطر المتفرقة . في هذا القسم وقع سهو شبيه بالسهو الذي وقع فيه وهو يذكر الابيات وسأحاول تحديد مواطن السهو وفق التسلسل الآتي .

(أ) اشار الباحث الكريم الى مواضع لم أجد فيها شواهد وهي :
[ضمرط] و [نعط] و[عيط] و [بذع] و [خــزع] و [دعــق] و [صرق] و [ندق] و [لهن] .

(ب) وردت في بعض المواضعالتي قال انها استشهدت بشطر اكثر من شطر فالمواضع التي ورد فيها شطران هي :

[ميد] و [ورد] و [شأز] و[عجس] و [هبش] و [زبع] و [قرع] و[فرع] و [بهق] و [رقق] و [حقل] و [دغا] .

ومما ورد فيها ثلاثة اشطار في [رثا] وأربعة اشطار في [قسس] .

* رويشد بن كثير الطائي :

اشار صاحب المعجم الى اربعة مواضع وذكر ان اربعة ابيات استشهد بها صاحب اللسان وذكر [صوت] و [نهض] و [شظظ] و [لأك] وعند مراجعتي لهذه المواضع وجدت أن صاحب اللسان في [نهض] و [لأك] ذكر [رويشد] دون ذكر أي اسم آخر . وأذا ذهبنا مذهب صاحب اللسان في أن المقصود برويشد هو ابن كثير الطائي وهذا محض افتراض ، وجب علينا الاشارة الى ذلك ليكون الباحث على علم بصواب ورود الاسم في اللسان كما وجدت أن صاحب اللسان استشهد بثلاثة اشطار من الرجز في [شظظ] وليس ببيت كما ذكر صاحب المعجم .

* رياح الجديسي :

ذكر صاحب المعجم ان صاحب اللسان استشهد له ببيتين في [فعس] وعند مراجعتي اللسان وجدته قد استشهد بما يأتي :

جئتُ من جديس * بالمُؤيد الفاعوس * احدى بنات الحُوس فهل هذان بيتان من الشعر ؟ .

* رياح الدُّبيري :

ذكر صاحب المعجم أن صاحب اللسان استشهد له بخمسة ابيــات في [ضوط] و [حذم] وعند مراجعتي لمادة [حذم] وجدت بيتاً واحداً وفي [جذم] عشرة اشطر من الرجز .

* الزّاري :

ذكر صاحب المعجم أن له بيتاً واحداً في [مرن] والصحيح شطر وليس بيتاً .

* الزّباء (الملكة) :

١ ـ أخل المعجم بذكر شطرين وردا في [وأد]

٢ ـ اشـار صاحب المعجم الى بيتين وردا في [صرف] و [زهق] وعند متابعتي لهذين الموضعين وجدت في [صرف] اربعة اشطر وفي [زهق] شطراً واحداً وليس كما ذكر .

* زّبان بن سيّار الفزاري :

ذكر صاحب المعجم أن له اربعة ابيات في [درر] و [حنِف] و [حنك] و [طلي] وعند متابعتي وجدت موضعين فقط استشهدا للشاعر وهما [درر] و [طلي] اما الموضعان الآخران فهما

بذكر هذا الشاعر المعجم .

* ابو زُبيد الطائي :

١ ـ ذكر صاحب المعجم أن وفاته كانت سنة [٦٢] للهجرة والذي انتهيت

اليه انه مات في حدود سنة احدى واربعين لانني لم اعثر على اخبار له بعد هذا التاريخ وهذا ما اشـرت اليه في دراستي عن ابي زبيد في مقدمة شـعره المطبوع في بغداد عام ١٩٦٧ .

٢ ــ أخل المعجم بذكر مواضع استشهد بها صاحب اللسان وهي [سيب] و [عهد] و [ورع] و [وعى] .

٣ ــ وهم صاحب المعجم فادرج مواضع شواهد الاشطار في مواضع االابيات وهي [عول] و [نصل] و [طفن] و [وحي] و [لا] .

٤ ــ لم أجد ذكراً لمواضع اشار اليها صاحب المعجم باعتبارها مواضع استشهاد وهي [شغب] و [شمد] و [محر] و [وتع] و [سها] .

٥ ــ كان بودي أن يقف الدكتور الايوبي عند شعر هذا الشاعر الذي جمعته ووجدت مجموعة من ابياته غير منسوبة في اللسان فنسبتهااليه بعد أن وجدتها في مصادر آخرى منسوبة . وما أقوله بالنسبة لهذا الشاعر اقوله بالنسبة للشعراء الآخرين الذين اهتدى الى نسبة ابياتهم غير المنسوبة المحققون وجماع الشعر وهي تمثل اضافة لخدمة هذا السفر الجليل الذي يستحق اعادة التحقيق بعد أن تنسب فيه الابيات وتصحح نسبة الابيات الآخرى .

• **الزبير بن عبد المطلب :**

ذكر صاحب المعجم أن صاحب اللسان استشهد له بسبعة ابيات وعند متابعتي للمواضع الثلاثة التي ذكرها وجدتها خمسة ابيات فقط .

• **ابو الزحف الكليني :**

ذكر صاحب المعجم موضعاً واحداً هو [سمهدر] وأشار الى وجود بيتين وعند متابعتي و جدت المعجم قد أخل بموضع آخر هو [عشزر] وأن اللسان قد استشهد له بثلاثة أشطار وليس ببيتين كما ذكر الباحث .

* **زُرارة بن سُبيع الاسدي :**

ذكر الباحث الكريم أن صاحب اللسان استشهد له ببيت واحد وقال : فقدت بطاقته • وأقول : البيت موجود في [عدا] والبيت متدافع بينه وبين نضلة بن خالد الاسدي وبين دودان بن سعد الاسدي .

* **زُرارة بن صعب بن دهر :**

ذكر صاحب المعجم ان مجموع شواهده في المواضع الثلاثة التي اشاراليها اربعة ابيات وعند متابعتي مواطن الاستشهاد وجدتها ثلاثة اشطار من الرجز تكررت في [دود] و [سوس] و [فرا] فهي ليست كما ذكر .

* **زُرافة الباهلي :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان ستة ابيات في [حيس] .

* **ابن زُرارة الكلابي :**

لم أجد شاهداً لهذا الشاعر في المادة الوحيدة التي ذكرها صاحب المعجم وهي [هذر] .

* **ابو زُرعة التميمي :**

أشار صاحب المعجم الى موضعين استشهدا بشعره هما [حبس] و [طفش] وعند متابعتي وجدت الاشطار في [حبس] منسوبة الى [ابو زرعة التيمي] وفي [طفش] الى التميمي . وكان لابد من الاشارة الى هذا الاختلاف .

* **ابو زغبة الخزرجي :**

في المواضع الثلاثة التي استشهد له بها صاحب اللسان ذكر قيل الشاهد انها لزغبة الخزرجي ثم قــال : وقيل للحطم القيسي ثم قال : وقيل لرشيد بن رُميض العنزي . وكان بودي أن يشار الى هذا التدافع في النسبة .

* **زُفر بن الحارث الكلابي :**

١ ـ أخل المعجم بذكر ثلاثة ابيات وردت في [مجنق] و[حرز] و[دمن].

٢ – في [بقق] نسب الشاهد لزفر ولعبدالرحمن بن الحكم وكان الأولى أن يشار الى اختلاف هذه النسبة لانني وجدت الباحث ينسبه الى عبد الرحمن بن الحكم دون أن يشير الى اختلاف نسبته الى زفر بن الحارث.

٣ – في [أبي] اربعة ابيات ولم أجد الباحث الكريم قد اشار الى هذا العدد من الابيات وهو يذكر موضع الشاهد .

* الزَّفَيان السَّعدي :

١ – أخل المعجم بذكر الشواهد التي أوردها صاحب اللسان في [مدخ] و [عكلط] و [غلفق] و [صلا] . وأخل بشطر ورد في [شمل] .

٢ – لم أجد في [مدح] و [زفل] التي أوردها صاحب المعجم شواهد للشاعر .

٣ – لم يشر صاحب المعجم الى عدد الاشطار عند ذكره لمواضع الشواهد وهي مختلفة ففي [سبد] و [رمعل] و [سدن] و [قبه] اربعة اشطار وفي [صمعد] و [سمر] و [خفق] و [ذال] و [روى] ثلاثة اشطار وفي [زيز] و [دمشق] و [قرطط] و [عقق] خمسة اشطار واكتفى صاحب المعجم بايراد المادة اللغوية مجردة في حين عودنا على أن يشير الى عدد الابيات في مواضع كثيرة واشعراء كثيرين .

* زُميل بن أبين :

أخل المعجم بذكره وقد أورد له صاحب اللسان ابياتاً في موضعين هما [ليق] و [حتَك] . وفي هذين الموضعين يشير صاحب اللسان الى أن هذه الابيات نسبت الى خارجة بن ضرار المرُي ثم يقول : قال ابن برّي : وتروى هذه الابيات ازُميل بن أبين يهجو خارجة بن ضرار المري وأولها . . .

أخارج هلاّ إذْ سفهت عشيرتي . .

وعند مراجعتي للمواضع التي ذكر فيها خارجة وجدت هذين الشاهدين ولكن

لم أجدْ اشارة الى اختلاف نسبتها بينه وبين هذا الشاعر الذي لم يأت الباحث على ذكره .

• زُنير :

أخل المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [خصل] .

• زهير بن جناب الكلبي :

أخل المعجم بذكر موضع استشهد له صاحب اللسان ببيت في [جرر]

• زهير بن ابي سُلمى :

١ ــ أخل المعجم بذكر الشواهد الشعرية التي أوردها صاحب اللسان في المواضع الآتية [عبأ] و و[قبط][حفظ] و[قذع] و [عنق] و[سكك] و [مسك] و [ثفل] و [خول] و[أزم] و[أمم] و[كنن] و [كون] و [خنا] و [نجا] .

٢ ــ أخل المعجم بذكر الاشطار التي أوردها صاحب اللسان في المواضع الآتية [برأ] و [غوث] و [جــدر] و [سفر] و [أجل] و [شنن] و [يمن] .

٣ ــ وهم صاحب المعجم حيث أورد مواضع باعتبارها أوردت ابيات شعرية وعند مراجعتي للمواضع وجدتها اشطاراً وليست ابياتاً ، وكــان الأولى أن توضع في الملحق الابجدي الذي أفرد للشعراء ذوي الاشطار كما فعل في الاشطار المثبتة وهذه المواضع هي [درج] و [معك] و[ثمل] و [عدل] و [رجم] و[صتم] و [طعم] و [وهم] و [سفن] و [لين] و [رضي] و [سيا] و [عدا] و [قضى] و [لأى] و [وحى] .

٤ ــ لم أجد شواهد شعرية في [قزع] و [عتق] و [خصل] و[ختا] و [نحا] وهي مواضع أوردها صاحب المعجم باعتبارها مواضع استشهد بها صاحب اللسان بابيات للشاعر .

* **زهير بن مسعود الضّبي :**

أخل المعجم بذكر شاهد ذكره صاحب اللسان في [تمر] .

* **زياد الاعجم :**

أخل المعجم بذكر ثلاثة شواهد أوردها له صاحب اللسان في [قطع] و [غزا] و [وصى] .

* **زياد بن سيّار الفزاري :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهدين في [جنف] و [حنك] .

* **زياد الطماحي :**

أخل المعجم بذكر شاهد في [سطا] وقد أورد صاحب اللسان للشاعر اربعة اشطار .

* **زياد الملقطي :**

ذكر صاحب المعجم أن صاحب اللسان استشهد له بأبيات في [نوف] و [نهم] وعند مراجعتي هاتين المادتين وجـدت الاستشهاد بشطر في كل منهما وكان حقهما أن يوضعا في الملحق الابجدي بالشعراء ذوي الاشطار كما اعتاد عليه في بقية الشعراء

* **زياد بن منقذ :**

أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [قزم] .

* **زيد الخيل :**

أخل المعجم بذكر شاهدين أوردهما صاحب اللسان في [قفص] و [هطل] ولم أجد في [قنص] شاهداً كما ذكر صاحب المعجم .

* **زيد بن ضَبَّة :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [صبّا] .

* **زيد بن عدي :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [نزر]

* **زيد بن عمرو بن نُفيل :**

أخل المعجم بذكر بيتين استشهد بهما صاحب اللسان في [ويا] و [وا] وبشطر ورد في [جشم] . ووهم صاحب المعجم إذ ذكر شاهـــداً في [دجا] والصحيح [دحا] .

* **زينب بنت الطثرية أخت يزيد بن الطثرية :**

أخل المعجم بذكر هذه الشاعرة التي أورد لها صاحب اللسان سبعة ابيات في ستة مواضع هي [عذر] و [بأدل] و [رهل] و [صمل] و [صأل] و [عدمل] .

* **ساعدة بن جُؤيّة :**

١ – أخل المعجم بذكر الشواهد التي ذكرها صاحب اللسان في المواضع الآتية [شمت] و [غملج] و [ذوح] و [صحح] و [نصح٢] و [رفد] و [فتر] و [بضع] و [حرف] و [عجف] و [حجم] و [جرم] و [حرهم] و [قحم] و [رزن] و [طلي].

٢ – أخل المعجم بذكر الاشطار التي وردت في المواضع الآتية :
[لفف] و [أثل] و [عمل] و [شيم] .

٣ – لم أجد في بعض المواضع التي ذكرها صاحب المعجم شواهد شعرية وهي :
[جرف] و [عول] و [جحم] و [رزم] و [طغي] .

٤ – في بعض المواضع التي اشار اليها صاحب المعجم وردت الشواهد التي ذكرها صاحب المعجم وهي اشطارٌ وليست ابياتاً كما ذكر وهي :
[كلل] و [خزم] و [عسم].

٥ ـ كان بودي أن يشير الباحث الى موضع في [زلل] ذكر فيه صاحب اللسان قول ساعدة بن جؤية .. ولكنه ترك بعده بياض الاصل وفي الهامش اشارة الى أن الشاهد لعلــه سقط وطلب الرجوع الى الاصول الصحيحــة . ولما كانت الرسالة بحثاً لمرتبة الدكتوراه كان الواجب الاشارة الى هذه الظاهرة زيادة في الحيطة ، ودليلاً على المتابعة ، وتأكيداً للدقة .

• ساعدة بن عجلان :

١ ـ أخل المعجم بذكر شاهدين أوردهما صاحب اللسان في [شحط] و [عبم] .

• سالم بن قحفان :

١ ـ أخل المعجم بذكر شطر ورد في [خوق] .

٢ ـ في [عهق] التي اشار صاحب المعجم اليها باعتبارها أوردت بيتين من الشعر وجدت فيها شطراً واحداً .

٣ ـ لم أجد في [خوف] شاهداً كما ذكر صاحب المعجم .

٤ ـ في [قربق] خمسة اشطار وليس بيتاً كما ذكر صاحب المعجم .

• سَجاح :

أخل المعجم بذكر قسيم شطر أورده لها صاحب اللسان في [دفع] .

• سُحَيم عبد بني الحسحاس :

١ ـ أخل المعجم بذكر ثلاثة شواهــد وردت في [وسد] و [دول] و [صبا] بالصاد .

٢ ـ ذكر صاحب المعجم [جمع] وعند الرجوع الى اللسان وجدت صاحب الشاهد [ابو الحسحاس] وليس [عبد بني الحسحاس] .

• سُحيم بن وثيل الرياحي :

١ ـ أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [ربع] .

• **أبو سَدْرة الهُجيسي :**

لم أجد له شاهداً في [فوه] كما ذكر صاحب المعجم .

• **سدرة بن عمرو الاسدي :**

أورد صاحب المعجم ذكر هذا الشاعر وعند مراجعتي لم أجده وانما الذي وجدته هو سبرة بن عمرو الأسدي وهو الذي ذكره صاحب المعجم في الترجمة رقم (٤٥٨) وفي الصفحة ٢٠٣ .

• **سديف :**

أخل المعجم بذكر شطر أورده صاحب اللسان في [عقب] .

* **سعد بن زيد مناة :**

لم أجد شاهداً في [خضر] كما ذكر صاحب المعجم .

* **سعد القرقرة :**

أخل المعجم بشاهد في [سدف] .

* **سعد بن مالك :**

أخل المعجم بذكر شاهد في [برح] .

* **ابو سعد المعنىّ :**

أخل المعجم بشاهد في [قرقم] .

* **سعد بن ناشب :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان مرتين في [كرب] و [برح] .

* **ابن سعنة :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان بشاهد في [لذذ] .

• **السفاح بن خالد التغلبي :**

١ – أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [سجر] .

٢ – لم أجد في [بوأ] التي ذكرها صاحب المعجم شاهداً لهذا الشاعر .

• **سعيد بن المنتحر البارقي :**

الصحيح سعد بن المنتحر في موضعي الاستشهاد .

• **أبو سفيان :**

أخل المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شطراً في [شمط] .

• **سلامة بن عُبادة الجعدي :**

أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [نحض] .

• **سلامة بن جندل :**

١ – أخل المعجم بذكر اربعة شواهد وردت في [مكن] و [سفا] و [قفا] و [قنا] .

٢ – وأخل بذكر شطر ورد في [عقب] .

٣ – وهم صاحب المعجم بشاهد في [سلق] فنسبه الى سلامة بن جندل وهو لجندل .

• **أم سلمة (زوج النبي صلى الله عليه وسلم) :**

أخل المعجم بذكرها وأورد لها صاحب اللسان بيتاً في [وتر] .

• **سلمة بن الاكوع :**

أخل المعجم بذكر ثمانية اشطار وردت اربعة منها في [نصف] وشطران في كل من [رضع] و [صرف] .

• **سلمة بن الخرشب :**

لم يشر صاحب المعجم الى عدد الابيات التي استشهد بها صاحب اللسان

في [صوت] و [مسح] وهما ثلاثة في [صوت] وأثنان في [مسح] .

* **سلمة بن هند الغاضري :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي استشهد له صاحب اللسان ببيت في [عرف]

* **سلمى بن عونة الضبي :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [اذن] .

* **السليك بن السلكة :**

١ – أخل المعجم بذكر ستة ابيات في كل من [روح] و [عرض] و [صدف] و [نحم] وبيتان في [قرم] .

٢ – أخل المعجم بذكر شطر ورد في [نقب] .

٣ – لم أجد في [صرف] التي اشار اليها المعجم شاهداً وربما كانت [صدف] وهي من اوهام الطباعة .

* **سليم بن ثُمامة :**

أخل المعجم يذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [عصا] .

* **سُليم بن سلام الحنفي :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان بيتين في [طمر] .

* **سنان الأباني :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان ثمانية أشطر في [دبى] .

* **سهم بن إياس الهذلي :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [نسم].

* **أبو سهم الهذلي :**

١ ــ أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان خمسة شواهد في [طيش] و [عطف] و [غبق] و [صرم] و [وجا] وورد شاهد في [جدد] نسب الى أبي سهم وأظنه صاحبنا الهذلي وقد أخلّ به المعجم كذلك .

* **سُهيل بن أبي كاهل :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [سقط] . وربما كان صواب الاسم [سويد بن أبي كاهل] كما أرى.

* **سواد بن قارب :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شطراً في [عيس] .

* **سوادة بن زيد بن عدي :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [نغص].

* **أبو السوداء العجلي :**

أخل المعجم بذكر ثلاثة مواضع أورد فيها صاحب اللسان شاهداً في كل موضع وهي [شيح] و [صمل] و [قشا] وفي [جذر] أورد له احدَ عشر شطراً .

* **سويد الحارثي :**

أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [عبس] .

* **سويد بن الصامت :**

أخل المعجم بذكر شاهدين أوردهما صاحب اللسان في [سنه] و [هرا].

* **سويد بن حـَذّاق العبدي :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان بيتين في [حظظ].

• **سويد بن أبي كاهل اليشكري :**

١ ـ أخلّ المعجم بذكر اربعة شواهد أوردها صاحب اللسان في [شمس] و [كنع] و [جهل] و [تأم] وشاهدين في [ودع] .

٢ ـ كررت في المعجم اربعة مواضع وهي من أوهام الطباعة .

٣ ـ كان بودي أن يشير صاحب المعجم الى أضافة الابيات التي وردت في اللسان منسوبة الى [سويد] دون ذكر الاسم الكامل الى سويد بن أبي كاهل وهو صواب . لأن اللسان حفل بأسماء تسعة شعراء سموا بهذا الاسم وما جاء فيها مجرداً كان المقصود به هو اليشكري :

• **سويد بن كراع :**

١ ـ أخلّ المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [فلق] .

٢ ـ هناك خاط في نسبة الابيات بين سويد بن كراع وسويد بن أبي كاهل وقد تجلى هذا الخلط بشكل واضح في نسبة الابيات التي وردت في [منح] و [ارض] و [ودع] فقد نسبها صاحب اللسان الى سويد بن كراع وتابعه صاحب المعجم وهي قصيدة مشهورة لأبن أبي كاهل ووقف عليها الدكتور الايوبي في ديوانه الذي نشر في البصرة بتحقيق السيد شاكر العاشور .

• **سيّار الأباني :**

أخل المعجم بذكر شطرين أوردهما صاحب اللسان في [عقب] .

• **سيف بن ذي يزن :**

أخل المعجم بذكر خمسة اشطار في [قمع] وشطر في [رفق] وبيت في كل من [نزك] و [غلل] وثلاثة ابيات في [فلم] .

• **شبيب بن البرصاء :**

أخل المعجم بذكر شاهدين أوردهما صاحب اللسان في [عرم] و [يدن].

* **شظاظ الضبي :**

أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [نقض] .

* **الشماخ :**

١ – أخل المعجم بذكر الشواهد التي أوردها صاحب اللسان وهي [جزأ] و [قدح] و [ضمزر] و [حمز] و [ضمرز] و [نقرز] و [وقع] و [خول] و [أطم] و [حجن] و [قتن] و [جرى] وأخل بذكر شطر ورد في [هيأ] .

٢ – لم أجد في [جحن] و [حرا] شواهد .

٣ – ذكر صاحب المعجم أن صاحب اللسان استشهد للشاعر في [عرض] بثلاثة ابيات والصحيح خمسة ابيات .

٤ – لم أجد في [عشز] بيتاً شعرياً وأنما وجدت قسيم بيت وكان الأولى أن يوضع في الملحق الابجدي الذي صنعه الباحث الكريم .

* **شمر بن الحارث الضبي :**

أخلّ المعجم بذكر الشواهد التي أوردها صاحب اللسان في [منن] و [أنس] و [عير] .

* **ابو شَمِر بن حُجر :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [ريم] .

* **الشمردل بن شريك اليربوعي :**

أخل المعجم بذكر بيت أورده صاحب اللسان في [نضا] .

* **الشنفرى :**

أخل المعجم بذكر ستة ابيات أوردها صاحب اللسان في [سجس] و [سحف] و [عرف] و [بسل] و [خلل] و [أمم] .

* **شهاب بن ابي ذؤيب الهذلي :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهدين في [حضر] و [جذل] .

* **ابن شهاب الهذلي :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر وأورد له صاحب اللسان بيتاً في [صنع].

* **الشويعر الحنفي (هانئ بن توبة الشيباني)**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهدين في [حمد] و [شعر] .

* **ابن الصامت الجشمي :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان بيتين في [قرطب] .

* **ابن الصبغاء :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شطراً في[نصف].

* **صخر بن حبناء :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان بيتاً في [دنأ]

* **صخر بن عمرو بن الشريد السلمي :**

أخل المعجم بذكر شاهدٍ أورده صاحب اللسان في [كنف] .

* **صخر بن عمير :**

أخل المعجم بذكر شطرين أوردهما صاحب اللسان في [مرطل] .

* **ابو صخر الهذلي :**

١ – أخل المعجم بذكر اربعة شواهد وردت في [شهر] و [رجز] و [جيش] و [ضحا] .

٢ – لم يشر صاحب المعجم الى عدد الابيات التي وردت في [بوب] وهي اربعة وفي [رمث] وهي ثمانية .

٣ – هناك وهم طباعي وقع في [حطط] والصحيح [خطط] .

* صخر الغي :

١ – أخل المعجم بذكر الشواهد التي وردت في المواضع الآتية [خوت] و [ميح] و [ردع] و [عصل] و [علل] و [جزم] و [جمم] و[رزم] و [سوم] و [كرم] و [لهم] .

٢ – أخل المعجم بذكر الاشطار التي وردت في [ربع] و [صنع] و [شفف] .

٣ – أورد صاحب المعجم [رحب] باعتبارها مادة استشهد فيها صاحب اللسان ببيت والصحيح [رجب] وهي من أوهام الطباعة .

٤ – في [ضرع] و [خيل] و [دهم] اشطار وليست ابياتاً كما ذكر صاحب المعجم .

* ابو صُدفة الدبيري :

أخل المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [وضأ] .

* ابو صعترة البولاني :

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر وأورد له صاحب اللسان ثلاثة شواهد في[جنب] و [صفق] و [حسن] .

* الصقر بن حكيم بن مُعيّة الرّبعي :

أخل المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان خمسة اشطر في [قربق].

* ابو الصلت الثقفي :

أورد له صاحب المعجم شاهداً واحداً في [غبط] والصحيح أن صاحب اللسان أورد له شاهدين في [نعم] و [مها] وشطراً في [ريم] أخل بها المعجم

• **الصمة بن عبد الله القشيري :**

أخلّ المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [عصب] .

• **ضابىء بن الحارث البرُجمي :**

أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [سنن] .

• **ضب :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [دأل] ولعله ضبّ بن نُعْرة .

• **ضباب بن واقد الطهوي :**

يبدو أنّ خلطاً وقع بين هذا الشاعر وبين ضباب بن قدان السدوسي ويتضح هذا الخلط في تكرير مادة [فَتَي] عند الشـاعر بن والصحيح أنه ضباب بن واقد الطهوي كما ذكر صاحب المعجم .

• **ابن الضبعاء :**

أخل المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شطراً في [رصف] .

• **ابو ضَبَيّة الهذلي :**

ذكر له صاحب المعجم شاهدين في [كبد] و [عنس] وعند مراجعتي وجدت في [عنس] أبو ضبّ الهذلي وليس [أبو ضبة] وكان المفروض أن يفردا ويشار الى ذلك في ملاحظة لعلهما شاعران وليس شاعراً .

• **الضبي :**

أخل المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهدين في [مصع] و[ودع]

• **ضمرة بن ضمرة النهشلي :**

١ ــ أخلّ المعجم بذكر ثلاثة شواهد أوردها صاحب اللسان في [لبس] و [جوف] و [يدى] .

٢ ــ لم أجد في [خوف] شاهداً كما ذكر الباحث ويبدو أن وهماً طباعياً وقع بين [حوف] و [خوف] .

• الطائي :

هكذا ورد الاسم مجرداً وقد أخلّ به المعجم وأورد له صاحب اللسان ثلاثة ابيات بيتان منها في [ورق] وبيت في [نعم] وشطراً في [رمخ] .

• ابو طالب عبد المطلب :

أخلّ المعجم بذكر ثمانية شواهد أوردها صاحب اللســـان في [سفر] و[شهر] و [كفر] و [رسس] و [غمض] و[برك]و [بزا] وأخلّ بخمسة اشطر أوردها صاحب اللسان في [لبب] و [حصص] و[نصب] و [رمل] و [عصم] .

• ابن الطثرية :

أخلّ المعجم بذكر شاهدين أوردهما صاحب اللسان في [جزز] و [ثمن] .

• طرفة بن العبد :

١ ــ أخل المعجم بذكر احد عشر شـــاهداً أوردها صاحب اللســـان في [خلج] و [ندد] و [غرر] و [دعع] و [سمع] و [حذق] و [رعل] و [ملهم] و [وثم] و [وهن] و [ددا] .

٢ ــ أخل المعجم بذكر خمسة عشر شطراً أوردها صاحب اللسان في[شتت] و[شتث] و [جعد] و [نجد] و [قبر] و [رجز] و [أصل] و [جرن] و [جوا] .

٣ ــ وهم صاحب المعجم في ذكر مواضع أوردت اشطاراً ووضعها موضع ابيات وهي [أصل] و [عدل] و [عيم] و [قشعم] و [سكن] و [غنا]

٤ ــ وقع وهم في الطباعـــة فقد ورد في المعجم [خضرب] والصحيح [حضرب] وذكر [نبق] والصحيح [بنق] . وجاء [حرن] والصحيح [جرن] .

* **جدُّ طرفة :**

أخل المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [سوق] .

* **الطرماح بن حكيم :**

١ – أخل المعجم بذكر اربعة عشر شاهداً أوردها صاحب اللسان في [دأب] و [سمحج] و [جسد] و [نير] و [يعر] و [قرزم] و [قرشم] و [قوم] و [دخن] و [شطن] و [سنه] و [بثا] و [نأى] و [ورى]

٢ – أخل المعجم بذكر شطرين وردا في اللسان في [عقب] و [وشح] وقسيم بيت ورد في [شرع] .

٣ – وهم صاحب المعجم في سبعة مواضع أوردها باعتبارها مواضع استشهد بها صاحب اللسان للشاعر وعند عودتي اليها لم أجد فيها شواهد وهي [خسب] و [سمج] و [جسر] و [نبر] و [سمط] و [صطر] و [ثنه] .

٤ – وهم صاحب المعجم في ستة مواضع ذكرها في مواضع أبيات وهي اشطار وهي [أمم] و [رثم] و [بين] و [أضا] و [قرا] و [مكا] .

* **الطرماح بن عدي :**

أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [شكا] .

* **طريح الثقفي :**

١ – أخل المعجم بذكرشاهدين أوردهما صاحب اللسان في[صلطح]و[نوم]

٢ – لم أجد في [رفد] التي اشار اليها صاحب المعجم شاهداً وانما وجدت في [رمد] ويبدو أن وهماً طباعياً قد وقع .

٣ – لم يشر صاحب المعجم الى عدد الابيات التي أوردها صاحب اللسان في [ولج] وهي ثلاثة وفي [يقظ] وهما اثنان .

* **طريف بن مالك العنبري :**

١ – نسب صاحب المعجم بيتاً في اللسان منسوباً الى العنبري في [ركب]

لطريف بن مالك والبيت المنسوب هو من حماسية معروفة أوردها أبوتمام في حماسته ونسبت لبعض شعراء بَلْعَنْبَر وهو قريط بن أنيف وكذلك صنع في رجز نسب في [كشش] . .

ومن الجدير بالذكر أن الباحث اشار الى أن بيتين مما ثبته غير مؤكدين للشاعر ولكنه لم يحدد لنا هذين البيتين ولا اسباب التداخل في النسبة والاول منهما واضح النسبة الى الحماسي .

* **ابن طُفيل :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان بيتاً في [فلج].

* **الطفيل بن عمرو :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شطراً في [قدم] .

* **طفيل الغنوي :**

أخلّ المعجم بذكر ثمانية مواضع استشهد بها صاحب اللسان للشاعر وهي [حرب] و [درص] و [مسـرط] و [ذوق] و [عرق] و [أبل] و [أثل] و [حلل] .

وأخل بذكر شطر ورد في [قوت] .

* **طلق بن عدي :**

أخلّ المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [حبل] .

* **الطماحي :**

أخل المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهدين في [دلنظ] و [قنا] .

* **ابو الطمحان القيني :**

أخلّ المعجم بذكر شاهدين أوردهما صاحب اللسان في [سكن] و [برا] .

* **الطهوي :**

أخلّ المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهدين في [سوأ] و [صلا] .

• ابن الطيفان الدارمي :

وقع خلط عند صاحب المعجم بين أبن الطيفان الدارمي وأبن الطيفانية . فقد أورد صاحب اللسان شاهداً لأبن الطيفان الدارمي في [دمل] وقـال والطيفان أمـه . . وأورد شاهداً لابن الطيفانية في [غطرف] . ونسب صاحب المعجم الشاهدين الى أبن الطيفانية وكان عليه ان يشير الى كليهما كما وردا في اللسان لأن صاحب اللسان لم يشر الى واحد وأن الشاهدين يختلفان فهما لم يذكرا من قصيدة واحدة .

• ابن عابس الجرمي :

في [عبر] ثلاثة ابيات تنازعها الحارث بن وعلة الجرمي . وابن عابس الجرمي . ولم نجد لهذا الشاعر ذكراً في المعجم .

• أم رَوْس بن عادية

أورد لها صاحب اللسان ثلاثة اشطار في [روس] واخلّ بذكرها المعجم

• عارق الطائي :

أورد له صاحب اللسان شاهداً في [تلع] وشاهداً في [عرق] وثالثاً في [صنا] واخلّ به المعجم .

• ابن العارم الكلابي :

جمع صاحب المعجم تحت هذا الاسم اربعة اسماء مختلفة هي (العارم) و (ابن العارم الكلابي) و (ابو عارم الكلابي) و (ابن العارم) . ثم افرد شاهداً آخر ورد في [شعر] ونسب الى (ابو عازب الكلابي) وقال الباحث بعد أن ذكر [ابن العارم الكلابي] وقد سماه ابن منظور تارة العارم وتارة ابو العارم والاسم واحد . ولي حول هذا الاسم الملاحظات الاتية .

١ — ان طبيعة البحث تقتضي افراد كل شاهد لما نسب له في اللسان حتى يتميز عدد الابيات التي نسبت وهي كما وردت في اللسان كالآتي .

١ ــ نسب بيت في [بلقع] الى العارم

٢ ــ ونسب بيت في [يفع] الى ابن العارم الكلابي .

٣ ــ ونسبت اربعة ابيات في [شبع] و [يتم] و [فجج] و [عدا] الى (ابي عارم الكلابي)

٤ ــ ونسب بيت في [حبك] الى ابن العارم

وكان الأولى بالباحث أن يحقق هذه النسبة ووفق ورودها في لسان العرب ليقف الباحثون على أساسها .

٥ ــ لم يقدم الباحث لنا دليلاً على أن هذه الاسماء واحدة والذي عرفناه في بعض بيوتات العرب أن الابن والأب والجد شعراء ، والاسماء المذكورة تشكل هذه السلسلة .

٦ ــ كان بودي اذا كان الباحث دقيقاً في تحقيق النسبة ان يدرس الابيات الواردة في مواضع النسب ويقدم كشفاً بصلة الابيات وقوافيها ووحدتها والانتهاء الى حكم بشأنها يثبته في هامش الصفحة ليطلع عليه الباحثون ويعرفوا جهده في تحقيق هذا العمل العلمي .

٧ ــ أفرد صاحب المعجم بيتاً لابي عازب الكلابي أورده صاحب اللسان في [شعر] ، والذي يتابع صلة هذا البيت بالابيات التي أوردها صاحب اللسان لبعض الاسماء المذكورة في الفقرات المتقدمة يجد هذا البيت واحداً منها .

٨ ــ لم نجد الباحث الكريم يشير وهو يذكر هذا البيت المفرد الى أية صلة ببقية الابيات وهو نفس البيت الذي ورد في [شبع] ونسب لابن العارم الكلابي .

٩ ــ نسب الباحث بيتاً في [مور] الى ابن العارم الكلابي وعند مراجعتي للبيت وجدته منسوباً لابي عامر الكلاب

• **عامر بن جُوين الطائي :**

أخلّ المعجم بذكر هـذا الشاعر وأورد له صاحب اللسان اربعة شواهد

ففي [كرفأ] ذكر له بيتين ، وفي [صبر] ذكر له بيتين ، وذكر بيتاً في كل من [أول] و [بقل] .

* **عامر بن الخصفي**

أخلّ المعجم بذكر شاهد لهذا الشاعر أورده صاحب اللسان في [ولى]

* **عامر بن شقيق الضبّي :**

قال صاحب المعجم إن له بيتين في [حرق] و [حبا] وعند مراجعتي لهذين الشاهدين وجدت الاول صحيحاً ، ولكن الثاني لم أجده بهذه النسبة وانما أورد شاهداً نسب الى عمرو بن شقيق . وقد وجدت شاهداً لهـــذا الشاعر في [أرم] أخلّ بذكره المعجم .

* **عامر بن العجلان الهذلي :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [ركض] .

* **عامر بن عقيل السعدي :**

أخلّ المعجم بذكر شاهد أورده له صاحب اللسان في [وجن] .

* **عامر بن فُهيرة**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شطرين في [حتف] و[روق] .

* **عامر بن كثير المحاربي**

أخلّ المعجم بذكر شاهد أورده له صاحب اللسان في [تور] .

* **ابو عامر الكلابي**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شطراً في [سحج]

* **العامري :**

يستشهد صاحب اللسان بشاهد في [غوث] وينسبه الى العامري ويصححه

ابن بري فينسبه لعائشة بنت سعد بن ابي وقاص . ولم أجد صاحب المعجم يشير الى هذا الشاعر .

* **العامريّة :**

أخلّ المعجم بذكر ثلاثة مواضع أورده صاحباللسان فيها شواهد لها وهي [دود] فيها ثلاثة اشطار وكذلك في [سوس] وشطرين في [سته] .

* **عاهان بن كعب :**

أخل المعجم بذكر شاهد أورده صاحب االسان في [نهل] .

* **العباس بن عبد المطلب والعباس بن مرداس :**

١ — يبدو أن وهما وخلطاً وقع فيه الباحثحيث اختلطت شواهد العباس بن عبد المطلب بشواهد العباس بن مرداس ، ومن المرجح أن ورود الأسم مجرداً هو الذي أدّى الى هذه الخلط وقد تمثل في الاحوال الآتية .

١ — هناك خمسة شواهد استشهد بها صاحب اللسان منسوبة الى العباس نسبها صاحب المعجم الى العباس بن مرداس وهي واردة في [ضوأ] و [ودع] و [خصف] و [أفق] و[مسك] . والابياتمن قصيدة يمدح بها العباس الرسول الكريم صلوات الله تعالى عليه وهي في شعره .

٢ — هناك خمسة مواضع أورد فيها صاحب اللسان خمسة شواهد منسوبة للعباس بن عبد المطلب أخلّ بها المعجم وهي [بيت] و [نسر] و [هبط] و [نطق] و [علا] .

٣ — أخل المعجم باربعة مواضع استشهد بها صاحب اللسان للعباس بن مرداس في [تأب] و [عبد] و [ضبع] و [قوم] .

٤ — وقع خطأً طباعي في شاهد أورده صاحب المعجم فقد ذكر شاهداً في [تبأ] والصحيح [نبأ] .

* **عبد بن حبيب الهذلي :**

أخلّ المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهدين في [حلب] و [نبح]

* **عبد الله ذو البجادين :**

أخلّ المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [سوم] .

* **عبد الله بن ثعلبة الحنفي :**

نسب شاهدٌ أورده صاحب اللسان في [سلس] لعبد الله بن مسلم من بني ثعلبة ونسبه صاحب المعجم الى عبد الله بن ثعلبة الحنفي سهواً وهما شاعران مختلفان .

* **عبد الله بن الحجاج :**

أخلّ المعجم بذكر شاهدين أوردهما صاحب اللسان في [جبب] و [صبا]

* **عبد الله بن الحجاج**

ترد في المعجم احياناً اسماء لشعراء خالية من النسب وعند مراجعتي لابيات الشواهد التي يذكرها صاحب المعجم أجد الاسماء مختلفة من حيث النسب فعبد الله بن الحجاج يرد مرة عبد الله بن الحجاج التغلبي ومرة عبد الله بن حجاج الزبيدي التغلبي وآخرى عبد الله بن الحجاج ورابعة عبد الله بن الحجاج الثعلبي . واذا اعتبرنا تكرار هذه الاسماء وهي صيغة واحدة لاسم شاعر واحد كان علينا ان نحقق هذه النسبة ، ونزيل الوهم أو التصحيف أو التحريف الذي قد يعتري بعض هذه الاسماء وينتهي الى رأي يضع الباحث امام الحقيقة في صحة نسبة الابيات ، وربما تكون دراسة الابيات وتوحيدها والوقوف على قوافيها تعطي الاشارة الأولى لمثل هذا الخلط إن كان هناك خلطاً ، أو التثبّت من كتاب طبقات الشعراء أو الشعر والشعراء أو معجم الشعراء أو المؤتلف والمختلف أو غيرها من كتب المجاميع الشعرية والحماسات للوصول الى الصيغة الصحيحة في ضبط هذه الاسماء ، أما ان تجمع الشواهد جمعاً غير موثق ، وتوحد نسبتها

الى الاسم الاول والثاني ولايشار الى ذلك في هامش أو تعليق فأنني أعتبر المسألة غير علمية وتترتب عليها مجموعه من الاخطاء والاهام ، وقد حاولت الوقوف عندها وأنا اتحدث عن هذا الشاعر لغرض الاستشهاد لانني صادفتها في أعداد اخرى من الشعراء ولعل نموذج الخلط بين العباس عليه السلام والعباس بن مرداس وما وقع في نسبة اشعارهما يعد دليلاً آخر من ادلة هذا الوهم الذي اعترى بعض الشعراء .

• عبد الله بن الزبعرى :

أخلّ المعجم بذكر ثلاثة شواهد أوردها صاحب اللســان في [دور] و [هشم] و [عوذ]

• عبد الله بن الزبير الاسدي :

أخل المعجم بذكر اربعة شواهد أوردها صاحب اللسان في [بوأ] و [كرّ] و [سبغ] و [طرق] .

• عبد الله السهمي :

أفرد صاحب المعجم لكل من عبدالله السهمي وعبدالله بن الزبعرى ذكراً في الفهرسة والصواب هو انهما واحد فالمعروف ان ابن الزبعرى هو عبدالله السهمي واستشهد له صاحب اللسان بشاهد واحد اضفته الى شواهده .

• عبد الله بن سلمة وعبد الله بن سليمة :

وقال صاحب المعجم وورد اسمه عبد الله بن سُليم .

أفرد صاحب المعجم لعبدالله بن سلمة حقلاً وذكر له شاهداً أورده صاحب اللسان في [مسح] وافرد لعبد الله بن سليمة حقلاً آخر وذكر له شاهدين أوردها صاحب اللســـان في [زور] و [حبل] وعند متابعتي لهذين الاسمين وجدتهما شاعراً واحداً وقد اكد هذه الحقيقة ان الشواهد الثــلاثة

المذكورة في اللسان تنتمي الى قصيدة واحدة وهي تعالج غرضاً واحداً وعليه فالصحيح انهما شاعرٌ واحد وكان على الباحث ان ينتهي الى هذه النتيجة لاسيما انه لاحظ التشابه الوارد بين عبد الله بن سليمة وعبد الله بن سليم وكان عليه أن ينتبه الى عبد الله بن سلمة الذي حُرف اسم ابيه كما حرّف اسم الأب عند الشاعرين اللذين جمع بينهما وفي [سلس] يحرف الاسم الى عبد الله بن مسلم وهو الشاعر نفسه .

* **عبدالله بن عجلان النهدي**

أخلّ المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [جدل] .

* **عبدالله بن عمر**

أخلّ المعجم بذكر شطرٍ أورده صاحب اللسان في [حور] .

* **ابن عمر :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [فلن] .

* **عبد الله بن نمير الثقفي :**

أخلّ المعجم بذكر شاهد ورد في [نعم] .

* **ابن عبد الجن :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان ثلاثة ابيات في [ابل] وفي هامش النسخة تصحيح للاسم نص على انه في شرح القاموس عمرو بن عبد الحق ، وقد اعتمد صاحب المعجم على اشارة الهامش وادخل الشاعر باسمه المصحح فيه دون الاشارة الى الاسم المثبت في نص اللسان [ينظر معجم الشعراء هـ ٣٠٢] .

* **عبد الحارث بن ضرار بن عمرو بن مالك الضبي :**

أخل المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان بيتين في [يدع]

* **عبد بن حبيب الهذلي :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [حلب] .

* **عبدالرحمن بن حسّان الأنصاري :**

أخلّ المعجم بذكر خمسة شواهد أوردها صاحب اللسان في [خصر] و [سنن] و [ظنن] و [نجا] ونسب اليه بيت في [ينع] .

ولم أجد له شاهداً في [دبب] كما ذكر صاحب المعجم .

* **عبد الرحمن بن الحكم بن ابي العاصي :**

١ ــ أخلّ المعجم بذكر اربعة شواهد أوردها صاحب اللسان في [ضرح] و [قصد] و [قطع] و [شول] .

٢ ــ لم أجد في [شوه] التي اشار اليها صاحب المعجم شاهداً للشاعر ويبدو أن خطأ طباعياً قد وقع والصحيح [شول] .

* **عبد الرحمن بن عبد الله بن الجراح :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [حوذ] .

* **عبد الرحمن بن عوف :**

أخلّ المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [ذيف] .

* **عبد القيس بن خفاف البرجمي :**

أخلّ المعجم بذكر بيتين أوردهما صاحب اللسان في [بشر] .

* **عبد المسيح بن عمرو بن نفيلة :**

أخلّ المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [عَلَل] .

• **عبد المطلب بن هاشم :**

أخلّ المعجم بذكر ثلاثة شواهد أوردها صاحب اللسان في [غذر] و [عطش] و [حلل] .

• **عبد مناف بن ربيع الهذلي :**

١ ــ أخلّ المعجم بذكر عشرة شواهد أوردها صاجب اللسان في [هقع] و [شغغ] و [سلك] و [جمل] و [عجل] و [عول] و [غمم] و [جدا] و [عوي] و [آ]

٢ ــ لم أجد في [غوى] التي أشار اليها صاحب المعجم شاهداً ويبدو أن خطأً طباعياً قد وقع والصحيح [عوي] . وكذلك لم أجد الشاهد الذي أشار اليه في [غور] وانما وجدته في [غير] .

• **عبد يغوث بن وقّاص الحارثي :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان ثمانية شواهد في [هذذ] و [قدر] و [نظر] و [شمس] و [عرض] و [نسع] و [شمل] و [عدا] .

• **عبيد بن الأبرص :**

١ ــ أخل المعجم بثمانية عشر موضعاً أورد فيها صاحب اللسان شواهد لهذا الشاعر وهي [شيب] و [أوب] و [ذرب] و [لعب] و [قسب] و [قطب] و [لحب] و [ثلج] و [فلج] و [صوح] و [صيح] و [فلح] و [فرح] و [نجز] و [كدس] و [رعف] و [سفف] و [عيا]

٢ ــ هناك أوهام طباعية وردت في [علد] والصواب [غلد] و [محس] والصواب [مجس] .

٣ ــ أخلّ المعجم بأربعة اشطار أوردها صاحب اللســان في [بدا] و [رقب] و [هدب] و [رفق] .

٤ ـ اعتبر صاحب اللسان الشاهد الوارد في [رفق] بيتاً والصحيح شطراً .

* **عبيد بن ايوب العنبري :**

أخلّ المعجم بذكر بيت شعر أورده صاحب اللسان في [ربذ] .

* **عبيد الله بن عبد الله بن مسعود :**

أخلّ المعجم بذكر شطر أورده صاحب اللسان في [صدر] .

* **عبيد الله بن عتبة :**

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسان شاهداً في [جمل] .

* **العتّابي : كلثوم بن عمرو :**

١ ـ لم أجد منهجاً واضحاً في الكتاب من حيث اثبات تراجم الشعراء فهو يتجاوز شعراء كثيرين استشهد لهم صاحب اللسان بشواهد كثيرة ، في حين يقف عند العتابي الذي استشهد له صاحب اللسان ببيت وشطر . ليترجم له ، ويتحدث عنه ويذكر اكثر من عشرة مصادر لترجمته . وكان بودي ان يكون هناك منهج واضح في تثبيت التراجم ، لأن الشاعر المجهول ظل مجهولاً حتى في الترجمة ، والمشهور بقي مشهوراً وطالت ترجمته وكثرت مصادره .

٢ ـ أخل المعجم بشطر أورده صاحب اللسان في [أخذ] .

* **عثمان بن عفان (رضي)**

أخلّ المعجم بذكر الخليفة وقد استشهد له صاحب اللسان بشاهد في [سلف] .

* **عثمان بن مظعون :**

أخل المعجم بذكره واستشهد له صاحب اللسان بشاهد في [كتع]

* **العجاج :**

من التراجم التي عانيت من جراء متابعتها في المعجم واللسان هذا الراجز الذي اعتمده صاحب اللسان في مواضع كثيرة ، ولكن الاوهام التي وجدتها كانت متعـددة ومتعبـة وهي تأخـذ مساحاتها في اجزاء اللسان وتتداخل في كل صفحة ، ولا أغالي اذا قلت ان الجهود التي بذلتها فيه تعدل عمل جمع شعر العجاج برمته ، وكانت الاوهام تتوزع وفق الهيئات الآتية .

أخلّ صاحب المعجم بذكر الابيات في المواضع الآتية :

١- [جلب] و[جوب] و[حشب] و [أفت] و[رفث] وو[بطح] و [عرر] و [وعمر] و [جرز] و [عزز] و [عجنس] و [فجس] و [ليس] و [ربض] و [سمط] و [رصع] و [ذفف] و[زحلف] و[سدف] و[عصف] و[جأل] و[صمم] و[كمم] و[جمن] و [أبا] و [صرى] و [ضرا] و [طفا] و [عدا] و [هنا]

٢- وهم صاحب المعجم فذكر بيتاً (شطرين) بدلاً من ثلاثة اشطار في المواضع الآتية : [رهب] و [صلّب] و[هفت] و [لوث] و [خبند] و [حسر] و [خور] و [شكر] و [ظفر] و [قنسر] و [نتر] و [جرس] و [حمس] و [خمس] و [دزس] و [درفس] و[شرس] و [قدس] و [قنس] و [شعع] و [حقف] و[رصف] و [زحف] و [زلف] و [سرق] و [سوق] و [ضنك] و[دعفل] و[بقم] و[بلسم] و[حمم] و[ريم] و[سهم] و [عسم] و [قضم] و[قطن] و[دها] و[لتا] .

٣- وهم صاحب المعجم فذكر بيتين (اربعة اشطار) بدلاً من بيت واحد في المواضع الآتية :

[حذب] و [دهم] و [شبه] .

وهم صاحب المعجم فذكر بيتاً واحداً (شطرين) بدلاً من خمسة اشطار في المواضع الآتية :

[طرأ] و [فنخ] و [طرد] و [طرر] و [أنس] و [حكل] و [صلل] و [زمم] .

٥ـ وهم صاحب المعجم فذكر بيتاً واحداً بدلاً من بيتين في المواضع الآتية :

[فتح] و [أطر] و [دعثر] و [شقر] و [رهس] و [سوس] و [نوط] و [قبل] و [كسل] و [ملل] و [قسم] و [دهن] وفي [وجر] و [حسس] ثلاثة ابيات بدلاً من بيت واحد وفي [ربح] ثلاثة ابيات بدلاً من بيتين .

وفي [فرض] اربعة ابيات بدلاً من بيت واحد .

وفي [ضبر] و [وقس] خمسة اشطار بدلاً من بيتين .

وفي [شبر] سبعة ابيات بدلاً من بيت واحد .

وفي [وقر] سبعة اشطار بدلاً من بيت واحد .

وفي [ثبت] ثمانية ابيات بدلاً من بيت واحد .

وفي [وحي] خمسة اشطار بدلاً من بيتين .

وفي [لا] و [دعا] شطر وليس بيتاً .

٦ـ أخلّ المعجم بذكر الأشطار في المواضع الآتية : —

[حدأ] و [ختأ] و [جدب] و [حلب] و [شغزب] و [صبب] و [صهب] و [عبب] و [عقرب] و [غبب] و [قعب] و [قلب] و [قوب] و [كنب] و [نبب] و [نضب] و [نهب] و [أمت] و [قنت] و [وقت] و [أنث] و [أرج] و [برج] و [بعج] و [بلج] و [بهرج] و [حبج] و [حجج] و [حدج] و [حوج] و [رهج] و [زبرج] و [سحج] و [عهج] و [لحج] و [رعد]

و [سرر] و [صرر] و [صور] و [كسر] و [رجز] و [أبس]
و [دحس] و [عجنس] و [أمط] و [حوط] و [خطط]
و [سعط] و [قرطط] و [ترع] و [قذع] .
[ولف] و [شرق] و [ثجل] و [حذل] و [زعيل] و [أدم]
و [دهدم] و [رحم] و [عردم] و [عرزم] و [عقم] و [غلصم]
و [قزم] و [أخن] و [مشن] و [أني] و [روى] و [زكا]
و [زها] و [سها] و [شأى] و [شعا] و [شغا] و [شها] و [صأى].

٧- أخلّ بذكر ثلاثة اشطار في : [عفس] و [كردس] و [وطط]
و [وجف] و [سما] و [صلا] .

وبذكر شطرين في [قحم] وبذكر اربعـــة ابيات وشطر في : [سنا]

٨- ووهم صاحب المعجم فذكر شطراً واحداً بدلاً من شطرين في المواضع الآتية :
[شرخ] و [عرد] و [ثبجر] و [جبر] و [جدر] و [حور]
و [خدر] و [شجر] و [غمر] و [هير] و [وقر] و [دبل]
و [شكل] و [كسل] و [تمم] و [قوم] و [لحم] و [حبا] و [جحا]

٩- ووهم في عدد الاشطار في المواضع الآتية فذكر شطرين بدلاً من شطر واحد في [انح] وفي [برز] ذكر شطراً بدلاً من خمسة اشطار .

١٠- ووهم في المواضع الآتية حيث ذكر ان صاحب اللسان قد استشهد فيها للراجز ولكننا لم نعثر عليها وهي :

في الابيات [رعض] و [جعل] و [نيل] و [أدم] و [عردم]
و [عرزم] و [عوم] و [كبن] و [يمن] .

في الاشطار [زهج] و [زيج] و [بجح] و [رأد] و [بسس]
و [عجس و [قزع] و [لفف] و [خجل] و [حذل] و [رخم]
و [غلم] ر [لجم] و [محا] .

* ابن العجلان الهذلي :

أخلّ المعجم بذكره واورد له صاحب اللسان شاهداً في [ ]

* العجير السلولي

أخلّ المعجم بشاهدين وردا في اللسان في [ضأل] و [رهل]

* عدي بن خرشة الخطمي

أخلّ المعجم بذكر شاهد اورده صاحب اللسان في [قدر] .

* ابن الرقاع

١ ـ أخلّ المعجم بذكر خمسة شواهد أوردها صاحب اللسان في [كرع] و [وفع] و [لصف] و [بندل] و [عهن] .

٢ ـ وهم صاحب المعجم فذكر [قفع] ولم أجد فيها شاهداً وفي [عملس] وجدت أحد عشر بيتاً لم يشر الى عددها وفي [عقا] شطر وليس بيتاً كما ذكر صاحب المعجم .

* عدي بن زيد العبادي

يراجع ديوان عدي بن زيد العبادي بتحقيق محمد جبـار المعيبد وتعقيبي عليه في مجلة الأقلام واستدراكي لما فاته من مواضع في التخريج والأضافة .

* عدي بن علي الغاضري :

قال صاحب المعجم : بيتان : وعقب (فقدت بطاقته) وقـد اهتديت اليهما وهما اربعة اشطار من الرجز في [ثعجج] .

* عدي بن وداع

أخلّ المعجم بذكر هذا الشاعر الذي أورد له صاحب اللسـان شاهداً في [بقر] .

* عروة بن الورد العبسي :

أخلّ المعجم بذكر بيت ورد في [بزل] . ووهم صاحب المعجم فذكر

بيتاً في [حسب] وهو شطر ، وذكر بيتاً واحداً بدلاً من بيتين في [ليت] [تأم] وذكر بيتاً في [بصص] ونسبه للشاعر ولم اجد للشاعر شاهداً في هذا الموضع .

* **العريان :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [فغا]

* **عش بن لبيد العذري :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره واورد له صاحب اللسان شاهداً في [غبط]

* **أبو العطاء السندي :**

١ ـ أخلّ صاحب المعجم بذكر بيت أورده صاحب اللسان في [رها]

٢ ـ وهم صاحب المعجم فذكر بيتاً واحداً في [عهد] بدلاً من بيتين وفي [رخف] ذكر بيتاً بدلاً من شطر .

* **العُطم القيسي :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان بيتين في [حطم]

* **عطيّة الدبيري**

وهم صاحب المعجم فذكر له بيتاً من شطر في [لهن] .

* **عطية بن زيد (شاعر جاهلي)**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان بيتين في [بشر]

* **عطية بن عفيف :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان بيتاً في [جرم] .

* **عقبة الهجيمي**

وهم صاحب المعجم فذكر له بيتاً في [مسد] بدلاً من ثلاثة اشطار .

* **عقفان بن قيس بن عاصم :**

أخلّ بذكره صاحب المعجم وأورد له صاحب اللسان بيتين في [ظاف] وبيتاً في [شيم] .

* **عقيل بن عُلَّفة المري :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [سدد]

* **العكلي :**

١ ــ أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [حمم] .

٢ ــ المعروف ان اكثر من شاعر كان يلقب بهذا اللقب منهم السمهري العكلي . وسويد بن كراع وآخرين وكان الأولى بالباحث أن يقف عند هؤلاء الشعراء الذين يكتفى بذكر القابهم ، ومثل العكلي العقيلي والاسدي والكلابي

* **العلاء بن مِنهال الغَنَوي :**

وهمَ صاحب المعجم فذكر بيتاً بدلاً من بيتين في [درأ] و [قوا] .

* **علباء بن أرقم :**

١ ــ أخلّ صاحب المعجم بذكر ثلاثة اشطار في [سين]

٢ ــ وهم صاحب المعجم فذكر بيتاً بدلاً من ثلاثة اشطار في [نوت] و [تا] .

* **ابن عُلبّة**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان بيتاً في [زمن] وبيتاً في [ضمن] .

* **علقمة الفحل :**

١ ــ أخلّ صاحب المعجم بذكر الابيات في المواضع الآتية :

[فيأ] و [ترج] و [خشش] و [طفف] و [عفق] و [غلل]

و [فحل] و [غمم] و [حنا] و [دوا] .

٢ ـ أخلّ صاحب المعجم بذكر الاشطار في المواضع الآتية :

[ركب] و [عتب] و [نبل] و [دمن] و [سما] .

٣ ـ وهم صاحب المعجم فذكر شـواهد في [عفف] و [دهن] و [دين] و [سفن] و [ربا] و [غنا] .

وعند مراجعتي مواضعها في اللسان لم أن للشاعر شواهد فيها .

واشار الى ورود بيت واحد في [جنب] و[حلا] وهما في الاصل بيتان وبيت في [عطف] و [وحي] وهما شطران .

* **علقمة بن عوف :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان بيتين في[فرض] .

* **علي بن أبي طالب (رضي) .**

١ ـ أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان تسعة شواهد في المواضع الآتية [دلج] و [قصر] و [شرع] و [شرف] و [زعق] و [ودق] و [حزم] و [نقم] و [حوى] .

٢ ـ اورد له صاحب اللسان الاشطار في المواضع الآتية [حدر] و[سندر] و [سوط] و [سمع] و [بزل] و [زنم] .

واورد له بيتين في كل من الموضعين الآتيين [غيظ] و [دمي] .

* **علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر الابيات في مواضع الاستشهاد الآتية [دسع] و [لكع] و [سرف] .

* **علي بن عدي الغنوي (المعروف بابن العرير) .**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [علا]

* **عمّار بن ياسر :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [جحل]

* **عمارة بن أيمن الرّياني :**
وهم صاحب المعجم فذكر بيتاً بدلا من شطر في [حجا] .
* **عمارة بن طارق :**
أخلّ صاحب المعجم بذكر ثلاثة ابيات أوردها صاحب اللسان في [حقق] . و[صدق] و[حاق] . وثلاثة اشطار في [فرق] و[منجنون]و[مسد] .
ووهم فذكر بيتاً بدلاً من شطر في [ازا] .
* **عمارة بن عقيل :**
وهم صاحب المعجم فذكر بيتاً بدلا من شطر في [بلق] و [زنبق] و [زهق] و [سفسق] و [سملق] و [هدلق]
ووهم فذكر بيتاً بدلا من بيتين في [حيض] . وذكر ان صاحب اللسان قد استشهد فيها للشاعر ولم نجدها في [حقق] و [حاق] ويبدو أن صاحب المعجم قد خلط بين عمارة بن طارق وعمارة بن عقيل الذي أورد له صاحب اللسان شواهد في هذين الموضعين .
* **ابو عمارة الهذلي :**
أخلّ صاحب المعجم بذكر اربعة اشطار أوردها صاحب اللسان في[كفف]
* **عمر بن الخطاب (رضي) .**
أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهدين في[روح] و[قرع] وشطراً في [شظم] .
* **عمر بن ابي ربيعة :**
أخلّ صاحب المعجم بذكر بيتين وردا في [ملح] و [حشا] .
ووهم فذكر بيتاً بدلاً من بيتين في [يبب] و [حول] و [ملل] و [ندل] و[يسم]و ذكر بيتاً بدلاً من ثلاثة ابيات في[حشرج] و [ثفن] و [كنن] و بيتاً بدلاً من شطر في[بنم] وذكر ان صاحب اللسان قد استشهد للشاعر في[قطط] و[ضحا] ولم نجدهما .

* **عمر بن عبدالعزيز :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان اربعة ابيات في [جهز] و [يقظ] .

* **عُمر بن لجأ التيمي :**

سماه صاحب المعجم بالتميمي . تيم غير وتميم كما هو معروف وقد فصل ذلك صاحب جمهرة انساب العرب ﻫ ١٩٨ ومابعدها وكتب الانساب الأخرى وهناك اخبار طويلة بهذا الشأن .

أخلّ صاحب المعجم بذكرشاهد أورده صاحب اللسان في [حمم] ووهم فذكر بيتاً بدلاً من شطر في [عطّن] و [طيا] و [عصا] وذكر بيتاً بدلاً من بيتين في [جرر] .

* **عمران بن حطان :**

١ – أخلّ صاحب المعجم بذكر شاهد أورده صاحب اللسان في [حوذ]

٢ – وهم صاحب المعجم فذكر شطراً بدلاً من البيت في [رطل] ونسب شاهداً الى [غزل] ولم اجده . ونسب بيتاً لعمران الكلبي ورد في [صرف] الى عمران بن حطان . وأخل بذكر هذا الشاعر .

* **عمرة بن طارق :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [نهل]

ملاحظة . . هناك مجموعة من الشواهد وردت في مواضع مختلفة منها شطر في [حمس] وبيت في [ثقف] وشاهد في [ورق] وشاهد آخر في [ألا] ونسبت الى [عمرو] ولم نجد للباحث اشارة الى أي الشعراء ممن سموا بعمرو تنسب هذه الابيات وكذلك وردت شواهد نسبت الى [اخت عمرو] و [ابو عمرو] ولم نجد ايضاحاً لنسبتها . وكنت آمل أن يقف عليها الباحث ليحدد هوية الاسماء على الاقل لينتفع منها الباحثون الذين يجدون في اللسان ملاذاً لتفسير كلمة أو الاستشهاد بموضع .

* **عمرو بن بدر الهذلي :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [عدا] .

* **عمرو بن براء :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وآورد له صاحب اللسان شاهداً في [منع] وآخر في [قذف] .

* **عمرو بن جميل :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر شاهد ورد في [بذا] وشطر في [جسم] .

* **عمرو بن جوين الطائي :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان ثلاثة شواهد في [خبس] و [أبض] و [ندل] .

* **عمرو بن الحارث بن مضاض بن عمرو :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيتين في [حجن] أوردهما صاحب اللسان لهذا الشاعر

* **عمرو بن حسّان بن مُرّة :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر اربعة ابيات وردت في [مخض] وبيت في كل من [حمل] و [ظلل] و [عيا] وشطر في [هصر]

ووهم فذكر بيتاً بدلاً من ستة ابيات في [كثر] وبيتاً بدلاً بمن بيتين في [طوق] وبيتاً بدلاً من شطر في [دكك] :

* **عمرو بن الداخل :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهدين . في [عقر] و [غرر] .

* **عمرو ذو الكلب :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر شطر في كل من [شـــدد] و [جول]

و[هزم] وخمسة اشطار في [حشك] وبيت في [عمم] .

ووهم صاحب المعجم فذكر بيتاً بدلاً من ثلاثة اشطار في [مرخ] وبيتاً بدلاً من خمسة اشطار في [رخم] وبيتاً بدلاً من شطر في [شرم] ونسب شاهدين وردا في [معا] و [شرى] للشاعر وهما لأخته .

* **عمرو بن شأس الاسدي :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيتين في [بزل] و [عمم] . ووهم فذكر بيتاً بدلاً من بيتين في [ألك] و [زعم] و [شكم] .

* **عمرو بن الشريد :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [أمس]

* **عمرو بن العاص :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهدين في [قدح] وفي [مرر] اربعة اشطار من الرجز .

* **عمرو بن العجلان الهذلي :**

نسب صاحب المعجم شـــاهدين وردا في [ركض] و [جره] الى عمرو بن العجلان وفي اللسان [عامر بن العجلان] .

* **عمرو بن العداء الكلبي :**

وهم صاحب المعجم فذكر بيتاً بدلاً من بيتين في [وبد] و [عقل]

* **عمرو بن قميئة :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيت ورد في [مزن] .

* **عمرو بن كلثوم :**

١ ـ أخلّ صاحب المعجم بذكر بيتين وردا في [خزز] و [هقق]

٢ – وهم صاحب المعجم فذكر بيتاً بدلاً من بيتين في [عرض] و [عشزن] وذكر مواضع لشواهد لم نجد فيها ابياتاً للشاعر وهي [خدع] و [وسم] و [كرا] و [ألى] وبيتاً بدل شطر في [لها] .

• **عمرو بن مخلاة الحمار :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [دوم]

• **عمرو بن معد يكرب :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر ثلاثة ابيات وردت في [قطط] و [علم] و [ألى] .

ووهم فذكر بيتاً بدلاً من شطر في [ملع] . ونسب بيتاً لعمرو وهو لأخته كيشة في [عقل] وبيتاً نسب في اللسان [كتع] الى معد يكرب نسبه الى عمرو .

• **عمرو بن ملقط الطائي :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيتين وردا في [ثعلب] وبيت في [هوا] ذكرهما صاحب اللسان . وذكر مواضع لشواهد لم نجد فيها ابياتاً للشاعر وهي [صبر] و [شقق] .

• **أم عمرو بنت وقدان :**

أخلّ صاحب المعجم بذكرها وأوردلها صاحب اللسان شاهداً في [وحش]

• **عُمير بن الجعد الخزاعي :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [كبن]

• **عُمير بن الحُباب :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيت أورده صاحب اللسان في [ريش]

• **عُمير بن سلمى الحنفي**

وهم صاحب المعجم فقال وهو يشير الى عدد الشـواهد [بيتان] في

[لوم] وعند مراجعة المادة في اللسان وجدت أن احدهما منسوب لأم عُمير والثاني له .

* العنبري :

استشهد صاحب اللسان لهذا الشاعر بأربعة مواضع والمعروف ان بعض ما استشهد به من ابيات تعد من الحماسيات المشهورة وصاحبها من بلعنبر وهو قريط ابن أنيف وكان بودي أن يفرد الباحث لهذا الشاعر الذي عرف بلقبه العنبري باباً ، لانني وجدت المعجم قد أخل بذكره . والمواضع التي ذكره فيها صاحب اللسان هي [ركب] و [كشش] و [لقط] وشطر في [طير].

* عنترة بن شداد :

١ ــ أخلّ صاحب المعجم بذكر ستة عشر شاهداً وردت ابياتها في [أشر] و [حرر] و [زور] و [وقص] و [شيع] و [وشع] و [خيف] و [غدف] و [حزق] و [بجل] و [فلل] و [نبل] و [غمم] و [قدم] و [نعم] و [خصا] . وبيتين في [عقق] وثلاثة اشطار في كل من [حمم] و [علم] و [وعم] .

٢ ــ ووهم فذكر بيتاً بدلاً من شطر في [عبل] و [صرم] و [مكا] و [آ] .

٣ ــ ذكر مواضع لشواهد لم نجد فيها عند مراجعتنا ابياتاً وهي [حرج] و [عنتر] و [شسع] و [خبف] و [خرق] و [ثلم] و [قسم]

* ابن عنقاء الفزاري :

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيت ورد في [كحل] . ووهم في [سوم] فذكر بيتاً وهو بيتان .

* عوف بن الاحوص الانصاري :

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيتين وردا في [ظلف] وبيت في كل من

[عرق] و [بسل] و [ضنا] ، وذكر مواضع لشواهد لم نجد فيها ابياتاً وهي [شنأ] و [نسل] .

* **عبد الله بن عنمة الضبي :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيت ورد في [ألأ] .

* **عوف بن عبدالله**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [طرف]

* **عوف بن عطية بن الخرع :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيتين أوردهما صاحب اللسان في [سخم] و [أسم] .ووهم فذكر مواضع لشواهد لم نجد فيها ابياتاً في [حلق] و [سهم] .

* **عوف بن مالك النضري**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهدين في [سطح] و [ضطر] .

* **عويف القوافي**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيتين أوردهما صاحب اللسان في [ذيم]

* **عياض بن خويلد الهذلي :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهدين في [فلم] و [غلم] .

* **ابو العيال الهُذلي**

أخلّ صاحب المعجم بذكر اربعة شـــواهد أوردها صاحب اللسان في [مرج] و [رجم] و [كهكه] و [جدا] ، وبذكر شطر في [طيف] ووهم فذكر مواضع لشواهد لم نجد فيها ابياتاً وهي [نرج] و [خدا].

• **ابو عُيينة**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيت ورد في [ملح] ونسب للمترجم بيتاً وهو في اللسان منسوب لابن أبي عيينة .

• **عيُينة بن حصن :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان في [ألق]

• **عُيينة بن مرداس :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [ملط]

• **غادة الدبيريّة :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر ثلاثة اشطار وردت في [نعض] وشطر في [عذن] ولم نجد في [نقص] شاهداً كما أشار الباحث .

• **غالب المعنّى :**

نسب صاحب المعجم شاهداً في [مشظ] الى ابي غالب المعنّى والصواب لغالب المعنّى .

• **غاوي بن ظالم السلمي**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [ثعلب]

• **غصُين :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [جفن]

• **غلفاء (معد يكرب بن الحارث بن عمرو بن حجر) .**

أخلّ صاحب المعجم بذكر خمسة ابيات وردت في [سرر] وثلاثة ابيات في كل من [طرب] و [حدس] وبيت في [كتع]

• **غُليتم من بني دبير :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [نقح]

• **غني بن مالك :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان شاهداً في [ميح]

• **ابو الغول الطهوي :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيتين وردا في كل من [خذا] و [ضحا]

• **غيلان بن حريث :**

١ ــ أخل صاحب المعجم بذكر شطرين وردا في [محك] و [دبق] وبيت في [منى] .

٢ ــ خلط صاحب المعجم بين هذا الشاعر وشاعر آخر ورد اسمه مجرداً من اسم الأب واكتفت الشواهد بذكر [غيلان] ، وقد نسب صاحب المعجم اربعة شواهد وردت في [لقح] و [طهر] و [ضفف] و [عفهم] الى غيلان بن حُريث . وان اسمين وردت بعده وهي غيلان بن ربعي وغيلان بن سلمة الثقفي وربما كانت الشواهد لواحد من هذين الشاعرين .

• **غيلان بن ربعي :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر بيت أورده صاحب اللسان في كل من [ربأ] و [رفأ] وبذكر شطر في كل من [ظمأ] و [غما] و [قفا] ولم نجد شواهد في [لبأ] و [لفأ] و [مني] كما أشار الباحث .

• **فاطمة بنت الرسول (عليها السلام)**

أخل صاحب المعجم بذكرها وأورد لها صاحب اللسان شطراً في [رضع]

• **الفرّاء :**

أخلّ صاحب المعجم بذكره وأورد له صاحب اللسان بيتاً في [رعى]

• **الفرزدق :**

أخلّ صاحب المعجم بذكر خمس وعشرين بيتاً وردت في [ببب] و [ندب] و [مثث] و [مضح] و [جحد] و [سحر] و [سور]

و [صبر] و [ضطر] و [خيس] و [قبض] و [قنبض] و [جلف] و [سجف] و [شنف] و [بنق] و [جلبق] و [بذك] و [قوم] و [ونم] و [صفن] و [يزن] و [عرا] و [عوى] و [غذا]

وأخلّ بذكر خمسة اشطار في [شفف] و [عنصل] و [كلل] و [فوه] و [سوا] وأخلّ بذكر بيتين وردا في [قدر] اما عدد الابيات فالوهم فيها كبير فقد ذكر بيتاً بدلاً من بيتين في [زيت] و [حذذ] و [كفر] و [عشش] و [زحف] و [سكف] و [حقق] و [صاق] و [أول] و [غول] و [تمم] و [حمم] وذكر بيتاً بدلاً من ثلاثة ابيات في [عدد] و [خلص] و [عنصل] وبيتاً بدل شطر في [لطف] و [قمم] و [يدي] وبيتين بدلاً من ثلاثة ابيات في [عمي] و [لها] وبيتين بدلاً من اربعة في [وسط] ، وبيتاً واحداً بدلاً من اربعة في [أبي] وبيتاً بدلاً من ثلاثة اشطار في [قتل] وثلاثة بدلاً من بيتين في [فقأ] .

وذكر مواضع لشواهد لم نجد فيها شواهد وهي [بيب] و [ربب] و [فصح] و [جخد] و [ردد] و [كرد] و [سحف] و [نبق] و [جلق] و [نباك] و [سفن] و [بزن] و [زوا] و [غضا] .

* * *

التنبيه

على ما في مطبوعة « شواهد التوضيح والتصحيح » من وهم وتحريف

الدكتور طه محسن
كلية الآداب – جامعة الموصل

يعدّ كتاب (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح) من أهم مصنفات ابن مالك الأندلسي (ت ٦٧٢ هـ) التي تكشف عن اسلوبه في النقاش ومعالجة المشكلات ، وتبين سعة أفقه وإحاطته بشواهد النحو واللغة . فقد اصطفى فيه مئة وثمانين نصاً مشكلاً من (صحيح البخاري) وراح يوجه إعرابها وينظّر لها بنصوص مستفيضة من آيات الذكر الحكيم وكلام العرب الفصحاء ، حتى بلغ ما استشهد به أكثر من خمس مئة وثلاثين شاهداً .

طبع الكتاب لأول مرة في بلدة إلّه آباد الهندية عام ١٣١٩ هـ عن (نسخة عتيقة وسقيمة جداً) مكتوبة سنة ٧٠١ هـ مقابلة على نسخة اخرى كتبت سنة ١١٠١ هـ و (كانت أيضاً غير سالمة من الغلط ، بل كانت ناقصة بنحو كراسة) . ثم أخرج المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي الكتاب ثانية عن هذه الطبعة المشوهة سنة ١٩٥٧ [١] وخرّج نصوص القرآن الكريم والحديث وجملة من شواهد الشعر وضبطها .

وحينما كنت أُعدّ بحثاً عن (الاستشهاد النحوي في شواهد التوضيح والتصحيح) أحسست وأنا أقرأ الكتاب بأنّ ثمة نصوصاً ناقصة وألفاظاً محرفة وتصحيفات شوهت

(١) ينظر ص ٢١٨ من شواهد التوضيح .

آراء المؤلف وأسلوبه ، وأوقعته في مظنة ارتكاب الخطأ . فرحت أسجل إشارات لكل ما يشك في صحته وضبطه ، حتى تجمع من ذلك ما لا يحسن السكوت عليه .

وتهيأ لي بعد ذلك مقابلة المطبوع بواحد من أُصوله ، وهو مخطوطة مكتبة الأوقاف في بغداد المرقم ٦٥٨١ . وهي نسخة صحيحة واضحة كتبت سنة (٨٥٨ ﻫ) . وخلصتُ من ذلك إلى أنّ مجموعة من العبارات والألفاظ سجات على خلاف قواعد النحو واللغة والصرف ، وأنّ تصرفاً وقع في الكتاب لا يقصده ابن مالك .

ولذلك عزمت على تسجيل الأخطاء وتصويبها ، معتمداً في الغالب على المخطوط ، ومستفيداً من كتب اللغة والأدب والنحو وبعض مؤلفات ابن مالك وآرائه المثبوتة في كتب اللاحقين ، خدمة لهذا النص النفيس ، وتوضيحاً لمن يهمه تراث ابن مالك وآراؤه في العربية . فكم من حكم غير منصف أو رأي ضعيف نسب إلى عالم بسبب استناد الباحث إلى مطبوع لم تتوفر فيه شروط التحقيق العلمي .

وليس همي هنا بيان كل الفروق بين المطبوع والمخطوط ، ولا نقد طريقة المحقق في إخراج الكتاب ، وإنما سأكتفي بالتأكيد على متنه وتقويم ما فيه من عوج غير ملتفت إلى هوامشه إلا عند الضرورة التي يفرضها البحث .

وفيما يأتي البيان :

أولاً — لم يخلص المتن لكلام ابن مالك ، بل زيدت فيه تعليقات وتنبيهات مكانها الصحيح في حاشية الكتاب تحقيقاً للاسلوب العلمي في اخراج النصوص ، ودفعاً لظن القارئ أنها من كلام المؤلف .

فمن ذلك كلمة (كذا) في ص ٨٣ - ٢ وعبارة (في المتن يخص) في ص١٢٣-٤ وجملة (هذا النص بالهامش) في ص ١٣٩ - ٥ ولفظه (يستحب) بعد قول ابن مالك (ولا يستصحب) في ص ١٧٦-٢ ولفظ (كذا بالأصل) في ص ١٨٣-٨ .

ثانياً — لم يضع ابن مالك عناوين ولا تسلسلاً لأبحاث الكتاب ، كما دلت عليه

المخطوطة ، وإنما كان يتخير حديثاً أو أكثر من أحاديث البخاري يصدّره بقوله و (منها ...) ثم ينثني عليها توضيحاً لمشكلها وتوجيهاً لاعرابها بادئاً بلفظة (قلت ..) ولكن زيد في المطبوع عنوانات وتسلسل للبحوث ، مثل (البحث الأول) و (البحث الثاني) . . . وهكذا إلى الحادي والسبعين .

وهذه الاضافات كانت مرتبكة أحياناً وغير دقيقة ، مما يغري القارئ غير العارف بجلية الأمر باتهام المؤلف بعدم الضبط . ومن أمثلة ذلك :

في ص ١١٩ (البحث الثالث والأربعون وكذا الرابع والأربعون) .
قلت : في الجمع بين بحثين في محل واحد غرابة لا توجد في مصنفات أهل العلم ، ولا يرتضيها باحث .

في ص ١٨٦ (البحث الرابع والستون) وعنوانه المشتمل على ستة أسطر موضعهما في (ص ١٩٠) . وتكون (ص ١٨٦) موضعاً للبحث (الثالث والستين) الذي سقط مع عنوانه .

في ص ١٩٠ (البحث الخامس والستون) وعنوانه المكون من أربعة أسطر موضعهما في (ص ١٩٥) بعد السطر الثالث ، ويحل محله ـ أعني في ص ١٩٠ ـ (البحث الرابع والستون) كما تقدم .

وورد في العناوين أخطاء عدة ، لولا التزيدات لتنزه عنهـا الكتاب فمن ذلك :

ص ١٩ (مطلب في حمل « متى » على « إذا » وحمل « إذا » على « متى »)
والصواب : مطلب في حمل « إنْ » على « لو » وحمل « لو » على « إنْ » .

ص ٥٠ (في استعمال « إن » المخففة المتروكة العمل عاريا ما بعدها مـن اللام المفارقة) .
الصواب (. . . من اللام **الفارقة**)وفي السطر (١٣) من الصفحة نفسها تكرر هذا الخطأ ، وتصويبه عن المخطوط .

ص ١١٨ (في اتصال نون الوقاية بالاسم الفاعل) .
الصواب . . . **باسم** الفاعل .

ص ١٥١ (مطلب في وقوع – أن – بعد واو الحال)
الصواب كسر همزة « إنْ » . وهذا العنوان محله الصحيح بعد السطر الثالث لا في أول الصفحة .

ويدل على الابتعاد عن الدقة في تدوين العنوانات أنها لم تجر على سَنَن واحد من حيث الطول والمادة . فالعنوان تارة يأتي في ستة أسطر كما في ص ١٦٢ (البحث السادس والخمسون) و ص ١٨٦ (البحث الرابع والستون) . ويتناقص تارة اخرى حتى يصل إلى أربع كلمات ، كالبحث السابع ص ٣٧ (فيمن قال : أربع ، بالرفــع) ومثله البحث العاشر ص ٤٧ والبحث الثامن والستون ص ٨٧ .

وتختلف كذلك مادة العناوين على الرغم من أنّ موضوع الكتاب واحد . فتارة تكون نحوية صرفة ، كالبحث التاسع والستين ص ٢٠٩ (في وقوع « هل » موقع همزة الاستفهام . . .) . وتارة تكون حديثاً نبوياً كالبحث الثامن والستين ص ٢٠٨ (في تحقيق « لا إيمنها أن ستصدّ عن البيت ») . وتارة اخرى يجمع بين النحو والحديث ، كالبحث السادس والستين ص ١٩٨ (في جواز إفراد المضاف المثنى ، وفي توجيه قوله صلى الله عليه وسلم « يكفيك الوجه والكفين » وفي توجيه قول أُم عطية « بأبي » . .) .

وأحسب أن المنهج السليم أن يُستغنى عما تقدم . وإذا كان ولا بدّ من تنبيــه القارئ على بداية موضوع ما ، فيكفي وضع أرقام متسلسلة للموضوعات ، كما ورد في المخطوط ، إذ كتبت في حواشيه أرقام تسهل ذلك .

ثالثاً – وهدتني مقابلة المطبوع على المخطوط إلى عبارات ساقطة من الأول بسبب ما يسمّى انتقال النظر في القراءة أو بسبب رداءة الأصول أو عدم الدقة في النقل.
واسجل هنا ما انفرد المخطوط بذكره مشيراً الى الصفحة والسطر من المطبوع :

ص ١٨ : تمام السطر الأخير هذه العبارة (كقوله :

وإذا تصبك خصاصة فارج الغنى

والى الذي يعطي الرغائب فـارغب)

٩-٧٩ (وبوقوعه جملة من فعل ماض مقدم عليه « كلما » في « جعل كلما جاء ليخرج » وفي « جعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً ») .

والصواب كما في المخطوط (وبوقوعه جملة من فعل ماض مقدم عليه « كلما » في « فجعل كلما جاء ليخرج » . وبوقوعه جملـة فعلية مصدرة بـ « إذا » [1] في « فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً ») .

٧-١٠٢ : يضاف بعد الحديث الشريف عبارة (ويروى : أو قريبَ ، بلا تنوين) .

١١-١١٠ (ومنها قول الصحابة رضي الله عنهم : كانوا يصلون . . .) .

في المخطوط : ومنها قول بعض الصحابة رضي الله عنه . . .

٤-١٢٣ : يضاف بعد الحديث عبارة (كذا في بعض النسخ ، وفي بعضها : مَن هو أحوجُ)

٥-١٢٨ : يضاف بعد الآية (أي : ولقد جاءك جاءٍ من نبأ المرسلين) .

١١-١٥٩ : يضاف بعد (أو نحو ذلك) قول ابن مالك (والرفع باضمار حضرتْ أو حانتْ أو نحو ذلك) .

٣-١٧٢ (فلو لم تعامل النون بما عوملت الضمة من الحذف) .

في المخطوط . . . بما عوملت **به** الضمة من الحذف .

٧-١٨٠ (لكنه جاء على لغة من يرفع الفعل بعد « أن » حملاً على أُختها) .

في المخطوط . . . حملاً على « **مـا** » أُختها .

(١) في المخطوط : باذما . وهو تحريف لشبهها باذا في الرسم .

١-١٨٤ (وفي قوله : « حيث حوصر أشرف عليهم » ومثله قوله الشاعر .
والصواب كما في المخطوط (وفي قوله « حيث حوصر أشرف عليهم » حجة للأخفش في جواز استعمال « حيث » ظرف زمان ؛ لأنه [١] حين حوصر أشرف عليهم . ومثله قول الشاعر) .

٦-١٩٠ : تضاف بعد لفظ (ومنها) عبارة (قول عائشة رضي الله عنها) .

٦-٢٠٧ تضاف قبل السطر الأخير هذه الفقرة : (ومثله :

نطوف ما نطوف ثم ناوي
ذوو الأموال منا والعـــديم)

٦-٢٠٨ : يضاف بعد العنوان عبارة (ومنها قول عبدالله بن عبدالله بن عمر لأبيه أقم ، فاني لا إيمَنها أن ستصدُّ عن البيت) .

٨-٢١٢ (فيقولون : « تَمِر وإبِل » نَمْر وإبْل)
والساقط هنا الحرف « في » بعد « فيقولون » كما في المخطُوط .

١٤-٢١٥ (في قول ذؤيب والحجاج) .
في المخطوط (في قول أبي ذؤيب والحجاج) .

رابعاً ــ وحرفت كلمات وعبارات فشوهت النصّ وأضرت به ، وذلك لعدم العناية بتصحيحه . وقد استدركت ذلك بعد أن قابلته على المخطوط . وهي كالآتي :

٨-٦ (فحسّن حذف منادى قبل الأمر والدعاء)
في المخطوط : فحسّن حذف المنادى . . .

٤-٩ (وهو استعمال صحيح غفل عن التنبيه إليه أكثر النحويين) .
في المخطوط (. . . غفل عن التنبيه عليه أكثر النحويين) وهـــو الصحيح ؛ لأنّ العرب تعدي نبّه بـ « على » . وعلى هذا الوجــه استعمله ابن مالك في ص ١٢ و ٥٢ و ٧٩و٨٢ من شواهد التوضيح

(١) في المخطوط : لأن . تحريف .

١٣ ـ ١٥ (ولو رُوي « مخرجيّ » مخفف الياء)

في المخطوط : ولو روي (مخرجيْ) مخفف الياء .

١٥ ـ ٩ (وكقوله رؤبة)

في المخطوط (وكقول رؤبة) . وتكررت زيادة الهاء بعد (قول) خطأً في ص ١٨٤ـ١ (ومثله قوله الشاعر) .

١٩ ـ ١ (وفي تشبيه متى باذا واهمالها قول عائشة)

في المخطوط (ومن تشبيه « متى » . . .) . وتكرر إثبات « فـي » بدلاً عن « من » توهماً في ص ٣٤ـ٤ (لا موضع له في الاعراب) وص ٤٢ ـ ١٦ (وفي المبتدأ الثابت الخبر بعد « إلا » ما جاء في جامع المسانيد) وص ٨١ ـ ٩ (وفي وروده منكراً مؤنثاً قول الفرزدق) وص ٢١٥ ـ ٧ (وفي استعمالها هكذا غير مجرورة قول أبي ذؤيب) وكلها في المخطوط « من » وهو الاستعمال الصحيح .

٢٥ ـ ٣ (كتعذره لاضمار الفاعل ، نحو : وإياي‌فارهبون) .

في المخطوط (كتعذره لاضمار العامل . . .) .

يعني العامل في « إياي » فانه منصوب باضمار فعل [1] .

٢٨ ـ ٣ (وكقول بعض العرب : عليه رجلاً ليسي)

في المخطوط (. . . عليه رجلاً ليسني) [2] . وهو الصحيح .

٢٨ ـ ٥ قول الشاعر :

لجاري من كانه عزّة يُخال ابن عم بها أو أجل)

---

(١) ينظر : مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب ، تحقيق الضامن١/٩٠ (بغداد ١٩٧٥).

(٢) قاله بعضهم وقد بلغه أن إنسانا يهدده . وعليه : اسم فعل بمعنى الأمر . ورجلا : مفعول به . والمعنى : ليلزم رجلا غيري . وهذا القول يحتاج كما ترى إلى تفسير ، ولم يوضح في الحاشية . ينظر : كتاب سيبويه ١/٢٥٠ تحقيق عبدالسلام محمد هارون . التصريح على التوضيح بشرح العليمي ١/١١٠ (ط . دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة) .

في المخطوط : (بجاري من كانَهُ غيرة . . .)
وبه يستقيم المعنى ويتفق مع الشطر الثاني .

٢٨ - ٩ (كم ليث أغرَّ بي ذا أشبل غرثت
فكأنني [١] أعظم الليثين إقداما)

في المخطوط (كم ليث اغتنَّ لي . . .)
وبه يستقيم وزن البيت . ولكني أظن أنَّ الصواب (اغترَّ بي)
أي : اجترأ عليَّ ؛ ليستقيم المعنى . قال الزمخشري :
(ما غرَّك به ، أي كيف اجترأت عليه) [٢] .

٣٠ - ٥ قوله تعالى (وإذ يريكهم الله في منامك قليلا) الانفال ٨-٤٣ .
الواو في (وإذ) ليست في المخطوط ولا في المصحف .

٣٩-٢ (ومن هذا النوع قول القائل : بلى وجاذاً ، حين قيل له : أما في
مكان كذا وجذاً ؟ ولو قصد تكميل المطابقة لرفع وقال : بلى وجاذ)
الصواب : (أما في مكان كذا وَجْذٌ) بالرفع [٣] .

٣٩-٥ (ومن الاكتفاء بالمعنى قوله عليه السلام « أربعين يوماً »
حين قيل له : ما لبثه في الأرض . فاضمر بـ « لبث » ونصب به
أربعين) .
في المخطوط (. . . فأضمر « يلبث » ونصب به أربعين) .
وتؤيده عبارة ابن مالك في شرح عمدة الحافظ ص ٥٠٢ .

٤٣-٨ (وبمثل هذا تأول القراء قراءة بعضهم . . .) .
في المخطوط (وبمثل هذا تأول الفراء) . . .

---

(١) هي (كان) الناقصة اتصل بها ياء المتكلم .
(٢) أساس البلاغة ، ص ٦٧٤ .
(٣) في المخطوط (أفي مكان كذا وجذ) . وحذف « ما » من العبارة سهو ؛ لأن الجواب وهو (بلى وجاذاً) مصدر بـ « بلى » . والوجذ : النقرة يستنقع فيها الماء جمعه : وجاذ . ولم يفسره المحقق مع حاجة النص الى إيضاح .

٤٦ - ٩ قول الشاعر (متى اصطباري وشكوى من معذبتي . . .)
في المخطوط (مِنّي اصطباري . . .)
وتؤيده رواية البيت في مغني اللبيب ٢-٥٢١ (عندي اصطبار)

٤٧ - ١٢ (وتنوين جوار تنوين عوض كتنوين أعمّ) .
في المخطوط (. . . كتنوين أعَيْمٍ)
ويؤيده قول الأشموني (أعيم : تصغير أعمى ، . . . غير منصرف للوصف والوزن . ويلحقه التنوين رفعاً وجراً ، نحو : هذا أعيمٍ ومررت بأُعيمٍ ورأيت أعيميَ . والتنوين فيه عوض من الياء المحذوفة كما في نحو : جوارٍ) [1]

٤٧ - ١٥ (وقد استغنى عن تنوين العوض بتكمل لفظه) .
في المخطوط . . . بتكميل

٥٤ ١٥ (فان جعل المسجد معطوفاً على سبيل كان من تمام الصلة « الصد »)
في المخطوط . . . كان من تمام صلة الصدد .

٥٥-٤ : قول بعض العرب (ما فيها غيره وفرسُه)
الصواب كما في المخطوط جرّ (فرسِه) عطفاً على الضمير المجرور. وهو موطن الاستشهاد . وينظر شرح عمدة الحافظ ص ٦٦١ ؛

٥٥ - ٥ (وأجاز القراء أن يكون : واستم له برازقين . . .) .
في المخطوط وهو الصواب (وأجاز الفراء أن يكون : ومن لستم لــه برازقين ») الحجر ١٥-٢٠

٥٦ - ٨ (به اعتضدن أو مثله تلك ظافراً
فما ذاك معتزاً به من يظــاهــره)
الصواب كما في المخطوط (. . . فما زال معتزاً به من يظاهره) ؛ وبه يستقيم المعنى .

(١) شرح الأشموني على الألفية ٣/٢٧٣ « ط . احياء دار الكتب العربية ، القاهرة) .

٥٧ - ٥ (تقول : أنت أكبر رجل ، وأكثر مالاً . و « أكثر » بعض ما جُرّ به . وأكثر بمنزلة فعل . . .) .
الصواب كما في المخطوط (تقول : أنت أكبر رجل ، وأكثر مالاً . فـ « اكبر » بعض ما جرّ به . . .

٥٨ - ٦ (ومن حذف البدل المضاف لدلالة المبدل منه عليه . . .
« خير الخيل الأدهم الأقرح الأرثم المحجل ثلاث » أي المحجل بحجل ثلاث) .
الصواب كما في المخطوط . . . أي المحجلُ محجل ثلاثٍ .

٦٢ - ١ (تضمن هذا الحديث فائدتين : أحدهما)
في المخطوط . . . إحداهما .

٦٣ - ١ (ومثله من كلام العرب : اتقى الله امرؤ فعل خيراً يثيب عايه) ؛
الصواب كما في المخطوط (. . . يُثَبْ عليه) بالجزم . وهو محل الشاهد . ويؤيده ما في شرح عمدة الحافظ ص ٣٤٦ .

٧١ - ٥ (قانا : في وقوع المضارع في هذا الحديث جوابان . . .) .
في المخطوط (قلنا في وقوع . . .) وهو الصواب .

٨١ - ٣ (دنيا في الأصل مؤنث أدنى)
في المخطوط . . . مؤنثة أدنى .

٨٣ - ٢ (وشبيه بـ « ولكن خوة الاسلام » في تخفيفة مرتين « كذا ») .
الصواب كما في المخطوط (. . . في التخفيف مرتين)
وزيادة « كذا » إشارة من المحقق إلى غموض المعنى .
أقول : المراد من ذلك حذف همزة (أُخوّة) بعد نقل حركتها الى نون (لكن) ثم تسكين النون . ذكر هذا المؤلف في ص ٨٢ من شواهد التوضيح .

٨٤ - ٥ (أراد : أو ذو للشيب يلعب)

الصواب كما في المخطوط (أراد أو ذو الشيب يلعب .)
ولعل هذا من أخطاء الطبع التي لم يستدركها المحقق فيما استدرك .
ومثله ما ورد في ص ١٠٧ ـ ٢ (وأجاز المبرر) والمراد : المبرد .
وص ١٠٩ ـ ٥ (ومن شواعد الموافقة) وهي : شواهد . وص
١٩٤ ـ ٦ (أن يجيء على وقف المضاف اليه) الصواب: وفق.
٢١١ـ٤ (إذا هملتَ عيني . . .) والصواب : هملتْ (بالسكون)

٩٠ ـ ١٤ (قول حمران «فأفرغ على يديه ثلاث مرار» فان مراراً جمع كثرة، وقد أضيف إليه مع إمكان الجمع بالألف والتاء ، وهو من جموع القلة. فثلاث مرار نظير ثلاث قروء) . في المخطوط (. . . وقد أضيف إليه ثلاث مع إمكان الجمع بالألف والتاء وهو من جموع القلـــة . فثلاث مرار نظير **ثلاثة** قروء) .

٩٣ ـ ٩ (ثم غلب تذكير الراكب المفهوم على تأنيث المرأة . وعقلهما على بهيمية الحمار) .
في المخطوط(. . . **وغلبهما** على بهيمية الحمار) . وهو الصواب .

١٠٣ ـ ١٣ (إلا إن قيل : بينه وبين الجدار موصول حذف) .
الصواب كما في المخطوط (إلا أنَّ قبل « بينه وبين الجدار » موصولاً حذف)

١٠٤ ـ ٨ (فأما نصّ سيبويه فقوله في باب كم : واعلم أنّ كم الخبرية لا تعمل إلا . . .)
في المخطوط (. . . واعلم أنّ « كمْ » **في الخبر**لا تعمل إلا) .
وهو نصّ عبارة سيبويه في الكتاب ٢ـ١٦١ .

١٠٤ ـ ١٧ (ومن شواهد هذا النظم قول حسان . . .) .

لفظ « هذا » ليس في المخطوط . وبسقوطه يستقيم الاسلوب .

١٠٧ - ٧ (تضمن الحديث الأول والثاني وقوع التمييز بعد فاعل نعم وبئس)
لفظ (وبئس) ليس في المخطوط . والحديثان المقصودان يخلوان منه . والصواب حذفه .

١١٥ - ١ (ووجود « لا » بعدها لا اعتداد به ، لأنها بعد العطف) في المخطوط . . .
في المخطوط... لأنها بعد **العاطف** .

١١٩ - ٦ (كما اتصل مغني والموافي بها [١] في البيتين المذكورين)
الصواب كما في المخطوط (كما اتصل **معيي**. . .) وذلك في قول الشاعر ص ١١٨ (وليس بمعييني وفي الناس ممتع . . .)

١٢٠ - ١ (فانه لا يجيز : وأكرمني وأكرمت زيداً) .
الواو في (وأكرمني) ليست في المخطوط . واسقاطها هو الصحيح .

١٢٠ - ٦ (ومن تنازع الفعلين وجَعْل العمل للثاني في قوله تعالى . . .)
الحرف « في » ليس في المخطوط ، وتصح العبارة باسقاطه .
ومثل زيادته هنا ما ورد في ص ١٤١ - ١٧ (ليس في خلق الله مثله)
الصواب (ليس خلق الله مثله) .

١٢١ - ٥ قول الشاعر (أضنت سعاد وأضنت زينب عمرا . . .) .
الصواب كما في المخطوط (أَصْبَتْ سعاد . . .)
وهو مراد ابن مالك تنظيراً بحديث شريح (سمعتْ أذناي وأبصرتْ عيناي النبي صلى الله عليه وسلم . . .) واستدلالاً لجواز مثل (أطعم زيد وسقى محمد جعفراً) .

١٣٥-١ (فاذا حذفت الفاء والمبتدأ معاً ولم يخص ذلك بالشعر ، فحذف الفاء بعدها أولى بالجواز ، وإن لا يخص بالشعر) .

---

(١) يعنى نون الوقاية .

الصواب كما في المخطوط (. . . فحذف الفاء وحدها أولى بالجواز **وأنْ** لا يخص بالشعر) .

١٣٦ - ١ (والنحويون لا يعرفون بمثل هذا الحذف)
في المخطوط : والنحويون لا **يعترفون** . . .

١٣٧ - ٧ (ولا تحذف هذه الفاء غالبا إلا في شعر أو في قول أغنى عنه مقوله. نحو : فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم ، أي فيقال لهم : أكفرتم) .
الصواب كما في المخطوط (. . . في شعر أو **مع** قول أغني عنه مقوله . . .) . ويؤيده تقدير المؤلف للآية وعبارة المرادي في الجنى الداني ص ٤٨٢ .

١٣٨ - ٢ (فعلم بتحقيق عدم التضييق ، وإن من خصه بالشعر . . .) .
الصواب كما في المخطوط : فعلم **بالتحقيق** عدم التضييق وأنّ مَن..

١٤٦ - ٥ (وفيه نظير للفراء في كون تاء أرأيتكم حرف خطاب) .
الصواب كما في المخطوط : وفيه **نُصرة** للفراء . . .

١٤٧ - ١ قول عنترة (إلا المجنّ ونصلُ أبيض مِفصل)
في المخطوط (. . . أبيض **مقصل**) وهو رواية الديوان ص ٢٥٨ .

١٥٥ - ٨ : قول الزبير (فلولا بنوها حولها لخطبتها)
الصواب كما في المخطوط (. . . **لخبطتها**) وتمام البيت الذي لم يكمله المحقق (كخبطة عصفور ولمْ أتاعثم) . والبيت في شرح الألفية لابن الناظم ص ٤٨ ومغني اللبيب ١-٤٨٢ وشرح شواهد المغني للسيوطي ٢-٨٤١ .

١٥٧ - ١٩ (وي : من أسماء الأفعال بمعنى التعجب) .
في المخطوط (. . . بمعنى **أتعجب**)

ويؤيده قول ابن مالك في شرح العمدة ص ٧٣٨(وَيْ وواهابمعنى أتعجب) .

١٥٩ ـ ٨ (ونظيره قولك لمن رأيته وهو يقرأ القرآن ضاحكاً : تضحك ؟)

في المخطوط (ونظيره قولك لمن رأيته **يضحك** وهو يقرأ القرآن : ضاحكاً وهو محل التمثيل قياساً على إضمار الفعل بعد الاستفهام الانكاري في الحديث الشريف (الصبحَ أربعاً ؟) .

١٥٩ ـ ١٢ (الصلاة حاضرة أو حانية) .

الصواب كما في المخطوط (الصلاة حاضرة أو **حائنة**) .

١٦٤ ـ ٦ (ولكنه بني على الفتح لتوكيد النون)

في المخطوط : ولكنه بني على الفتح **لتوكيده** بالنون .

١٦٩ ـ ٦ (وفي قول الاشعث« لفيّ والله أنزلت» شاهد على توسط القسم بين جزء الجواب) .

الصواب كما في المخطوط . . . بين **جزءي** الجواب .

١٧٠ ـ ٩ (فحصل بذكر التغطية تخصيص)

الصواب كما في المخطوط : فحصل بذلك للتغطية تخصيص

١٧٢ ـ ١ (وكقراءة غيره : وبعولَتْهن ، ور سلْنا . بتسكين التاء واللام)

في المخطوط (. . . ورسُلْنا) وهو موطن الاستشهاد .

١٧٢ ـ ٦ (وقراءة يحيى بن الحارب الذماري) .

الصواب كما في المخطوط : وقراءة يحيى بن الحارث الذماري [١].

١٧٣ ـ ١ (ومن حذف النون بمجرد التخفيف . . .)

في المخطوط . . . لمجرد التخفيف .

١٧٦ ـ ٦ (و « ترى » في قول أم حارثة « وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع »

(١) نسبة الى ذمار ، قرية قريبة من صنعاء . أخذ القراءة عن ابن عامر وغيره . وتوفي سنة ١٤٥ هـ . ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء ٣٦٧/٢ (ط . مصر ١٩٣٢).

مضارع رأيت بمعنى رأى . والكلام عليها كالكلام على قول أبي جهل : متى يراك الناس) . في المخطوط (وترى . . . مضارع رَاءَ بمعنى رأى) . وهو الصواب . وقد تكلم المؤلف على هذا الفعل كما نبه — في ص ١٧ من شواهد التوضيح .

١٨٢ - ١٢ (فان كانت فاء ما وزنه افتعل همزة أُبدلت ياء بعد همزة الوصل مبدوءاً بها ، نحو ايتمر ياتمر وائتمارا) .

في المخطوط (فان كان فاء . . . نحو ايتمر ، وايتمرْ ، وايتمار) وهو الصواب .

١٨٢ - ١٥ (وقد يشبه هذا النوع ، مما فاؤه واو وياء) .

الصواب كما في المخطوط (وقد يُشبَّه هذا النوع بما فاؤه واو أو ياء) .

١٨٣-٧ (فلو كان بدل الضمير ظاهراً جاز الجر والنصب . نحو : ما لزيد والعرب تشبها « كذا بالأصل ») .

الصواب كما في المخطوط (فلو كان بدلَ الضمير ظاهرٌ جاز الجر النصب ، نحو : ما لزيدٍ والعربِ والعربَ يسبّها) .

وفي شرح العمدة لابن مالك ص ٤٠٨ ورد هذا المثال الذي غُمَّ معناه على المحقق فزاد بعده (كذا بالأصل) .

١٨٣-١٣ (وقول « راءينا المشركين » معناه أظهرنا) .

في المخطوط : (وقوله . . .) يقصد عمر رضي الله عنه .

١٨٤-٧ (قلت قولهما « الذي رأيته يُشَق شدقه فكذاب »

شاهد على أن الحكم قد يستحق لجر العلة .

وذلك أن المبتدأ لا يجوز دخول الفاء على خبره إلا إذا كان شبيها بـ (مَنْ) الشرطية أو (ما) اختها ، في العموم واستقبال ما يتم به المعنى . نحو : الذي يأتيني فمكرم . إذا لم يقصد إتْياً معيناً . ف

(الذي) على هذا التقدير بمنزلة (مَن) في العموم واستقبال ما بعدها . فجاز أن يدخل الفاء على خبرها لشبهه بجواز الشرط . فلو كان المقصود ب (الذي) معينا زالت مشابهة (مَن) فامتنع دخول الفاء على الخبر كما يمتنع دخولها على أخبار المبتدآت المقصود بها التعيين.نحو : زيد مكرم . فلو قلت : فمكرم ، لم يجز .

وكذلك يجوز : الذي يأتيني فمكرم ، إذا قصدت بـ (الذي يأتيني) معيناً ، لكن (الذي يأتيني) عند قصد التعيين شبيه في اللفظ بـ (الذي يأتيني) عند قصد العموم ، فيجوز دخول الفاء على خبره حملا للشبيه على الشبيه.وان لم تكن العلة موجودةفيه .

ويدل على أن العرب تعتبر مثل هذا ، بناؤها رقاش وشبهه من أعلام الاناث المعدولةوشبهها بـ (نزال) وشبهه من أسماء الأفعال . وإجراء الموصول المعين مجرى الموصول العام في إدخال الفاء على خبره ، كاجراء رقاش مجرى (نزال) في البناء [1] .

في المخطوط(قلت : في قولهما « الذي رأيتَه يُشَقّ شدقه فكذاب » شاهد على أنّ الحكم قد يُستحق بجزء العلة ؛ وذلك أن المبتدأ لا يجوز . . . إذا لم تقصد أتْباً [2] معينا . فـ « الذي » . . . لشبهه **بجواب** الشرط .

فلو كان المقصود بـ « الذي » معينا زالت مشابهة « مَن » **وامتنع** دخول الفاء على الخبر كما يمتنع دخولها على أخبار المبتدآت المقصود بها التعيين ، نحو : زيد مكرم . فلو قلت : فمكرم ، لم يجز .
وكذا لايجوز : « الذي يأتيني فمكرم » إذا قصدت بـ « الذي يأتيني » معيناً .

---

(١) سجلت الكلام بتمامه ؛ لأن فيه تحريفات ستتضح من خلا ل السياق . والجمل تحتاج إلى تنظيم جديد ليستبين المعنى.وسأعيد كتابتها بالحرف الأسود مستغنياً عن عبارات لم يمسسها تغيير .

(٢) في المخطوط : ايتىٖا . تحريف .

لكنّ « الذي يأتيني » عند قصد التعيين . . .
ويدل على أنّ العرب تعتبر مثل هذا بناؤها « رقاش » وشبهه من أعلام الاناث المعدولة لشبهها بـ « نزال » وشبهه من أسماء الأفعال .
فاجراء الموصول المعين مجرى . . .

١٨٩ - ١ (والوقف بحذف الياء أقيس وأكثر في كلام العرب.ولا يجوز في الوقف إلا الحذف) .
الصواب كما في المخطوط (. . . ولا يجوز في الوصل إلا الحذف)

١٩١ - ٧ (سراقة بن جعشم) .
في المخطوط (مالك بن جعشم)
والصواب كما في صحيح البخاري ٥ - ٧٩ : سراقة بن مالك بن جُعشُم .

١٩١ - ٨ (اللغة المشهورة تجريد الفعل من علامة تثنية وجمع عند تقديمه على ما هو مستند إليه) .
في المخطوط . . . مسند اليه .

١٩٣-١٢ (و « أما » من قول عروة « أما إن جبريل نزل » أما حرف استفتاح)
« أما » الثالثة ليست في المخطوط . وإثباتها لا فائدة فيه .

٢٠٨-٧ (يجوز كسر حرف المضارعة إن كان الماضي على فَعِل،ولم تكن حرف المضارعة ياء ، نحو : يعلم . ولياء في الكسر ما لغيرها إن كان الفاء واواً) .
الصواب كما في المخطوط (. . . ولم يكن حرف المضارعة ياء ، نحو : تِعلم . ولياء من الكسر ما لغيرها إن كان الفاء واواً) .

٢٠٨ - ١١ (ويجوز أيضا كسر غير الياء من حروف المضارعة إذا كان أول الماضي تاء المطاوعة ، أو ألف وصل . نحو : يتعلم ويستبصر) .

الصواب كما في المخطوط (ـ . . نحو : تِيتعلم وتِستبصر) .
خامساً ـ وعلى الرغم من العناية المبذولة في تخريج الحديث النبوي ، ولا سيما الذي نقله ابن مالك من (الجامع الصحيح) إلا أنّ قسماً منه ورد على غير جهته الصحيحة ، بحيث خالف ما في صحيح البخاري وغيره من المصادر . أو جاء متفقاً مع روايةٍ للبخاري لكنّ مراد المؤلف غيرها في الاستشهاد .
فمن ذلك :

١٧ - ١٩ (ومنها قول أبي جهل لعنه الله لصفوان : متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد هذا الوادي . . .) .
في المخطوط (. . . وأنت سيد اهل الوادي) وهي رواية البخاري ٥ - ٩١ . وفيه (يا أبا صفوان ، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي) وفي روايةٍ : متى يرك .

٢٤ - ٩ قول المترجم عن هرقل (كيف قتالكم إياه) .
في المخطوط (كيف كان قتالكم إياه) وهو لفظ البخاري ١-٧ .

٣٠ - ٨ في الحديث على لسان الخضر (ياموسىأني على علم من علم الله) في البخاري ١-٤١ (ياموسى اني . . .) بكسر الهمزة .

٤٧-٧ قول أبي برزة (غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم ست غزوات أو سبع غزوات أو ثمانيّ) .
في صحيح البخاري ٢-٧٨ (. . . وثمانيَ) بتخفيف الياء مفتوحة . وهو موطن الاستشهاد .

٨٢-٣ (ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم على رواية الاصيلي : واكن خُوّةَ الاسلام) .
ورواية الأصيلي للبخاري ١-١١٩ هي (ولكنْ خُوّةُ الاسلام) برفع (خوة) .

٩٤-٧ (ومن بقاء الجر بالحرف المحذوف قوله عليه الصلاة والسلام «صلاة الرجل في الجماعة تضعَف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً » أي بخمس) .
الصواب كما في المخطوط (. . . وفي سوقه خمسٍ وعشرين) ، بجر (خمس) وهو موطن الاستشهاد . وقد أثبت المحقق متوهماً رواية البخاري في ١-١٥٧ ،وهي لا شاهد فيها ولا توخاها ابن مالك

٩٤-١٥ (« فغداً لليهود وبعد غد للنصارى » . قلت : في هذا الحديث وقوع ظرف الزمان خبر مبتدأ هو من أسماء الجثث) .
في المخطوط (فغدا اليهود وبعد غدٍ النصارى) . وهذا اللفظ هو المطابق لمراد المؤلف في وقوع ظرف الزمان خبراً لاسم جثة . لكنه ليس في صحيح البخاري ، وانما فيه رواية تصلح شاهـــداً أيضاً ، وهي (اليهود غداً والنصارى بعد غدٍ)[1] . ولعلها هـــي المقصودة . وأما ما ذكر في المتن فلا شاهد فيه ، واثباته وهم .

١٠١-٣ قول عمر (ما كدت أن اصلي العصر حتى كادت الشمس تغيب)
في المخطوط (. . . حتى كادت الشمس تغرب) وهي رواية البخاري ١-١٥٦ .وفيه (والله ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس **تغرب**)

١١٩-١١ (ومنها قول ابن عمر في إحدى الروايتين : « لما فُتِحَ هذين المصرين أتوا عمرَ » ففيه تنازع فتح وأتوا . . .) .
الصواب (فَتَح) بالبناء للمعلوم وهي رواية البخاري ٢-١٥٨ وشاهد ابن مالك على التنازع .

١٢٥-٦ قول عائشة (. . . فاذا بقي من قراءته نحوٌ من كذا)
في المخطوط (نحواً) وهي روايةٌ في البخاري ٢-٥٨ ، ومحـــل الاشكال .

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢ .

١٦٠ ـ ١٣ : الحديث (لا يبالي المرء بما أخذ من المال) .
الحرف « من » ليس في المخطوط ولا من لفظ حديث البخاري ٣-٧٣ .

١٧٨ ـ ١٠ قول ابن عباس (إني كرهت أن أحْرجكم فتمشون في الطين) .
في المخطوط (أُخرجكم) بالخاء ، وهو لفظ البخاري ٢-٧ .

١٨٦-٨ : (فلا صلّ لكم)
في المخطوط (قوموا فلأصلِّ لكم) . وهو لفظ البخاري ٢-٧ .

١٩٩ ـ ٤ قول عمر (أكنّ الناس في المطر وإياك أن تخمّر أو تصفّر) وفي ص ٢٠٢ ـ ٤ : (وإياك أن تحمر وتصفر) .
في المخطوط : (أكن الناس من المطر ، وإياك أنْ تحمّر أو تصفر) . وهو لفظ البخاري ١-١٤١ .

٢١٠-١٠ (. . . فمن لها يوم السبع يوم لا راع لها غيري) .
في المخطوط (. . . يوم لا راعي لها غيري) وهي رواية البخاري ٤-٢١٢ .

سادساً : وقع في المطبوع أخطاء تتصل برسم الحروف وشكلها وضبط النصوص على غير وجهها الصحيح . وأغلب ما ورد يعتمد ضبطه على خبرة المحقق وثقافته مما لا يثبته النساخ أحياناً كالهمزة وعلامات الاعراب .

ومن ذلك

١٩-١٠ لو تعدْ حين فر قومك بي
كنت في الأمن في أعز مكان
الصواب (لو تعذْ . . .) بالذال المعجمة .

٤-٧٦ (قول الأخفش في : وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً ، أن أصله)
الصواب (. . . إنّ أصله) بكسر همزة إنّ .

١٠-٨٢ (من العرب من يبدل الهمزة بعد النقل بمجانس حركتها فيقول : هؤلاء نشؤُ صدق . ورأيت نشأ صدق . ومررت بنشيء صدق) .
الصواب (. . . فيقول في [1] « هؤلاء نشؤُ صدق ، ورأيت نشأ صدق ، ومررت بنشيْ صدق » : هؤلاء نشُو صدق ، ورأيت نشَا صدق ، ومررت بنشي صدق) .

٦-١٣٢ : قول الشاعر (. . . إلى الآنِ ممنواً بواشٍ وعاذل)
الصواب : إلى الآنَ . . .

١٢-١٣٥ (. . . وحذف فعل الشرط بعد « أن لا » وحذف فاء الجواب والمبتدأ معاً) .
الصواب (. . . بعد « إنْ لا ») بكسر الهمزة

٢-١٤٥ (يوشك أن تبلغ منتهى الأجلُ . . .) .
الصواب : الأجلْ .

٦-١٥٥ (وهذا الحذف في « أن » نادر . لكنه غير مستبعد في القياس على حذف « إن » فانهما اختان في المصدرية) .
الصواب : (وهذا الحذف في « أنّ » نادر لكنه غير مستبعد في القياس على حذف « أنْ » . . .) .
ومثل هذا التحريف ورد في ص ٢٠٢-٦ : (لأن حذ ف ما يجر « أن » و « أنْ » مطرد) . والصواب : (. . . ما يجر « أنّ » و « أنْ » مطرد) .

١-١٦٧ وربِّ السماوات العلى وبروجِها
والارضُ وما فيها المقدر كائـن

(١) الحرف « في » زيادة من المخطوط .

الصواب (والارضِ) بالجر .

١٧١ - ٢ (يسئلونها عن الركعتين)
الصواب : يسألونها . . .

١٧٤-١١ (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفرُ عنكم سيئاتكم)
الصواب (نكفرْ) بالجزم . والآية في النساء ٤-٣١ .

١٩٣-١٤ (ولا اشكال في فتح همزة أمامه . بل في كسرها ، لأن إضافة أمام معرفة) .
الصواب كسر همزة (إمام) . وهو محل الاشكال .

* * *

سابعاً : ومن تمام القول الاشارة إلى أنّ ابن مالك اكتفى في أبيات من الشعر باثبات جزء من البيت هو محل الاستشهاد . ولم ينتبه المحقق إلى ذلك ، ووضع الشعر في درج الكلام دون أن يخرّجه كعادته . ومن ذلك :

٥٤-٦ (لو كان حاول كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه شرطاً في صحة العطف لم يجز : ربّ رجل وأخيه . ولا : أيّ فتى هيجاء أنت وجارها [١] . ولا : كم ناقة لك وفصيلها) .

٧٩ - ٥ (ثم نبه شذوذا على الأصل المتروك بوقوعه مفرداً في عسيت صائماً [٢] وما كدت آيبا [٣] وبوقوعه جملة اسمية) .

(١) أي فتى هيجاء أنت وجارها إذا ما رجال بالرجال استقلت
من شواهد الكتاب ٢/٥٥ و ١٨٧ .

(٢) أكثرت في العذل ملحاً دائماً لا تكثرن إني عسيت صائماً
لرؤبة في ديوانه ص ١٨٥ .

(٣) فأبت إلى فهم وما كدت آيبا وكم مثلها فارقتها وهي تصفر
قاله تأبط شراً . وهو في شرح المفصل ٧/١٣ .

١٨٣-١١ (وروى الأخفش في « حسبك [٤] والضحاك سيف مهند » الجرّ على العطف) .

١٩٣ - ١٦ (فوجب جعله نكرة بالتأويل ، كغيره من المعارف الواقعة أحوالاً ، كأرسلها العراك [٥] . وجاؤوا قضهم بقضيضهم) .

وبعد ، فهذا ما تيسر من ملاحظات على أصل من أصول لغتنا العربية ، ومصدر نافع من مصادر نحو الحديث الشريف . وهي بجملتها قد تكون من مبررات إعادة تحقيق الكتاب ، وإخراجه بمنزلته الرفيعة ، لا سيما وقد مضى على طبعه ربع قـرن تقريباً ، ظهرت خلاله مصادر في دراسة النحو وشواهده يمكن الركون اليها في تخريج الآراء والنصوص لتحقيق الغاية المطلوبة .

* * *

(٤) في المخطوط : : فحسبك . والبيت بتمامه في مغني اللبيب ٢/٦٢٢ :
إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا فحسبك والضحاك سيف مهنـد

(٥) فأرسلها العراك ولم يذدهـا ولم يشفق على نغص الدخال
من شواهد الكتاب ٣٧٢/١ . وقائله لبيد . والرواية في ديوانه ٤ ص ٨٦ : فأوردها العراك . . .

التقرير السنوي

عن اعمال المجمع العلمي العراقي

١٩٨١ - ١٩٨٢

تابع المجمع اعماله في سبيل تحقيق اهدافه المرسومة في قانونه ، وهي اعمال تتصل بتنمية الثقافة والفكر ، مما يرتبط بشؤون السلم والبناء . غير ان استمرار القتال على طول الحدود الشرقية دفاعاً عن حقوق الامة وكرامتها ، ظل يؤثر في اعمال المجمع ، اذ شارك عدد من المنتسبين في المجمع وموظفيه في القتال ، واستشهد احـد المشاركين ، وقـد خفف من اثر القتال حرص اعضاء المجمع ومنتسبيه على اداء رسالتهم ، وحماسهم في العمل لتحقيق اهداف المجمع .

وقد فقد المجمع العضو العامل الدكتور احمد سوسة ، فقد وافاه الأجل المحتوم بعد مرض عضال ، وخسر المجمع بوفاته عضوا كرّس علمه وجهوده لانماء المعرفة والاسهام في تحقيق رسالة المجمع .

جدد مجلس المجمع في جلسته الثالثة عشرة انتخاب اعضاء ديوان الرئاسة لثلاث سنوات اخرى ، وهم الاستاذ طه باقر (نائب رئيس اول) والدكتور محمود الجليلي (نائب رئيس ثان) والدكتور جميل الملائكة والدكتور سعدون حمادي عضوين. وجددت الهيئة الكردية انتخاب الدكتور جوامير سليم رئيساً لها ، والهيئة السريانية انتخاب المطران اندراوس صنّا رئيساً لها ، واصبحا بانتخابهما عضوين في ديوان الرئاسة .

اعمال ديوان الرئاسة :

وقد عقد ديوان الرئاســة تسع جلسات نظر فيها في عدد من الامور المتعلقة باختصاصاته التي حددها القانون ، فأقر اختيار الخبراء للجان تبعاً لتوصياتها ،

ودرس عدداً من المقترحات التي يساعد تطبيقها على تيسير أعمال المجمع ومنجزاته العلمية ، وأقر تحديد المكافآت للمؤلفين على الكتب التي قام المجمع بطبعها ، ودرس شراء الأجهزة واللوازم لمطبعة المجمع ، وأقرّ عروض عدد من الاعمال الانشائية والابنية في المجمع ، ونظر في عدد من الشؤون والقضايا الادارية ، واصدر بحقها قرارات . وقد عرضت محاضر جلسات ديوان الرئاسة على اعضاء المجلس .

اعمال مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع تسع عشرة جلسة ، جلستين في كل شهر ، نظر فيها في عدد من الامور العلمية المتصلة بأهداف المجمع واغراضه وبالسبل الكفيلة بتيسير عمله لتحقيق تلك الاهداف ، كما نظر في عدد من الامور الادارية الداخلة ضمن اختصاصاته ، واطلع على عدد من الكتب والمراسلات التي لها علاقة بالمجمع واعضائه .

وسار المجلس في جلساته على اسلوب المناقشة الحرة المفتوحة للقضايا المعروضة عليه ، وقدّم عدد من الاعضاء دراسات مفصلة في بعض الموضوعات المتصلة بعمل المجمع ، فقدم الدكتور عبدالعزيز البسام في الجلسة الخامسة بحثاً عن الترجمة واهميتها وشروطها ودور المجمع في الاسهام بها ، وقدم الدكتور علي المياح في الجلسة التاسعة بحثاً في الحضارة وطبيعتها ، وتحدث الدكتور صالح احمد العلي في الجلسة الرابعة عشرة عن اعمال المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ، وعن مجمع اللغة العربية الاردني ، وتكلم الدكتور فخري الدباغ والدكتور جميل الملائكة في الجلسة الخامسة عشرة عن ندوة معرض الكتاب والتقنية المنعقدة في تونس ، وقدم كل من الدكتور احمد عبدالستار ، والاستاذ محمد حسن آل ياسين والاستاذ محمد بهجة الأثري دراسات عن المصادر في اللغة العربية . وقد اعقب قراءة كل بحث وتقرير مناقشات الموضوع الذي تناوله البحث او التقرير ، وقدّم الدكتور صالح احمد العلي تقريراً عن نطاق تاريخ العلوم ، وقدّم الاستاذ محمد بهجة الأثري تقريراً عن بعض قواعد المصطلحات العلمية .

اولى المجلس عناية خاصة بالمصطلحات وتعريبها ، وبحث في عدة جلسات ما يتعلق بها ، فقرر في الجلسة الثالثة وضع قواعد عامة لتنسيق وضع المصطلحات تسترشد بها اللجان المتعددة في عملها في هذا الميدا ن مع مراعاة المرونة في معالجة ما قد يتطلب الخروج على تلك القواعد . وقرر في الجلسة السابعة تفضيل وضع مصطلح عربي سهل النطق والكتابة وذي مدلول علمي مألوف ، والتعرف في تعريب المصطلحات ،والعمل على احياء التعابير العلميةالعربية القديمة حيثما كان ذلك نافعاً .

وقرر في الجلسة الحادية عشرة وجوب تطبيق القواعد العامة للغةالعربية في التعريب ، ومراعاة الذوق العام المستساغ .

وقرر ان يطبع من المصطلحات التي سبق ان اقرها المجلس خمسة الاف نسخة ، ويقوم مقررو اللاجان بتصحيح مسودات الطبع ، كل حسب اختصاصه ، ويقوم الامين العام بمتابعة الطبع .وقرر في الجلستين الثانية والثالثة ان تنشر مجلة المجمع باعداد متتابعة المصطلحات التي يقرها المجلس ويطبع من كل منها الف فرزة .

وناقش المجلس المصطلحات التي قدمتها لجنة مقرري المصطلحات في عام الفيزياء (الجلسة السابعة) وعلم الغابات (الجلسة العاشرة) وعلم الحيوان (الجلسة الثانية عشرة) وعلم النفس (الجلستان الرابعة عشرة والثامنة عشرة).

وبحث في الجلستين العاشرة والحادية عشرة صيغة « فعلون » ومدى امكان تطبيقها في تعريب بعض المصطلحات ، وبحث في الجلسة الثالثة عشر بعض المصادر القياسية والسماعية .

وكانت الارقام المشرقية والمفاضلةبينها وبين الارقام المغربية في الاستعمال موضع بحث في الجلسة الثالثة من جلسات المجلس ، وكان الرأي الابقاء على استعمال المشرقية ،وتقرر تأليف لجنة من الدكتور عبد العزيز البسام والدكتور احمدعبدالستار الجواري والاستاذ محمد حسن آل ياسين لكتابة مذكرة في الموضوع ، وقدم الاستاذ محمد حسن آل ياسين بحثا موثقاً ،وقد تم طبعه .

وبحث المجلس في مجلة المجمع ، فاوصى في الجلسة الثالثة بالعناية بها ودعا في الجلسة الثامنة الى حث الاعضاء على كتابة البحوث لنشرها فيها، وبحث في الجلسة الثالثة عشرة شؤون تنظيم اخراج المجلة واسس ترتيب نشر المقالات ، واوصى بتقديم مقالات الاعضاء على غيرها ، وبالعمل على اخراج المجلة في مواعيدها المحددة .

عني المجلس بأمر الترجمة ، واستمع في الجلسة الخامسة الى التقرير الذي اعده الدكتور عبدالعزيز البسام عن اهمية الترجمة وشروطها ودور المجمع في الاسهام بها ، وقرر المجلس دعوة اللجان لوضع مقترحاتها للترجمة، واعداد قوائم باسماء الكتب الجديرة بالترجمة ، وترشيح المترجمين وتقويم اعمالهم في الترجمة ، ويكون عمل اللجان في ذلك مكملا لاعمال لجنة التأليف والترجمة والنشر واوصى في الجلستين الرابعة والثالثة عشرة بوجوب الاهتمام بتقارير اللجان بزيادة العناية باعمالها ومتابعتها ، وبوجوب العناية بمحاضر جلسات مجلس المجمع وتسجيلها وتحديد توصياتها ومتابعة تنفيذها .

وقرر في الجلسة الثالثة تعديل لجنة العلوم الاجتماعية والتربوية فاصبحت بموجب التعديل الجديد لجنتين : لجنة للتربية ولجنة لعلم النفس وقرر ادماج لجنة العلوم الاقتصادية بلجنة الشريعة والقانون لتصبح لجنة الشريعة والقانون والاقتصاد .

واوصى أيضاً في الجلسة الثالثة بالعناية بالمكتبة وتنميتها ، كما اوصى في الجلسة الثامنة بزيادة التنسيق مع المؤسسات الاخرى .

واطلع المجلس في جلسته الأخيرة على التقارير العامة التي اعدتها اللجان عن اعمالها خلال السنة الحالية .

اعمال لجان المجمع :

يقوم المجمع بانجاز معظم اعماله ودراساته العلمية المفصّلة عن طريق لجانه العلمية المكونة من اعضائه ومن يتم اختيارهم من المختصين . وتعقد كل لجنة

جلساتها الاعتيادية اسبوعياً للقيام بالاعمال والدراسات العلمية الداخلة ضمن اختصاصها تنفيذاً للخطتين العامة والمرحلية التي اعدت وعرضت على مجلس المجمع لاقرارهــا .

ان اعمال اللجان متعددة ومنوعة ، غير أن الحيِّز الاكبر منها يشغله تعريب المصطلحات . وتستعين معظم اللجان العلمية في عملها هذا بعدد من المعاجم العربية المعتمدة ، وبعدد من الكتب التراثية الموثقة ، وبالاعمال المنشورة التي قامت بها المجامع والمؤسسات والعلماء المختصون في ميدانها . وخلال هذا العام انجزت لجنة الفيزياء حوالي (٣٠٠٠)مصطلح في الفيزياء ، وانجزت لجنةالزراعة رصد ودراسة (١٣٠٠) مصطلح في علم الغابات ، واتمت لجنة علم النفس دراسة (٥٠٠) مصطلح في الطب إضافة الى اعادة مراجعتها لاكثر من الف مصطلح كانت اللجنة قد درستها في الماضي.واتمت لجنة الكيمياء اعداد (٥٠٠) مصطلح في الكيمياء التحليلية وراجعت المادة التي تشمل مايقع في A B C D من مشروع معجم المصطلحات الكيميائية .

وقامت لجنة الهندسة بتثبيت تعريب نحو (٤٠٠) مصطلح في الهندسة تشمل ما يقع اوله حرفي .G. H ، واتمت لجنة التربية اعادة النظر في المصطلحات التي سبق ان اعدتها اللجنة ثم تابعت الاضافة اليها فأنجزت للمواد التي اولها A B C D
وثبتت لجنة الشريعة والقانون والاقتصاد المصطلحات في كل من اصلاح النظام القضائي ، وكتّاب العدول ، وقانون الاثبات والتنظيم القضائي ، وقانون الاستهلاك.

وجردت لجنة الحضارة مصطلحات حضارية منوعة في عدد من الكتب التراثية ، واطلعت على ما اعده عضوها الاستاذ محمد حسن آل ياسين من الفاظ النبات والزراعة في الكتب التراثية .

وثبتت لجنة اللغة العربية الاسماء العربية لعدد من المنشآت التجارية ، ووضعت لطائفة من المصطلحات الحضارية الدخيلة ما يقابلها باللغة العربية ، وتابعت دراستها لقرارات مجمع اللغة العربية في وضع قواعد المصطلحات العلمية ، واعادت النظر

في نحو مائة مصطلح عامي وفني كانت قد انجزتها في الدورة السابقة حرصاً على تثبيت الأصلح .

واجابت اللجان على ما احالته رئاسة المجمع اليها من اعمال مكتب تنسيق التعريب في المغرب ، ومن الجهاز المركزي للتقييس ، ومن المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم ،ومن عدد من المؤسسات الحكومية في العراق وخاصة وزارة الاقتصاد.

قامت لجان بدراسات خاصة ضمن اهتماماتها العلمية،فدرست لجنة اللغة العربية ضوابط وضع المصطلحات العلمية ، والاشتقاق ، والنحت ، والمولد ، وقرارات في صيغة « فعلان » و «تفعال» وقاعدة النسبة الى الاسماء المنتهية بتاء التأنيث .

ودرست لجنة الاصول باء المصاحبـة ، وقيـاسية بعض صيغ الكثرة في المصادر ، وقياسية مصدر الثلاثي ، وصيغة فعلون ، واسم التفضيل ، وعطف البدل والبيان وجمع الجمع ، وحدود السماع ، والاجتهاد في اللغة ، والتعليق والدفع ، واسماء الافعال والاصوات ، وناقشت عددا من المذكرات التي قدمها اعضاء اللجنة في المواضيع الداخلة ضمن اختصاص عمل اللجنة .

ودرست لجنة التاريخ المصادر العربية الاولى ، ومصادر دراسة تاريخ بغداد والعراق ، وما يجدر نشره من المخطوطات التي تتضمن مواد من تاريخ العراق في العهود العباسية المتأخرة ، واهمية كتابات الكتّاب في دراسة التاريخ العربي وكذلك درست تطور المفردات اللغوية التي استعملت في مكاتبات الدواوين .

وعنيت لجنة التراث العلمي العربي برصد المصادر العربية ولا سيما مؤلفات الاطباء العرب الاوائل ، ومؤلفات الكندي وحنين والكتب المؤلفة في الادوية المفردة واوصت بالعمل على الحصول على نسخ من مخطوطاتها تمهيدا لدراستها ونشرها ودرست محتويات كتب الادوية المفردة والمركبة والاقرباذين ، وخصت بالعناية كتابي « الحشائش » لديسقوريدس و« الجامع لصفات اشتات النبات » للادريسي ، وكتاب منهاج البيان لابن جزلة ، وكتاب ابن سمجون في الادوية .

ودرست ايضا نشأة علم الطب العربي ومدى تأثره بالطب الاغريقي ، كما درست مكانة العلم وعلاقته بالمجتمع ، واساليب البحث العلمي ، وامكانية الافادة من حقائق العلوم العربية في تنمية حركة التعريب ، والروح العلمية .

وقدمت لجنة الهندسة توصية بتبني المجمع ترجمة كتاب « مقدمة في تاريخ العلم » لسارتون ، وكتاب « العلوم الدقيقة في التاريخ القديم » لنيوجيباور ، واعادة تحقيق كتاب « انباط المياه الخفية » للكرجي .

واوصت لجنة التربية بترجمة كتابي ، «اسس التربية» « لوايلدز ، و « التربية الاسلامية » لبايرد دوج ، كما اوصت بدراسة كتاب « تذكرة السامع والمتكلم » .

اعمال لجان الهيئتين الكردية والسريانية :

ركزت لجنة اللغة الكردية على دراسة اصوات اللهجات الكردية وتحليل اوجه التباين في الكلمات الكردية ، ودراسة الضمائر المتصلة والمنفصلة في اللهجات الكرديـــة .

وعملت لجنة الادب والتراث الكردى على اتمام تحقيق كتاب (مجالس الادباء) لامين فيضي ، وعلى تحقيق وشرح ديوان مصطفى كردي .

وتابعت الهيئة السريانية اعمال لجانها الفرعية ، وفحصت مسودات عدد من الكتب ،وقدمت مقترحات لاقتناء حروف سريانية ، وشراء بعض الكتب التراثية.

وعنيت لجنة اللغةالسريانية وتراثها بالتعريف بالتراث السرياني وتوضيح الاواصر بين العربية والسريانية ،واقرت عدداً من المصطلحات في الميدان السياسي والعسكري

واعدت لجنـــة المعجم معجماً للغـــة السريانية ومعجماً للادب السرياني ودرست بعض المصطلحات الكنسية ،وعملت على اعادة ترتيب معجم « دليل الراغبين » السرياني .

مطبوعات المجمع :

اصدر المجمع خلال السنة المطبوعات التالية :

١ــ الاجزاء الاربعة للسنة الثانية والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي .

٢– تكملة خريدة القصر وجريدة العصر ؛ قسم شعراء العراق تأليف عماد الدين الاصبهاني، تحقيق الاستاذ محمد بهجة الاثرى .

٣– ذرائع العصبيات العنصرية في اثارة الحروب وحملات نادر شاه على العراق في رواية شاهد عيان، للاستاذ محمد بهجة الاثرى .

٤– امتداد العرب في صدر الاسلام للدكتور صالح احمد العلي .

٥– الجزء الثاني من فهارس المخطوطات العربية في المجمع العلمي العراقي اعداد الاستاذ ميخائيل عواد .

٦– الجزء الثاني من فهارس المخطوطات السريانية .

٧– مصادر التراث العسكري (ج ١ ، ٢) الاستاذ كوركيس عواد .

٨– فهارس الرقيقات في المجمع العلمي العراقي ، اعداد السيد ابراهيم خورشيد . واصدر الكتب التالية باللغة الكردية :

١– هەندیك داوەری بە نادبانك (المحاكمات الكبرى) للاستاذ جمال بابان .

٢– ديلان شاعير وئازاد يخوك (ديلان الشاعر والحرية) الاستاذ دلشاد علي .

٣– زانستی اوەلوتا (المعرفة والنقد) للدكتور كامل البصير .

ويكمل الآن طبع مصطلحات الفيزياء ، والهندسة ، وعلوم الحياة ، والغابات والرياضيات ، وعلم التمس وطبع الجزء الاول من المجلد الثالث والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي ، والمجلد التاسع من مجلة الهيئة الكردية ، وكتاب (شعراء امويون) للدكتور نوري حمودي القيسي، وكتاب الشوارد في اللغة تحقيق السيد عدنان عبد الرحمن ، وفهارس مخطوطات المجمع العلمي العراقي (ج ٣) اعداد الاستاذ ميخائيل عواد ، ودراسة الارقام العربية للاستاذ محمد حسن آل ياسين ، وكتاب شخصيات كتاب الاغاني للدكتور نوري حمودي القيسي والدكتور داود سلوم وكتاب «تاريخ الموصل» للاستاذ سعيد الديوه جي ، وكتاب « معجم المصطلحات البلاغية » للدكتور احمد مطلوب والجزء الثالث من كتاب « مصادر التراث العسكري » . وكتاب « التبيين في انساب القرشيين » .

ويؤمل ازدياد عدد مايطبع في مطبعة المجمع وتحسن الطباعة بعد توفر الكفاءة الفنية للعمل في جهاز الطباعة الجديدة .

المكتبة :

اقتضت الخدمة التي تؤديها المكتبة للدراسات والابحاث العلمية عناية خاصة بتنميتها واغنائها لتحقيق الاغراض العلمية التي يسعى اليها الباحثون من اعضاء المجمع وخبرائه وغيرهم ، وتحقيقاً لهذا الغرض اضيف اليها في هذه السنة ٣٧٢٨ كتاباً بالعربية و ٩٨١ كتاباً باللغات الاجنبية ، وبذلك صار مجموع كتب المكتبة من الكتب العربية ٤٩٥٨٦ ، ومن الكتب باللغات الاجنبية (الانجليزية والفرنسية والالمانية زهاء ٢٣٠٠) .

وتضم المكتبة عدداً كبيراً من مجموعات المجلات العربية والاجنبية التي تعنى بالموضوعات المتصلة باهتمام المجمع ، وتنمى هذه المجموعات باضافة مايستجد طبعه منها ، واكمالماينقصها ، والحصول على مجموعات المجلات التي تفتقدها المكتبة ، وكذلك مايعوز المكتبة من الكتب التي تتصل باهداف المجمع ، كما يواصل العمل لاكمال تنظيم بطاقات فهرسة الكتب والمجلات .

وقد افردت لكل من الهيئة الكردية والهيئة السريانية مكتبة خاصة وذلك لتيسير خزن الكتب والافادة منها .

وقد اهدى ورثة المرحوم الاستاذ فؤاد عباس مكتبته القيِّمة للمجمع وهي تحتوي على ٢٦٣٥ كتاباً عربياً و ١٩١٨ كتاباً اجنبياً ، وقد أفرد لها موضع خاص في المكتبة دوّن عليه اسم الفقيد تخليداً لذكراه على هذه المأثرة .

ونظراً لما للمخطوطات من اهمية واحوال خاصة ، فقد افردت في شعبة خاصة ، ويجري العمل على تنميتها واعداد الفهارس لها ، وقد اضيف اليها خلال هذه السنة ١٥٠ من الرقيقات والمصورات التي اشتراها من عدة مكتبات في داخل القطر وخارجه ، وبذلك اصبح مجموع المخطوطات والمصوّرات ١٧٠٠ ، ومجموع الرقيقات ٦٥٥ .

واقتنى المجمع رقيقات للوثائق والتقارير المحفوظة في دار المحفوظات البريطانية عن العراق إبان القرن التاسع عشر . وتتخذ الترتيبات للحصول على الوثائق والتقارير المتعلقة بالعراق والاقطار المجـاورة ، من دور المحفوظات في البلاد الاخرى .

افردت لمطبوعات المجمع شعبة خاصة تتولى خزنها وبيعها وتوزيعها . ويتيح المجمع مطبوعاته للقراء باسعار مخفضة تقل عن كلفة طبعها ، كما انه يهدى مطبوعاته بالمجان لاعضاء المجمع العاملين والاعضاء المؤازرين وللباحثين ومكتبات الجامعات والمؤسسات العلمية في داخل القطر وخارجه ويقتني خمسين نسخة من كل كتاب تراثي يصدر في العراق ليهدى الى مكتبات الجامعات والمؤسسات العلمية في خارج القطر ، خدمة لنشر الثقافة العربية ولمساعدة الباحثين . ويتلقى المجمع من عدد من الجامعات والمؤسسات العلمية مطبوعاتها اهداءا بالمقابل .

وتقوم هذه الشعبة بحفظ سجلات لمطبوعات المجمع وقرطاسيته ، وعناوين الافراد والمؤسسات الذين ترسل لهم المطبوعات .

الشعبة الفنية والمطبعة :

جهزت الشعبة الفنية في المجمع باجهزة استنساخ حديثة ، وبما تحتاجه الاجهزة القديمة من لوازم ، وقامت الشعبة بنقل ٠٤٧ ر٣٠ ورقة من الرقيقات للمكتبة ولعدد من اعضاء المجمع العاملين ، وكذلك لبعض المؤسسات العلمية والباحثين ، واستنسخت ٥٦٤ر٢٣ ورقة من التقارير والدراسات والابحاث المتعلقة باعمال اللجان واعمال مجلس المجمع ، ويجري تجهيزها بانتظام بما تحتاج اليه من لوازم الطبـع والتصوير والاستنساخ كالورق والحبر والمواد الاحتياطية .

واضيف الى المطبعة ماكنة « اوفسيت » تم ابتياعها من شركة رولاند وجهاز الصاق وتصميغ الكتب ، وجهاز تكسير ذاتي ، واستمر تزويدالمطبعة

بما تحتاج اليه من الورق واللوازم الاخرى ، كما تتخذ الاجراءات لتزويد المطبعة بحروف سريانية ، واتخذت الاعمال اللازمة لاعداد مواضع للآلات التي جلبت حديثاً .

وطبعت المطبعة كتب المجمع ومجلته وبعض بحوث اعضائه ، بالاضافة الى طبع مايحتاجه المجمع من منشورات واوراق .

واقتضت الظروف الحاضرة ان يستعين المجمع بمطبعة جامعة الموصل لطبع بعض الكتب ، والمؤمل ان يتم استكمال تجهيز المطبعة بالاجهزة الاضافية اللازمة للاوفسيت .

اعمال تعميرية :

اقتنى المجمع مولدا كهربائياً (قوة ٢٥٠ فولط) لاستعماله عند انقطاع التيار الكهربائي العام ، واجريت تعديلات في ابنية بعض الغرف لتوضع فيها الاجهزة الطباعية الجديدة ، وشيدت في طرف من ساحة المجمع مظلة للسيارات واصلح جهاز تكييف الهواء .

ويجري العمل في بناء ثلاث غرف اضافية للشعبة الفنية ، وغرفة للمولد الكهربائي ، وغرفة للحراس . ويؤمل انجازها قريباً .

ويجري حالياً انجاز الدراسة للقيام بتشييد مسقفات لجهاز الالصاق والتصميغ الذي استورد حديثاً،وكذلك انجاز الترميمات الضرورية لصيانة بناية المجمع .

الملاك والحسابات :

يبلغ عدد المستخدمين فى المجمع الذين يشملهم ملاكه ٤٤ موظفاً و ٤٢ مستخدماً ، ومن هؤلاء ٤ خبراء وباحثين علميين اثنين يقوم كل منهم بابحاث ودراسات علمية ، ومتابعة ماتتطلبه اعمال المجمع ولجانه في هذا الحقل .

ان عدد من يعمل في ادارة شؤون الاعضاء واللجان العلمية ثلاثة ، وعدد من يعمل في المكتبة الرئيسية ومكتبتي الهيئتين والمخطوطات ومخزن الكتب اثنا عشر ، ويعمل في الشعبة الفنية اربعة ، وفي الحسابات اثنان .

يعمل في الادارة والذاتية سبعة يتولون تنظيم المراسلات وحفظ السجلات والمكاتبات ، ومتابعة سيرعمل المستخدمين والموظفين. ويقوم بطبع الرسائل والتقارير وبطاقات المكتبة وغيرها خمس كاتبات طابعة .

ويعمل في المطبعة خمسة عشر موظفاً ومستخدماً، وفي الخدمات الفنية بما فيها بدالة الهاتف، واعمال الصيانة الكهربائية، والسواق، والبستانيون اثناعشر عاملاً .

ويبلغ عدد المشاركين في جبهات القتال للدفاع عن حقوق الامة وكرامتها خمسة عشر، وقد استشهد منهم واحد، ومايزال اثنان مفقودين. واقتضت متطلبات سير العمل استخدام ستة عشر بأجور يومية أو شهرية موقتة وبموجب عقود خاصة .

وقد لجأ المجمع الى استخدامهم في حالات الضرورة القصوى لضمان سير العمل مع الاحتفاظ للعاملين في الجبهة بحقوقهم الى انتهاء مدة خدمتهم وعودتهم الى العمل في المجمع ، علماً بأن المجمع يدفع رواتب ومخصصات هؤلاء العاملين .

الميزانية :

خصص لميزانية السنة المالية من بداية كانون الثاني ١٩٨٢ الى آخر كانون الاول من السنة نفسها مبلغ ٦٠٠ ر ٤٠٢ ديناراً ، منها للرواتب والمخصصات والاجور والمكافآت ٠٠٠ر٢٢٥ ديناراً وللمستلزمات الخدمية ومن ضمنها تكاليف الطبع والهاتف وغيرها ١٤٤ر٧٩ ديناراً ، وللمستلزمات السلعية بما فيها القرطاسية ونفقات الشعبة الفنية والوقود ٧٠٦ر١٥ ولصيانة الموجودات ٢٠٠ر١٧ والنفقات الرأسمالية ومنها شراء المكائن والآلات ٥٥٠ر٦٥ .

لقد بذل اعضاء المجمع وموظفوه والمنتسبون اليه مجهودات مشكورة في العمل لتحقيق رسالة المجمع ، ونرجو الله ان يوفق الجميع لما هو في سبيله من السعي الصادق في اداء الواجبات الملقاة عليه ، والله من وراء القصد .

الدكتور صالح احمد العلي

رئيس المجمع العلمي العراقي

الصفحة

الصفحة

عرض الكتب

مجلـــة
المجمع العلمـي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص٠ب٠ ٤٠٢٣)

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريـد

(تدفع قيمـة الاشتراك سلفاً)

تطلب المجلـة من المجمع ومن الدار الوطنية للتوزيع — بغداد

* * *

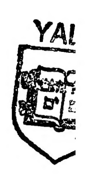
توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٢

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٤٠٠٠ / ١٩٨٢

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY



VOLUME 33
Part (2 - 3)

PUBLISHED BY
THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD
1982